

النسق التربوي
عند ابن سحنون والقابسي
بين الأصالة والمعاصرة

تأليف

الأستاذ الدكتور/ فيصل صلاح الرشيد

أستاذ الدراسات العليا المساعد
الجامعة الأسمرية الإسلامية بليبيا

٢٠١١/٢٠١٠ م

الإهداء

إلى زوجتي الغالية .. ❁

إلى أبنائي وقرة عيني..... ❁

فرح وحازم

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع لعله يجد صدي
وذكري طيبة لديهم بإذن الله تعالى

الحمد لله الذي أطلق ألسنة الأقلام بأحكام
الأحكام وفق أغشية الأفئدة لإفهام الإفهام،
وأودع خزائن الصدور جواهر الكلام، وذلها
للألسن اللسنة، فانتظمت أي انتظام، فأسفرت
الفصاحة عن وجه كالبدر في التمام، وأشرف
تناسبها علي الشرف فحلت منه في ذروة السنام.

مُتَكَلِّمًا

التراث العربي الإسلامي، تعبير صادق عن أثر التوجيه الإسلامي ودوره في بناء الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية. بل هو دفع الرئيسي لهضة الفكر والحضارة الإنسانية بصفة عامة، فضلاً عن دوره الكبير المؤثر في قيام الحضارة الحديثة، وهناك مصادر إسلامية أصيلة تهتم بالتراث الإسلامي والعملية التعليمية ومن أهمها:

- أدب الإماء والاستملاء. السمعاني.
- تعليم المتعلم طرق التعلم. الزرنوجي.
- أدب الدارس والمدارس. محي الدين النووي.
- إحياء النفوس في صنعة إلقاء الدروس. تقي الدين السبكي.
- المعيد في أدب المفيد والمستفيد. عبد الباسط العموي.
- تحرير المقال في أدب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مودبو الأطفال. أحمد بن حجر الهيتمي.

- العالم والمتعلمين. أبو الحسن المرسي بن سيده،
- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين. القابسي.
- آداب المعلمين. ابن سحنون.

- تذكرة السامع والمتعلم في آداب العالم والمتعلم " ابن جماعة"

وهناك رسائل ماجستير اهتمت بالتراث الإسلامي فمن أهمها التربية الأخلاقية في الإسلام، التربية في السنة النبوية، تربية المرأة في الإسلام، إعداد المعلم في الإسلام، فلسفة التربية في القرآن الكريم، القيمة الخلقية في التربية الإسلامية، التربية الأخلاقية عند مسكوية، الفكر التربوي عند الجاحظ، التربية عند الإمام محمد عبده، ومن موضوعات الدكتوراه: أصول الفكر التربوي في مصر في القرن التاسع عشر بين الإسلام، والتغريب، أما موضوع بحثنا وهو «النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي بين الأصالة والمعاصرة» فتهدف هذه الدراسة إلي محاولة التعرف علي ما قدمه ابن سحنون والقابسي في كتابي آداب المعلمين لابن سحنون، والرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين للقابسي، من آراء حول التعلم والعلم والتعليم، وما ينبغي أن يكون عليه المتعلم خاصة، أو الإنسان المسلم عموماً، من خلق، وما يجب أن يتصف به سلوكه،

ونهدف إلي إلقاء الضوء علي الفكر التربوي، بلغة عصرنا، من خلال المقارنات التربوية بين الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي، وعلماء التربية في العصر الحديث مثل جون ديوي والتربية هي العملية التي يتم بها نقل التراث الثقافي، وتحسينه علي مر الأجيال، وهي عملية تقديم ثقافة المجتمع لأفراده الصغار وتشكيلهم علي نحو يجعلهم قادرين علي أن يكونوا جملة هذه الثقافة، وكما أن التربية ضرورية للمجتمع، فهي ضرورية للفرد نفسه:

- مفهوم التربية، وإعداد المعلم والمتعلم عند ابن سحنون والقابسي يتطور بتطور المجتمعات الإنسانية، وتهتم بتراتها وتجد خبراتها واتساع مداها، كما شملت التربية مجالات وتخصصات جديدة مثل الدراسة العربية والشعر والحساب، والتربية ترتبط بالجانب الاجتماعي، وخطط التنمية الاجتماعية، والتخطيط التربوي في العملية التعليمية. ولقد تعدد أبعاد النسق التربوي ومجالاته وفروعه بحيث أصبح لزاماً علينا ملاحقة التطور الكمي والكيفي للمعرفة الإنسانية، بين أصالتها ومعاصرتها.

ولقد تناولنا موضوع النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي بين الأصالة والمعاصرة إدراكاً منا بخطورة الموقف الذي تواجهه أمتنا العربية والإسلامية، وإن مثل هذا الموقف التاريخي لا يمكن أن يواجه إلا بإعادة النظر في علومنا التربوية، ودراسة ما بها من أصالة أو تغريب في إشارة دالة علي أن تغريب تلك العلوم كان من بين أسباب تلك الأزمة التي تعانيها الأمة وإن قدرتها علي تجاوز تلك الأزمة مرهون إلي حد كبير بإعادة النظر في علومها وخاصة علوم التربية المكونة لمعلمي الأجيال الحاضرة والقادمة. والمقصود هنا بالأصالة والمعاصرة هو محاولة رد العلوم التربوية إلي مصادرها الإسلامية الأصلية من قرآن وسنة وإجماع وقياس واستحسان ومصالح مرسلة، والأصالة ليست عكس المعاصرة الإسلامية، والأصالة كما تكون أخذاً واعياً من التجربة الإسلامية، قد تكون أيضاً أخذاً واعياً من التجربة الإنسانية. والغرض من اختيار موضوعنا هو إعادة الحاضر والمستقبل لمواجهة أزمة الأمة، وإيجاد الحلول المناسبة لها، والإحاطة بالبحوث التربوية أمر عسير إلي حد ما، لأن البحث التربوي يشمل أجزاء من علوم كثيرة مترابطة، والوثائق باعتبارها مصادر لتجميع البيانات التربوية اللازمة هي مصادر هامة لاشك في محتوياتها، وعلي الباحثين في مجال التربية ضرورة الوصول إليها.

مدخل تمهيدي لفهم النسق التربوي

بين الأصالة والمعاصرة

وفي ضوء ما تقدم من إشارات إلي النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي بين الأصالة والمعاصرة، نود أن نشير إلي التربية بين القديم والحديث، فالتربية عملية إنسانية بمعنى أن محورها هو الإنسان وهدفها هو إعداد ذلك الإنسان للحياة وسط جماعة إنسانية وبمعني أنة لا فرق فيها من حيث الجوهر بين تربية قديمة وتربية حديثة لأن الإنسان اليوم هو إنسان ما قبل التاريخ، بنفس حاجاته وآماله وتطلعاته، وبنفس تركيبية الجسمي والعقلي، و من ثم فإن تربية الإنسان الحديث لا تختلف عن تربية الإنسان القديم من حيث الجوهر، فكل منهما هدفهما إعداد الإنسان للحياة، وتزويده بوسائل مواجهتها، بعلوم ممزوجة بين الأصالة والمعاصرة.

ويمكن تعريف البحث التربوي عند ابن سحنون والقابسي علي أنة الدراسة المنظمة للتساؤلات أو المشكلات ذات الصلة، أو العلاقة بالمناهج الدراسية العلمية. وسنطلق في مناقشتنا لقضية المقارنة بين القديم والمعاصر. وهذا ما عبّر عنه بطس أن الغرض من التربية في الثقافات الأكثر تعقيداً هو نفسه الغرض منها في المجتمعات البدائية، ولكن وسائل إكساب الفرد الصفة الاجتماعية تركت للمدرسة أكثر، وفي بحثنا هذا سنلقي الضوء بمقارنة أقوال ابن سحنون والقابسي بالتربية المعاصرة، لذلك يقول: **جروف سامويل** داو أن غرض التربية لديهم (أي القدماء) هو عين الغرض الذي ننبينه في أرقى أشكال نظمنا المدرسية ألا وهو إعداد الحدث للحياة، ومن هنا كانت أهمية هذا البحث «النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي بين الأصالة والمعاصرة» هذا البحث الشامل الذي يفتح أمام المربين والمعلمين أفقاً واسعة فيما يتعلق بالتأمل الفطري وبالتطبيق العملي في ميدان التربية، و يقدم لنا مجموعة من الآراء والأفكار والمفاهيم التي ينبغي مناقشتها في ضوء من وجهه نظر معينة في التربية القديمة ومقارنتها بالآراء التربوية المعاصرة، لذلك وجب علينا إلقاء نبذة عن موقعنا من التراث القديم.

الموقف من التراث القديم:

« التراث القديم كله استجابات ذهنية لأجيال سابقة ازاء أحداث عصر مضي، ويكشف عن صراع القوي، ولما كان الصراع يحسم لفريق دون فريق. فقد ساد تراث القوة الغالبة علي تراث القوة المغلوبة. وثم تدوين كل شئ في التاريخ والأصول والعقائد لأبي في "أيدولوجيات"»^(١)

وسوف نتناول شخصيتين مهمتين في التراث التربوي «وتعني بالتراث هنا التراث الإسلامي» فهو الأعم والأشمل من التراث " العربي" إبداعه العرب وغير العرب. ومكتوب باللغة العربية وباللغات الإسلامية. والقرآن مكتوب بلغة العرب ولكن الإسلام لكافة الشعوب والحضارة إسلامية. والعلوم إسلامية^(٢)

أما عن مادة التراث فهو: والتراث هو الإبداع الفكري للشعوب ابتداء من معطيات تكون في الغالب دينية ثم تتحول بالتدرج إلي حضارية بعد عمليات تمثل الحضارات المجاورة، وهذا ما نجده في غضون هذا البحث عند ابن سحنون والقابسي وبالأخص في منهجها في التربية. ويقول الله تعالي ﴿لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^(٣)

وابن سحنون والقابسي يعبران عن التراث بمعناه الواسع و«هو ما خلقه السلف للخلف من ماديات ومعنويات أيا كان نوعها، أو بمعنى آخر، هو كل ما ورثته الأمة وتركته من إنتاج فكري وحضاري، سواء فيما يتعلق بالإنتاج العلمي، بالآداب، بالصور الحضارية التي ترسم واقع الأمر ومستقبلها. وهذا يعود إلي بدء المعرفة الإنسانية للكتابة بأشكالها، وأساليب التعبير بأنواعها، سواء في المخلفات الأثرية أو فيما سجل في وثائق الكتابة»^(٤)

(١) دراسات فلسفية د. حسن حنفي - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٨٧ ص ١٩.

(٢) المرجع السابق ص ٥٢.

(٣) سورة النحل آية ١٥ - ١٦.

(٤) التراث العربي الإسلامي - دراسة تاريخية ومقارنة د. حسين محمد سليمان - دار الشعب القاهرة -

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ ص ١٣.

والذي يعيننا في هذا البحث هو التراث الفكري التربوي المتمثل عند ابن سحنون والقابسي ولعل أبرز في فكرهما التربوي هو الحفاظ علي القرآن الكريم واللغة العربية والتراث العلمي.

ولكي نفهم أكثر عمقاً، هناك بعض التساؤلات لا بد منها وهي ما يلي:

* تساؤلات الدراسة:

تدور تساؤلات الدراسة في السؤال التالي:

- كيف يمكن استخدام المنهج الأصولي في دراسة بعض القضايا التربوية؟
- ما الأبعاد التربوية في النسق التربوي عند ابن سحنون؟
- ما هي مكونات المنهج الدراسي عند ابن سحنون والقابسي؟
- ما أهمية الحوار والمناظرة العلمية في العملية التربوية؟
- اشرح بالتفصيل أهمية التربية الروحية عند ابن سحنون والقابسي في الحقل التربوي؟
- كيف يمكن تطبيق مبدأ العدل وتكافؤ فرص التعليم بين التلاميذ؟
- هل اهتم القابسي بتعليم البنات أم لا؟
- تحدث بالتفصيل عن التربية الخلقية عند القابسي؟ ومفهوم الفضائل والردائل؟
- ما القواعد التربوية عند ابن سحنون والقابسي تحديد العطل في نظام الدراسة؟
- من أهم القواعد التربوية في تطبيق الجزاء المعنوي والجزاء المادي الرفق واللين اشرح ذلك.
- استطاع ابن سحنون والقابسي استخدام الفروق الفردية والوسائل التعليمية وضح ذلك بالتفصيل.
- ما هي المناهج الإجبارية والاختيارية والتطوعية عند ابن سحنون والقابسي في العملية التربوية؟
- ما علاقة المعلم بالمتعلم وكيف تتم؟ وأهمية هذه العلاقة في العملية التربوية.

- قارن بين شروط آداب المناظرة والحوار كعمل التربوي عند ابن سحنون والقاسبي من حيث المضمون والجوهر.

* أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة إلي وصف المنهج الأصولي وبيان مبادئه وخطواته ومؤهلات الباحث الأصولي حتي يمكن تقريب هذا المنهج إلي الدارسين، وتقليل الإحساس بصعوبته وتعقيده، وهو إحساس قد يدفع الكثيرون إلي الانصراف عنه.
- وتهدف هذه الدراسة إلي معرفة مدي فاعلية التربية الروحية في نفس التلاميذ، ومن أهداف هذه الدراسة أيضاً نجد أنها تهتم فيما يتعلق بالمعلمين والمعلمات علي مستوي العملية التعليمية. وتهدف إلي الاهتمام بأنواع الثواب وضوابط الثواب لذلك أنواع العقاب وضوابط العقاب المعنوي والمادي.
- هدفت إلي تقويم مادة حفظ القرآن الكريم في ضوء أهدافها التربوية. والمساهمة في مادة حفظ القرآن الكريم من أجل تقوية اللغة العربية قراءة وتعبير والتعرف علي القيم والمثل العليا الأخلاقية التي يدركها الأطفال، وكذلك التعرف علي القيم الأخلاقية التي يتجلي بها أطفال وتعلمهم بجوار المدرسة.
- ومن أهم أهداف هذه الدراسة الاهتمام بتعليم المرأة في ضوء الأصول الإسلامية، وتوضيح الضوابط والأسس التي تقوم عليها التربية الإسلامية، والكشف عن أهم المبادئ والتوجهات للنسق التربوي.
- وتهدف هذه الدراسة إلي تكافؤ فرص التعليم بين الأغنياء والفقراء والأيتام، ومن أهم أهداف هذه الدراسة مقارنة نصوص ابن سحنون والقاسبي بالتربية المعاصرة وسيكولوجية التعلم الحديثة وبالأخص في مرحلة المراهقة والفروق الفردية، وتعليم المرأة، والتدرج في التعليم، والمساواة في التعليم.

* أهمية الدراسة:

- وتبدو أهمية الدراسة في مناقشة العدل بين الأطفال في التعليم، وبيان تحديد العطل والأجازات للأطفال، والتعرف علي طرق التدريس وكيفية تطبيقها؟ عن طريق المنهج

الأصولي، ومن أهمية هذه الدراسة، بعد دراسة وتحليلي نصوص ابن سحنون والقابسي وجدناهما نصوصهما تتلاءم مع التربية الحديثة والمعاصرة.

وأثرت آراء ابن سحنون والقابسي في العصر الذي عاش فيهما، لذلك مزجت هذه الدراسة بين البيئة الاجتماعية والطرق التربوية، وتبرز آراء ابن سحنون والقابسي، والمبادئ التي نادي بهما المربون المحدثون مثل الحرية، الزامية التعليم، استمرارية تعليم المعلم، والتربية المهنية، مع مراعاة الفروق الفردية.

وعندما تحدث ابن سحنون عن تعليم المرأة فوجد أن القرآن الكريم ساو بين الرجل والمرأة، والإسلام كفل المرأة حقوقها كاملة مثل الرجل. ومن أهمية هذه الدراسة نجد أنها تُعلي من مكانة العلم والعلماء والاهتمام بالعديد من القضايا التربوية كما يتضح من خلال النشاط العلمي والفكري عند ابن سحنون والقابسي، وتحقيق التنشئة الاجتماعية والتربية الشاملة المتوازنة للناشئ المسلم. وتتميز المضامين التربوية المشتقة من السنة النبوية عن غيرها من الأساليب التربوية بالشمول والتوازن والواقعية.

* حدود الدراسة:

من أهم هذه الدراسة نجد أنها ربطت بين البيئة الاجتماعية وأثرها في المنهج التعليمي، وتناولت الدراسة تعليم المرأة والأيتام، وهذه الدراسة محددة بالمنهج الأصولي عند ابن سحنون والقابسي، وهكذا بدأ القابسي بذكر اسم الله، ثم أخذ في شرح الإيمان والإسلام، وطرق التعليم تتلخص في خمس [الإيمان، والإسلام، والإحسان، والاستقامة، والصالح]. والمنهج التعليمي محدود بأحوال المجتمع.

وترتبط حدود الدراسة: بالأوضاع الاجتماعية وتأثيرها في تنمية المجتمع والتعليم، ويعني هنا البحث في التربية الإسلامية عن طريق منهج الاستقراء المستمد من القرآن الكريم والنسبة النبوية الشريفة.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة علي المنهج الأصولي القائم علي الاستدلال مع الاعتماد علي طريقة الاستنباط وذلك لتعدد أدواته وإمكانية ترجمه المعلومات والبيانات التي تستنبط إلي بيانات كمية يمكن معالجتها إحصائياً واستقراء النتائج.

كما استخدم الباحث " المنهج المقارن " في وصف وتحليل ومقارنة طبيعة النشاط والتربوي في الفكر الإسلامي عند ابن سحنون والقابسي ومقارنتها بالحقل التربوي الحديث والمعاصر .

مشكلة الدراسة:

تحديد المفاهيم الدينية الإسلامية اللازمة للأطفال ما قبل المدرسة (5-6) سنوات في ضوء تساؤلاتهم الدينية الإسلامية ومدى توافر هذه المفاهيم لدى الطالبات المعلمات بشعبة رياض الأطفال.

- وعدم توافر المفاهيم الدينية الإسلامية اللازمة للأطفال ما قبل المرحلة الابتدائية، ومشكلة الجمع، بين النسق التربوي في القديم والنسق التربوي المعاصر.
- إهمال المقررات الفنية والمهنية عند ابن سحنون والقابسي.
- القدرة علي التعليم الذاتي والابتكار تكاد تكون معدومة.
- وعن تكافؤ فرص التعليم بين البنات والبنين نجد أن هناك فجوة كبيرة منذ القدم لعدم خروج البنات إلي الكتاتيب والمساجد لتلقي العلم، لذلك نجد أن تعليمهم كان مكلفاً، لأن المؤدبون يذهب إلي بيوتهم. لذلك نقول ما السبيل الكفيل لخفض عدد المحرومين من البنات لفرصه التعليم؟ ووجود بعض المعوقات التي تعوق الأطفال عن الالتزام الإسلامي، وما مدى توافر معايير اختيار النصوص الدينية وإعدادها والمهارات اللازمة لتدريس مادة التربية الدينية للأطفال، ما مبادئ وتوجيهات النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي في معاملة الأطفال؟ وما أثرها في الفكر التربوي المعاصر؟

مصطلحات الدراسة:

- تستخدم مصطلحات إسلامية مرتبطة بعلم أصول الفقه مثل [الإحسان - والاستقامة - والإيمان - والإسلام - والصلاح] والهدف من استخدام هذه المصطلحات هو التعرف علي الأحكام الشرعية، وأهميتها التربوية.
- وهناك مصطلحات تعبر عن البيئة والتربية الإسلامية مثل الكتاتيب، المساجد، واللوح، الكتاتيب والأدوات المستخدمة فيها.

وهناك وسائل تعليمية تستخدم في الجزء المادي (الجسمي) مثل: (الدرة - الفلقة - الحانوت - العذاب المعنوي).

وقارئ هذه السطور يعلم الإشكالية المعروفة بين "تربية إسلامية" و "تربية المسلمين" و"التربية الإسلام" لذلك استخدمت مصطلح « النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي بين الأصالة والمعاصرة» ونظراً لتناول مفهوم النسق من القديم إلى الحديث إلى المعاصرة في فلسفات التربية، كان من الواجب علينا شرح، وعقد ايجارة مؤدب، والأصالة والمعاصرة، المناظرات العلمية والجدل أدب معلوم، وسلوك مضبوط، وتعليم الفقه والنحو والفرائض، وتعليم الشعر، كل هذه المصطلحات سوف نقوم بشرحها وتفسيرها من خلال غضون هذا البحث.

الدراسات السابقة:

« حيث إن الحديث عن المنهج الأصولي في المجتمع العلمي التربوي مازال حديثاً خافتاً لم يكتسب الأنصار والأتباع الذين يتدربون عليه، ويتدربون علي أنقام مهاراته. فإن هناك علي الرغم من ذلك بعض الدراسات السابقة في هذا المجال»⁽¹⁾ ومن أهم الدراسات السابقة هي ما يلي:

١. ابن سحنون وآراؤه التربوية من خلال كتابه آداب المعلمين شبكة الألوكة - عالم الكتب.

٢. الآراء التربوية عند ابن سحنون - في كتاب آداب المعلمين - المؤلف حسن الهندي.

٣. التعليم عند القابسي وابن سحنون بين المنظور التربوي والمقتضي.

٤. الفكر والآراء التربوية لمحمد بن سحنون - نفائس المدرسة الجزائرية.

فيما سلف ذكره من عناوين وأفكار منقولة من علي النت، لأن الدراسات السابقة نادرة جداً، وهذا ما شجعتني وحفزني علي تأليف هذا الكتاب بعنوان «النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي بين الأصالة والمعاصرة» فإن دراستنا مختلفة تماماً مما سبق من

(1) نحو تأصيل إسلامي للبحث التربوي د. عبد الرحمن النقيب، د. مني علي السالوس مرجع سابق ص ٥٣.

دراسات في العنوان والمنهج، والدليل علي ذلك قمنا بتحليل النصوص التربوية الأصلية لكل منهما، لتوضيح إلي أي مدي السياق التربوي متوفر عندهما؟ وهل يوجد نسق تربوي في نظريتهما وآرائهما التربوية ومن الجدير بالذكر بأننا استخدمنا منهج المقارنة بينهما وبين الآراء التربوية الحديثة والمعاصرة من خلال الكتب المتنوعة في النظريات التربوية المخصصة في علماء العرب، وعلماء الغرب في التربية.

خطوات الدراسة:

بيان الأسس والمبادئ التي يقوم عليها المنهج الأصولي واعتمد القابسي علي أدلة من الكتاب والسنة تختار منها ما يلي:

وقد بين الله سبحانه في كتابه وصف قارئ القرآن، وذلك في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ [١٩ - ١]

قال أبو الحسن: والماهر بالقرآن يؤمن بترتيبه قال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ . قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . نُصِّفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾
وأصحاب الحديث وأصحاب الرأي يفرقان أكثر من ذلك في الاعتماد علي الإجماع والقياس. فأصحاب الرأي أكثر اعتمادا علي القياس من أصحاب الحديث: عن الشهرستاني يقول: «أصول الاجتهاد وأركانه أربعة تعود إلي اثنين: الكتاب والسنة والإجماع والقياس»^(١)

وهناك بعض الفقهاء لم يجوزوا القياس، واكتفوا بالكتاب والسنة والإجماع وهم اهل الظاهر. قال الشهرستاني: «من أصحاب الظاهر مثل داود الأصفهاني وغير ممن لم يجوز القياس والاجتهاد في الأحكام. وقال الأصول هو الكتاب والسنة والإجماع فقط». استخدام المنهج الأصولي القائم علي تفسير النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة واستنباط المبادئ التي تقوم عليها هذه الضرورات.

(١) التربية في الإسلام د. أحمد فؤاد الأهواني - مصدر سابق ص ١٤٠.

الكشف عن أهم أساليب التربية الدينية الإسلامية في تنمية بعض القيم الدينية الإسلامية والروحية والخلقية.

من أهم القيم الإسلامية التي يمكن تنميتها في نفوس الأطفال، القيم الخلقية والقيم الإيمانية، والطاعة، والأمانة، والصدق، والعدل والعلم.

أن بناء القيم وتنميتها يمر بمستويات ثلاث:

- المستوي العقلي المعرفي.
- المستوي الوجداني النفسي.
- المستوي السلوكي الأخلاقي.

ومن أهم خطوات هذه الدراسة سوف نقوم بتنسيق المصطلحات العلمية المستخدمة في الدراسة عند كلاً من ابن سحنون والقاسبي ونخلص إلي القول بمجموعة نتائج من مصادرها الأصلية القديمة حتى تضع أيدينا علي الحقيقة.

ويحاول هذا الكتاب أن يقدم للقارئ العادي والمتخصص بعض تلك الجوانب التربوية المضيئة في تراثنا ومقارنتها بالتربية الحديثة والمعاصرة وتصدي الآراء التربوية لمعالجه عدة موضوعات علي جانب كبير من الأهمية: وسوف نقوم بتقسيم هذا البحث إلي سبع فصول وهي ما يلي:

ففي الفصل الأول "مكانة العلم والعلماء":

أبرز أهمية العلم كضرورة فردية اجتماعية، وأهم فضائل العلم وشرفه، وأن العلم هو الطريق إلي تفسير الحقائق العلمية في حياتنا التربوية والعملية، وإلقاء الضوء علي درجات العلم، ومناقب العلماء، والعلاقة بين المعرفة ومناقب العلماء، والمحور الثاني في هذا الفصل تناولنا كيفية تحصيل العلوم والمعارف، والعلم والعمل، والفرق بين نافلة العلم ونافلة العبادة، وبقاء العلم بعد فناء الإنسان، ولكي يكون هذا الفصل منمراً تحدثنا عن مراتب العلوم وتفاوتها مثل علم الطب، وعلم الطبيعة وعلم الفلك وغيرها.

ففي الفصل الثاني "أخلاقيات مهنة المعلم":

وتناول أخلاقيات مهنة المعلم من حيث تكريمه أولاً بفضيلة العلم والعمل، وآدابه وفضل العلماء في الدنيا والآخرة، وفي نفس السياق لأخلاق المعلم تحدثنا عن الفضائل التي يتمسك بها، وشروط المناظرات العلمية التي يتبعها، والأماكن التي يتعلم فيها منذ

الزمن القديم مثل الكتائب، والوسائل التعليمية التي تهذب المعلم، ومن واجبات المعلم البعد عن الرذائل مثل الكبر والعجب والخيلاء، وتجنب مواطن الشبهة والتهمة، وأهم الصفات التي يتحلى بها المعلم، مثل حسن الهيئة، والحذر من أصحاب السلطان.

ويناقد الفصل الثالث "المنهاج الدراسي عند ابن سحنون":

المحور الأول في هذا الفصل يتناول أهمية المنهاج- واختيار محتوى المنهاج للطفل، والتنظيم السيكولوجي والمنطقي أي العلاقة بين المعلم والمتعلم، وسنلقي الضوء على كيفية تطبيق المنهج التربوي من خلال منهج المادة وأن المعلومات أساس عمل المنهاج والتي تحتوي على العلوم الإجبارية، والعلوم الاختيارية، والزمن الدراسي المحدد عند ابن سحنون الدراسة المنهاج، ومن أهم المناهج التربوية عند ابن سحنون. تكافؤ الفرص في التعليم، والعدل بين الصبيان، ومراعاة الفروق الفردية، واستخدام الأسس العلمية التربوية في تعليم الأطفال أي عدم تعليمهم الخرافات والتجيم، ومن ثم فإنة في ظل تطبيق المنهاج عند ابن سحنون يقوم بدراسة التربية الروحية والتي تشمل مراعاة استعدادات الطفل الفطرية، وطرق التدريس المتبعة فيها، وأهم محتويات التربية الروحية والغاية منها. وتوزيع المنهاج الدراسي يشمل تتابع الدروس من حيث المادة (قرآن - حساب - تاريخ) والتنوع من حيث الصعوبة والسهولة، فتتبع الدرس الصعب بآخر سهل، أو أقل صعوبة.

الفصل الرابع "نظريات الثواب والعقاب في العملية التربوية عند ابن سحنون":

ويناقد هذا الفصل: إنسانية التعامل مع النساء من خلال تعليم المرأة، وإختلاط الذكور بالإناث، ونشير إلى موضوع العقوبات ومكانتها التربوية، وأثر العقاب في التربية، واستخدام العدل بين المتعلمين، وعدم تعنيف المتعلمين والاستهزاء بهم، بل استخدام الرحمة والشفقة بالمتعلمين، ويتم تطبيق التأديب الجسدي والمعنوي عن طريق التدرج في العقوبة، مراعاة الحالة النفسية والجسمية للمعاقب، وعدم المبالغة في العقوبة، بحيث يتناسب مقدار العقوبة مع مقدار قوة الذنب، والتنبيه على أن العقوبة موجهة إلى التصرف الخاطئ ابتداء وليس لذات الشخص، ونتبين في هذا الفصل أن ابن سحنون ينبه إلى أن

التأديب المعنوي يخلو من العنف والسباب لأن ذلك يولد العنف عند الأطفال، ثم بعد ذلك نوضح مجمل القول في الإفادات التربوية عن طريق نظريات الثواب والعقاب، وهي اتسام شخصية المعلم بالصدق، والاهتمام بالتربية الخلقية لأنها توثق الصلة بين المعلم والمتعلم.

الفصل الخامس "التربية الروحية في المذهب التربوي عند القابسي":

سوف نتناول في هذا الفصل العلاقة الوثيقة بين الحياة الاجتماعية والتربية الروحية وأثرها في التعليم عند الطفل، محاولين استخدام المصطلحات الدينية التي تقوي العملية التربوية، مثل الإيمان، والإسلام، والإحسان، والاستقامة، والصالح، والعمل الصالح، هذه المصطلحات الخمسة من دعائم المنهج التربوي عند القابسي، ونتحدث في هذا الفصل عن تنوع أساليب التربية الروحية وهي عبارة عن حلقات الدروس في الكتاب والمساجد، ودور الأسرة في تربية الأولاد لأن الأسرة هي أساس الشخصية، ولها أثرها في تهذيب الطفل، والحرص على الألتزام الديني داخل الأسرة، وتربية الأبناء تربية دينية أخلاقية، وتعليمهم السلوك الحسن، ويتحقق للطفل الأمن النفسي والطمأنينة في أجواء الأسرة، والغرض الأساسي من التربية الروحية عند القابسي هو الحفاظ على الكرامة الإنسانية، وتقدير العلم، واحترام المربي وتعظيمه، وتدريب النفس على المساعدة والبذل والعطاء، مرة بعد مرة، وعلي حب التعاون. والتربية الروحية لها مكانة كبيرة في العلوم التربوية لأنها مستنبطة من الكتاب والسنة.

الفصل السادس "المنهاج الدراسي عند القابسي":

ونتناول في هذا الفصل المبادئ التي روعيت عند اختيار المناهج ومن أهمها العلاقة بين الدين والفطرة الإنسانية، ولا يمكن تطبيق المناهج الدراسية إلا بتحقيق التكافل الاجتماعي للأيتام، وإعطاء المعلم أجره، واستخدام مبدأ العرف في التعليم ولا بد أن تشمل المناهج التعليمية الدراسية علي مكانة المرأة التعليمية وأحكام تعلمها وفي نفس الاتجاه نهتم بمكونات المنهج الدراسي عند القابسي وهي: المواد الإجبارية، مثل القرآن الكريم، والكتابة والخط وإعراب القرآن، ونتحدث أيضاً عن المواد الاختيارية مثل الحساب والشعر وعلم التاريخ، وهناك المواد التطوعية في منهج القابسي وهي العربية والغريب وجميع النحو،

ويهتم منهج القابسي بالمناظرات العلمية وأهميتها وأغراضها، ولا يمكن الاستفادة من هذه المناهج السابقة إلا عن طريق تمسك المعلم بأخلاقيات المهنة وهي تفقد الأطفال بالتعليم والعرض، ورعاية الأطفال، ووفاء المعلم، والرفق بالأطفال والاجتهاد في طلب العلم، ويجب علي المعلم أن يتمسك بالعدل في معاملة الأطفال. والمنهاج الدراسي يعبر عن الحقائق التربوية للنسق التربوية عن طريق إدارة الوقت- الجداول الدراسية - أهم المصطلحات المستخدمة وأهم العلوم الأصلية التي تقوم بتأسيس الأطفال وطلبة العلم.

الفصل السابع نظريات الثواب والعقاب في المنهج التربوي عند القابسي:

وسوف نتحدث في هذا الفصل عن تمهيد لواجبات المعلم وكيفية التعامل مع الأطفال قبل التأديب، الصلة بين العلم والعمل عن طريق العلاقة بين المعلم والمتعلم، ومفهوم التخطيط التربوي والإدارة التربوية من قبل المعلم ويتم ذلك عن طريق تنظيم الوقت أثناء الدراسة، وتحديد أيام العطلة (العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى)، وقبل إتباع المعلم العقوبات المعنوية والجسدية يجب عليه استخدام طريقة فن الحوار، ومن الجدير بالذكر نجد في هذا الفصل قواعد تربوية علمية عملية لفن الضرب عند القابسي وهي ألا يوقع المعلم الضرب إلا علي ذنب، ويقوم المعلم بضرب الأطفال بنفسه عن طريق الدرّة والفلقة، والتأديب عند القابسي ينقسم قسمين: تأديب معنوي، وتأديب مادي وجسدي، وعن مكان الضرب علي الرأس، والنهي عن عقوبة الانتقام.

ومن الجدير بالذكر بأنة هناك ثواب وعقاب معنوي وظهر ذلك عن طريق المناظرات العلمية لابن سحنون وهي ضرب من الحوار العلمي يناقش فيه الرأي المخالف ويدعم الرأي المنصور بالحجة والدليل لإقناع المعارض. وفي نهاية هذا الكتاب وضعت الخاتمة وهي عبارة عن:

- خاتمة البحث

- فهرس للمصادر والمراجع

- فهرس للآيات القرآنية

- فهرس لموضوعات الكتاب

أولاً تحليل المصطلحات المستخدمة في العنوان الرئيسي:

تبدو أهمية الموضوع من تحليل المصطلحات ذاتها. فالمصطلحات الأربعة و هي:

- النسق - التربوي - الأصالة - المعاصرة

هذه المصطلحات الأربعة هي التي تعبر عن المضمون الداخلي لهذا الكتاب، لكي يعبر عن التراث والعصر، وبدأنا بمصطلح النسق لأنه يشير إلي قواعد العقائد في الأصول والقواعد العلمية التربوية. وأن جيل التراث يضيف إلي الجيل اللاحق موضوعاً أو تصوراً و محوراً أو بنية أساسية في العلوم التربوية عن طريق إحياء منهج ابن سحنون والقابسي.

ويعتمد هذا الكتاب علي المنهج التحليلي للتجارب التربوية الحضارية التراثية بمفهوم الحدائثة والمعاصرة، وعن أهمية المصطلح يقول د. حسن حنفي: «المصطلح لغة الفكر، واللغة أداة صياغة ودون المصطلح تصبح اللغة مجرد تعبير تلقائي عن الفكر... المصطلح يحدد بنية الفكر فلكل مصطلح معني واتجاه وقصد»⁽¹⁾

والمصطلح هو العمود الفقري للموضوع والمنهج، وهو الذي يحدد منحنيات و مسار هذا الكتاب.

وإذا تناولنا التراث في بحثنا فيعتبر المصطلح استبقاء علي المورث كوعاء قديم أصيل محكم، وعلي هذا النحو يتم التفاعل الحضاري من أجل خلق ثقافة جديدة تربوية تضم المورث التراث القديم مازال حياً في وجداننا، حاضراً من الماضي في الحاضر.

ومنذ قديم الزمن (٢٣٠ - ٢٧٠ ق.م) كان موجوداً نسق اقليدس الهندسي وكان هذا النسق يحتوي علي البديهيات والتعريفات والمسلمات، ويقول اقليدس: «إذا طرحت أشياء متساوية من أشياء متساوية كان الناتج متساوياً»⁽²⁾ ويقول أيضاً: بإضافة أشياء متساوية إلي أشياء غير متساوية تحصل علي نواتج غير متساوية. ومن خلال التفسيرات السابقة نستطيع أن نقول يستطيع ابن سحنون والقابسي أن يبرهننا علي نسقه التربوي لأنه يعبر

(1) هموم الفكر والوطن - التراث والعصر والحدائثة - ح. د. حسن حنفي ص ١٢٧.

(2) مشكلة الفلسفة د. ماهر عبد القادر - دار النهضة - بيروت ٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ ص ١٦٠.

عن الحقيقة العلمية التربوية، ومطابقة للواقع والعالم والخارجي كما أن أفكارهما التربوية جاءت من الأفكار الدقيقة التي يهتم بها علماء التربية في فن التدريس وطريق التدريس. ويقول كارل بوبر عن الأنساق النظرية " تتسم النظريات العلمية بالتغير علي نحو دائم، ولا يرجع هذا المجرّد الصدفة، وإنما هو أمراً لا بد من توقعه وفقاً لتصويرنا للعلم الامبريقي، وربما كان هذا هو السر كقاعدة في أن بعض فروع العلم تكتسب دائماً الصورة المنطقية لاتساق النظريات المؤسسة جيداً، ورغم هذا فإن النسق المؤقت يمكن عادة أن يستخدم ككل بكل نتائجه الهامة، وهذا الشيء ضروري، الآن الاختيار الصعب لنسق يفترض مسبقاً أنه هذا النسق في الوقت المحدد بصورة كافية ونهائية⁽¹⁾. ويمكننا في النسق النظري عند ابن سحنون والقابسي أن نميز القضايا التي تنتمي لمستويات الكلية.

ولكي نبين المضمون التربوي لكتابنا هذا تمييزاً عن الدراسات السابقة لا بد أن نفضل القول في المصطلحات المستخدمة في العنوان، وأول هذه المصطلحات كلمة « النسق »:

١- تعني ترتيب ونظام واحد علي نسق واحد

٢- كل من عناصر جيدة متتابعة

وتعريف ومعني النسق في معجم المعاني، الجامع المعجم الوسيط باللغة اسم مصدر نسق: النسق: ما كان علي نظام واحد من كل شيء.

وفي لسان العرب: نسق نسق النسق من كل شيء ما كان علي طريق نظام واحد عام في الأشياء، وقد نسقته- وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ناسقوا بين الحج والعمرة قال شعر: معني ناسقوا.

المقصود بالنسق التربوي: كل السلوكيات العامة علي تحقيق التربية كمارسات تنسجيم والمعايير، وأنساق أن نظمه جمع نسق في اللغة اليونانية Srema, Sum.

(1) منطق الكشف العلمي - تأليف كارل بوبر، ترجمة د. ماهر عبد القادر علي محمد- دار النهضة العربية- بيروت- لبنان- ص ١٠٨.

النسق التربوي لنظام التعليم فالمغرب (مؤسسة الكتاب) لقد استطاع نظام التعليم الإسلامي عبر مختلف المراحل التاريخية للحضارة العربية الإسلامية تشكيل ملامح الشخصية الذاتية.

النسق الاجتماعي: هو أية وحدة اجتماعية ضمن نظام اجتماعي تؤدي وظيفة ضمن شبكة معقدة يهدف أطرافها إلى تحقيق التكافل والاستقرار في المجتمع وفي التعريفات الأخرى تعريف ليفي: بأنه أي نسق للسلوك الاجتماعي يتضمن جمعاً من الأفراد المتفاعلين.

يري بارسونز أن النسق الاجتماعي يتألف من مجموعة فاعلين تنشأ بينهم علاقات تفاعل.

النسق الاجتماعي: هو عبارة عن مجموعة من الأشخاص والأنشطة تتميز العلاقات المتبادلة بينهم بقدر من الثبات والاستمرار.

ماهية النسق الاجتماعي: هو مفهوم أو تصور أصبح شائع الاستخدام في السوسيولوجيا الحديثة.

نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة. ويقول مصطفى حسني: المواقف التي نجد لها كما يسير عليها تربية الأولاد علي نسق تربوي واحد.

نموذج بلوم: يسمى بلوم هذا النموذج بـ « النسق » التربوي بدون أخطاء إذ يعتقد بأن كل نظام تعليمي يتسم بالفاعلية القصوى.

• **النسق الثقافي:** تبسيط عملية أساء عروض تقديمية مصمم ذات مظهر احترافي نسق الكلام نسقاً عطف بعضه علي بعض نقله الجوهري.

• **النسق الفلسفي:** هو الإطار الفكري الكامل أو الموقف المتكامل الذي يفسر فيه الفيلسوف ما يلج عليه من تساؤلات، واهتمامات والنسق في شكله العام هو لا يمنع من انقسام.

• **النسق الثقافي:** من منظور المعرفة يجمع معظم الدراسات علي أن الممارسة الثقافية عملية مستمرة ودائمة التحول كونها تسعى إلي استثمار. من خلال التعريفات السابقة لمصطلح النسق نجد أن ابن سحنون والقاسبي كلاً منهما يتفقان مع كلمة النسق، وبالأخص النسق التربوي، والنسق الاجتماعي لأن جميع النصوص التربوية عند ابن سحنون والقاسبي تفسر النسق الاجتماعي لأن كلاً منهما يهتمان بربط البيئة الاجتماعية بالنظريات التربوي فالعلاقة بين النسق التربوي والنسق الاجتماعي وثيق الصلة جداً، ومن خلال تناول نصوص ابن سحنون والقاسبي وجدت إن عندهما سياق تربوي واجتماعي لان معني:

السياق: مراتب - مجري تتابع تسلسل - المنهج السياقي.

السياق لغة: من سوق وأصله سواق فقد لبث الواو ياء لكسره السين وركزت المدرسة الاجتماعية علي دور السياق، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث. وقد كان علم السياق من العلوم المهمة والقواعد المؤثرة في تفسير النصوص، وهذه المرتبة يدخل تحتها نوعين من أنواع السياق: سياق الآية، وسياق المقطع، وأقسام السياق منها لفظية ومنها: مقامية.

ومجمل القول أن النصوص الأصلية التربوية عند ابن سحنون والقاسبي يتميزان بالنسق، والسياق، التربوي، وهذا ما وجدناه من خلال هذا الكتاب.

ويكمن أن نستخلص مما سبق أن النسق التربوي يعبر عن التراث التاريخي» ويمتاز مؤرخو العرب الأقدمون، كما يمتاز شعراؤهم بالقدرة علي إدراك الجزئيات إدراكاً دقيقاً.....، وقد كون العرب مناهج خاصة بهم في تمحيص الروايات المأثورة باعتبارها مصدراً للمعارف؟ وأظهروا مهارة في تقسيم موضوعات بحثهم الواسعة إلي أقسام كثيرة، وتقسيم هذه إلي أقسام أخرى وهلم جرا، علي نحو ما أظهروا في النحو⁽¹⁾.

ومن مقتضيات الموقف العلمي هنا أن نبدأ بعد مصطلح النسق بمصطلح التربية، حتى تصبح الوحدة العضوية للمفاهيم صحيحة، ومفهوم كلمة التربية في اللغة «أن كلمة

(1) تاريخ الفلسفة في الإسلام. دي يور. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة- دار العرب سنة ٢٠١٣ ص ٦٧.

التربية مشتقة من الفعل الماضي المجرد الثلاثي (ربا) مضارعه (يربو)، وهو علي وزن دعا يدعو، وتتضمن معني النمو والزيادة العينية قال الله تعالى ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَّ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ سورة البقرة آية ٢٦٧. أي يمحق الله الربا الزيادة العينية في نماء الأموال ويزيد الله الصدقات»^(١).

«ولقد أرجعت كلمة تربية في اللغة العربية إلي الفعل (ربي) الرباعي فيقال ربيّ الولد، أي غذاه وجعله ينمو، وربا الشيء أي زاد ونما، وقدورو هذا المعني في القرآن الكريم عندما قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ أي نمت وزادت لما تداخل فيها من الماء والنبات»^(٢).

وجاء في القاموس المحيط في باب (الرب) ورب: جمع، وزاد، ولزم، وأقام وربّ الأمر: أصله ربّ الدهن: طيبة، وربّ الشيء: ملكة، وربّ الصبي رباة حتى أدرك

من استعراض التعريفات السابقة لمصطلح التربية يتضح لنا ما يلي:

معني التربية عند الإمام أبي حامد الغزالي يشبه الفلاح الذي يفلح الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه. وتصديقا علي كلام أبي حامد الغزالي يقول سينيكا «واجب التربية أن تستأصل من الطفل ميولة الشريرة»^(٣).

- ويقول أرسطو «الغرض من التربية هو إعداد العقل لكسب العلم»
- ويقول جون ملتون المربي والشاعر الانجليزي «إن التربية الكاملة، هي التي تجعل الإنسان صالحاً لأداء أي عمل، عاماً أو خاصاً بدقة وأمانة ورادة».
- أما كانط الفيلسوف الألماني فيحدد الغرض من التربية بقوله: «أنها تصل بالإنسان إلي الكمال الممكن»

(١) مقدمة في التربية د. محمد محمود الخوالدة - ص ٦٨.

(٢) أصول التربية د. أحمد الفنيش - ص ١٣.

(٣) رائد التربية وأصول التدريس د. عبد الحميد فايد - ص ٢١.

*** المفهوم الاصطلاحي للتربية:**

«ويقصد بالمعنى الاصطلاحي لكلمة التربية المعنى الفني أو العلمي الذي يفهم من هذه الكلمة في سياقها الاجتماعي الوظيفي داخل المجتمع، والمعنى الاصطلاحي لكلمة التربية أكثر تعقيداً من المعنى اللغوي لهذه الكلمة، فإذا استقرت المعاني الفنية المستخلصة من التعريفات المختلفة لكلمة التربية نجد أنها مختلفة في فلسفتها وأهدافها ومضامينها وعملياتها وطرائفها ويرجع السبب في هذا الاختلاف إلى التباين في الفلسفات الاجتماعية (الأيدولوجيات) التي تحدد سياسة التربية وتوجه عملياتها وبرامجها»^(١).

*** ومن خلال المعنى الاصطلاحي السابق لمصطلح التربية يتضمن ما يلي:**

- التربية العملية: «إن الأسرة وهي الوسط الاجتماعي عن الأساس نفسها الوسط التربوي الوحيد في أول مراحل التطور. من أجل ذلك يجب أن تظل الأسرة الوسط للتربية»^(٢).
- التربية هي الحياة نفسها وليست مجرد إعداد للحياة وأنها عملية نمو وتعلم.
- مجموعة المبادئ والمعتقدات والمفاهيم والمسلمات التي لها علاقة وثيقة بالعمل التربوي.

*** مفهوم الأصالة:**

بعد أن تعقبنا مصطلح النسق، والتربية، تبين لنا أن هذه السمات لهما ظهرت بوضوح تام في بحثنا، ولكي تكون المصطلحات مترابطة وموحدة لا بد أن نتحدث عن مفهوم الأصالة و«تركز معظم الشعوب علي المحافظة علي أصالتها وإحياء تراثها وعدم إهمالة، بل قراءته قراءة واعية واستخراج النافع بعد إبعاد الخرافات والأساطير،... ويعد التراث العربي الإسلامي من أغني تراث العالم»^(٣).

ويقول د. أحمد فؤاد باشا في " ضبط المصطلحات في لغة الحوار بين الثقافات " «كيف السبيل إذن إلي ضبط المصطلحات وتحريير القضايا في ثقافتنا العربية الإسلامية

(١) مقدمة في التربية د. محمد محمود الخوالدة-ص ٧٠.

(٢) المرجع في تاريخ التربية د. بولدمتر وترجمة صالح عبد العزيز ص ٦.

(٣) الحضارة العربية الإسلامية د. سلامة النعيمان وآخرون ص ١١.

حتى ترتقي لغة الحوار فيما بيننا علي أساس علمي سليم، ويفهم بعضنا بعضاً أولاً قبل أن نتجه إلي الآخر... إن غياب "الفقه" السليم لأي مصطلح، أصيل أو دخيل، من شأنه أن يؤدي إلي ضياع الوقت والجهد في البحث عن "كلمة" أو "عبارة" (١).

ومن الجلي هنا أن نوضح اشتقاق الأصالة» الأصالة مشتقة من "أصل" والأصل هو ما يقوم علي أساسه الشيء، فالأصل هو أساس الشيء، والأصل هو الحسب (اللسان أصل) ومفهوم الأصالة للحضارة العربية الإسلامية، يعني ذلك التراث العربي الإسلامي الضخم الذي خلقتة الأمة العربية الإسلامية في القرون الوسطي، والذي أصبح عنونا مجدها ورمز مدنيته، ودليلاً صادقاً علي مبادئها ورفيها وتطورها» (٢).

فيما سبق من تعريف الأصالة يتبين لنا أن المنهج والنسق التربوي عند ابن سحنون والقاسبي يعبران عن أصالتها في نسقهما التربوي لأنهما يعبران عن الربط بالأجداد، وتأسيس ثقافتنا الإسلامية، والحفاظ علي هو يتنا العربية الإسلامية، ولذلك يقول د.زكي نجيب محمود عن « الأصالة بأنها تعني تلك الجوانب الثقافية التي نبتت أساساً في تربية الوطن، وابتدعتها عقولنا ومشاعرنا وقرائنا ابتداءً» (٣)

وسوف نعرض في غضون هذا البحث التوازن في الأقوال والأفعال في النظريات التربوية عند ابن سحنون والقاسبي لكي توضح أصالتهما «إن التوازن في النظرة الشاملة إلي الدنيا و الدين في الحضارة العربية الإسلامية أحد مظاهر أصالتها، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧) وكذلك فإن من مظاهر أصالتها تكريم الإسلام للإنسانية بإنقاذه البشرية من الرق والعبودية والضللال وغرس الفضيلة والكرامة والعزة في النفوس» (٤)

أما تعريف الأصالة عند د. حسن حنفي فيقول: (بأنها تعني «الأنا» في مقابل الآخر، المألوف ضد الغريب، والقريب في مواجهة البعيد، والمحلي كمانع للمستورد،

(١) في التنوير العلمي د. أحمد فؤاد باشا-ص ١٨.

(٢) الحضارة العربية الإسلامية د. سلامة النعيان وآخرون. ص ١١.

(٣) الفكر الديني عند زكي نجيب محمود د. مني أحمد أبو زيد. ص ٤٥.

(٤) الحضارة العربية الإسلامية د. سلامة النعيان ص ٢٣.

تعني الأصالة الذاتي في مقابل العرض، والطبيعي في مواجهة المصطنع، الجواني ضد البراني، والأصالة ضد التذويب والتميع والاعتراب^(١)

مما سبق نستنبط ما يلي:

- النظرية الأصولية الشمولية المتوازنة بين الدين والدنيا من مقومات الحضارة العربية الإسلامية، وتبدأ الأصالة للحضارة العربية الإسلامية بالفهم الصحيح.
- يدلنا استقراء التاريخ الإنساني علي أن المعرفة والحضارة صنوان متلازمان.
- الأصالة هي تقديم الإسلام للفكر البشري منهجاً عقلائياً وقلبياً رشيداً في المعرفة.

المعاصرة:

«يضع الدكتور زكي نجيب محمود المعاصرة في مواجهة الأصالة، فإذا كانت الأصالة قدرات علي الوجدان فإن المعاصرة تدور علي العقل، وإذا كان أول يناييع الثقافة وأهمها هو الدين، فالمعاصرة لا ارتباط لها بالدين، فهي لا تتقرر ولا تنفي بالدين، وفي هذا يقول: إن تؤمن بهذا الصانع وبما يتصف به، هذا الإيمان شئ والعلوم الطبيعية والرياضية ومبادئها وقوانينها شرط آخر»^(٢).

والمعاصرة هنا، سوف نختار ما يتلاءم من نظريات تربوية معاصرة مع فكر ونسق ابن سحنون والقابسي، مثل نظرية التعلم عند واطسون، وبافلوف، والأفكار الأساسية عند مدام منتسوري، وفروبل، وبستالوتزي، وغيرهم والجمع بين الأصالة والمعاصرة لكي نبين دور التربية في التنمية الثقافية، والتنمية الاجتماعية، والوسائل التعليمية وكيفية استخدامها في تنمية المهارات التربوية عند الأطفال.

والهدف الأسمى من الجمع بين الأصالة والمعاصرة هو احترام التراث التربوي عند ابن سحنون والقابسي، وتظل نصوصهما ونظريتهما التربوية خالدة وباقية أمامنا لكي يمكن الاستفادة منها في كل زمان ومكان.

(١) الفكر الديني عند زكي نجيب محمود د. مني أحمد أبو زيد. ص ٤٥.

(٢) الفكر الديني عند زكي نجيب محمود د. مني أحمد أبو زيد ص ٤٧، ٤٨.

«فالأصالة والمعاصرة هي أن نجمع بين العلم الذي هو روح العصر في منطق جديد لفكر جديد. مع تقد التراث القديم واختيار ما هو صالح كمساهمة في تقدم المجتمع وكانت هذه الدعوة في الجمع بين المعاصر والموروث هي دعوة الطائفة كبيرة من المفكرين»⁽¹⁾

ومجمل القول لابد من الجمع بين الأصالة والمعاصرة نظراً لما يلي:

- إن الأخذ بالمنهج الإسلامي في مجالات البحث العلمي يجب فيما نعتقد أن يقبل علي أنه حقيقة منطقية وضرورة حضارية.
- الجمع بين الأصالة والمعاصرة يبرهن علي أن القياس الأصولي نشأ وتطور إلي نوع من الاستقراء العلمي الدقيق القائم علي مبدأ العلية والأطراد في وقوع الحوادث.
- يجب الحفاظ علي تراث الأقدمين لأننا نستنبط منه النظريات التربوية العلمية الصحيحة والتي تقوم بتطبيقها علمياً ومقارنتها بالغرب.
- نلاحظ أن الجمع بين الأصالة والمعاصرة يؤكد علي جانبين مهمين ألا وهما العقل والقلب، فالأصالة تنظر إلي العقل علي أنه أساس العملية التعليمية، والعقل أساس الابتكار والإبداع العلمي وسوف نعرض ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني.
- تحدثنا عن الدراسات السابقة لابن سحنون والقابسي ووجدنا أن جميع الدراسات تتحدث عن الفكر التربوي، فكل ذلك الدراسات موجودة من قبل ولكن دراستنا عندما نتناول النسق التربوي؟ وهل يوجد سياق تربوي بينهما؟ وهل هذا النسق متساوي ومترايط بين المقدمات والنتائج؟ أم لا؟ كيف يمكن البرهنة علي أن النسق التربوي يتطابق مع العصر الحديث؟ هل هذا النسق التربوي يتلاءم مع النظريات التربوية الحديثة والمعاصرة أو لا؟ وهل يدعو هذا النسق التربوي بينهما إلي تطور الفكر الإسلامي مع مرور الوقت أم لا؟ و في غضون هذا البحث سوف نبرز التأصيل الإسلامي للمنهجية التربوية الإسلامية وأثرها علي علماء الغرب وقبل أن نتحدث عن أعلام التربية والتعليم الذين كان لهم فضل السبق في التأليف في النظام التربوي الإسلامي مثل ابن

(1) المرجع السابق ص ٥٣.

سحنون الذي ولد بالقيروان سنة ٢٠٢هـ وتوفي في ٢٥٦هـ والذي نشأ في كنف والده فقيه المغرب وأفريقيا عبد السلام ابن سحنون التنوخي من أشهر فقهاء المالكية بالمغرب العربي والذي ولد بمدينة القيروان سنة ١٦٠هـ وتوفي في ديسمبر سنة ٨٥٤م.

- ونجد أن ابن سحنون الابن ألف رسالة سماها (آداب المعلمين) وهي رسالة قيمة ونفيسة بما تتضمنه من آراء تربوية وعلمية وهي غنية بقضايا التعلم والتعليم وأيضاً تعليم القرآن الكريم وتعلم العلوم الأخرى التي يلزم تعلمها مثل الفقه والفرائض وتتناول هذه الرسالة علاقة المعلم بالمتعلم والتي تحتوي علي مبدأ الثواب والعقاب - التفرغ لآراء مهمة التعليم - تحديد العطل - واشتراك الأسرة في تدبير شأن التعلم).

- ولقد تناول ابن سحنون تعليم الشعر الأخلاقي والمبادئ الاجتماعية، وسيكولوجية النمو، والأسس النفسية للنمو الإنساني، وسيكولوجية الفروق الفردية ، والتفاعل بين المعلم والمتعلم في حلقة الدرس والحقل العلمي التربوي، ونجد أن نسق ابن سحنون في التعلم يشمل أدب النفس والدافعية والأنشطة والحفظ والنسيان وصحة البدن واجتماعية التعلم. وسوف نتحدث عن حياته بالتفصيل بعد الفصل الأول والثاني في مقدمة رسالته.

- ثم بعد ذلك ننتقل إلي القابسي وهو الحافظ المحدث الفقيه الأمام علامة المغرب أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري ، ولد في رجب سنة ٣٢٤هـ ويوافق مولده بالتاريخ الميلادي سنة ٩٣٥م. وقال بتأليف رسالة مفصلة لأحوال المتعلمين والمعلمين وهذا الرسالة تحتوي علي جوانب مختلفة في التعلم والتعليم في النواحي النفسية والاجتماعية والعقلية وغير ذلك، مما تنادي به التفسيرات الحديثة في علم النفس المعاصر بالنسبة للتعلم وأشار القابسي في مؤلفه إلي اكتساب المهارات الحركية (التعلم الحركي) وهذا الجانب استحدث فقط في التعلم في وقتنا المعاصر.

- ولكي نفهم المنهج التربوي عند ابن سحنون والقابسي وجب علينا أن نتناول في الفصل الأول مكانة العلم والعلماء وفي الفصل الثاني أخلاقيات مهنة المعلم، ثم بعد ذلك نتناول بالتفصيل حياة ابن سحنون والقابسي ومنهجهما التربوي.

الفصل الأول

مكانة العلم والعلماء

يقول الله تعالى : (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

سورة المجادلة (آية: ١١)

﴿ الفصل الأول ﴾

تمهيد

وأول ما يمكن التحدث عنه هو « مكانة العلم والعلماء » لأن القدر الأساسي من المعارف والمهارات والاتجاهات وطرق التفكير والعادات، والقيم العلمية الخلقية، التي بدونها يصير المرء متخلفاً في مجتمعة، محروماً من الوسائل التي تمكنه من تحقيق أماله في الحياة، ومكانة العلم والعلماء لها دور عظيم في فهم ومدخل إلي النسق التربوي.

ومن أهم أهداف العلم والعلماء، هو الاهتمام بالمنهج العلمي الصحيح، والطرق التربوية الصحيحة، والبعد عن الخرافات والخزعبلات والتنجيم، لذلك وجب تبليغ العلم ونشره مطلوب من العالم (عدم كتما العلم)، ولا يمكن تحقيق النسق التربوي وشرح المفاهيم والمصطلحات العلمية الا عن طريق العلماء، والإخلاص في طلب، والقرآن الكريم يطابق العلم، والآراء التربوية التي تستقيم به العقيدة، وفضيلة الإسلام الكبرى أنة يفتح للمسلمين أبواب المعرفة، وقبول كل مستحدث من العلوم علي تقدم الزمن، ونجد أدوات الكشف ووسائل التعليم.

لذلك يقول محمد بن محمد عبد الله بن زنجي البغدادي : (الطويل)

وفي العلم والإسلام للمرء وازع **** وفي ترك طاعات الفؤاد المقيم
بصائر رشد للفتي متبينة **** وأخلاق صدق علمها بالتعلم
وكفي بالعلم شرفاً أن الله تعالي وصف به نفسه. ومنحة أنبياءه. وخص به أوليائه،
وجعله وسيلة إلي معرفته، وسبباً إلي الحياة الأبدية. والنجاة من الشقاوة السرمدية. والفوز
بالسعادة الآخروية، وجعل العلماء تلو ملائكته في الإقرار بربوبيته، والاختصاص بمعرفته
وورثه الأنبياء.

والعلم فضيلة النفس الناطقة، ولا تتم إلا بالعلم، والعلوم مع اشتراكها في الشرف تتفاوت فيه. فمنها ما هو بحسب الغاية كعلم الأخلاق، ومنها ما هو بحسب الحاجة إليه كالفقه فإن الحاجة إليه ماسة، ومضمون كل ذلك يفيد موضوعنا وهو النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي بين الأصالة والمعاصرة، ومن شروط التعليم والتعلم، أن يقصد العلم الذي تقبله نفسه، وتميل إليه طباعه، وأن يقصد فيه الكتب الجيدة، والكتب المصنفة علي قسمين علوم. وغير علوم. وسوف نبين في هذا الفصل شروط العلم وكيفية الحصول عليه، لذلك بقول بعض الحكماء (وعلم بلا روع كأرض بلا نبات) وقال رسول الله صل الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، وقلب لا يخشع، وعين لا تدمع»^(*)

ومن الجدير بالإشارة هنا أن رسالة ابن سحنون تهتم بمكانة العلم والعلماء وهي آداب المعلمين وكذلك رسالة القابسي (أحوال المتعلمين والمعلمين) ورسالة ابن سحنون والقابسي تحتويان علي ما يلي:

- النظريات الخاصة بالتعلم ووصف طالب العلم من حيث تصرفه ومقدار حفظه وسلوكه وأخلاقه وجودة كتابته وسرعة بديهته.
- الأهداف التربوية والعلمية والهدي الإسلامي والسلوك الإنساني.
- الإشارة إلي ثواب العلم وفضله.
- تناول الرسالتين تفهم الدين والتفقه في علومه ، والالتزام بالفرائض والشعائر، واجتناب النواهي والاستمساك بالقيم الخلقية والقواعد السلوكية في التعامل مع الآخرين.
- تناول الرسالتين لابن سحنون والقابسي العديد من جوانب التعلم الذي أشار إليهم ويشمل الجوانب المعرفية والدينية والنظرية والتعلم انفعالياً، وأخلاقياً، وتطبيقياً.

(*)رواة الترمذي في كتاب الدعوات رقم(٣٤٨٢) عن عبد الله بن عمرو وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

- تهتم رسالتي بمكانة العلم والعلماء عن طريق ترسيخ العقيدة، وتصحيح الفكر، وتزكية النفس، وترقية السلوك، وتحقيق إنسانية الإنسان.
- يقول ابن سحنون في آداب المعلمين قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".
- ويقول القابسي في أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين: (عن أبي موسى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجه طعمها وريحها طيب...".

بسم الله الرحمن الرحيم**« هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ »**

سورة الزمر الآية ٩

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلي الله علي سيدنا النبي الأمي، وآلة
وسلم، وبالله أستعين، وحسبي الله ونعم الوكيل.

أما بعد.....

فإن الله-عز وجل-وتقدست أسماؤه- اختص من خلقه من أحب، فهداهم للإيمان ثم
اختص من سائر المؤمنين من أحب، ففضل عليهم، فعلمهم الكتاب والحكمة، وفقهم في
الدين، وعلمهم التأويل وفضلهم علي سائر المؤمنين وذلك في كل زمان ومكان.

رفعهم بالعلم، وزينهم بالحلم، بهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من
الباطل، والضر من النافع، والحسن من القبيح فضلهم عظيم، وخطرهم جليل، وورثه
الأنبياء، وقررة عين الأولياء، الحيتان في البحار لهم تستغفر، والملائكة بأجنتها لهم
تخضع، والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع، مجالسهم تفيد الحكمة، وبأعمالهم يزجر أهل
الغفلة، هم أفضل من العباد، وأعلي درجة من الزهاد.

حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة، يذكرون الغافل، ويعلمون الجاهل، لا يتوقع لهم
بائقة، ولا يخاف منهم نمائلة، بحسب تأديبهم يتنازع المطيعون، وبجميل موعظتهم يرجع
المقصرون، جميع الخلق إلي عملهم محتاج.

والطاعة لهم من جميع الخلق واجبة، والمعصية لهم حرمة، من أطاعهم رشد،
ومن عصاهم عند، فهم سراج العباد ومنار البلاد وقوام الأمة وينابيع الحكمة، هم غيظ
الشیطان بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ.

مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدي بها في ظلمات البر والبحر إذا
انطمت النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا.

أولاً: مفهوم العقل عند العلماء:

«قال سبحان وائل: العقل بالتجارب، لأن عقل الغريزة مسلّم إلى عقل التجربة. وقال علي رضي الله عنه: العقل في الدماغ، والضحك في الكبد، والرأفة في الطحال والصوت في الرئة. وقيل لعمر بن العاص: ما العقل؟ فقال: الإصابة بالظن، ومعرفة ما يكون بما قد كان ص ٢٤١. وبالعقل أدرك الناس معرفة الله عز وجل، ولا يشك فيه أحد في أهل العقول، يقول الله عز وجل في جميع الأمم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. وقال أهل التفسير في قول الله ﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ قالوا: لذي عقل وقالوا: ظن العاقل مهانة»^(١)

« وقال الحسن البصري: لو كان للناس كلهم عقول خربت الدنيا

وقال صلي الله عليه وسلم: لا تقتدوا بمن ليست له عقده

قال: وما خلق الله خلقاً أحبّ إليه من العقل

وكان يقال: العقل ضربان: عقل الطبيعة وعقل التجربة، وكلاهما يحتاج إلية ويؤدي إلي المنفعة.

وكان يقال: غريزة عقل لا يضيع معها عمل»

ويقال: ما شئ بأحسن من عقل زانة حلم، وحلم زانة علم، وعلم زانة صدق، وصدق زانة عمل، وعمل زانة رفق وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ليس العاقل من عرف الخير من الشر، بل العاقل من عرف [خير] الشرين، ومن أهم الأقوال المأثورة: أربعة تؤدي إلي أربعة، العقل إلي الرياسة، والرأي إلي السياسة، والعلم إلي التصدير والحلم إلي التوفير؟

* أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه.

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه - ص ٢ - ص ٢٤٠: ٢٤١

(٢) المصدر السابق - ص ٢٤٤، ٢٤٥

* العاقل المحروم خير من الجاهل المرزوق.

- العلم -

فضيلة العلم في القرآن الكريم: يؤكد القرآن الكريم علي فضيلة العلم، من خلال الآيات الكثيرة ذكرها الله في كتابة العزيز وهي ما يلي:

« ولما كان الجهل هو آفة الآفات، لم يغفل القرآن ولا من نزل عليه من القرآن عليه أفضل صلاة وأتم السلام- أمر بالعلم، فرفع من شأنه وأعلي قدره، وامتنه الجهل، وازدري من رضي به، وارتضي في أحضانه فيقول عز وجل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١) وقال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(٢) بدأ في الشهادة بنفسه وثني بالملائكة وثالث بأولي العلم. وقال الله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤) وقال تعالى ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٥) إلي غير ذلك من الآيات»^(٦).

ويقول الله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٧) والذكر هو العلم ويروي عن رسول الله صل الله عليه وسلم أنه قال (لموت قبيلة أيسر عند الله من موت عالم)

فضيلة العلم في الكتاب والسنة:

ويستخدم الإمام أحمد بن أدريس المالكي الشهير بالقرافي المنهج التربوي في شرح فضيلة العلم في كتاب العزيز فيقول: « أما الكتاب: فمن وجوده: الأول: أن تقول خير البرية من يخشي الله تعالى، وكل من يخشي الله تعالى فهم عالم، فخير البرية عالم».

(١) سورة المجادلة: آية رقم ١١.

(٢) سورة آل عمران: آية رقم ١٨.

(٣) سورة الزمر: آية رقم ٩.

(٤) سورة فاطر: آية رقم ٢٨.

(٥) سورة الرعد: آية رقم ٤٣.

(٦) كتاب منهاج العلم- الإمام الغزالي- مخطوط ضمن التراث الإسلامي في خمس مخطوطات د. هشام نشاية- دار العلم للملايين- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى ١٩٨٨- ص ٥٧.

بيان الأولي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(١) إلى قوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾^(٢) فأثبت الخشية لخير البرية وهو المطلوب. وبيان الثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣) أضاف سبحانه الخشية إلى كل عالم علي وجه الحصر، فيكون كل من يخشي الله تعالى فهو عالم وهو المطلوب. الثاني قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(٤) بدأ بنفسه، وثني بالملائكة، وثالث بالعلماء، دون سائر خلقه، فيكون من عداهم دونهم وهو المطلوب^(٥).

وعن فضل العلم في القرآن يقول القرافي: «الثالث في قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٦) وعادة العرب في سياق الامتنان تأخير الأفضل، فتكون موهبته عليه الصلاة والسلام من العلم أفضل من موهبته من الإنزال المتضمن للنبوءة والرسالة وهذا شرف عظيم»^(٧) وعن طلب العلم والعلماء نقول «حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني، حدثنا شبابه، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قال: الفقه، والعقل، والعلم»^(٨). وتمشيا مع السياق القرآني في فضل العلم والعلماء يقول ابن جماعة في كتابة تذكر السامع والتعلم في آداب العالم والمتعلم، ويستشهد بالآيات القرآنية التي لم تذكر في الآيات

(١) سورة البينة: الآيات ٨،٧.

(٢) سورة فاطر الآية رقم ٢٨

(٣) سورة آل عمران الآية رقم ١٨.

(٤) الذخيرة- الأمام القرافي- ط١ - ص٤١.

(٥) سورة النساء: الآية ٢١

(٦) الذخيرة- الأمام القرافي- ط١ - ص٤٢.

(٧) أخلاق العلماء- الأجرى- تحقيق أحمد عبد الرحيم الشايخ-الدار المصرية اللبنانية-الطبعة الأولى ١٩٩١ -

١٤٤١هـ- ص٣٢.

السالفة الذكر. قال الله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) وقال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٢) وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣) وقال: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٤) إلي قوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فاقترضت الآيات أن العلماء هم الذين يخشون الله تعالى (والذين يخشون الله تعالى) هم خير البرية، فينتج أن العلماء هم خير البرية^(٥).

العلماء يعتمدون علي العقل في البرهنة علي وجود الله سبحانه وتعالى ويرد (بوهرلر) علي من ينكر وجود الله لهذا السبب بقولة [فقد يستطيع الإنسان أن يفسر ما كان غامضاً عليه باكتشاف القوانين التي يحكمها، ولكن الإنسان عاجز عن أن يسن تلك القوانين] يعني أن اكتشاف القوانين التي تفسرها ما كان غامضاً من ظواهر الكون لا يُصلح سبباً لإنكار وجود الآلة.... فإن القوانين التي فسرت الظواهر تتطلب سبباً موجوداً، فمن سببها وموجدها لا أحد سوي الله^(٦)»

ويقول الإمام القرافي أيضاً عن فضل العلم بأنة يرفع من الثري إلي الثريا، ويستدل علي ذلك من القرآن الكريم حيث يقول «في قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام في أمر الهدهذ ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾^(٧) فلما جاء الهدهد قال ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾^(٨) فاشتدت نفسه، واستعلت همته بما علمه علي سيد أهل الزمان، ورسول الملك الديان، مع

(١) سورة النحل - آية رقم ٤٢.

(٢) سورة العنكبوت - آية رقم ٤٨.

(٣) سورة فاطر الآية رقم ٢٨

(٤) سورة البينة - آية رقم ٦.

(٥) تذكر السامع والمتعلم في آداب العالم والمتعلم - ابن الجماعة - مخطوطة منشور في كتاب الفكر التربوي عند جماعة - د. عبد الأمير - دار الكتاب العالمي - الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .

(٦) ميزان العمل - الغزالي - تحقيق د. سليمان دنيا - دار المعارف - الطبعة الأولى - ١٩٦٤ ص ٦٣، ٦٢ / ٦٤، ٦٣

(٧) سورة النمل آية رقم ٢١.

(٨) سورة النمل الآية رقم ٢٢.

عظم ملكة، وهيبة مجلسة، و علم الهدُّ بحقارة نفسه، وما تقرر عند سليمان عليه السلام من جريمته، والعزم علي عقوبته.

فلولا أن العلم يرفع من الثري إلي الثريا، لما عظم الهدد بعد أن كان «يود أن يكون نسيا منسيا. فلا جرم أبدل له العقوبة بالإكرام النفيس، وأسبغ عليه خلع الرسالة إلي بلقيس»^(١).

وعن فضل العلم يقول أبو الأسود الدؤلي «ليس شيء أعز من العلم. الملوك حكام الناس. والعلماء حكام الملوك. ويحكي أن الحجاج كان يضرب أعناق الأسري فلما قال له أحدهم «إن كنا قد أسأنا في الذنب. فما أحسنت في العفو فقال الحجاج أف لهذا الجيف، أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا» وأمسك عن القتل»^(٢).

إحافا فيما سلف ذكره من فضل العلم في القرآن الكريم يقول زين الدين بن أحمد العاملي الشامي في كتابه منية المرید في آداب المفيد والمستفيد: أعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل العلم هو السبب الكلي لخلق هذا العالم العلوي والسفلي طراً، وكفي بذلك جلالة وفخراً قال تعالى في مُحْكَم الكتاب ﴿تَذَكَّرَةٌ وَتَبْصِرَةٌ لِأُولَى الْأَبْأَابِ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٣).

- شرف العلم (علم التوحيد):

وكفي بهذه الآية دليلاً علي شرف العلم، لا سيما علم التوحيد الذي هو أساس كل علم ومدار كل معرفة وجعل سبحانه العلم أعلي شرف وأول منة أمتن بها علي ابن آدم بعد خلقه^(٤).

(١) الذخيرة-القرافي- ط ١ ص

(٢) تاريخ العلم ودرر العلماء العرب في مقدمة-د. عبد الحليم منتصر-دار المعارف القاهرة-ط ٨-١٩٩٥- ص ٤٤

(٣) سورة الطلاق- آية رقم ١٢.

(٤) منية المرید في آداب المفيد والمستفيد-العاملي-ص ٩٣.

- تفضيل ابن آدم علي سائر المخلوقات بفضيلة العلم:

ويستدل العاملي من القرآن الكريم علي امتتان الله سبحانه وتعالى ابن آدم بعد خلقه وإبرازه من العدم إلي ضياء الوجود، فقال سبحانه في أول سورة أنزلها علي نبيه محمد(ص): ﴿قَرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾^(١)

والعلم يكرم الإنسان، ولو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال بها بونك ويجلونك وأن العلماء يحبونك ويكرمونك ذلك سبباً إلي وجود طلبة فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة، ولم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبة يحسد العلماء.

وأن القوة الدافعة التي جعلت العرب يهتمون بالعلم مصدرها القرآن الكريم وأحاديث الرسول. فمن الآيات التي تحت علي طلب العلم قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣) ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤)^(٥).

ويشهد بذلك العلماء الغربيين بأن القرآن الكريم ملئ بالآيات القرآنية التي تحت الإنسان علي طلب العلم لذلك يقول (دوتشي: أن القرآن كان عاملاً هاماً في رفع مستوي المسلمين وتوحيدهم إلي دراسة العلم وخدمة الفكر)^(٦).

«وإذا فتشنا عن الأحاديث التي تُشجّع علي أخذ العلم وجدنا ذخيرة واسعة تختار

منها الأمثلة الآتية:

- أول خلق الله العقل، ولم يخلق أفضل منه.

- من غادر أهلة في طلب العلم فهو سائر في سبيل الله.

(١) سورة العلق - آية: ١-٤.

(٢) سورة الزمر - آية ٩.

(٣) سورة طه - آية ١١٤.

(٤) سورة البقرة - آية ٢٦٩.

(٥) تاريخ العلوم عند العرب د. كامل حمودة - دار الفكر اللبناني - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٠م. ص ١٦.

(٦) المرجع السابق - نفس الصفحة.

- طلب العلم فريضة علي كل مسلم. - يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء.
- فضل العالم علي العابد كفضلي علي أقل واحد منكم»^(١).

شرف العلم من شرف الإنسان:

ويتواصل العامل في نسقه التربوي بذكر فضل العلم في القرآن الكريم حيث يقول «فتأمل كيف افتتح كتابة الكريم المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد بنعمه الإيجاد، ثم اردفها بنعمه العلم فلو كان ثمة منه أو يوجد نعمة بعد نعمه الإيجاد هي أعلم من العلم، لما خصه الله تعالي بذلك وصدريه نور الهداية، وطريق الدلالة علي الصراط المستقيم، الآخذ بحجزة البراعة ودقائق المعاني، وحقائق البلاغة»^(٢).

وعندما يكون العلم أشرف المراتب يصبح معبراً عن غاية وشرف نفاسه الإنسان العالم وهذا ظاهرة في سورة العلق لذلك يقول العامل «وقد قيل في وجه التناسب بين الآي المذكورة في صدر هذه السورة التي قد اشتمل بعضهما علي خلق الإنسان من علق، وبعضها تعليمه ما لم يعلم ليحصل النظم البديع في ترتيب آياته»^(٣) وهذه النظم تستدل بها علي وجود الله لذلك يقول جورج هربرت بلونث أستاذ الفيزياء التطبيقية في معهد كاليفورنيا التكنولوجي: والأدلة أنواع-يعني الأدلة علي وجود الله-منها الأدلة الكونية، ومنها الأدلة التي تقوم علي إدراك الحكمة، ثم الأدلة التي تكشف عنها الدراسات الإنسانية. فالأدلة الكونية تقوم علي أساس أن الكون متغير، وعلي ذلك فإنه لا يمكن أن يكون أبدياً، ولا بد من البحث عن أدلة أبدية علياً^(٤).

(١) المرجع السابق ص ١٦، ١٧.

(٢) منية المرید في آداب المفید والمستفید - العاملی - ص ٩٤.

(٣) المصدر - السابق - نفس الصفحة.

(٤) ميزات العمل - الغزالي - تحقيق د. سليمان دنيا - مصدر سابق - ص ٤٠.

تحدثنا فيما سلف عن أن شرف العلم من شرف الإنسان فوجب علينا أن نتحدث عن أهمية حضور مجالس العلم، ولحضور مجالس العلم سمات ومميزات لا بد أن نشير إليها، ولذلك يقول ابن حزم الأندلسي «إذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك إلا حضور المستزيد علماً وأجراً لا حضور مستغن بما عندك طالباً عثرة تشيعها أو غريبة تشيعها فهذه أفعال الأرزال الذين لا يفلحون في العلم أبداً فإذا حضرتها علي هذه النية فقد حصلت خيراً علي كل حال وأن لم تحضرها علي هذه النية فجلوسك في منزلك أروح لبدنك وأكرم لخلقك وأسلم لدينك فإذا حضرتها كما ذكرنا فالتزم أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها»^(١).

وهذا ما وجدناه عند ابن حزم في شروط ثلاثة لحضور مجالس العلم وهي مما يلي:

أولاً: إما أن تسكت سكوت الجهال فتحصل علي أجر النية في المشاهدة وعلي الثناء عليك بقلة الفضول وعلي كرم المجالسة ومودة من تجالس.

ثانياً: فان لم تفعل ذلك فأسئل سؤال المتعلم فتحصل علي هذه الأربع محاسن وعلي خامسة وهي استزادة العلم.

ثالثاً: وصفة سؤال المتعلم أن تسئل عما لا تدري لا عما تدري فان السؤال عما تدرسه سخف وقلة عقل وشغل لكلامك وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك وربما أدّي إلي اكتساب العداوات وهو بعد عين الفضول فيجب عليك أن تكون فضولياً فإنها صفة سوء^(٢) ومن شروط مجالسة العلماء أيضاً «أن يذاكر به الأقران والأنظار طالباً للتحقيق والمعونة، لا المغالبة والمكابرة بل غرضه أن يستفيد

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس - ابن حزم الأندلسي - مطبعة السعادة - د.ت ص ١٠٢.

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس - ابن حزم الأندلسي - اعنتي بتصحيحه وطبعه وضبط كلماته اللغوية أحمد عمر المحمصاني مطبعة السعادة - د.ت ص ١٠٢.

ويفيد»^(١) لأن خلق الله تعالى الإنسان وفضله علي سائر المخلوقات بالعقل، العقل للذي يبين الخير من الشر، ويفرق بين الحق والباطل.

تعرفنا فيما سبق علي أن شرف العلم من شرف الإنسان، ثم كيفية حضور مجالس العلم، وبعد ذلك نتناول تفسير بعض السور التي تحضر علي شرف العلماء، وبراتبهم، وعن سورة العلق يبين لنا العامل في فضل العلم وشرفه ونفاسته من تفسيره للآيات السابقة في سورة العلق حيث يقول «أنة تعالى ذكر أول حال الإنسان وهو كونه علي علة مع أنها أحسن الأشياء، وآخر حالة وهو جبروتة عالماً وهو أجل المراتب. كأنة تعالى قال: كنت في أول حالك في تلك الدرجة التي هي غاية الحساسة قصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف والنفاسة، وهذا إنما يتم لو كان العلم أشرف المراتب، إذ لو كان غيره أشرف لكان ذكر الشيء في هذا المقام أولي»^(٢)، وثم تكريم العلماء نظراً لعقولهم المستنيرة بنعمة العلم.

إكرام الإنسان بنعمة العلم:-

ومن الجدير بالذكر أن العامل في يتابع تفسيره لسورة العلق لبيان شرف العلم وفضله نظراً لاقتراحه بالإكرامية حيث يقول «ووجه آخر أنه تعالى قال: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣) وقد تقرر في أصول الفقه أن ترتيب الحكم علي الوصف مشعر يكوّن الوصف يكون عليه، وهذا يدل علي أن الله سبحانه اختص بوصف الإكرامية لأنة علم الإنسان العلم، فلو كان شيء أفضل من العلم وأنفس لكان اقتراحه بالإكرامية المؤداة بأفضل التفضيل أولي»^(٤).

(١) ارشاد القاصد إلي أسني المقاصد في أنواع العلوم-الحكيم المتطرب ابن الأكفاني محمد بن إبراهيم بن ساعد

الأنصار- تحقيق عبد المنعم محمد عمر- دار الفكر العربي ص-١٠٣

(٢) منية المرید في آداب المفید والمستفيد-العالمي-ص-٩٤

(٣) سورة العلق-آية ٣-٥

(٤) المصدر-السابق-نفس الصفحة

وللمزيد من شرف العلماء وفضلهم وإكرامهم بالعقل والعلم، والتعليم، نجد ذلك في بيان شرف: العقل، والعلم، والتعلم عند الإمام الغزالي فيقول: « قد عرفت فيما سبق أن: العلم، والعمل هما وسيلتا السعادة. وأن العمل لا يتصور إلا بعلم بكيفية العمل. وأن العلم الذي ليس بعملية. كالعلم بالله، وصفاته، وملائكته. مقصود فقد استقدت منه أن العلم أصل الأصول، فلا بد أن نرشدك الآن إلي طريق التعلم والتعليم، ولننبه أولاً علي شرف هذه الأمور، وندل عليه فنقول»^(١).

وهناك كثير من العلوم التي يجب أن نتعلمها، حيث يقول الغزالي « وأشرف أصول الصناعات: السياسات، إذ لا قوام للعالم إلا بها»

وهي أربعة أضرِب:

الأول: سياسة الأنبياء، وحكمهم علي الخاصة والعامة، في ظاهرهم، وباطنهم.

الثاني: الخلفاء، و الولاة، والسلاطين، وحكمهم علي العامة والخاصة جميعاً، لكن علي ظاهر، لا باطنهم.

الثالث: العلماء والحكماء، وحكمهم علي باطن الخواص فقط.

الرابع: الوعاظ والفقهاء، وحكمهم علي باطن العامة فقط.

فأشرف هذه السياسات الأربع، بعد النبوة، إفادة العلم، وتهذيب نفوس الناس^(٢)

وعن شرف العلم وفضله يقول ابن حزم الأندلسي «منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة وهو أنة يعلم حسن الفضائل فيأتيها ولو في الندرة ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها ولو في الندرة ويسمع الثناء الحسن فيرغب في مثله والثناء الردي فينفر منه فعلي هذه المقدمات يجب أن يكون للعلم حصة في كل فضيلة وللجهل حصة في كل رذيلة ولا يأتي الفضائل فمن لم يتعلم العلم إلا صافي الطبع جداً فاضل التركيب وهذه منزلة خُص

(١) ميزان العمل - الإمام الغزالي. ص ٣٢٨

(٢) المصدر السابق - ص ٣٢٩.

بها النبيون عليهم الصلاة والسلام لأن الله تعالى علمهم الخير كله دون أن يتعلموه من الناس»^(١).

وعن فضل العلم والعلماء يقول د. وهبة الزحيلي في كتابة أخلاق المسلم وعلاقته بالمجتمع «للعلماء فضل كبير وعظيم في كل زمان ومكان، إذا تقيّد بالضوابط وآداب معينة لأنهم ورثه الأنبياء والأصفياء والصديقين والأولياء وعليهم نشر علمهم ومعرفتهم، وتبليغ الناس ما علموه بحق»^(٢).

واهتم دستور القرآن الكريم ببيان مكانة العلم والعلماء بقول الله تعالى ﴿كَتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) ولقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤) ولقوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَإِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٥) ولقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّلنَّاسِ وَمَا يَعْهَدُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٦) ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^{(٧)(٨)}.

ومن فضل الله تعالى علي العلماء نجد فضل العلم والزهد لا يعطيها إلا لأهل العلم فيقول ابن حزم «من فضل العلم والزهد في الدنيا أنها لا يؤتيها الله عز وجل إلا أهلها

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس - فصل في العلم - ابن حزم - مصدر سابق - ص ٢٢
« قال النبي صلي الله عليه وسلم: العقل نور القلب نفرق به بين الحق والباطل، وبالعقل عرف الحلال والحرام وعرفت شرائع الاسلام وموانع الأحكام، وجعل الله نورا في قلوب عبادة يهديهم إلي هُدًى ويمدهم عن تروى
«[العقد الفريد-ابن عبد ربه-ص ٢-ص ٢٤٨]»
(٢) أخلاق المسلم وعلاقته بالمجتمع د. وهبة الزحيلي - آداب نشر - الطبقة الخامسة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ص ٩٢.

(٣) سورة فصلت - آية ٣.

(٤) سورة البقرة: آية ٣١.

(٥) سورة آل عمران: آية ١٨.

(٦) سورة العنكبوت - آية ٤٣.

(٧) سورة: يوسف - آية ٥٥.

(٨) موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي - إعداد خديجة النبراوي - دار السلام الطبعة الأولى - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م. ص ٤ - ص ٢٠٣.

ومستحقهما ومن نقص علوّ أحوال الدنيا من المال والصوت أن أكثر ما يقعان في غير أهلها وفمين لا يستحقهما»^(١).

وطلب العلم من أهم الفضائل الأخلاقية، ويتم المسايرة لأهلها حيث يقول ابن حزم «من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة والبر والصدق وكرم العشيرة والصبر والوفاء والأمانة والحلم وصفاء الضمائر وصحة المودة، ومن طلب الجاه والمال واللذات لم يساير إلا أمثال الكلاب الكلبه والثعالب الخلبة ولم يرافق في تلك الطريق إلا كل عدوّ المعتقد خبيث الطبيعة»^(٢).

من الفقرة السابقة لإبن حزم يتضح لنا أن من فضل العلم للعالم التمسك بالفضائل الأخلاقية، ويجعل العالم يتميز بالعلاقات الاجتماعية لذلك يقول جون ديوي «وأقترح أذن إعطاء بيان مختصر عن طبيعة الخلق من وجهة النظر هذه. فالخلق، علي العموم، معناه قوة الفاعلية الاجتماعية، والكفاءة المنظمة للوظيفة الاجتماعية، ومعني هذا، كما أشرنا إلي ذلك آنفاً، أنه بصيرة أو ذكاء اجتماعي، وقوة تنفيذية اجتماعية، واهتمام اجتماعي أو استجابة اجتماعية، وهذا معناه بلغة علم النفس، أنه يجب أن يكون هناك تدريب للدوافع والغرائز التي أصبحت منظمة في عادات تعتبر كوسيلة تعمل»^(٣).

من الفقرات السالفة الذكر نلاحظ أن شرف العلم جميل وعظيم فيقول الأقفاني «كفي بالعلم شرفاً أن الله تعالى وصف به نفسه، ومنحه أنبياءه، وخص به أوليائه، وجعله وسيلة إلي معرفته. وسبباً إلي الحياة الأبدية، والنجاة من الشقاوة السرمدية، والفوز بالسعادة الأخروية، وجعل العلماء تلو الملائكة في الإقرار بربوبيته والاختصاص بمعرفته وورثه الأنبياء، فالعلم أشرف ما ورث عن أشرف موروث»^(٤).

(١) الأخلاق والسير في مداواه النفوس-ابن حزم-ص٢٢.

(٢) الأخلاق والسير في مداواه النفوس-ابن حزم-ص٢٢.

(٣) المبادئ الأخلاقية في التربية-جون ديوي-ترجمة عبد الفتاح السيد هلال-الدار المصرية للتأليف والترجمة-بدون طبعة-ص٥٤.

(٤) إرشاد الفاصد إلي أسني المقاصد في أنواع العلوم-ابن الأقفاني-ص٩٣.

- تفسير آيات القرآن الكريم لشرف العلم وفضله:-

فيما سبق ذكره يتبين لنا فضل العلم في الآيات القرآنية، أما العاملي فيشرح لنا هذه الآيات لبيان فضل العلم والعلماء حيث يقول ونبه سبحانه وتعالى قبول الحق والأخذ به علي التذكر، والتذكر علي الخشية وحصر الخشية في العلماء فقال ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾^(١) و﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢) وسمي الله تعالى العلم بالحكمة. وعظم أمر الحكمة فقال ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٣) وحاصل ما فسروه في الحكمة مواظب القرآن والعلم والفهم والنبوة في قولة تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٤) ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٥) والكل يرجع إلي العلم ورجح العالمين علي كل شئ من سواهم فقال سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦) ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٧).

وأولوا الأبواب هم أصحاب الحكمة الذين يدركون الأدلة علي وجود الله وأما الأدلة التي تبني علي إدراك الحكمة فتقوم علي أساس أن هناك غرضاً معيناً، أو غاية وراء هذا الكون ولا بد لذلك من حكيم أو مدبر وتكن الأدلة الإنسانية وراء طبيعة الإنسان الخلقية، فالشعور الإنساني في نفوس البشر، إنما هو اتجاه إلي مشرع أعظم. أذن تفسير آيات القرآن الكريم تثبت أنه ليس من المعقول أن يكون هناك خلق دون خالق، وهو الله. قال صلي الله عليه وسلم أقوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له، وقيل العقل مرآة الرجل، وقال بعض الشعراء: عقل هذا المرء مرآة تري فيها فعالة ألا إن عقل المرء

(١) سورة الأعلى - آية ١٠.

(٢) سورة فاطر - آية ٢٨.

(٣) سورة البقرة - آية ٢٦٩.

(٤) سورة مريم - آية ١٢.

(٥) سورة النصار - آية ٥٤.

(٦) سورة الزمر - آية ٩.

(٧) سورة الزمر آية ٩.

فينا فؤاده وإن لم يكن عقل فلا. [العقد الفريد- ابن عبد ربه- ص ٢- ص ٢٤٩، ٢٥٠- ينصر القلب].

وفي كتاب الياقوته في العلم والأدب، نجد فيه التحفيز علي طلب العلم « قال النبي صلي الله عليه وسلم: لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل. وقال عليه الصلاة والسلام: الناس عالم ومتعلم، وسائرهم همج وعنه صلي الله عليه وسلم: إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب، والمراد جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء في سبيل الله. وقال داود لأبنة سليمان عليهما السلام: لف العلم حول عنقك، واكتبه لداود عليه السلام في ألواح قلبك، وقال أيضاً: اجعل العلم مالك والأدب حلقتك»^(١).

وعن فضيلة العلم «قيل للخليل بن أحمد: أيهما أفضل العلم أو المال؟: العلم قيل له: فما بال العلماء يزدحمون علي أبواب الملوك، والملوك لا يزدحمون علي أبواب العلماء؟ وقال: ذلك لمعرفة العلماء بحق الملوك. وجهل الملوك بحق العلماء. وقال النبي صلي الله عليه وسلم: فضل العلم خير من فضل العبادة. وقال صلي الله عليه وسلم: إن قليل العمل مع العلم كثير، كما أن كثرة العمل مع الجهل قليل. وقال عليه الصلاة والسلام: يحمل هذا العلم من كل خلق عدوله ينفون عنه تحريف القائلين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وقال سفيان بن عيينه: إنما العالم مثل السراج، من جاءه اقتبس من علمه، ولا ينقصه شيئاً، كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئاً»^(٢).

«وأمر النبي صلي الله عليه وسلم بالزيادة من العلم، ثم جاء الأمر القرآني الآخر، لتأكيد القضية والحث علي طلب المزيد من العلم فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى

(١) العقد الفريد - كتاب الياقوته في العلم والأدب ص ٢- ص ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق- ص ٢١٤.

إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»^(١)، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله «وكفي بهذا شرفاً للعلم، أن أمر نبيه أن يسأله المزيد فيه»^(٢) والعلم للقلوب كالعطر للأرض»
«أن الله سبحانه وتعالى جعل العلم للقلوب كالمطر للأرض فكلما أنه لا حياه الأرض إلا بالمطر فكذلك لا حياه للقلب إلا بالعلم. وفي الموطأ قال لقمان لأبنه: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله يحيي القلوب الميته بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل المطر.... وأما العلم فيحتاج إليه بعدد الأنفاس»^(٣).

العلم هو الطريق إلي تفسير الأشياء ومعرفتها:

بعد أن بين لنا العاملي معني الحكمة في القرآن الكريم والمراد بها العلم ولفهم يقول بأن هناك سبعة أشياء قرنها الله في كتابه العزيز، وهذه الأشياء لا يمكن معرفتها، والحكمة منها إلا عن طريق العلم لذلك يقول وقرن في كتابه العزيز بين سبعة:- قال تعالى

١- يبين الخبيث والطيب: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾^(٤)

٢- وبين الأعمى والبصير

٣- والظلمة والنور.

٤- والجنة والنور.

٥- والظل والحرور، وإذا تأملت تفسير ذلك وجدت مرجعه جميعاً إلي العلم.

٦- وقرن سبحانه إولي العلم بنفسه وملائكته، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾^(٥) وزاد في أكرامهم علي ذلك مع الاقتران المذكور بقوله ﴿وَمَا

(١) سورة طه: آية ١١٤.

(٢) المشوق إلي القراءة وطلب العلم د.علي بن محمد العمران- الطبعة السابقة- دار العصرية للنشر ١٤٣٥هـ- ٢٠١٥م. ص-٢٣.

(٣) مفتاح دار العادة ومنشور ولاية أهل العلم والإدرادة-ابن القسيم الجوزية-تحقيق هاني الحاج- ٦٩١هـ/٧٥١هـ- دار التوقيعية للتراث. ص-٢٦١، ٢٦٢.

(٤) سورة المائدة- آية ١٠٠.

(٥) سورة آل عمران- آية ١٨.

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴿١﴾ وبقوله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ وقال تعالى: ﴿فَانشُرُوا لِلَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٢)(٣).

وبالإضافة إلي البرهنة علي أن العلم هو الطريق إلي تفسير الحقائق العلمية بالبراهين الصادقة والحجج المنطقية السلمية، لذلك وضع الفلقشندي صفات رئيسية للمعلم وهو قريبة جداً من الشروط التي تتطلبها معاهد التربية في الاختبارات المهنية التي يُجزونها لراغبي الالتحاق بها ليعيدوا أنفسهم لوظيفة التدريس وهي ما يلي:

«يشترط الفلقشندي فيه من الصفات الجسمية حسن القد ووضوح الجبين وسعه الجهة، وانحسار الشعر فيها.

ويشترط له من الصفات العقلية:-

- فطنة العقل - وثقافة الذهن - وحدة الفهم.

ويشترط من الصفات الخلقية:-

- العدل - والعفة - وسعه البال» (٤)

وينبغي للعلماء عند إرسال رسالتهم العلمية ونشرها وضع شروط وهي ما يلي:-

«ويضع الفلقشندي له دستوراً قوياً لإعداد الفكرة وإلقائها كما يلي:- إذا أردت أن تضع كاملاً فأخطر معاينة ببالك، ونق له كرائم اللفظ فاجعلها علي ذكر منك ليقترب تناولها، ولا تقدم الكلام تقدماً، واستعمل جزل الألفاظ، ومهملاً، وفصيحاً، وسلسها، وتجنب كل ما يكسب الكلام تعميته» (٥).

(١) سورة آل عمران- آية ٧

(٢) سورة المجادلة- آية: ١١ .

(٣) منية المرید في آداب المفید والمستفید- العاملي- ص ٩٥ .

(٤) التربية الإسلامية- نظمها فلسفتها- تاريخها د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية- ط ٧ ١٩٨٢

ص ٢٥٨ .

(٥) المرجع السابق- نفس الصفحة.

ويجب علي العلماء من نصب نفسه للناس إماماً في الدين أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويتها في السيرة، والرأي، واللفظ، فيكون تعليمة للناس بسيرته أبلغ من تعليمة بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها أحق الإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم.

درجات العلم:-

وهكذا يبين لنا العاملي معني الدرجات في الآية السالفة الذكر من سورة المجادلة فيقول: وقد ذكر الله تعالي الدرجات لأربعة أضاف للمؤمنين

- من أهل بدر: « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إلي قوله لهم درجات عند ربهم»

- وللمجاهدين^(١) وفضل الله المجاهدين

- ومن عمل الصالحات: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾^(٢)

- وللعلماء في قولة تعالي ﴿فَانشُرُوا لِلَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٣) فضل الله أهل بدر علي غيرهم من المؤمنين بدرجات. وفضل العلماء علي جميع الأصناف بدرجات، فوجب كون العلماء أفضل الناس^(٤).

والعلماء أفضل الناس لأنهم يعترفون إن قدرة الله وإلهيته تتجليان في كل شئ منذ خلق الله هذا الكون ولولا انتظام الكون، لما كان هناك مكان لمعجزة من المعجزات، فكثير من المعجزات التي جاء بها الرسل هي قبل كل شئ خروج علي نواميس الطبيعة ولا

(١) سورة الأنفال: آية ٢.

(٢) سورة طه- آية ٧٥

(٣) سورة المجادلة: آية ١١

(٤) منية المرید في آداب المفید والمستفید -العاملي- ص ٩٦.

يمكن تقديرها ومعرفة قيمتها إلا في كون منتظم تسير ظواهره تبعاً لقوانين معينة وسنن مرسومة^(١).

وعلي ضوء درجات العلم، وفضل العلماء والقيام بدراساتها توجد أيضاً أنواعاً للعلوم و«كان علماء المسلمين في القرن العاشر الميلادي (الرابع من الهجرة) يقسمون العلوم إلى العلوم عربية وإلى علوم الأوائل أو العلوم غير العربية ومن الأولي علوم اللسان، والفقه والكلام، والتاريخ وعلوم الأدب، ومن الثانية العلوم الفلسفية والطبيعة والطبية. وهذا التقسيم صحيح في الجملة»^(٢).

والعلوم العربية أساسها القرآن الكريم و«كان العرب شغف خاص بلغتهم، وكانت هذه اللغة بما حوت من كثرة في المفردات ووفرة في صور التعبير، وبما في طبيعتها من قبول للإشتقاق خليفة أن تتبوأ مكاناً عظيماً بين لغات العالم»^(٣).

ولغتنا الجميلة هي لغة القرآن الكريم وعبر عنها د. طه حسين «لغتنا العربية يسر لا عسر» وقال عنها الشاعر حافظ إبراهيم شاعر النيل «أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن..... فهل سائل الغواص عن صدقاتي»

و«إن لغتنا فيها من جمال البيان وقوة الدلالة، ومن الصعوبة أيضاً. ما في اللغة العربية كان من المحتم أن تستلزم أبحاثاً كثيرة عن ما صارت لغة العلم عند السريان والفرس واكبر ما جعل التعمق في دراسة اللغة أمراً ضرورياً هو اشتغال المسلمين بمدارس القرآن وقراءاته وتفسيره»^(٤).

(١) ميزان العمل - الإمام الغزالي. ص ٧٥

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام - دي بور - ترجمة محمد عبد الهادي أو زيدة - دار العرب للدراسات والنشر والترجمة سنة ٢٠١٣ ص ٣٥.

(٣) تاريخ الفلسفة في الإسلام - دي بور - ترجمة محمد عبد الهادي أو زيدة - دار العرب للدراسات والنشر والترجمة سنة ٢٠١٣ ص ٣٥.

(٤) تاريخ الفلسفة في الإسلام - دي بور - ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة - دار العرب للدراسات والنشر والترجمة سنة ٢٠١٣ ص ٢٦.

واللغة العربية هي العلم النافع عن طريق العقل الذي هو هبة من عند الله و« قد قالت الحكماء: العلم قائد، والعقل سائق، والنفس زود، فإذا كان قائد بلا سائق هلكت [الماشية] وإن كان سائق بلا قائد أخذت يميناً وشمالاً، إذا اجتمعا أنابت طوعاً أو كرهاً»^(١).

ومن آثار الحكماء التي تتحدث عن درجات العلم:

قال ابن المقفع «العلم زين لصاحبة في الرخاء ومنجاه له في الشدة» وقال: كل يوم لا أزداد فيه علماً فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم، وليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك. « وقال الأضف: كل عز لم يؤيد العلم فألي ذل يصير»^(٢).

ومن أحاديث الرسول:

و[أفضل الناس المؤمن العالم، لا خير فيمن كان من أمتي ليس بعالم ولا متعلم، والناس عالم ومتعلم والباقي همج، اطلبوا العلم ولو بالصين]^(٣).

مناقب العلماء في القرآن الكريم:

ومن الجدير بالذكر أن العاملي يؤكد علي مناقب العلماء في القرآن الكريم فيقول «وقد خص الله سبحانه في كتابه العلماء بخمس مناقب:-

الأول: الإيمان، والراسخون في العلم يقولون آمناً.

الثاني: التوحيد، شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم.

الثالث: البكاء والحزن: إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا.

الرابع: الخشوع، أن الذين أوتوا العلم من قبله، فعلي المرء أن ينظر إلي العقل كيف

يفكر، وإلي العين كيف تبصر، وإلي الأذن كيف تسمع، وإلي اللسان كيف ينطق ثم علي

القلب كيف ينبض.

(١) العقد الفريد-ابن عبد ربة-كتاب الياقوته في العلم والأدب-ص٢-ص٢٠٧.

(٢) التربية الإسلامية-د.أحمد شلبي ص٢٨٧.

(٣) التربية الإسلامية-د.أحمد شلبي ص٢٨٦.

الخامس: الخشية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) وقال تعالى مخاطباً لنبيه أمراً له مع أتاه من العلم والحكمة^(*): ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢) وقال تعالى ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٤) فهذه نبذة من فضائله التي نبة الله عليها في كتابه الكريم^(٥).

ومن الملاحظ أن مناقب العلماء لا يمكن تطبيقها إلا من خلال ضوابط علمية وهي ما يلي:

- أن الغرض من طلب العلم، الثقافة والقرب من الله دون الرياسة والمباهاة ، والمنافسة، وأن يهتم بأخلاق التلاميذ اهتمامه بعقولهم وأن يزرعهم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح بالزجر إلا عند الضرورة.
- علي العلماء أن يختارون للمبتدئ المسائل البسيطة كثير الوقوع، لأن ذلك أقرب إلي الفهم والضبط.
- من مناقب العلماء تطبيق السنة النبوية الشريفة لأنها النبراس إلي العلم المستقيم وقد قال الرسول: من حدّث الناس بحديث لا يفهمونه كان فتنه علي بعضهم وعلي المتكفل ببعض العلوم ألا يقبّح علوم الآخرين في نفس المتعلم.
- يجب علي العلماء غرس ملكة الاجتهاد والنظر لا مجرد التقليد والتسليم حتى ينشأ مستقلاً لا نسخة من معلمه.

(١) سورة فاطر: آية رقم ٢٨.

(*) قال النبي ﷺ: ما أخلص عبد العمل لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه علي لسانه، وقال ﷺ: الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت، وقال ﷺ: لا تضعوا الحكمة من غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم [العقد الفريد-ابن عبد ربه-ص ٢-ص ٢٥٣، ٢٥٤]

(٢) سورة طه -آية ١١٤.

(٣) سورة العنكبوت -آية ٤٩.

(٤) سورة العنكبوت -آية ٤٣.

(٥) منية المرید في آداب المفید والمستفید- العاملي-ص ٩٦، ٩٧.

- ومن آيات القرآن الكريم التي تؤكد علي مناقب العلماء وهي ما يلي:

- ﴿فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١)
 ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)
 ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣)
 ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤)

ومن أحاديث الرسول:-

«غدو في طلب العلم* أحب إلي الله من مائة غزوة»^(٥)

«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٦)

العلاقة بين المعرفة ومناقب العلماء:-

فيما سبق ذكره بينا لنا العاملي مناقب العلماء الموجودة في القرآن الكريم، ولكن هذه المناقب مرتبطة بجملة المعارف التي يدركها العالم لذلك يقول أ. العقاد«العلم الذي أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السموات والأرض، وما خلق من شيء.....ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي الحياة أو غير ذي الحياة لقولة تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٧) ولقولة تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(٨)»^(٩).

(١) سورة المجادلة- آية ١١.

(٢) سورة الزمر- آية ٩.

(٣) سورة طه

(٤) سورة النحل ٤٢.

(٥) وللعلم ست مراتب أولها: حسن السؤال، والثانية: حسن الإنصات والاستماع، الثالثة: حسن الفهم، الرابعة: الحفظ، الخامسة: التعليم، السادسة:- وهي ثمرته وهي العمل به مراعاة حدوده [مفتاح دار السعادة- ابن القيم

الجوزي-ص ٢٦٢]

(٥) البخاري ٢٨:١

(٦) البخاري ٢٨:١

(٧) سورة الأعراف: آية ١٨٥.

(٨) سورة الغاشية آية: ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠.

(٩) التفكير فريضة اسلامية-أ.عباس محمود العقاد- نهضة مصر -القاهرة-د.ت ط ٢٠٠١ ص ٥٧.

وفي نفس السياق يفسر لنا العقاد موقف الإسلام من العلم حيث يقول: (وموقف الإسلام من العلم - أو من العلوم عامة - يتبين من موقف علمائه المجتهدين في كل حقبة من تاريخه الذي تعاقب به الأجيال بين القوة والضعف والتقدم والتأخر والنشاط والجمود)^(١) وقالوا: عليكم بثلاث: جالسوا الكُبراء، وخالطوا الحكماء، وسائلوا العلماء.

ومن خلال تطبيق المعرفة بمناقبة العلماء قسم ابن رشد الناس إلي ثلاث مراتب في حدود المعرفة، حيث يقول:»

- ١- صنف ليس هو من أهل التأويل وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب
- ٢- وصنف من أهل التأويل الجدلي وهؤلاء هم الجدليون بالطبع أو بالطبع والعادة.
- ٣- وصنف من أهل التأويل اليقيني وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والضاعة أعني ضاعة الحكمة»^(٢).

وعلي ضوء هذا التقسيم ينبهنا ابن سينا إلي واجبات العلماء في سيكولوجية التعلم تجاه الصبيان فيقول«يجب أن تكون العناية مصروفة إلي مراعاة أخلاق الصبي، وذلك بأن يحفظ كيلاً يعرض له غضب شديد أو خوف شديد أو غم أو سهر، وذلك بأن يُتأمل كل وقت ما الذي يشتهيهِ ويحنُّ إليهِ فيقرَّب إليهِ، وما الذي يكرمه فينحي عن وجهه، لاستجابة لأمره ولكن تيسيراً للحياة علي وفي ذلك منفعتان:

إحداهما لنفسه. واقصد من أصناف العلم إلي ما هو أشهي لنفسك وأخف علي قلبك. والثانية لبدنه: إذا ينشأ من طفولته حسن الأخلاق تبعاً لحسن مزاجه، فالأخلاق الحسنه تابعة لصفاء المزاج، والأخلاق الرديئة تابعة لسوء المزاج، وحسن الأخلاق يحفظ الصحة للنفس والبدن جميعاً»^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن الجانب المعرفي عند العلماء المسلمين قائم علي التراث العربي فيقول شاخت وبوزورث «هذا التراث العربي العظيم الذي كان مبنياً في أول

(١) التفكير فريضة اسلامية-أ.عباس محمود العقاد- نهضة مصر -القاهرة-د.ت ط ٢٠٠١ ص٥٨.

(٢) فضل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الأتصال-ابن رشد- تحقيق د. محمد عمارة القاهرة- دار المعارف ١٩٧٢م ص٥٨.

(٣) التربية الإسلامية د. أحمد شلبي مرجع سابق-ص٢٩١/٢٩٠.

الأمر علي المعرفة المباشرة باللغة ثم علي الترجمة شيئاً فشيئاً، كان أعظم مركز لتطوره»^(١) وهذا التراث بني علي العلم لذلك «قيل الخليل بن أحمد: أيهما أفضل العلم أو المال؟ قال: العلم: قيل له: فما بال العلماء يزدحمون علي أبواب الملوك، والملوك لا يزدحمون علي أبواب العلماء؟ فقال: ذلك لمعرفة بحق الملوك. وجهل العلماء، وقال عليه وسلم: «إن قليل العمل مع العلم كثير كما أن كثرة مع الجهل قليل»^(٢).

أهمية العلوم ودورها في حياتنا اليومية:

من خلال النصوص السابقة يتضح لنا أن للعلم أهمية في حياة الأمة لأن: «العلم في شريعة الإسلام إحياء العقول من سباتها والنفوس من موتها وتحرير الإنسان من كل ما يكبل إرادته لينطلق في الكون ويتجلي أسراره ويجني خبراته ولأهمية العلم في حياة الأمة الإسلامية كان أول شعاع من نور القرآن الذي بعث به خير الأنام عليه وسلم: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣) وضرورة التفكير* والتفقه* في ملكوت السموات والأرض لتحصيل أنواع العلوم المختلفة أجل من يحصرها هنا قال تعالي ﴿فَأَقْصِبْ قَلْبُكَ لِغَلَامٍ يُنْفَكُونَ﴾^(٤)»^(٥)

(١) تراث الإسلام - شاخت وبوزورث - ترجمة د. محمد زهير السمهوري - ط ١ المجلس الوطني للثقافة والفنون

- الكويت - ١٩٧٨م ص ١٤٦

(٢) العقد الفريد - ص ٢١٣، ٢١٤.

(٣) سورة العلق آية ١: ٥٠.

(*) الفكر: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلي مجهول [التعريفات الجرحاني - ص ١٧٠]

(**) الفقه: (هو الفهم، والعلم، والشعر، والطب، لغة وإنما اختص بعض الألفاظ ببعض العلوم بسبب العرف،

والفقه في الاصطلاح هو: العلم بالأحكام الشرعية العلمية بالاستدلال، ويقال فقه بكسر القاف إذا فهم وبفتحتها:

إذا سبق غيره للفهم (الذخيرة - القرافي - ط ١ ص ٥٧)

(٤) سورة الأعراف آية رقم ١٧٦

(٥) موسوعة أصول الفكر السياسي الاجتماعي الاقتصادي. خديجة النبراوي - ص ٤٠٤ - ٢٠٤

(*) وقالت الحكماء: علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم، فإذا فعلت ذلك حفظت ما علمت، وعلمت ما جهلت)

العقد الفريد - ص ٢١٧.

ومن أهمه العلم بالنسبة للإنسان يجعله يميز بين الحلال والحرام عن طريق العلماء. لذلك يقول الإمام القرافي «أن العلم ينقل عن الحق للخلق، فيقول» أن الله تعالى حرم عليكم كذا، وأوجب عليكم كذا، وأذن لكم في كذا، وأمركم بتقديم كذا، وتأخير كذا» فهو القائم بأمر الله تعالى في خلقه، ومُوصله إلي مستحقه، والرافع عنه تحريف المحرفين، وتبديل المبدلين وشبهه المبطلين، وهذا هو معني مقام المرسلين»^(١).

ومن آثار الحكماء في أهمية العلم بالنسبة للعلماء وهي ما يلي:-

يؤكد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه علي أهمية العلم حيث يقول «قال علي بن أبي طالب لكميل: يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم حاكم والمال محكوك عليه، والمال تنقيه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق»^(٢).

وقال أيضاً: «كل يوم لا أزداد فيه علماً فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم، وليس الخير أن يكثر مالك ولكن الخير أن يكثر علمك»^(٣).
كان لك مالاً، وإن استغيث كان لك جمالاً.

وقال ابن المقفع: العلم زين لصاحبه في الرخاء ومنجاة له في الشدة.
«وسئل عبد الله بن المبارك: لو أن الله أوصي إليك: تموت العشية فماذا تصنع اليوم؟ فقال: أقوم وأطلب العلم»^(٤).

وقالوا: لو أن أهل العلم صانوا علمهم لسادوا أهل الدنيا، لكن وضوعة غير موضعه فقصر في حقهم أهل الدنيا)
العقد الفريد-ص ٢٢٢.

(١) التربية الإسلامية د. أحمد شلبي-مرجع سابق-ص ٢٨٧.

(٢) التربية الإسلامية د. أحمد شلبي-مرجع سابق-ص ٢٨٧.

(٣) التربية الإسلامية د. أحمد شلبي-مرجع سابق-ص ٢٨٧.

(٤) وروي زياد عن مالك قال: كن عالماً أو متعلماً [أو مستمعاً] وأياك والرابعة فإنها مهلكة ولا تكون عالماً حتى تكون عاملاً، ولا تكون مؤمناً حتى تكون تقياً [العقد الفريد ابن عبد ربه ص ٢ ص ٢٢]

- كيفية تحصيل العلوم والمعارف:-

فيما سبق تحدثنا عن أهم الآيات القرآنية التي تحت الإنسان علي طلب العلم، والآن نتحدث عن كيفية تحصيل هذا العلم؟ وما هي الوسائل التي من خلالها يحصل الإنسان علي العلم؟ ولعل الإنسان العالم مكرم من عند الله سبحانه وتعالى أم لا؟ وما هي صفات العلماء؟

للإجابة علي هذه الأسئلة يقول الحارث المحاسبي «فاعلم أن الله عز وجل اجتبي من عبادة المؤمنين ذوي الألباب، والعاملين به، وبأمره، فوصفهم بالوفاء والأخلاق الفاضلة والخوف والخشية، فقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾^(١) فمن شرح الله صدره للإيمان ووصل التصريف إلي قلبه، ورغب في الوسيلة إليه: لزم منهاج ذوي الألباب برعاية حدود الشريعة من كتاب الله تعالى ،وسبة نبيه ، وما اجتمع عليه المهتدون من الأئمة»^(٢).

ولا شك أن الكشوف العلمية الحديثة التي تشير إلي ضرورة وجود إله لهذا الكون، قد لعبت دوراً كبيراً في هذه العودة إلي رحاب الله، والاتجاه إلية ،فغاية العلوم عند العلماء هي البحث عن خبايا الطبيعة واستغلال قواها للبرهنة علي وجود الله.

- العلم والعمل:-

يقول الإمام القرافي «أن قيمة الإنسان ما يَعْلَمُهُ، لا ما يُعَلِّمُهُ لقول علي رضي الله عنه: (المرء مخبون تحت لسانه) وما قال تحت ثيابه. ومعني هذا الاختباء أنه إن نطق بشر ظهرت حسنته ودنائه، وبخير ظهر شرفه وإن لم ينطق بشيء فهو عدم محض عند مشاهدته»^(٣).

(١) سورة الرعد: الآيات ١٩، ٢٠، ٢١.

(٢) رسالة المسترشدين - المحاسبي - تحقيق عبد الفتاح غدة - دار السلام - الطبعة العاشرة ١٤٢١/٢٠٠٠ ص ٦٩، ٧٠.

(٣) القرافي: الذخيرة - ط - ص ٤٦.

ويقول القرافي أيضاً عن الإمام علي « وقال علي رضي الله عنه: «المرء بأصغريه قلبه ولسانه» ولم يقل: ببديئه، أي هو معتبر بهما، فإن رفعا ارتفع وإن وضعاه اتضع، فالقلب معدن الحكم، واللسان تُرْجُمَانُهُ، وما عداهُ في حكم الأعوان البعيدة التي لا اعتداد بها». وأتشد علي رضي الله عنه في هذا المعني:

أبوهم آدم والأم حواء	الناس من جهة التمثيل أكفاء
فإن نسبتنا الطين والماء	فإن أتيت بفخر من ذوي نسب
علي الهدي لمن استهدي أدلاء	ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
والجاهلون لأهل العلم أعداء	وقيمة المرء ما قد كان يحسنه
فالناس موتي وأهل العلم أحياء	فاطلب لنفسك علماً واكتسب أدباً

أما طالب العلم وتطبيقه يقول داود الأنطاكي «عار علي من وهب النطق والتمييز أن يطالب رتبه دون الرتبة القصوى، ويقول: كفي بالعلم شرفاً أن كلاً يدعيه، وبالجهل وضعه أن الكل يتبرأ منه. والإنسان إنسان بالقوة إذا لم يعلم فإذا علم كان إنساناً بالفعل»^(١).

وقالوا: لولا العمل لم يُطلب العلم، ولولا العلم لم يُطلب العمل وقال الطائي: ولم

يحمدوا من عالم غير عامل غير عالم [العقد الفريد- ابن عبد ربه- ص ٢ ص ٢٢٢]

- العلم والعمل:

ملاحظ أن العلم والعمل هما أساس الازدهار والتقدم، ويجب علي العالم أن يعمل بعلمه، ولا بد أن يتطابق جوهرة مع مظهره، ويظهر ذلك من خلال صدق العالم وورعه وبراهينه الصادقة لذلك يقول المحاسبي «واعلم أنه لا يرضي من العلم والعمل إلا ما ثبت باليقين أصله، وعلا بالصدق فرعه، وأثمر بالورع تباته، وقام بالإشفاق برهانه، وحُجِبَ بالخشية أستاره، فلا ترضي من نفسك بالتواني، فإنه لا عُذْرَ لأحد في التفريط، ولا لأحد عن الله غني. واعلم أن من سعادة المرء: حسن النية فيما عند الله تعالي، والتوفيق لمحابه، ومن أراد الله به خيراً وهب له العقل وحبب إليه العلم»^(٢).

(١) تاريخ العلم ودور العلماء والعرب في تقدمه د. عبد الطيم منتصر ص ١٣٠.

(٢) رسالة المسترشدين - المحاسبي - مصدر سابق - ص ٢٣٠.

ويؤكد الإمام الغزالي علي حقيقة العلم والعمل من خلال منهجه الصوفي حيث يقول: [ثم إنني لما فزعت من هذه العلوم. أقبلت بهمتي علي طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إيمانهم: بعمل، وعلم وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزلة عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلي تخلية القلب عن غير الله تعالي وتحليته بذكر الله، وكان العلم أيسر عليّ من العمل، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل (قوت القلوب) لأبي طالب المكي رحمة الله، وكتب إلي رث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن (الجنيد) و(الشليبي) و(أبي يزيد البسطامي) وغير ذلك من كلام مشايخهم، حتى أطلعت علي كنه مقاصدهم العلمية، ووصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم، بالتعلم والسماع]^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن قليل العمل مع الكثير، كما أن كثير مع الجهل قليل».

ومن خلال تمسك العلماء والعرب المسلمين بالعلم والعمل يمكن أن نبرهن في صدق وأصاله علي أن العرب لم يكونوا فقط مجرد نقلة للعلم اليوناني القديم بل لقد سهموا في تقدمه وأضافوا إليه إضافات جديدة مبتكرة ذات أهمية كبري في المجالات التربوية، وفي مختلف العلوم والفنون التي تخدم الجانب التربوي، فعلي سبيل المثال نجد أن ابن سحنون والقابسي وغيرهم من العلماء قد استندوا إلي قواعد ثابتة وتنظيم عقلي منهجي وهو محل النظر في رسوخ العلم وأصالته لدي أصحابه.

ونريد أن نتوصل عن طريق تمسك العلماء بالعلم والعمل والمنهج الذي التزم به الباحثون العرب، ولذلك نجد أنهم توصلوا إلي تصنيف العلوم عند العرب ويراد بكلمة تصنيف معنيان:

(١) ميراث العمل - الغزالي - تحقيق د. سليمان - مصدر سابق - ص ١٤٥، ١٥٥

أولهما: أنه « العملية الذهنية التي يتم من خلالها إدراك التشابه أو الوحدة وهذا هو المعنى المنطقي».

وثانيهما: أنه «عملية ترتيب الأشياء الفعلية الواقعية بحيث تمثل الترتيب المجرد وهذا هو المعنى العلمي»^(١).

وخلاصة القول نجد أن العلم والعمل في حياة العلماء جعلهم يسهمون في كل مناهج البحوث فنلاحظ أنهم أسهموا في منهج البحث في العلوم التربوية وهذا ما نجده عند كلاً من ابن سحنون-القاسبي-ابن جماعة-الزرنوجي- ابن خلدون، وهذا ما نتحدث عنه في غضون هذا البحث، والجانب العلمي يمثل النشاط العقلي حيث يقول د. عبد الحليم منتصر « وعندما يمارس العالم عمله العلمي، في كشف الظواهر، فإنه يستخدم ملكاته العقلية في جميع المشاهدات ثم اختيار حقيقة فرضه أو زيفه. ثم استعمال هذا الفرض لدراسة مشاهدات سابقة فإذا كان في الغرض اجابة ملائمة لكل المشاهدات والتجارب نقول أن العالم قد كشق كشفاً»^(٢).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: فضل العلم خير من فضل العبادة.

الفرق بين نافلة العلم ونافلة العبادة عند الأئمة الأربعة:

- تفضيل نافلة العلم علي نافلة العبادة عند الأئمة الأربعة

○ واعلم أن الإشتعال بالنافلة من العلم أفضل من الإشتعال بالنافلة من العبادة

وعلي ذلك الأئمة الأربعة وغيرهم من أساطين الإسلام:

- روي الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ٤١:١ «عن ابن عباس قال: مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة».

(١) منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية د. جلال محمد عبد الحميد موسي-دار الكتاب اللبناني -بيروت- ١٩٨٢م-ص٥٥.

(٢) تاريخ العلم ودور العلماء والعرب في تقدمه د. عبد الحليم منتصر-دار المعارف بمصر ١٩٨٠، ص٢٠.

- وروي الحافظ ابن عبد البر في «الأنقاء» ص ٨٤ بسنده إلي الربيع بيم سليمان المرادي تلميذ الإمام الشافعي قال: سمعت الشافعي يقول: طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة. وقال الإمام الكشميري في «فيض الباري علي صحيح البخاري» ١: ١٦٢ في شرح (كتاب العلم): «لا تُتكر فضل العلم، فإن مالكا وأبا حنيفة رحمها الله تعالى ذهبا إلي أن الاشتغال بالعلم خير من الاشتغال بالنوافل وعن أحمد روايتان: إحداهما في فضل العلم، والأخري في فضل الجهاد، كما ذكره ابن تيميه رحمة الله تعالى في منهاج السنة».

- ومن لطيف ما وقع لبعض الأئمة أنه انصرف عن نافلة التعليم إلي نافلة العبادة فوقعت لأحد محبيه رؤيا مناميه دعت ذلك الإمام أن يرجع عن الانقطاع للتعبد إلي نشر العلم وإذاعته^(١).

- ومما نجد الإشارة إلي أن لنشر العلم والتدريس شروط وهي: قال الغزالي «ولاحظت أعمالي، وأحسنها التدريس والتعليم، فإذا أنا فيها مقبل علي علوم مهمة، ولا نافعة في طريق الآخرة، ثم تفكرت في نيتي في التدريس، فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل باغتها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت، فتيقنت أنني علي شفا جرف هار»^(٢).

وقال النبي: كرم الرجل دنياه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه

وعن شرف العلم والعقل فمدرك بضرورة: العقل، والشرع، والحس حيث يقول الإمام الغزالي «أما الشرع فقد قال عليه السلام: [أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبّل. فأقبّل. ثم قال له: أدبر فأدبر. ثم قال: وعزتي وجلالي... ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك. بك آخذ. وبك أعطي، وبك أثبت. وبك أعاقب]»

(١) رسالة المسترشدين - المحاسبي - ص ٢٣٠.

(٢) ميزان العمل - الغزالي - ص ٥٧.

وهذا العقل الذي يدرك به الإنسان الأشياء يجري من العقل الأول، الذي خلق الله عز وجل، مجري النور من الشمس. فإن هذه العقول عقول بالإضافة إلي الأشخاص. وذلك مطلق من غير إضافة^(١).

وعن أهمية العقل في تناول العلوم المختلفة فله دلالة فعلية مهمة فيقول الإمام الغزالي «وأما دلالة العقل، علي شرف العقل، فهو أن ما لا تنال سعادة الدنيا والآخرة إلا به، فكيف لا يكون أشرف الأشياء».

وبالعقل صار الإنسان خليفة الله، وبه تقرب إليه، وبه تم دينه، ولذلك قال عليه السلام [لا دين لمن لا عقل له] وقال [لا يعجبكم إسلام امرئ حتى تعرفوا عقله] ولهذا قيل: [من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه، كان حنقه في أغلب خصال الخير عليه] وناهيك به شرفاً أن قد شبه الله سبحانه العقل بالنور فقال: [الله نور السموات والأرض] أي منورها.

وأكثر ما يطلق النور والظلمات في القرآن علي العلم والجهل مثل قوله تعالى [الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلي النور]^(٢) «وكأن الإنسان إنسان بالقوة ما لم يعلم ولا يجهل جهلاً مركباً فإذا علّم العلم صار إنساناً بالفعل عارفاً بربه مستحقاً لجواره وقربه، وإذا جهل جهلاً مركباً صار حيواناً تاهاً بل الحيوان خير منه. فقال الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٣)»^(٤).

وقال سفيان ابن عيينة: إنما العالم مثل السراج، من جاءه اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئاً. كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئاً [العقد الفريد- ابن عبد ربه-

ص ٢٠١ ص ٢٠٤]

(١) ميزان العمل - الإمام الغزالي - ص ٣٣١

(٢) ميزان العمل - الإمام الغزالي - ص ٣٣١.

(٣) سورة الفرقان - الآية ٤٤.

(٤) إرشاد القاصد إلي أسني المقاصد في أنواع العلوم - الأکفاني - مصدر سابق - ص ٩٤.
سئل اعرابي: أي الأسباب أعون علي تزكية العقل وأيها أعون علي صلاح السيرة؟ فقال أعونها علي تزكية العقل التعلّم، وأعونها علي صلاح السيرة القناعة.

- مكانة العلماء:-

وعن مكانة العلماء يقول ابن حزم الأندلسي «لو لم يكن من فضل إلا أن الجهال يهابونك ويجلُّونك، وأن العلماء يحبُّونك ويكرمونك لكان ذلك سبباً إلي وجوب طلبه، فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة؟!»

ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبة يحسدُ العلماء، ويغيظ نظراءه، من الجهال لكان ذلك سبباً إلي وجوب الفرار عنه فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة؟!^(١). وللعلم فضائل كثيرة ومتنوعة تعود علي العالم بالخير والبركات، وتمنعه من الاشتغال بالوساوس والأعمال الشريرة لذلك يقول ابن حزم «لو لم يكن من فائدة العلم، و الاشتغال به، إلا أنه يقطع المُشْتَغَل به عن الوسواس المُضْنِيَّة، ومطارح الآمال التي لا تفيد غير الهم، وكفاية الأفكار المؤلمة للنفس، لكان ذلك أعظم داع إلية، فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره»^(٢).

ويقول ابو قلابة: مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء من تركها ضل، ومن غابت عنه تحير.

وقال معاذ بن جبل: تعلموا العلم فإن تعلمه حسنه، وطلبه عبادة، وبذلة لأهله قريبة. والعلم منار سبيل أهل الجنة، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل في السراء والضراء. [العقد الفريد- ابن عبد ربه- ص ٢، ص ٢١٥، ٢٦١]

وعن مكانة العلم والعلماء يقول الشيخ الإمام المحدث المفسر العلامة (صديق بن حسن القنوجي رحمة الله ١٢٤٨هـ- ١٣٠٧هـ):

(١) كتاب الأخلاق والسير- أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل -ابن حزم- تحقيف إيفا رياضي- دار ابن حزم- الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م. ص ٨٧.

(٢) المصدر السابق- نفس الصفحة.

- الاستدلال من الأحاديث الشريفة:

حيث يقول « وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ تعلموا العلم فإن تعلمه الله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذلة لأهله قربة، لأن معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والتزين عند الأخلاء، يرفع الله تعالى به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقفي آثارهم ويعتدي بفعالهم. ترغب الملائمة في خلتهم، وبأضحتها تمسهم، يستغفرونهم كل رطب ويابس وحيثان البحر وهوامة، وسباع البرد وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم. يبلغ العبد بالعلم منازل الأخبار والدرجات العلي في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، هو إمام والعمل تابعه، ويلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء»^(١).

- بقاء العلم بعد فناء الإنسان:

ويؤكد الفتوجي علي شرف العلم ومكانته مستدلاً من الأحاديث النبوية الشريفة حيث يقول «وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢)»^(٣).

وعنه رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(١)^(*).

(*) أورده ابن عبد البر في كتاب (جامع بيان العلم) بإسنادة وقال: هو حديث حسن جداً وفي إسناده ضعف. وروي أيضاً في طرق شتى موقوفاً علي معاذ. وقد يقال: الموقف في مثل هذا كالمرفوع لأن مثله لا يقال بالرأي.

(١) أبجد العلوم - الفتوجي - دار ابن جزم - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ، - ٢٠٠٢ م.

(٢) رواة مسلم.

(٣) أبجد العلوم - الفتوجي - مصدر سابق ص ٦٢.

(*) رواة مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة علي كل مسلم، ووضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر واللؤلؤ»^{(*) (٢)}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما ينبغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد ثمره في الجنة يوم القيامة»^{(*) (٣)}.

وقال الحسن: العلم علمان: علم في القلب، فذاك العلم النافع، وعلم في اللسان، فذاك حجة الله علي عباده.

- مراتب العلوم وتفاوتها:

العلوم مراتب ودرجا في العلم والعمل، وفي النظر والتطبيق، وفي الأهمية والمصلحة لذلك يقول القنوجي: «ثم أن العلوم مع اشتراكها في الشرف تتفاوت فيه، فمنه ما هو بحسب الموضوع كالطب فإن موضوعه بدن الإنسان. والتفسير فإن موضوعه كلام الله سبحانه وتعالى والإخفاء في شرفها. ومنه ما هو الغاية كعلم الأخلاق فإن غايته معرفة الفضائل الإنسانية. ومنة ما هو بحسب وثاقة الحجة كالعلوم الرياضية فإنها برهانية ومن العلوم ما يقوي شرفة باجتماع هذه العبارات فيه أو أكثرها كالعلم الإلهي فإن موضوعه شريف وغايته فاضلة والحاجة إليه ماسة. وقد تكون أحد العلمين أشرف من الآخر باعتبار ثمرته، أو وثاقه دلالة أو غايته. ثم أن شرف الثمرة أولى من شرف قوة الدلالة. فأشرف العلوم ثمرة العلم بالله سبحانه وتعالى وملائكته ورسله وما يعين عليه فإن ثمرته السعادة الأبدية»^(٤).

(١) أبجد العلوم - القنوجي - مصدر سابق - ص ٦٢
(*) رواة ابن ماجة، ورواة البيهقي في (شعب الإيمان) إلي قوله (مسلم) وقال: هذا حديث منته مشهور، وإسناده ضعيف. وقد روي من أوجه كلها ضعيف.

(٢) أبجد العلوم - القنوجي - مصدر سابق - ص ٦٣

(*) رواة أحمد وأبو داود وابن ماجة.

(٣) أبجد العلوم - القنوجي - ص ٦٣.

(٤) أبجد العلوم - القنوجي - ص ٦٥.

ومراتب العلوم لا تتم إلا بحاسبة العقل، «ولذلك قال رسول الله عليه السلام لعليّ رضي الله عنه: [إذا تقرب الناس لخالقهم بأبواب البر، فتقرب أنت بعقلك تنعم بالدرجات والزلفي، عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة]»^(١).

ويقول الأکفافي «والعلوم مع اشتراكها في الشرف تتفاوت فيه، فمنها ما هو بحسب الموضوع كالطب فإن موضوعه بدن الإنسان وإخفاء بشرفه، ومنها ما هو بحسب الغاية كعلم الأخلاق، فإن غايته معرفة الفضائل الإنسانية ونعمت الفضيلة. ومنها ما هو بحسب الحاجة إلية كالفقه فإن الحاجة إلية ماسة، ومنها ما هو بحسب وثاقه الجح كالعلوم الرياضية، فإنها برهانیه يقينية. ومن العلوم ما يقوي شرفه بإجماع هذه الاعتبارات فيه أو أكثرها كالعلم الإلهي فإن موضوعه شريف وغايته فاضلة والحاجة إلية مهمة»^(٢).

وسئل عن أجود المواطن أن يختبر فيه العقل، فقال: عند التدبير وسئل: أي الأشياء أدلُّ علي عقل العاقل؟ قال: حُسن التدبير.

ولكي تؤكد علي بقاء العلم بعد فناء الإنسان، لا بد أن تشير إلي جهود علماء المسلمين وأثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية وتشمل جميع أنواع العلوم والفنون وهي كما يلي:

١- في علم الطب:

«طور المسلمون علم الطب تطويراً شاملاً علي النحو الذي علموه مع مختلف الدراسات وتأثرت ثقافته الغرب الطبية تأثيراً عميقاً بما اقتبسه من المسلمين في هذا المضمار، وقد بدأت عناية المسلمين بكليات الطب وبالمستشفيات التابعة لها في وقت مبكر، أي منذ اتجهوا بعنايتهم لخدمة الثقافة وخدمة العلوم، فقد أسس هارون الرشيد في القرن التاسع أولي كليات الطب ببغداد، وسرعان ما تتابع إنشاء كليات الطب في مختلف

(١) ميزان العمل - الإمام الغزالي - ص ٣٣٢

(٢) إرشاد القاصد إلي أسني المقاصد في أنواع العلوم - تأليف الحكيم المتطبب - ابن الأکفافي - ص ٩٤، ٩٥. وقالوا: لا يكون العالم عالماً، حتى تكون فيه ثلاث خصال: لا يحتقر من دونه، ولا يحسد من فوكة، ولا يأخذ علي العلم ثمناً، وقالوا: رأس العلم الخوف من الله تعالي [العقد الفريد - ص ٢، ص ٢٢٠]

العواصم الإسلامية، وضيعت لها الكتب الطبية المناسبة التي ترجمت فيما بعد إلي مختلف اللغات الأوروبية ولعل أولي الرسائل الطبية التي وضعها المسلمون، تلك الرسالة التي كتبها علي الطبري سنة ٨٥٠م وقد اتخذت هذه الأفكار اليونانية والهندية في الطب أساساً لها وكان اسمها «فردوس الحكمة»^(١) وبذل الرواد من مؤرخي العلوم جهداً بالغاً في دراسة تاريخ الطب العربي، ووصفوا كيف نشأ في بغداد وكيف نما وازدهر حتى بلغ أوجه في عهد الرازي وابن سينا وكيف انتقل بعد ذلك إلي الأمم اللاتينية، وقد آن لنا أن نعيد البحث في ما قال به المؤرخون الأولون. كي تتبين بقاء علمهم في جميع المجالات العلمية و«كتاب القانون من الكتب العالمية. مثله كمثل فلسفة أرسطو. وهندسة أوقليدس والماجطي في الفلك وكتاب سيويه في النحو. هذه الكتب تمثل غاية العلم القائم علي نوع بعينية من التفكير فيها حل لكل المشاكل المتعلقة بموضوعها بحيث لا يجد معاصروها تفكيراً» حاجة إلي الريادة فيها أو تغييرها وهذه من خصائص العلم القديم القائم علي كليات محدودة. فكان من الممكن للعباقرة أن يبلغوا غايته»^(٢).

ونلاحظ أن علماء العرب المسلمين تركوا لنا مجلدات في علم الطب مثل ابن سينا وابن رشد والزهرائي والرازي، ومن الواجب علينا هنا أن نستشهد من تراثهم وكتبهم ونصوصهم وهي ما يلي:

أولاً: القانون في الطب لابن سينا:

ومن الطيور النافعة التي ذكرها ابن سينا وهي «النعام»

النعام: هو طائر معروف بعض الأطباء بيني علي لحمه بناءً عظيماً وقد ذكر بعض الأطباء أن لحمه حار دسم يُبَسِّطُ الطعام ويقوي الجسم ويصلحه وهو غليظ لا ينهضم ويزيد الباه^(٣).

(١) الفكر الإسلامي - مناقبة وآثار - د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة السادسة ١٩٧٨م - ص ١٤١.

(٢) أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية - تأليف نخبة من الأساتذة - الناشر منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) والهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠.

(٣) القانون في الطب: ابن سينا شرح وترتيب أ. جبران جبور - مؤسسة المعارف - بيروت - د. ت ١٤٠٦هـ -

البلح:

البلح جيد للثة وهو يعزز البول وإذا شرب بخل عصف منع سيلان الرحم ونزف البواسير. وطبيخ البسر (وهو نوع من البلح) يسكن الالتهب مع حفظ الحرارة الغريزية والإكثار من اليسر والبلح يولد في البدن أخلاطاً غليظة^(١).

وهناك أيضاً جابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء، وترك لنا رسائله مثل:-

كتاب إخراج ما في القوة إلي الفعل، وكتاب الحدود، وكتاب الماجد، والجزء الأول من كتاب الأحجار علي رأي بليناس، والجزء الثاني من كتاب الأحجار علي رأي بليناس، وكتاب ميدان العقل وكتاب الخواص الكبير، والذي عني بتصحيحها ونشرها ب.كراوس ومنتاول بعض النصوص الأصلية لجابر بن حيان في كتابة (إخراج ما في القوة إلي الفعل) حيث يقول «القول في تقسيم الأشياء: الأشياء كلها تنقسم قسمين: إما نطق وإما معني، والكلام الذي لا معني تحته فلا فائدة فيه والمعني كالجوهر والكلام في المعني عند ذلك المعني كالعرض، وكذلك حد البلاغة أيضاً، والحروف ثمانية وعشرون حرفاً ليس في قوة العربية استخراج أكثر منها، بل في القوة استخراج مكان الحروف المشبهة»^(٢).

والرياضيات والعلوم التي نالت الشيء الكثيرين اهتمام العرب وعنايتهم، فلقد برعوا فيها وأضافوا إليها إضافات هامة أثارت إعجاب علماء الغرب ودهشتهم.

وهناك مآثر العرب في الرياضيات وهي من أهم العلوم التربوية التي تنمي القدرات العقلية عند الأطفال، فهناك أثر بابل في الرياضيات وأثر المصريين في الرياضيات وأثر اليونان في الرياضيات وأثر الهنود في الرياضيات، ونجد إسهامات العرب المسلمين في مآثر العرب في الرياضيات مثل فضل العرب في اختراع الكسر العشري، ونظام الترقيم وأنواع الأرقام فكرة الصفر ومزايا النظام العشري، والعلامة العشرية، وأيضاً هناك مآثر

(١) المصدر السابق-ص٢٧.

(٢) مختار رسائل جابر بن حيان- عني بتصحيحها ونشرها ب.كراوس-مكتبة الخانجي ١٣٤٥هـ- ١٩٣٥م.ص٨.

العرب في الجبر فالعرب أول من ألف في الجبر مثل المعادلات عن (الخوارزمي)، ونجد إسهامات العرب في الهندسة مثل شرح العرب لكتاب اقليدس، ومن ضمن مؤلفات العرب في الهندسة مثل النسبة التقريبية، وقضية المتوازيات، والمربعات السحرية، والهندسة الحسية والعقلية ويقول د.حافظ قدرى طوفان «أما الكسور فإن طرق العرب فيها لا تختلف عن الطرق المعروفة الآن وقد بحثوا استخراج المجهولات وبرعوا في الطرق التي أنتجوها لذلك، فقالوا باستخراج المجهولات بالأربعة المتناسبة، وبحساب الخطأين، وبطريقة التحليل والتعكس، وبطريقة الجبر والمقابلة وكانوا يكثرون من الأمثلة والتمارين في مؤلفاتهم، ويأتون بمسائل عملية تتناول ما كان يقتضيه العصر، ويدور علي المعاملات التجارية والصدقات وإجراء الغنائم والرواتب علي الجيوش»⁽¹⁾.

ومما نجد الإشارة إليه في مآثر علم الفلك عند العرب (محي الدين المغربي) وهو: «محي الدين يحيى بن محمد بن أبي الشكر المغربي» من رياضي وفلكي الأندلس من أهل قرطبة كان في المشرق أيام النصير الطوسي وعمل معه في المرصد «بمراغة» وتوفي سنة ٦٨٠هـ - ١٢٨٠م. وله مؤلفات في الفلك والتنجيم منها: - «كتاب الجامع الصغير في حكم الموالي» وكتاب «النجوم» و«كتاب الجامع الصغير في أحكام النجوم» و«كتاب تستطيع الاسطراب» و«كتاب تاج الأزياج وغنية المحتاج»⁽²⁾.

وكان يقول العقل ضربان: عقل الطبيعة وعقل التجربة، وكلاهما يُحتاج إليه ويؤدي إلي المنفعة، ويقال: ما شئ بأحسن من عقل زانة حلم، وحلم زانة علم، وعلم زانة صدق، وصدق زانة عمل، وعمل زانة رفق.

ويتجلي في علم الطبيعة الحسن بن الهيثم مؤسس هذا العلم، وظهر ابن الهيثم في القرن الخامس للهجرة في البصرة، ونزل (مصر) واستوطنها إلي أن مات سنة ١٠٣٨م «

(1) تراث العرب العالمي في الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان - دار القلم بالقاهرة الطبقة الثالثة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م. ص ٥٥، ٥٦، ٥٧.

(2) تراث العرب العالمي في الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان - ص ٤٧٤.

جاء في كتب التاريخ: إنه نقل إلي حاكم مصر أن «ابن الهيثم» قال: لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً، يحصل النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقصان»^(١).

وقال عنه ابن أبي أصيبعة: «كان ابن الهيثم فاضل النفس، قوي الذكاء، متفنناً في العلوم، لم يمثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه، وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف، وافر الزهد»^(٢).

ومن أهم مؤلفات ابن الهيثم «الشكوك علي بطليموس» حيث يقول في الفصل الحادي عشر من المقالة الأولى من المجسطي «وهو في القوس التي بين الانقلابيين، إنه عمل آلة نصبها في وسط سطح دائرة نصف النهار، ورصد الشمس في أوقات نصف النهار، نعرف موضوعاً في كل يوم وبعدها من سمعت الرأس. ثم يقول: وجدنا القوس التي يبين الانقلابيين تكون في جميع الأوقات سبعة وأربعين جزءاً، وأكثر من المثني جزء وأقل من نصف وربع جزء»^(٣).

ويبرهن ابن الهيثم علي شكوكه فيقول «فقد استعمل في هذا الموضع معينين هما مفسدات لمقدار القوس التي بين الانقلابيين ولمقدار الميل، ومع ذلك يلزمه فيما «استعمل التناقض» وذلك أن أحد المعينين اللذين استعملها هو أن الشمس هي في نقطة الانقلاب في وقت كونها علي دائرة نصف النهار وذلك غير واجب..... إلا أنه لم يذكر أنه تسلم هذا المعني، وقد كان يجب عليه أن يكشف هذا المعني، ويبين كيف يمكن أن يحقق»^(٤).

ويقول أبو عبد الله محمد بن سحنون ولد (٢٠٢هـ - ٢٥٦هـ) عن مكانة العلم والعلماء في كتابه آداب المعلمين وآداب المناظرين الجامع في فنون العلم والفقه والتاريخ، والرسالة الجنوبية، وأجوبة ابن سحنون، نجد في كل مؤلفاته يتناول مكانة العلم والعلماء،

(١) تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، قدرى حافظ طوفان - مرجع سابق ص ٢٩٥.

(٢) تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، قدرى حافظ طوفان - ص ٢٩٦.

(٣) الشكوك علي بطليموس - الحسن بن الهيثم - تحقيق د. عبد الحميد صبره وآخرون مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة د.ت. ص ١١.

(٤) الشكوك علي بطليموس - الحسن بن الهيثم - تحقيق د. عبد الحميد صبره وآخرون مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة د.ت. ص ١١.

عن طريق تناوله القضايا التعليمية المتعددة مثل أخلاقيات التعليم كمهنة ، وموضوعات التعليم ، وصفات المعلم الناجح، ويذكر ابن سحنون أن الأحوال التي تترتب علي العلوم والأعمال من أجل بناء العملية التعليمية والأصلاح ونجد في رسالته ما يلي:

- ١- العلم بالله وأسماءه وصفاته وأفعاله، والعلم بالسنة النبوية المطهرة.
- ٢- العلم بالعلوم الشرعية، والعلوم النافعة التي تنفع الإنسان في حياته.
- ٣- العلم نور والجهل ظلمات لقوله تعالى: ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ سورة الرعد (آية ١٦).

- ٤- والعالم بمنزله البصير والجاهل بمنزله الأعمى لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿ سورة فاطر (آية: ١٩ ، ٢٠)

ومن الجدير بالإشارة أن رسالة القابسي وهي أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين وكتاب الاعتقادات، وكتاب مناسك الحج، وكتاب ملخص الموطأ، وكتاب الذكر والدعاء، نجد أنه يشير إلي مراتب العلم والعمل الثلاث وهي ما يلي:

- ١- رواية هي مجرد نقل وحمل المروي ٢- دراية وهي فهم تعقل معناه
- ٣- ورعاية وهي العمل بموجب ما علمه وعدم التفريط فيما نعلم.
- ٤- والعلم النافع عند القابسي هو العلم بأسماء الله وصفاته وعلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح.

” تعقيب “

يتضح لنا فيما سبق في هذا الفصل وهو «مكانة العلم والعلماء» أن القرآن الكريم يؤكد علي فضل العلم وشرفه لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ ويقول العزيز ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

ذكر القرآن الكريم أن العلم هو الطريق إلي تفسير الأشياء ومعرفتها لقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ سورة الأعراف. والعلم في الإسلام يتناول كل موجود، وكل ما يوجد فمن الواجب أن يعلم، فهو علم أعم من العلم الذي يراد الأداء الفرائض والشعائر، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في فضل هذه العبادة {إن فضل العالم علي العابد كفضل القمر ليلة البدر علي سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء}

تحدث القرآن الكريم عن درجات العلم، ومناقب العلماء مثل الإيمان والتوحيد والبراء، والخشوع وتناولنا العلاقة بين المعرفة ومناقب العلماء، ويقول الله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ومن شروط التعليم والتعلم، أن يذاكر به الأقران والأنظار طلباً للتحقيق والمعارفه لا المغالية والمكابرة بل غرضه أن يستفيد ويفيد، وأن لا يدخل علماً في علم، لا في تعليم ولا مناظرة فإن ذلك مشوش، وكثيراً ما غلط الأطباء جالينوس بهذا السبيل.

وقد تناولنا أهمية العلوم ودورها في حياتنا اليومية، لأن العلم الذي أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق من شئ.... ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي الحياة أو غير ذي حياة، وانتقلت بعد ذلك إلي تنظيم عملية التعليم والتعلم من خلال العلم والعمل، لذلك يقول بعض الحكماء: عليك بالعلم والإكثار منه، فإن قليلة أشبه شئ بقليل الخير. وأنشد بعضهم في طلب الاستزادة من العلم وعدم الاقتصاد علي فن:

احرص علي كل علم تبلغ الأمل ولا تواصل لعلم واحد كسلا

النحل لما رعت من كل فاكهة أبدت لنا الجوهرين الشمع والعسلا

والشاهد يُبري بإذن الباري العلا
والشمع بالليل نورٌ يستضاء به
ومن مناقب العلماء الاستمرارية في طلب العلم، وهذا مصداق خبر النبي ﷺ: «إلي متى
تطلب العلم؟ قال: من المحيرة إلي المقيرة، ولمعرفة مناقب العلماء نقول: لولا جهل الجاهل ما
عرف عقل العاقل، و العاقل في الأدب، والجاهل يهرب منه، وعلامة العلم العمل بالأعراض عند
المبادهة».

ويقول الاسكندر: وقال في القلم: لولا القلم ما قامت الدنيا ولا استقامت المملكة، وكل شيء
تحت العقل واللسان لأنها الحاكرمان علي كل شيء والمخبرات عن كل شيء، والعلم يوجد لها
شكلين ويريكهما صورتين.
وقال فيه أيضاً: القلم بريدُ العقل فتوقوا زلفاته، وتصفحوا نتائجها، فإن البريد إذا زلق
وكذب هجن صاحبة. ومن ها هنا قيل: إذا كذب السفير بطل التدبير.

ويتناول ابن سحنون في رسالته آداب المعلمين مراتب العلم في الإسلام وهي ما يلي:

- ١- سماعه ثم عقله ثم تعاهده ثم تبليغه
- ٢- والعلم في نظر الإسلام أما أن يكون: تارة في الأذهان، وتارة في اللسان، وتارة في الكتابة
بالبنان، أي ذهني - لفظي لذلك يقول: " عن مالك ابن شهاب عن عروة ابن الزبير، عن عبد
الرحمن بن القارئ، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: " أنزل القرآن علي
سبعة أحرف فافرعوا ما تيسر منه"^(١).
- ٣- ويقول ابن سحنون عن مكانة المعلم وواجباته: " وينبغي له أن يعلمهم أعراب القرآن وذلك
لازم له، والشكل، والهجاء، والخط الحسن، والقراءة الحسنة، والتوقيف، والترتيل"^(٢).
- أمام القابسي في رسالته المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين يقول: لولا
المعلمون أي شيء كنا نكون نحن؟ ويشر ما في هذه الحكاية عن مالك ما ذكره ابن سحنون قال:
حدثونا عن سفيان الثوري عن العلاء ابن السائب قال: قال بن مسعود: ثلاث لا بد للناس منهم،
من أمير يحكم بينهم، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها
ولولا ذلك لبطل كتاب الله، ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ علي ذلك أجراً، ولولا ذلك
كان الناس أميين"^(٣).

(١) رسالة آداب المعلمين ابن سحنون - ص ٣٥١

(٢) المصدر السابق - ص ٣٥٨

(٣) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين القابسي - ص ٢٩٣

” مصادر ومراجع الفصل الأول ”

” مكانة العلم والعلماء ”

القرآن الكريم

- صحيح البخاري

- صحيح مسلم

- ابن ماجة

* أبجد العلوم - القنوجي - دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

* أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية - تأليف نخبة من الأساتذة - الناشر منظمة

الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) الهيئة العامة للكتاب - ١٩٧٠م.

* أخلاق العلماء - الآجري - تحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح - الدار المصرية اللبنانية -

القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩١م - ١٤١١هـ.

* أخلاق المسلم وعلاقته بالمجتمع د. وهبة الزحيلي د.ت الطبعة الخامسة ٢٠١٢م -

١٤٣١هـ.

* إرشاد القاصد إلي أسني المقاصد في أنواع العلوم - الأكناني - تحقيق عبد المنعم محمد

عمر - دار الفكر العرب - القاهرة - د.ت سنة الطبعة والنشر.

* الأخلاق والسير في مداواة النفوس - ابن حزم الأندلسي - مطبعة السعادة - د.ت

* التربية الإسلامية - نظمها - وفلسفتها - تاريخها د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية

- القاهرة - الطبعة السابقة - ١٩٨٢م.

* التفكير فريضة إسلامية أ. عباس محمود العقاد - نهضة مصر - القاهرة د.ت

ط. ٢٠٠١م.

* الذخيرة - الأمام القرافي - تحقيق د. محمد صبحي - دار الغرب - الإسلامي ح. ١.

- * الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القابسي في كتابه التربية في الإسلام - د. أحمد فؤاد الأهواني - دار المعارف بمصر - الطبعة السادسة سنة ٢٠٠٢.
- * الشكوك علي بطليموس- الحسن بن الهيثم- تحقيق د. عبد الحميد صبر وآخرون مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - د.ت
- * العقد الفريد- ابن عبد ربه- ح٢- أحمد أمين- الطبعة الثانية- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.
- * القانون في الطب -ابن سينا شرح وترتيب أ.جبران جبور- مؤسسة المعارف- بيروت د.ت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- * المبادئ الأخلاقية في التربية -جون ديوي - ترجمة عبد الفتاح السيد هلال- الدار المصرية للتأليف والترجمة - بدون طبعة.
- * المشوق إلي القراءة وطلب العلم- د.علي بن محمد العمران -الطبعة السابقة- الدار المصرية للنشر ١٤٣٥هـ - ٢٠١٥م.
- * تاريخ آداب العرب - مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي - بيروت - ح١ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- * تاريخ العلم ودور العلماء العرب في مقدمة د. عبد الحليم منتصر - دار المعارف- القاهرة- الطبعة الثامنة ١٩٩٠م.
- * تاريخ العلوم عند العرب د.كمال حموده -دار الفكر اللبناني -بيروت- لبنان- الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- * تاريخ الفلسفة في الإسلام دي بور -ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده- دار العرب للدراسات والنشر والترجمة ٢٠١٣م.

- * تذكرة السامع والمنكلم في آداب العالم والمتعلم - ابن جماعة مخطوط منشور في كتاب الفكر التربوي عند ابن جماعة د. عبد الأمير الأعسم - دار المكتاب العالمي - الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- * تراث الإسلام - شاخت وبوزورث - ترجمة د. محمد زهير السمهوري - المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت - ١-١٩٧٨م.
- * تراث العرب العلمي في الرياضيات - والفلك - قدرى حافظ طوفان - دار العلم بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- * رسالة آداب المعلمين - ابن سحنون - في كتابه التربية في الإسلام - د. أحمد فؤاد الأهواني - دار المعارف - الطبعة السادسة - بمصر سنة ٢٠٠٢م.
- * رسالة المسترشدين - المحاسبي - تحقيق عبد الفتاح غدة - دار السلام - القاهرة - الطبعة العاشرة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- * علم النفس التربوي د. عبد المجيد سيد أحمد منصور وآخرون - العبيكان - الأردن - الطبعة الخامسة - ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- * فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال - ابن رشد - تحقيق د. محمد عمارة - القاهرة - دار المعارف ١٩٧٢م.
- * مختار رسائل جابر بن حبان - عني بتصحيحها ب كراوس - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.
- * مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة - ابن قيم الجوزية - تحقيق هاني الحاج - دار التوفيقية للتراث - القاهرة - د.ت طبعة ونشر.
- * منهاج العلم - الإمام الغزالي - مخطوط ضمن خمس مخطوطات من التراث التربوي الإسلامي د. هشام تشابة - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٨٨م.

- * منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية د. جلال محمد عبد الحميد موسي- دار الكتاب اللبناني -بيروت-١٩٨٢م.
- * منية المرير في آداب المفيد والمستفيد -العالمي- مخطور منشور في كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي د. عبد الأمير -دار الكتاب اللبناني -د. ت. ط.
- * موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي -إعداد خديجة النبراوي- دار السلام- الطبعة الأولى-٤-١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
- * ميزان العمل- الأمام الغزالي -تحقيق د/سليمان دنيا- دار المعارف- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

الفصل الثاني

أخلاقيات مهنة المعلم

يقول الله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)
سورة القلم (آية: ٤)

﴿الفصل الثاني﴾

تمهيد

سوف نتحدث في الفصل الثاني وهو «أخلاقيات مهنة المعلم» عن نصوص كثيرة تكون بداية لابن سحنون والقاسبي.

وفي بداية هذا الفصل نتناول فضل العلم وأهل العلم، لكي يكون العلم الصحيح هو النبراس الحقيقي للأخلاق عند العلم، وسوف نشير إلي نصوص ابن سحنون والإمام الغزالي في التمسك بأخلاقيات العمل في تعليم الأطفال، ومن أهم فضائل العلم وآدابه هو الاستعانة بالله في جميع الأعمال ورد المشيئة إلية دائماً، والتمسك بفضيلة الصبر لأنه أعظم وسيلة لبلوغ الرتب العالية والمنازل السامية.

ونتناول في هذا الفصل العلوم الحكيمة العلمية وتنقسم إلي علم الأخلاق، السياسة، وتدبير المنزل والمراد بالحكمية ههنا استكمال النفس الناطقة في قوتها النظرية والعلمية بحسب الطاقة الإنسانية ويكون بتزكية النفس باقتنائها الفضائل، واجتنابها الرذائل، وهذا ما يجب علي المعلم المتمسك به في طلب العلم، وتعليم المتعلم، وهذه القيم الأخلاقية واقعية تلائم فطرة الإنسان، ويجب علي المعلم أن يتجنب الهوى، حيث لا يسير خلف شهواته.

ونؤكد علي أهم الحقائق الأخلاقية العامة التي يتبعها المعلم في تربية الأطفال ومن أهمها الأمر بالعدل وجعله علي قمة الفضائل «أن الله يأمر بالعدل والإحسان» ﴿بَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أنه لا يجب الطاعين، وتناولنا فضيلة الصدق، لكي يتمسك المعلم بها، لأنه قدوة للأطفال لقوله تعالى: ﴿بَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ سورة التوبة آية رقم ١١٩، ويجب علي المعلم اجتناب رذيلة النفاق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (آية ١٤٠ من سورة النساء).

ونتحدث في هذا الفصل عن أهم الوسائل والأماكن التعليمية وهي الكتابات، وعن طريقها يستطيع المعلم أن ينشر الفضائل والأخلاق الاجتماعية مثل فضيلة التعاون بين الأطفال، وتحقيق مبدأ العدالة والرفق واللين بين الأطفال في معاملتهم لقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران-آية ١٠٤).

وفي غضون الفصل سوف نفسر الفضائل التي يتمسك بها المعلم والردائل التي يبتعد عنها مثل الكبر والعجب والخيلاء، أي التحذير من الغرور الذي هو من أشد الردائل مقتناً عند الله لأنه يقف من صاحبة موقف العقبة الكأداة في سبيل كل ارتقاء وتقرب من الله فيقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [سورة الأسراء آية ٣٧] والنهي أيضاً عن رذيلة الرياء والتظاهر بالتقوى أو بالتصدق علي الفقراء لكسب التباهي بذلك الانفاق أو بغيره من الفضائل ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [سورة النساء آية ٣٨].

ومن أهم مقتضيات الموقف العلمي عند المعلم هو التمسك بحسن الهيئة وتحدثنا عن شروطها، ويجب علي المعلم الحذر من أصحاب السلطان وخير مثال علي ذلك العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبياع الملوك، وتناولنا شروط الحذر من السلطان ومن أهمها التمسك بالإرادة لأن الإرادة هي أم الأخلاق- وهي ما قيل فيه تعظيماً لشأنها: لوحات عبادة غير الله لأختار العقلاء عبادة الإرادة.

يقول ابن سحنون في رسالة "آداب المعلمين" عن عبد الرحمن بن نوفل، عن أبيه، عن أنس بن مالك ، قال الرسول ﷺ : إن الله أهلين من الناس، قيل من هم يا رسول الله؟ قال: هم حملة القرآن، هم أهل الله وخاصته" (١).

(١) ابن سحنون- رسالة آداب المعلمين-ص ٣٥١.

ويقول أيضاً: عن أخلاقيات المعلم الأمانة العلمية والاستمرارية في طلب العلم: "ويلزم المعلم الاجتهاد وليفرغ لهم" (١).

ومن أخلاقيات المعلم تعليم القراءة الحسنة حيث يقول: "ويلزم أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة وهو مقراً نافع، ولا بأس إن أقرأهم لغيره إذا لم يكن مستتبشعاً" (٢).

ثم بعد ذلك يقول القابسي عن أخلاقيات مهنة المعلم في رسالته أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين: "فالاستقامة هي القيام بما أمر الله به، وفي الذي قدمنا قول الله جل وعز: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣) سورة الرعد آية: ١٩.

(١) المصدر السابق - ص ٣٥٧.

(٢) المصدر السابق - ص ٣٥٨.

(٣) رسالة أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القابسي - ص ٢٧١.

«أخلاقيات مهنة المعلم»

ومما يجدر الإشارة إليه في بداية هذا الفصل وهو «أخلاقيات المعلم» أن نتحدث أولاً عن الركائز الأساسية في تأسيس المعلم إلا وهي فضيلة العلم لأنها زينة المعلم ورسالته.

أولاً: فضل العلم وأهل العلم:

يشير ابن سحنون بسرعة إلى الأسباب الداعية إلى تعلم القرآن وتعليمه: لأجل إزالة الجهل وحفظ الدين، وتحقيق السعادة في الآخرة فالعلم واجب علي كل مسلم ومسلمة ويستند ذلك كله إلى الأحاديث النبوية الشريفة فيقول في رسالته آداب المعلمين: «قال أبو عبد الله محمد بن سحنون حدثني أبي سحنون عن عبد الله بن وهب عن سفيان الثوري، عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»^(١).

وعن فضل القرآن وتعلمه وآداب حامله يقول القابسي: «قال أبو الحسن: أما سؤالك أن نبداً لك بشيء، من فضائل القرآن فكيف من فضل القرآن، معرفتك أن القرآن كلام الله عز وجل: وكلام الله غير مخلوق، ثم ثناء الله علي هذا القرآن في غير موضع منه. قال عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٢)». ولقد ركزنا هنا علي فضل القرآن لأنه الأساس في تربية الصبيان.

(١) ابن سحنون - رسالة آداب المعلمين - ص ٧٧.

(٢) سورة الزمر، آية ٢٣.

(٣) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - لأبي الحسن القابسي - مخطوط منشور في الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي ص ١٣٢.

- الأهداف التربوية عن طريق التمسك بفضيلة العلم:

ولا تتفق المجتمعات الإنسانية في قيمها ومثلها العليا وتطلعاتها إلا من خلال التمسك بالتراث التربوي العربي الإسلامي، وتسعي كل أمة من الأمم بتناولها النظم التربوية لنقل هذه القيم والمثل والتطلعات إلى المستقبل الباهر والزاهر بنور العلم والأخلاق الحميدة إلى أجيالها وأطفالها لأنهم ذخيرة المستقبل. وهم بناء الوطن، والتمسك بأخلاقيات العمل في تعليم الصبيان أمر ضروري ومهم لأنه يساعد على التربية السليمة والعلم والتعليم لنشر الدين، ولا شك أن الغرض الاسمي من تربية الصبيان هو تأديب الولد، لذلك ألف في ذلك الإمام الغزالي (رسالة أيها الولد) لكي تجعله قادراً على وضع نظام يقوم على التنظير** العلمي الصحيح، وفي أخلاقيات العلم في تعليم الصبيان تجعلهم يحسهم على الالتزام بالجماعة والتاريخ والإلهية بحيث يتشكل ركائز أساسية في النسق التربوي.

الوعي الأخلاقي عند الفرد، والإيمان بالقيم والمثل والفضائل الأخلاقية، وإن كلمة «المتعلم» تعني داخل التربويات الفقهية الولد الذي يذهب إلي الكتاب أو الذي يأتيه المؤدب إلي البيت كحال أولاد الخلفاء والحكماء.

فإذا فرغنا من فضل العلم وآدابه شرعنا حينئذ في تفسير سياسة الصبيان:

- فضل العلم وآدابه في سياسة الصبيان:

«من المبادئ المعروفة المتبعة عند المؤلفين في التربية العربية - الإسلامية أن الكاتب يبدأ رسالته بتبيان أهمية العلم. هنا تجمع بعناية كل ما ورد وروي في فضل العلم، ضرورته وأهميته في كسب الدنيا والآخرة»^(١).

(**) التنظير العلمي الصحيح وهو التعرف على الأبعاد التربوية التي يحملها الحوار والمناظرة، وبيان مضمون قيمة آداب المناظرة، ومعرفة الدور الذي يقوم به الحوار في بناء شخصية الإنسان، لذلك ألف ابن سحنون (آداب المناظرين) وسوف نتحدث عن ذلك في غضون البحث
(١) الفكر التربوي عند عبد الكريم بن محمد السمعاني - في كتابة آداب الإملاء والاستملاء - تحقيق د. عبد الأمير شمي الدين - الشركة العالمية للكتاب - الطبعة الأولى دت ص ٢١.

ويقول زين الدين بن أحمد العمالي عن فضيلة العلم : «فإن كمال الإنسان إنما هو بالعلم الذي يضاهاه به ملائكة السماء، ويستحق به رفيع الدرجات في العقبى مع جميل الثناء في الدنيا، ويتفضل مداده علي دماء الشهداء وتضع الملائكة أجنحتها تحت رجليه إذا مشى، ويستغفر له الطير في الهواء، والحيتان في الماء، ويفضل نومه ليله من ليلائه علي عباده العابدين سبعين سنة وناهيك بذلك جلاله وعظماً»^(١).

وعن شرف العلم وفضله يقول العمالي أيضاً: «اعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل العلم هو السبب الكلي لخلق هذا العالم العلوي والسفلي طراً وكفي بذلك جلالة وفخراً قال الله تعالى في محكم الكتاب تذكرة وتبصره لأولي الألباب ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [سورة الطلاق-آية ٢١]».

«وتحدثت دراسات إسلامية جادة عن العلم كمقوم من مقومات الحضارة الإسلامية الإنسانية، كما أبرزت مواكبة الفتوحات الإسلامية بالدعاء إلي الله عن طريق العلم، والتي كشفت أيضاً أن معظم القادة العسكريين كانوا رجال دعوة و علم صاغهم الإسلام صياغة معنوية خاصة ليقضوا علي الظلم الاجتماعي والتخلق الحضاري والجهل الذي عم العصور الوسطى آنذاك»^(٢).

ومن الجدير أن القرآن الكريم إهتم بالخطاب التربوي ومن أهم أهداف الخطاب التربوي القرآني في تأديب الولد هي ما يلي:-

«تعميق الحق والالتزام به، وذلك أن الحق مركز في طينة الوجود البشري وأن الباطل جرثومة دخيلة في تركيبات العالم لقوله تعالى ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣)»^(١).

(١) الفكر التربوي عند عبد الكريم بن محمد السمعاني- في كتابة أدب الإملاء والاستملاء- ص ٩٣.
(٢) فن التراث التربوي دراسات نفسية تعليمية تراثية. أنذير حمدان- دار المأمون للتراث دمشق- سوريا- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م. ص ١١.
(٣) سورة الأسراء: آية ١٠٥

و«يهدف الخطاب التربوي القرآني في تربية الولد إلي خلق الأنموذج الجديد للأمة، إن هذا الأنموذج خلق جديد، في عقيدته وخلقه، وتفكيره وسلوكه وهذا الهدف هو الذي دارت حوله محورية الخطاب القرآني يقول تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)»^(٣).

وهناك الأحاديث الكثيرة التي جاءت في السنن والآثار التي:

تبين فضل العلماء في الدنيا والآخرة. حيث يقول الآجري أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو المصري، أخبرنا بشر بن بكر، عن الأوزعي، عن عبد السلام بن سلمان عن عمر يزيد بن سمرة عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولفضل العالم ورثه الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»^(٤)^(٥).

ويرشدنا الإمام الغزالي إلي بيان شرف العقل والعلم والتعليم في كتابة ميزان العمل حيث يقول «أن العلم والعمل هما وسيلتنا السعادة، وأن العمل لا يتصور إلا بعلم بكيفية العمل، والذي العلم الذي ليس بعلمي، كالعلم بالله وصفاته وملائكته، مقصوداً، فقد استندت منه أن العلم أصول الأصول، فلا بد أن نرشدك الآن إلي طريق التعلم والتعليم، ولننذبه أولاً علي شرف هذه الأمور، وندل عليه فنقول أما التعليم فهو أشرف الأعمال»^(٦).

(١) الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد الفرحان- الشركة العالمية للكتاب- الطبعة الأولى ١٩٩٩ ص، ٣٢.

(٢) سورة الأنعام الآية رقم: ١٢٢.

(٣) الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد الفرحان- مرجع سابق ص ٣٢.

(٤) روي أبي داود والترمذي عن أبي الدرداء- رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سلك طريقاً ينبغي فيه علماً مهل الله له طريقاً إلي الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضي بما وضع.

(٥) أخلاق العلماء- لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري المتوفي ٣٦٠هـ- قدم وعلق عليه ممدوح حسن محمد- مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ١٩٩٦. ص ١٧.

(٦) ميزان العمل- الإمام الغزالي- مخطوط منشور في كتاب- الفكر التربوي عند الغزالي- د. عبد الأمير- ص ١٨٣

والهدف الاسمي من تعليم الصبيان هو معرفة حدود الله «أي تحقيق شرع الله، ومرضاته في كل شؤون الحياة، والعلاقات الزوجية، والعائلية، والاجتماعية كل ذلك جاء في الخطاب القائل ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾^(١) إنه هدف في غاية الأهمية، فهو يدعو الولد إلي الالتزام بالشرع ومفرداته الخاصة بقواعد السلوك والتعامل»^(٢).

ومن خلال الخطاب التربوي للقرآن الكريم حاولت أن أتبين المعالم الرئيسية للتربية والتعليم في الإسلام عبر دراسة المؤسسات التربوية فوجدت أن لها تقاليد عريقة لا بدّ من إبرازها إن أردنا فهم روح الحضارة العربية الإسلامية وقواها المحركة.

والتراث الإسلامي الأصيل يتمثل في أنتشار الكتاتيب وطريقة تعليمهم العريقة بدون أجر، وروي ابن قتيبه أن الضحال بن مزاحم وعبد الله بن الحارث كانا يُعلّما ولا يأخذون أجراً، وبعضهم كان يأخذ أجراً، ومن هؤلاء من كان يأخذ خبزاً من الصبيان، وقد هجا بعضهم الحجاج: وكان هو وأبوه يوسف معلمين بالطائف^(٣).*

واجبات المعلم تجاه المتعلم:

ومن أبرز المعالم الرئيسية للتربية والتعليم في الإسلام هي اهتمام كتب التراث الإسلامي بتربية الصبيان وتعلّمهم القرآن الكريم لأنه البنية الأولى لبناء الإنسان والمعجزة الكبرى لكل عالم ومتعلم، وتتناول معظم كتب التراث التربوي العناية والرعاية لأولادنا منذ الصغر حتى يستطيع تحمل المسؤولية في المستقبل، لذلك يقول الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين «كتاب رياضة النفس» «بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم: اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور

(١) سورة البقرة-آية رقم ٢٢٩.

(٢) الخطاب التربوي الإسلامي - د. محمد الفرحان - مرجع سابق - ص ٣٣.

(٣) ضحي الإسلام - د. أحمد أمين - ح ٢ - ص ٥١.

(٤) وله شعر: أينسي كلّيب زمان الهزال... وتعليمه سورة الكوثر؟
رغيف له فلكه ما تري... وآخر كالقمر الأزهر.

وأوكدها والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلي كل ما يمال به إلية فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواب وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزقي رقية القيم عليه والوالي له وقد قال الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾^(١) «^(٢)».

المصطلحات والمفاهيم التربوية المستخدمة عند المعلم:

وقبل أن أبدأ في كيفية تعليم الصبيان عن طريق المؤسسات التعليمية التربوية لابد أن نوضح المنهج في الخطاب القرآني في تأديب الولد ومعني كلمة المنهج هو الطريق الذي يسير عليه الولد في تعليمة وسلوكه ومعاملته مع الآخرين، و«يتكون المنهج القرآني في تربية الولد من مجموعة أنشطة تهدف إلي تأديب الولد وإحداث الترقية له علي الصعيد الروحي والعقلي وعلي صعيد لغته وعواطفه ومشاعره إن من الموجهات القرآنية التي تفيد في تشكيل المنهج التعليمي ومواده وأنشطته الخطاب القرآني القائل ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾^(٣) «^(٤)».

ومن أهم أهداف المنهج القرآني هو: «دوام مراقبة الله تعالي في السر والعلانية والمحافظة علي خوفه في جميع حركاته وتكناته وأقواله وأفعاله، فإنه أمين علي ما أودع من العلوم، وما منح من الحواس والفهوم. قال الله تعالي: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٥) وقال تعالي: ﴿مَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ﴾^(٦) «^(١)».

(١) سورة التحريم الآية: ٦

(٢) إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٢١ - ٢٠٠١ م - ٣ - ص ٦٥.

(٣) سورة الفرقان - آية رقم ٣٢.

(٤) الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد فرحان سمرح سابق ص ٣٦.

(٥) سورة الأنفال آية ٢٧.

(٦) سورة المائدة آية ٤٤.

ومن أهم الركائز الأساسية في بناء المعلم المتمسك بالقرآن والسنة:-

والمنهج القرآني هو النبراس المضيء في طريق العلماء لأنه يجعل العالم «همه في تلاوة كلام الله الفهم عن مولاه، وفي سنن الرسول ﷺ الفقه لئلا يضع ما أمر به، متأدب بالقرآن والسنة، لا ينافس أهل الدنيا في عزها، ولا يجزع من ذلها، يمشي علي الأرض هوناً بالسكينة والوقار، ويشغل قلبه بالفهم والاعتبار. إن فرغ قلبه عن ذكر الله فمصيبة عند عظيمة، وإن أطاع الله- عز وجل- بغير حضور فهم، محسرات، عند مبين يذكر الله مع الذاكرين، ويعتبر بلسان الغافلين، عالم بداء نفسه، ومتهم لها في كل حال، اتسع في العلوم، فتراكمت علي قلبه الفهوم، فاستحي من الحي القيوم، وشغله بالله في جميع سعيه متصل، وعن غيره منفصل»^(٢).

وهناك الآيات الصادقة التي تبرهن علي المنهج القرآني «فإن قال قائل: فهل لهذا النعت الذي نعت به العلماء، ووصفهم به أصل في القرآن أو السنة، أو أثر عن تقدم؟ قيل له: نعم وسنذكر منه ما يدل علي ما قلناه إن شاء الله»

قال الله- عز وجل-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ، وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ أفلا تري-رحمك الله- كيف وصف العلماء بالبكاء، والخشية، والطاعة، والتذلل فيما بينه وبينهم^(٣).

ويشير الإمام الغزالي إلي أهمية العلوم العقلية التي حفزنا الله إلي استخدام العقل لقوله تعالى: {لعلمك تعقلون} {لعلمك تتفكرون} {لعلمك تتذكرون} فيقول وليس يخفي أن العلوم العقلية تدرك بالعقل الذي هو أشرف القوي، وبه يتوصل إلي جنه المأوي، وهو أبلغ

(١) آداب العلماء والمتعلمين-الحسين بن أمير المؤمنين-الدار اليمينية للنشر والتوزيع-الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م ص٢٢.

(٢) أخلاق العلماء-الأجري- مصدر سابق- ص٦٢، ٦٣.

(٣) أخلاق العلماء-الأجري- مصدر سابق- ص٦٣.

نفع وأعمه، وموضوعه الذي يعمل فيه نفوس البشر وهي أفضل موضوع بل أفضل موجود في العالم فإفادة العلم! من وجه: صناعه ومن وجه: عباده الله تعالى. ومن وجه: خلافة الله وهي أجل خلافة، فإن الله تعالى قد فتح علي قلب العالم، العلم الذي هو أخص صفاته، فهو كإنحازن لأنفس خزائنه، ثم هو مأذون له في الأنفاق، علي كل محتاج إليه، فأبي رتبته أجل من كون العبد واسطة بين ربه وخلقه في تقربهم إلي الله زلفى؟ وسياقهم إلي جنبه المأوي؟^(١).

التعليم في الصغر كالنقش علي الحجر:

من كل ما تقدم نخلص إلي القول بأهمية الاهتمام بالطفل منذ الصغر وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الإسلامي ابن سينا «وعند ابن سينا تبدأ فترة التأديب واكتساب الأخلاق** الحميدة منذ الفطام أي في نهاية السنة الثانية من العمر، ثم إذا استوي لسانه-أي الطفل- واستكمل حواسه المختلفة أخذ بدراسة القرآن الكريم، ثم تلا ذلك مسائل الدين ثم الأدب والشعر»^(٢).

ويؤكد ابن سينا علي دراسة وحفظ القرآن الكريم عند الطفل نظراً لإعتماد القرآن علي القيم التربوية الأصلية مثل تهذيب السلوك، والعلم المفيد، والرقي وتناول القرآن الكريم المنهج التربوي السليم ومن: «هدف المنهج الدراسي القرآني إلي تركيز مبدأ الهداية وتنمية الأخلاق القويمة في شخص الولد. إن تركيز مبدأ الهداية في الذات وحملها علي الأخلاق جاء في الخطاب القرآني: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ

(١) ميزان العمل - الإمام الغزالي - ص ٣٣٠.

(**) الأخلاق: الخلق عبارة عن هئية للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة غير حاجة إلي فكر وروية. فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلفاً حسناً [التعريفات - الجرحاني - ص ١٠٥].

(٢) التراث التربوي في خمس مخطوطات د. هشام نشابة - دار العلم للملايين بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٨٨ م. ص ١٩٨.

المؤمنين ﴿١﴾ إن ما حمله هذا الخطاب من دلالات تربوية هي تربية الولد وتعويده علي الحياة المستقيمة والأخلاق القومية»^(٢).

التمسك بالأخلاق الكريمة من واجبات المعلم:

ومبدأ الهداية إلي والمنهج التربوي لا يتم إلا من خلال شروط تربوية وهي «قال محمد بن الحسين: لهذا العالم صفات، وأحوال شيء، ومقامات لا بد له من استعمالها، فهو مستعمل في كل حال ما يجب عليه، فله صفة في طلب للعلم كيف يطلبه، وله صفة في كثرة العلم إذا كثرت عنده ما الذي يجب عليه فيه فيلزمه نفسه وله صفة إذا تعلم من العلماء كيف يتعلم، وله صفة كيف يعلم غيره، وله صفة كيف يجالس الأمراء إذا ابتلي بمجالستهم، ومن يستحق أن يجالسه ومن لا يستحق، وله صفة عن معاشرته لسائر الناس فمن لا علم منه، وله صفة كيف يعبد الله - عز وجل - فيما بينه وبينه، قد أعد لكل حق يلزمه ما يقويه علي القيام به، وقد أعد لكل نازله ما يسلم به من شرها في دينه، عالم بما يجتلب به الطاعات، عالم بما يدفع به البليات، قد اعتقد الأخلاق السنية واعتزل الأخلاق الدنية»^(٣).

من خلال الفقرات السابقة يتبين لنا أن الأخلاق العظيمة هي الطريق إلي العلم، أما الأخلاق الرديئة فعلي العكس من ذلك فيقول الإمام الغزالي «فإن قلت: فكم طالب ردى الأخلاق حصل العلوم؟ فما أبعدك عن فهم العلم الحقيقي الديني الجالب للسعادة! فما يحصله صاحب الأخلاق الرديئة، حديث ينظمه بلسانه مرة، وبقلبه أخري، وكلام يردده، ولو ظهر نور العلم علي قلبه، لحسنت أخلاقه، فإن أقل درجات العلم أن يعرف أن المعاصي سموم مهلكة مبطله للحياة الأبدية، فإن منشأها الصفات الرديئة، وهل رأيت من عرف السم فتناوله؟ ولهذا قال عليه السلام: [من ازداد علماً**، ولم يزد هدي، لم يزد من الله إلا

(١) سورة الإسراء آية: ٩.

(٢) الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد الفرحان - مرجع سابق ص ٣٦.

(٣) أخلاق العلماء - الأجرى - مصدر سابق ص ٤٩، ٥٠.

(**) العلم زين وتشريف لصاحبه... والجهل والنول مقرونات في قرن وإذا طلبت العلم فالعلم أنه... حمل فأبصر أي شيء تحمل

بعداً] ولهذا قال بعض المحققين، معني قولهم: [تعلمنا العلم لغير الله، فأبى العلم أن يكون إلا لله] ^(١).

الأهداف التربوية التي ينبغي أن يسعى إليها المعلم:

ويجب هنا أن نتذكر ما سلف من قولنا من فضل العلم*، وأهميته، والخطاب التربوي في القرآن الكريم، وكيفية اختيار سن الطفل لحفظ القرآن الكريم نظراً لتوجيهاته التربوية الحكيمة التي تجعل الطفل له شأن عظيم في مجتمعه وبين أقرانه وعلاقاته الاجتماعية.

فحقيق بنا أن نتكلم عن المؤسسات التعليمية والتربوية التي يتعلم الأطفال فيها «لقد عرض التراث للمؤسسات التعليمية جميعاً بدءاً من الكتاتيب ومروراً بالمدارس الابتدائية والثانوية، ونهاية بالدراسات الجامعية والعالية» ^(٢).

ومن الجدير أن المؤسسات السالفة الذكر هي التي أقام الرسول أسسها الفكرية ومنطلقاتهم النظرية، وأسس مفاهيمها في مجتمع الصحابة وأبنائهم وقد أخذت في التطور التنظيمي السريع نظراً لمتطلبات العصر.

واجبات المعلم في مجالسة العلماء وآداب المناظرة:

وقبل أن نتناول المؤسسات التربوية مثل الكتاتيب والمدارس بوجه عام، وجب علينا أن نتحدث عن شروط العلم وكيفية تناول العلم في هذه المؤسسات فنقول في ذكر صفته في مشية العلماء «يمشي برفق، وحلم ووقار، وأدب مكتب في مشية كل خير تاره يحدث

وإذا علمت بأنه متفاضل... فأشتغل فؤادك بالذي هو أفضل
^(١) ميزان العمل - الأمام الغزالي - مصدر سابق - ص ٣٤٢، ٣٤٣.
^(٢) تعلم فليس المرء يُخلق عالماً.... وما عالمٌ أمراً كمن هو جاهل
 ولم أزخره عاطال إلا بأمثله.... ولم أر بدء العلم إلا تعلماً
 العلم يحيي قلوب الميتين كما.... تحيا البلاد إذا ما مسّها المطر
 والعلم يجلو ممن قلب صاحبه.... كما يجلي سواد الظلمة القمر
 وقال بعض الحكماء: اقصد من أصناف العلم إلي ما هو أشهي لنفسك، وأخف علي قلبك [العقد الفريد - ابن عبد ربه - ح ٢، ص ٢١١].

^(٢) فن التراث التربوي أ. نذير حمدان - مرجع سابق - ص ٩.

نفسه بنعم الله، عز وجل عليه، ويقتض منها الشكر ويستعيذ بالله من شر سمعه، وبصره، ولسانه، ونفسه، وشيطانه، فإن بلي بمصاحبة الناس في طريقة، لم يصاحب إلا من يعود عليه نفعه»

قد أقام الأصحاب مقام ثلاثة: إما رجل يتعلم منه خيراً، إن كان أعلم منه، أو رجل هو مثله في العلم فيذاكره العلم الثلاثيني ما لا ينبغي أن ينساه، أو رجل هو أعلم منه فيعلمه ما يريد الله - عز وجل - بتعليمه إياه، لا يمل من أصحابه لكثرة صحبه، بل يجب ذلك لما يعود عليه من بركته^(١).

وهناك مميزات وصفات في صفه مجالسته للعلماء في المؤسسات التربوية ومنها «إذا أحب مجالسة العلماء، جالسهم بأدب، وتواضع في نفسه، وخفض صوته عند صوتهم، وسألهم بخضوع، ويكون أكبر سؤاله: أني قد أفنت خيراً كثيراً، ثم شكرهم علي ذلك، وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم، ونظر إلي السبب الذي من جلّه غضبوا عليه، وفرجع عنه واعتذر إليهم، لا يضجرهم في السؤال رفيق في جميع أمورهم، لا يناظرهم مناظرة من يرثم: أني أعلم منكم وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم، مع حسن التلطف لهم، لا يجادل العلماء، ولا يماري السفهاء، يحسن الثاني للعلماء مع توقيره لهم حتى يتعلم ما يزداد به عند الله فهمنا في دينه»^(٢).

وعن شروط المناظرة العلمية قالوا في تحامل الجاهل علي العالم: «لا تتأظر جاهلاً. وقالوا: لا تتأظر جاهلاً ولا لجوجاً، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلي التعلّم بغير شكر، وقال النبي ﷺ: ارحموا عزيزاً قومياً، ارحموا غنياً افتقر، ارحموا عالماً ضاع بين جهّال»^(٣).

(١) أخلاق العلماء - الأجرى - ص ٥٠

(٢) المصدر السابق - ص ٥١، ٥٢.

(٣) العقد الفريد - ابن عبد ربه - كتاب الياقوتة في العلم والأدب - ح ٢ - ص ٢٢٣.

وبعد ذلك نتحدث عن الأماكن التعليمية التي يقوم المعلم باستخدامها وهي:-

الكتاتيب:-

الكتاتيب جمع كُتَّاب، المكان البسيط الأول للتربية والتعليم الذي تتبلور فيه المرحلة الأولى من التعليم الابتدائي وربما شملت المرحلة كلها بتدريس المواد الأولية والأساسية وما من طفل إلا وقدر مر علي واحد أو أكثر منها فيما عدا أطفال الساسة والقادة وبعض الأغنياء^(١) ومن الجدير أن كلمة «المتعلم تعني داخل التربويات الفقهية الولد الذي يذهب إلي الكُتَّاب أو الذي يأتيه المؤدب إلي البيت كحال أولاد الخلفاء والحكام، والتعلم كلمة نطقها علي كل إنسان راغب في اكتساب العلم الديني»^(٢) والكتاتيب قديمة وقد أكثر التراث من ذكر الكتاب والكتاتيب وكلها تؤكد أنها أمكنه التعليم لأبناء المسلمين لذلك يقول القابسي عن تعليم الكُتَّاب «فينبغي له أن يجعل لهم وقتاً من النهار يعلمهم في الكتاب»^(٣). ونظراً لأهمية الكُتَّاب في تعليم القرآن يؤكد القابسي عليه فيقول «وأما سؤالك عن صبي أدخله أبوه الكُتَّاب بغير شرط، هل يلزمه ما يلزم صبيان الكتاب؟»^(٤).

المناظرة العلمية وهي فن الحوار، والحوار: أصله من الحَوَّرَ (بفتح الحاء وسكون الواو) وهو الرجوع عن الشيء، إلي الشيء، فالحوار في اللغة: هو الرجوع والمحادبة، وتهتم المناظرة بالحدث والأفعال ولا تخلو المناظرة من الجانب الأخلاقي والديني والاجتماعي

(١) فن التراث التربوي أ. نذير حمدان - مرجع سابق ص ١١.

(٢) الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد الفرحان - مرجع سابق ص ٥٤.

(٣) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القابسي مخطوط منشور في كتاب الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي د. عبد الأمير شمس الدين - الشركة العالمية للكتاب - الطبعة الأولى ١٩٩٥م. ص ١٦٥

(٤) المصدر السابق - ص ١٨٩.

كان اللوح المخصص للكتابة موجودا في وقت مبكراً جداً فلقد روي عن أم الدرداء أنها كتبت علي لوح من هذا النوع عبارات في الحكمة ليقلدها تلميذ كانت تعلمه الكتابة والقراءة (التربية الإسلامية - د. أحمد شلبي - ص ٤٩).

الوسائل التعليمية المستخدمة في الكتاب:-

يستخدم في الكتاب وسائل تعليمية مثل الألواح وهذا ما يشير إليه ابن سحنون حيث يقول (من ألواحهم)⁽¹⁾ وهنا يضعنا ابن سحنون أمام تساؤل عن كيفية استخدام الألواح وما هي طريقة مسح الألواح الشرعية؟ وهل يجوز مسح الألواح بالرجل أم؟ ما هو موقف الشرع من ذلك؟

يجيب عن كل هذه التساؤل ابن كنون من خلال ما يكره محوه من ذكر الله تعالى وما ينبغي أن يفعل من ذلك حيث يقول «حدثني محمد بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن مسعود، عن زيد بن ربيع، عن بشر بن حكيم، عن سعد بن هارون عن أنس بن مالك قال إذا محت صبية الكتاب (تنزيل من رب العالمين) من ألواحهم بأرجلهم، بنذ المعلم إسلامه خلف ظهره، ثم لم يبال حيث يلقي الله علي ما يلقاه عليه»⁽²⁾.

من النص السابق يتبين لنا أن مسح الألواح بأرجلهم لا يجوز وهذا مخالف للشرع، لأن هذه الكتابة هي كلام الله سبحانه وتعالى.

ثم يستشهد ابن سحنون بطريقة الأئمة الأربعة (الخلفاء الراشدون) فيقول «قيل لأنس: كيف كان المؤدبون علي عهد الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم؟ قال أنس: كان المؤدب له أمانة، ولكل صبي يأتي كل يوم بنويته ماء طاهراً فيصبونه فيها، فيمحوون به ألواحهم، فقال أنس: ثم يحفرون حفرة في الأرض، فيصبون ذلك الماء فيها فينشف»⁽³⁾.

أما عن إنتشارها ومكان وجودها فيقول د. أحمد فؤاد والأهواني في كتابة التربية الإسلامية «وق انتشرت الكتاتيب في المدن والقرى المختلفة قرب المساجد أو بعيداً عنها، ولكنها في كل الأحوال ليست داخل المساجد حفاظاً عليها من عبث هؤلاء الأطفال أو

(1) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص 79.

(2) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(3) المصدر السابق - نفس الصفحة.

إهمالهم، إذ يقوم المعلم باستئجار الكتاب للعمل فيه وحده، أو معه معلم آخر إذا كان عدد الصبيان كبيراً»^(١).

وبالرغم من انتشار الكتاتيب إلا أن ابن سحنون الفقيه حدد لها وقفاً معلوماً لتعليم الصبيان فيها، وهذه من واجبات المعلم حيث يقول «وليجعل الكتاب من الضحى إلي وقت الانقلاب، ولا بأس أن يجعلهم يملي بعضهم علي بعض، لأن ذلك منفعة لهم»^(٢).

ولعل هذه الكتاتيب مكان للتهذيب والحبس والضرب فيقول أبو نواس:

عندها صاح حبيبي يا معلم لا أعود
قُلْتُ يا حفص اعف عنه إنه سوف يُجيدُ^(٣)

فيما سلف ذكره يتضح لنا أن الكتاب من المدارس الأولية لتحفيظ القرآن الكريم فيقول د/أحمد شلبي «وكان منهاج المدرسة الأولية (الكتاب) يذكر في القرآن الذي كان يقوم مقام كتاب للمطالعة ليتعلم التلاميذ القراءة ثم يختارون منه ما يكتبون ليتعلموا الكتابة، ومع القراءة والكتابة كان التلاميذ يتعلمون قواعد اللغة العربية وقصص الأنبياء وبخاصة أحاديث الرسول»^(٤).

ويتناول التعليم أيضاً في الكتاب القراءة والكتابة والقرآن واللغة «وكان ذلك في العصر الأموي بالضرورة، وبعض المكاتب كان ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن، وبعضها كان يعلم فيه أيضاً اللغة وما إليها. قال ابن قتيبة: ومن المعلمين علقمة بن أبي علقمة مولي عائشة، كان يروي عنه مالك بن أنس، وكان له مكتب يعلم فيه العربية والنحو والعروض، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور، وبعض المعلمين كانوا يعلمون حسبة، لا يأخذون علي تعليمهم أجراً»^(٥).

(١) التربية في الإسلام د. أحمد فؤاد الأهواني ص ٥٢ نقلاً من كتاب أخلاقيات المهنة في الحضارة الإسلامية - د.موقف سالم نوري - دار ابن كثير - الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م ص ١٩٦.

(٢) التربية الإسلامية د. أحمد شلبي ص ٤٨.

(٣) ضحى الإسلام - د. أحمد أمين - ٢ - ص ٥٢.

(٤) التربية الإسلامية نظماً - فلسفتها - تاريخها - د. أحمد شلبي ص ٤٦.

(٥) ضحى الإسلام - د. أحمد أمين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الثانية الجزء الثاني - ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨. ص ٥٠.

ومن أهم الطرق التربوية المتبعة في الكتاب «طريقة الثواب والعقاب» حيث أنه يستخدم الضرب والحبس وقد صَوَّر أبو نواس فيه تصويراً لطيفاً كعادته فقال:

إِنِّي أَبْصَرْتُ شَخْصاً	قَدْ بَدَأَ مِنْهُ صُدُودٌ
جَالِساً فَوْقَ مُصَلِّي	وَحِوَالِيهِ عَيْبٌ
فَرَمَى بِالطَّرْقِ نَحْوِي	وَهُوَ بِالطَّرْقِ يَصِيدُ
ذَاكَ فِي مَكْتَبِ حَقْصٍ	إِنْ حَفْصاً لَسَعِيدُ
قَالَ حَفْصٌ اجْلِدُوهُ	إِنَّهُ عِنْدِي بَلِيدُ
لَمْ يَزَلْ مُذْ كَانَ فِي الدَّرِّ	سَ عَنِ الدَّرْسِ يَحِيدُ
كَشَفَ عَنْهُ خَزُوزُ	وَعَنِ الخَزْرِ بَرُودُ ^(١)

الآراء التربوية عند ابن سحنون والتي يقوم المعلم بتطبيقها:-

مبادئ التربية في الإفادات الفقهية فما هي؟

«السؤال المرفوع هنا: ما هي المبادئ التي تقدمها دائرة الفقهيّات في تربية الولد؟ إنها تقدم مبادئ عدة منها ما تشكل إضاعات عقيدية، ومنها ما تكون قواعد للسلوك والتعامل. فمن الإضاعات العقيدية التي تحكم تفكير الولد فكرة الإيمان بوحدة الدارين: الدنيا والآخرة»^(٢).

(١) المرجع السابق-ص ٥١* أما عن المكان الذي كان يوجد به الكتاب من هذه النوع، فقد وردت توصيات كثيرة بالألا يكون في المسجد، ومن ذلك ما قاله الإمام مالك حينما سئل عن ذلك لا أرى ذلك يجوز لأن

الأفعال لا يحتفظون من النجاسة [التربية الإسلامية-د. أحمد شلبي-ص ٥٣]

(٢) مبادئ التربية الفقهية عند ابن سحنون تعبر عن بنية المنهجية الإسلامية والتي تشمل التراث والوحي وهناك ضوابط للتعامل مع التراث مثل الالتزام بقدر كبير من الورع والإخلاص لله تعالى، وتحري الأمانة الموضوعية في التعامل مع النصوص التراثية خاصة نصوص الوحي، وعمق الوعي الحضاري ويشمل الفهم والتحميص لمستجدات العصر لمعرفة موقعها من ضوابط العقيدة (في هوية التربية الإسلامية د. مصطفى رجب ص ٢٢)

- تعلم الصبيان الأدب:

وعلي أساس هذه الفكرة صاغ ابن سحنون في رسالته آداب المعلمين أي علي المعلم أن يعلم الصبيان فيقول «وليعلمهم الأدب فإنه من الواجب عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم»^(١).

- تعلم الصبيان الصلاة: [الفقه]

وهكذا تنبثق الحاجة إلي الشريعة والمبادئ الفقهية لتعلمها للصبيان حيث يقول ابن سحنون: «وينبغي أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر والوتر وصلاة العيدين والاستسقاء والخسوف حتى يعلمهم دينهم الذي تعبد الله به وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم»^(٢).

يجب تمسك المعلم بالأحكام الفقهية:

وإذا كان ابن سحنون يؤكد علي تعليم المبادئ الفقهية والأحكام الشرعية في سنن الصلاة، وناخذ ونتعلم ذلك من نبراس العلماء والفقهاء لذلك نجد أن السنن والآثار تنبهننا إلي فضل الفقيه وأهمية علمه، فلقد «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن يدينا الدقاق، أخبرنا هرون بن عبد الله المزار، أخبرنا يزيد بن هرون، أنيأنا زيد بن عياض، عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما عبد الله بشئ أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد علي الشيطان من ألف عابد ولكل شئ شئ عماد، وعماد الدين الفقه»^(٣)*

(١) آداب المعلمين-ابن سحنون مخطوط منشور في كتاب الفكر التربوي عند ابن سحنون -مصدر سابق ص٨٤

(٢) المصدر السابق-ص٨٦.

مبادئ التربية الفقهية عند ابن سحنون تعبر عن بنية المهنجية الإسلامية والتي تشمل التراث والوحي وهناك ضوابط للتعامل مع التراث مثل الالتزام بقدر كبير من الورع والإخلاص لله تعالي، وتحري الأمانة الموضوعية في التعامل مع نصوص التراثية خاصة نصوص الوحي وعمق الوعي الحضاري ويشمل الفهم والتمحيص لمستجدات العصر لمعرفة من ضوابط العقيدة(في هوية التربية الإسلامية د.مصطفى رجب ص٢٢).

* الخطيب الفقيه والمتفقه ح، ٢-ص٧

(٣) أخلاق العلماء-الأجري -مصدر سابق-ص٣٦

و«أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو بكر أبي داود، أخبرنا عمرو بن عثمان، أخبرنا الوليد بن مسلم، عن روح بن جناح، عن مجاهد، عن أبي عباس، عن النبي ﷺ قال: فقيه واحد أشد علي إبليس من ألف عابد»^(١)

ومن واجبات الفقيه أن يبتعد عن الغرائب والشبهات لذلك قالوا: من طلب ثلاثة لم يسلم من ثلاثة: من طلب المال بالكيمياء لم يسلم من الإفلاس، ومن طلب الدين بالفلسفة لم يسلم من الزندقه، ومن طلب الفقه بغرائب الحديث لم يسلم من الكذب^(٢).

والأحكام الفقهية تساعد علي ما يلي:-

- ١- يؤكد ابن سحنون علي تمسك المعلم بالأحكام الفقهية حتى يستطيع توضيح الخصائص المميزة لدراسة المنهج التربوي المختص بالأهيات.
- ٢- توضيح الضوابط والأسس التربوية، والكشف عن أهم المبادئ والتوجيهات التربوية، من خلال تدريس مقر طرق التدريس.
- ٣- يتناول المعلم مفهوم التربية كفكر أصل ونظرية جديدة تحدد غاية الإنسان، والتعمق في فهم الطبيعة الإنسانية، وتنمية مهارات وقدرات الأطفال، وإعدادهم لعلاقات اجتماعية ناجحة وتعريفهم بحقوقهم.

تعلم الصبيان قواعد السلوك مثل آداب الأكل:

ويتضح لنا مما سبق حرص الإمام الغزالي علي تعليم الصبي قواعد السلوك مثل آداب الأكل حيث يقول «غسل اليدين قبل الطعام وبعده، والتسمية والأكل باليمين ومما يليه ويصغر اللقمة، وإجادة المضغ، وقله النظر إلي وجوه الحاضرين، ولا يأكل متكئاً، ولا يأكل

(١) المصدر السابق- نفس الصفحة

(٢) العقد الفريد- ابن عبد ربه- كتاب الياقوتة في العلم والأدب ح٢-ص٢٥٧.

** العلاقات الاجتماعية:- وهي التي تعبر عن البناء الاجتماعي التي تتكون من مجموعة من الأنساق المترابطة والمتفاعلة فيما بينها داخل هذا البناء وهو بمثابة نظم لبناء المجتمع واستمراره

فوق الشبع وفوق الجوع، ويعتذر إذا شبع حتى لا يخجل الضيف أو من به حاجة. ويأكل من جوانب القصعة ولا يأكل ليلاً ينقص علي الحاضرين»^(١).

تعليم الصبي القرآن الكريم:

وعن تلك الشرائط أشرنا إليها آنفاً يؤكد ابن حجر الهيتمي في كتابه تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدب الأطفال، فيؤكد في المقصد الأول علي الأحاديث الدالة علي شرف أهل القرآن فيقول «أخرج الديلمي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إذا ختم العبد القرآن صلي عليه عند الختمة ستون ألف ملك»^(٢) ويقول أيضاً «أخرج البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم قال: أفضل عباده أمتي تلاوة القرآن» وفي رواية لابن قانع: «أفضل العبادة قراءة القرآن»^(٣).

شروط تعليم القرآن الكريم:

وعن تعليم القرآن وأهميته يقول الشيزري « وأول ما ينبغي للمؤدب أن يعلم الصبي السور القصار من القرآن، بعد حذفه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل، ويُدرّجه بذلك حتى يألفه طبعه ثم يُعرِّفه عقائد أهل الشُّعبة والجماعة، ثم أصول الحساب، وما يستحسن من المراسلات والأشعار دون سخيها ومستزئها، وفي الرواح يأمرهم [المؤدب] بتجويد علي المثال، ويكلفهم عرض [ما] أملاه عليهم حفظاً غائباً لا نظراً. ومن كان عمره فوق سبع سنين أمره [المؤدب] بالصلاة في جماعة لأن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «علموا صبيانكم الصلاة [السبع] واضربوهم علي تركها لعشر» ويأمرهم [المؤدب] بـ

(١) رسالة الأدب في الدين - الإمام الغزالي - مخطوط منشور ضمن كتاب الفكر التربوي عند الغزالي د. عبد الأمير شمس الدين - ص ٢٤٤.

(٢) تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها منشور ضمن كتاب التراث التربوي الإسلامي في خمس مخطوطات - ص ٢٢٢.

(٣) المصدر - السابق - ص ٢٢٣.

والوالدين، والأنقياد لأمرها بالسمع والطاعة، والسلام عليهما وتقبيل أيديهما عند الدخول إليهما»^(١).

وقال أبو الحسن، والماهر بالقرآن يؤمر بترتيله. قال الله عز وجل: «يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً...إلي قوله: ورتل القرآن ترتيلاً»

والقرآن الكريم أساس اللغة العربية، لذلك جعل ابن سحنون تعليم القراءة والخط الحسن والشكل والهجاء من العلوم الإجبارية، ومن واجبات المربي (المعلم) تعليم اللغة العربية «إن المربي الذي يحارب تعليم الجيل بلغته العربية إنما يقترف بحق طلابه جرماً كبيراً يفصل عقولهم عن التفكير باللغة العربية الأم، ويسهم في تغريب العلوم بدل تعريبها أن المربي الذي لا يحرص علي تنمية الثقافة الأساسية العامة في نفوس طلابه، من عقيدة ولغة وتاريخ، إنما يسهم في تحلل شخصياتهم ومسخها، بدلاً من تميمتها وصيانتها»^(٢).

يتبين لنا من النص السابق واجبات المعلم تجاه تعليم اللغة العربية، وعدم التقصير فيها، ويجب عليه تعليم الخط «قال إبراهيم بن عباس لغلام بين يديه يعلمه الخط: ليكن قلمك صلّاباً بين الدقة والغلط ولا تبره عند عقده فإن فيه تعقيد الأمور، ولا تكتب بقلم ملتوي، ولا ذي شق غير مستوي، وإن أعوزك البحري والفارسي واضطرت إلي الأقلام النبطية فاختر منها ما يميل إلي السُمرة»^(٣).

الردائل التي يبتعد عنها المعلم:-

ولعل من المفيد الإشارة إلي أن النصوص السابقة التي تحمل تحديداً لنوعية العلاقة بين المعلم والمتعلمين، وهي بتقديرنا مسألة في غاية الأهمية واليوم ما أحوجنا إليها لكي يتم التقدم والتطور في العملية التعليمية، لذلك يشير القرآن الكريم إلي آيات كثيرة تشجع المعلم علي نفي الكبر والعجب والخيلاء قال تعالى: «سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ

(١) نهاية الرتبة في طلب الحسبة عبد الرحمن نصير الشيزري-تحقيق د/السيد الباز العريني ص-١٠٣

(٢) أزمة التربية في الوطن العربي- د.أسحاق أحمد فرحات ص-١٧.

(٣) صبح الأعشافي ضاعه الإنشا- الفلقشندي -١٠، ص-٤٧٩، ٤٨٠.

فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ^(١) وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(٢) وَقَالَ تَعَالَى ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٣) ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾^(٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٥)^(٦).

وهناك أحاديث تشير إلي البعد عن العجب «وأخرج الشيخان: بينما رجل يمشي في حله تعجبه نفسه رجل-أي مشط-رأسه مختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلي يوم القيامة» وقال تعالى: (الكبرياء ردائي والعز إزاري من نازعني في شئ منهما عذبتة)^(*) وفي الطرابي (لو كان العجب رجلاً لكان رجل سوء)^(**)^(٧).

ويتناول ابن سحنون رذيلة الظلم وعدم المساواة بين المتعلمين فيقول: " عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: أيما مؤدب ولي ثلاثة صبيه من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية، فقيرهم مع غنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين"^(٨).

من النص السابق يتضح لنا أن ابن سحنون يبين لنا رذيلة الخيانة عند المعلم، أما عن الظلم فيقول: " عن موسى عن فضيل بن عياض، عن ليث، عن الحسن قال: إذا قوطع المعلم علي الأجرة فلم يعدل بينهم، يعني الصبيان - كتب من الظلمة"^(٩).

ويتناول بعد ذلك القابسي بعض الرذائل فيقول: " وقال عز وجل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۗ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ۗ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرُّجُسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأنعام آية: ١٢٥ "^(١).

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٦.

(٢) سورة إبراهيم: آية ١٥

(٣) سورة غافر: آية ٣٥

(٤) سورة النحل: آية ٢٣

(٥) سورة غافر آية ٦٠

(٦) الزداجر عن اقتراف الكبائر-الأمام ابن حجر المكي الهيثمي-تحقيق محمد محمود عبد العزيز وآخرون- ط١ دار الحديث القاهرة-د.ت ط١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.ص-١٢٠

(*) أخرجه أحمد ٢٤٨/٢ وأبو داود ٤٠٩٠/٤ وقال الألباني صحيح من حديث أبي هريرة

(**) تذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٨٣٦) من حديث عائشة وقال: ضعيف جدا

(٧) المصدر السابق- نفس الصفحة

(٨) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٣٥٣.

(٩) المصدر السابق- نفس الصفحة

ابتعاد النفس الإنسانية عن العُجب:

ولا يمكن العجب والسوء في طلب العلم إلا من خلال طهارة النفس ولذلك يقول الإمام الغزالي «أما المتعلم فوظائف كثيرة: الوظيفة الأولى أن يقدم طهارة النفس عن ردى الأخلاق فكما لا تصح عبادة الجوارح في الصلاة إلا بطهارة الجوارح».

والعلم عبادة النفس، وفي لسان الشرع عبادة القلب، فلا يصح إلا بطهارة القلب خبائث الأخلاق، وأنجاس الصفات:

قال عليه السلام: «بني الدين علي النظافة» وهو كذلك باطناً، كما أنه كذلك ظاهراً. وقال تعالى: [إنما المشركون نجس] (٢).

والعجب من علامات الجاهل وقالوا ما جاء في ذم الحمق والجهل قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الجاهل يظلم من خالطه، ويعتدي علي من هو دونه، ويتناول من هو فوقه، ويتكلم بغير تمييز، وإن رأي كريمة أعرض عنها».

وقال أبو الدرداء: علامة الجاهل ثلاث: العُجب، وكثرة المنطق، وأن ينهي عن شئ ويأتيه. وكان يُقال: لا تغررك من الجاهل قرابة، ولا أخوة ولا إلف، فإن أحق الناس بتحريق النار أقربهم منها (٣).

وقيل: لا تصطحب الجاهل فإنه يريد أن ينفكك فيضرك.

ولبعضهم: لكلّ داء دواء يستطيع به إلا حماقة أعينيت من دأويها

ولأبي العتاهة: أحرص الأحق أن تصحبه إنما الأحق كالثوب الخلق

كلما رقته من جانب زعزعته الريح يوماً فأنحرق (٤)

(١) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - ص ٢٦٨.

(٢) ميزان العمل - الإمام الغزالي - ص ٣٤١، ٣٤٢.

(٣) العقد الفريد - ابن عبد ربه - كتاب البياقوتة في طلب العلم والأدب - ح ٢ - ص ٣٥٧.

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة.

إذن من شروط النسق التربوي ترك العُجب والتكبر، ويجب علي المُعلم الابتعاد عنهم لكي يتأسس المُعلم علي فهم جديد للطبيعة الإنسانية يتناسب مع المناهج التربوية وقيام علم النفس علمي لنشوء علوم اجتماعية خلقية جديدة، ومناهج دراسية متميزة.

التمسك بفضيلة التواضع:

والذي يبتعد عن العُجب والكبر** هو المعلم العاقل الذي يستخدم المنهج العلمي الصحيح في نشر الفضائل التربوية لذلك يقول ابن حبان البستي في ذكر الحث علي لزوم التواضع ومجانبة الكبر «قال ابو حاتم الواجب علي العاقل لزوم التواضع ومجانبة الكبر ولو لم يكن في التواضع خصله تحمُدُ إلا أن المرء كلما تواضعه إزداد بذلك رفعه لكان الواجب عليه إلا يتزياً بغيره»^(١) وقال النبي ﷺ: يقول الله تبارك وتعالى: العظمة إزارى والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما قصمته وأهنته.

وهناك أدوية للعجب بمعنى أن العجب مرض يصيب المُعلم ويجعله مغروراً بنفسه بعيداً عن بحور العلم لذلك يقول ابن جماعه: «ومن أدوية العُجب يذكر أن علمه وفهمه وجوده ذهنه وفصاحته وغير ذلك من النعم، وفضل من الله عليه وأمانه عنده ليرعاها حق رعايتها، وأن معطيه إيّاها قادر علي سلبها منه في طرفه عين كما سلب بلعام ما علمه في طرفه عين. وما ذلك علي الله بعزير (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ)»^(٢)

الطرق العلمية الصحيحة في نشر العلم:

وفي غضون هذا البحث سوف نتناول أخلاق المعلم عند ابن سحنون والقباسي وكذلك المعلم المغرور الذي لا يعلم بعلمه ولا ينفعه الله بعلمه حيث «قال محمد بن الحسين قد تقدمت الأخبار عن النبي ﷺ وعن صحابته رضي الله عنهم وعن أئمة المسلمين-

(**) قال عليه السلام: لا يدخل القدس متكبراً، وقال بعض الحكماء يستقر الكبر فيمن خلق من تراب، وطوي علي القدر، وجري مجري البول، وقال الحسن. عجا لابن آدم كيف يتكبر وفيه تسع سموم كلها يؤذي

(١) مختصر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي-حققه أسعد سالم مصدر سابق-ص ٥١.

(٢) ابن جماعه: تذكره السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم-في آدابه في نفسه-مصدر سابق-ص ٧٧.

رحمهم الله - بصفة علماء في الظاهر، لم ينفعم الله بعلم، ممن طلبه للفر، والرياء، والجدل، والمراء، وتأكّل به الأغنياء وجالس به الملوك، وأبناء الملوك لينال به الدنيا فهو ينسب لنفسه إلي أنه من العلماء، وأخلاقه أخلاق أهل الجهل والجفاء، فنته لكل مفتنون، لسانه لسان العلماء، وعمله عمل السفهاء»^(١).

وفي الآثار والسنة المحمدية نجد كثيراً من الأحاديث النبوية التي تشير إلي شروط طلب العلم، وعدم الغرور به، والعمل بإخلاص لله، و«عن خالد دريك، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلّم علماً بغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده في النار»^(٢).

ويحذرنا الإمام الغزالي من التكبر في طلب العلم لكي يجب علي المتعلّم أن يتمسك بالأخلاق والتواضع للعلماء حيث يقول «أن لا يتكبر علي العلم وأهله، ولا يتأثر علي المعلم، بل يلقي إليه بزمام أمره، في تفضيل طريق التعلم، ويذعن لنصحه إذعان المريض للطبيب، أما التكبر علي العلم فأن يستكف من استفادته ممن يعرفه، وهو عين الحق، بل الحكمة ضالة كل حكيم، فحيث يجدها ينبغي أن يغمتمها، ويستفيدها، ويتقلد بها المنة

فالعلم حرب للفتي المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

فلا بد من التواضع، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي يكون مشتعلا بالعلم وهو المراد بمن له قلب، أو كان فيه من العقل ما يحمله علي إلقاء السمع، وحسن الإصغاء، والضراعة»^(٣).

ونجد أن استخدام التواضع والرفق واللين في العملية التربوية تساعد المعلم علي تحليل الأفكار والتفكير المستقل والانفتاح الذهني وتحمل المسؤولية تجاه الطلبة والتسامح معهم يؤدي إلي تطبيق نسق تربوي سليم.

(١) أخلاق العلماء - الأجرى - ص ٧٢

(٢) المصدر - السابق - نفس الصفحة

(٣) ميزان العمل - الإمام الغزالي - مصدر سابق - ص ٣٤٤، ٣٤٥.

فيما سلف ذكره تحدثنا عن سيكولوجية العلاقة بين المعلم والمتعلم، تبين لنا أن هذه العلاقة لا يمكن أن تتم إلا بتجنب المعلم الرذائل مثل الكبر والعجب والخيلاء وأيضاً لا بد أن يبتعد عن مواطن الشبهة وهي كما يلي:

تجنب مواطن الشبه والتهمة:

المعلم العاقل* هو الذي يميز بين الصواب والخطأ وبين الحلال والحرام، ولا بد أن تبقى الشبهات حتى يتمسك بالفضائل الأخلاقية الحميدة وتظهر عليه السكينة والوقار واحترام المتعلمين له حيث يقول البستي «العقل اسم يقع علي المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتنب الخطأ، فإذا كان المرء في أول درجته سمي أديباً ثم أريباً ثم لبيباً ثم عاقلاً وكذلك الجاهل يقال: له في أول درجته: المائق ثم الرقيق ثم الأنوك ثم الأحمق»^(١).

وهناك طرق تربوية فقهية لا بد أن يتمسك بها المعلم لكي يبتعد عن مواطن الشبهة، ويتم ذلك من خلال عقله المستتير بضوء العلم حيث يقول البستي «وأول شعب العقل هي لزوم تقوي الله عز وجل وإصلاح السريرة لأن من صلح جوانية* أصلح الله* برانية ومن فسد جوانية أفسد الله برانية، واعلم أن قطب الطاعات للمرء في الدنيا هو إصلاح السرائر وترك أفساد الضمائر والواجب علي العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره وحركته وسكونه»^(٢).

(*) العاقل من يستدل بأسرار الوجوه علي أسرار القلوب، العاقل من يري بأول آخر الأمور ويهتكم من مبهاتهما ظلم الستور، العاقل من يستنبط دقائن القلوب، ويستخرج ودائع الغيوب، العاقل من عرف مكانه وحده، وعلم

محلة وخطة [كتاب العقد النفيس ونزهة الجليس - التعايش] ص ١٨

(١) مختصر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لأبن حبان البستي - مصدر سابق - ص ٢١

(٢) المصدر السابق ص ٢٨.

كيفية ترك مواطن الشبهة والتهمة عند المعلم؟:-

ومن خلال الفقرات السابقة نلاحظ أن من واجبات المعلم البعد عن الشبهات وعدم المباهاة بالعلم وقد حذرنا الرسول ﷺ و«عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتجتروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار»^(١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه»^(٢).

وأخبرنا أبو بكر، وأخبرنا أبو بكر بن أبي داود، وأخبرنا أيوب بن محمد الوزان، وأخبرنا غسان -يعني ابن عبيد- عن عثمان البري عند سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه» وأخبرنا أبو بكر «أخبرنا الفريري» أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد، أخبرني أبي قال: سمعت الأوزاعي يقول: «كان يقول: ويل للمتفهمين لغير العبادة، والمستحلين لحرمان بالشبهات»

وقال الفضل: «العلماء كثير، والحكماء قليل، وإنما يراد من العلم الحكمة، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»^(٣) بمعنى أن العالم وجب عليه التمسك بالحكمة ونور العقل لذلك وجب علي العلماء أن يتميزون بالعقول المستتيرة، والعقل أمر هام في عملية التعلم «قال النبي ﷺ: العقل نور في القلب يفرق بين الحق والباطل، وبالعقل عرف الحلال والحرام، وعرفت شرائع الإسلام ومواقع الأحكام، وجعله الله نوراً في قلوب عباده يهديهم إلي هُدي ويصدهم عن روي ومن جلاله قدر العقل أن الله تعالى لم يخاطب إلا ذوي العقول فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي عاقلاً. وقال

(١) الخطيب في الفقيه والمتفقه باب إخلاص النية ح ٢ ص ٨٨.

(٢) رواة ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله باب ذكر استعادة رسول الله صلي الله عليه وسلم من علم لا ينفع وسؤاله العلم النافع ح ١ ص ١٦٢.

(٣) أخلاق العلماء -الأجري -مصدر سابق ص ٧٣، ٧٤، ٧٥.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي لمن كان له عقل وقال صلي الله عليه وسلم: قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له»^(١) كل هذه الآثار والآيات القرآنية تنبهنا إلي استخدام العقل في النسق التربوي الذي يساعد المعلم علي تكوين الأحكام وهو أساس إستراتيجية التعليم، والإنصات للآخرين وتحليل أفكار الطلبة ليقربهم بعضهم إلي بعض.

النتائج العلمية التي يترتب عليها من ترك رذيلة الشبهة والتهمة:

ومن النصوص السابقة يتبين لنا كيف يتجنب المعلم مواطن الشبهة والتهمة عن طريق ما يلي:

أ- لزوم تقوي الله عز وجل.

ب- إصلاح سريرة العالم أي ضميره الداخلي وهذا ما يسمي بالضمير الخفي

ج- المقصود بالجوانية أي جوهره الداخلي الباطني فإذا كان صالحاً أصلح الله له

ظاهرة وبذلك يتفق جوهره من مظهره وهذا ما نفقده اليوم في الحقل التربوي عن طريق اختلاف الجوهر عن المظهر، أعوذ بالله من طريق ذلك.

د- البعد عن إفساد الضمائر لأنها السبب في وقوع العالم في الشبهات.

ولكي يبتعد العالم عن مواطن الشبهة والتهمة يلزمه التمسك «بالمروءة» لأنها تجعله

يتجنب المال الحرام «أخبرنا محمد حدثنا أحمد بن الحارث حدثنا المرثي قال: قال مروان

بن الحكم لوهب بن الأسود: ما المروءة فيكم؟ قال: بر الوالدين وإصلاح المال»^(٢).

ونجد أن إصلاح المال لا يتم إلا عن طريق الزهد والبعد عن زخرف حياة الدنيا

وزينتها، ويصبح العالم بعيداً عن الشبهة بإتباع منهج الزهد: «حدثنا عبد الله حدثني أبي

حدثنا يونس حدثنا بقية عن الري بن ينعم عن مريع بن مسروق عن معاذ بن جبل أن

(١) العقد الفريد-ابن عبد ربة-ج٢-ص٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) المروءة- المرزبان المتوفي سنة ٣٠٩هـ- مصدر سابق-ص٥١.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما بعثه إلي اليمن: إياك والتنعّم فإنّ عباد الله ليسوا بالمتنعّمين»^(١).

ويقول ابن جماعه في شروط المعلم وآدابه في نفسه لكي يبتعد عن الشبهة «أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه، ويتحري الحلال في طعامه وشرابه ولباسه وسكنه، وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعياله ليستتير قلبه ويصلح بقبول العلم ونوره والنفع به»^(٢). تحذير العلماء من التمسك بمواطن الشبهة والتهمة:

وقد حذرنا العلماء والفقهاء من مواطن الشبهة والتهمة في طلب العلم ونشرة لغير الله، والابتعاد عن غرور حياة الدنيا، لذلك قال محمد بن الحسين: قول الفضيل -الله أعلم- الفقهاء كثير والحكماء قليل: يعني قليل من العلماء من صان علمه عن الدنيا، وطلب الآخرة، والكثير من العلماء قد افتتن بعلمه، والحكماء قليل كأنه يقول: ما أعز من طلب بعلمه الآخرة.

وأخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل، أخبرنا بشر بن الوليد، أخبرنا فليح بن سليمان، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعلم علماً مما ينبغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»^{(٣)*}.

وابتعاد المعلم عن الشبهة والتهمة يساعده علي تطوير الفكر الإنساني تكوين القيادات الفكرية، وتكوين الفكر المنطقي العقلاني عند الطلبة، وتشجيع التأمل في القضايا التربوية

(١) الزهد-أبي عبد الله ابن محمد بن خبيل الشيباني- مصدر سابق ص-١٤.

(٢) تذكرة السامع المتكلم في أدب العلم والمتعلم-ابن جماعه- مصدر سابق ص-١١١.

(*) الخطيب الفقيه والمتفقه باب إخلاص النية ح-٢ ص-٨٩.

(٣) أخلاق العلماء-الأجري-ص-٧٦.

وقد تناولنا فيما سبق موقف القرآن والآثار والسنة النبوية الشريفة من الشبهة والتهمة بالنسبة للمعلم والمتعلم، ولكن نفس الأمر وضوحاً وتربوياً نجد أن هناك أقوال للحكماء لا بد أن يتناولها العالم للابتعاد عن الشبهة:

أولاً من أقوال الحكيم أبو الريحان البيروني حيث يقول:

- المن يبطل إحسان المحسن
- ما اجتمعت عليه الألفة والعادة واصطلحت عليه العامة فلا تخالفه.
- مدرسة أخلاق العلماء تحيي السنة الحسنة، وتميت البدعة السيئة.
- السنن الصالحة علامات الخير والحق^(١) ويتم ذلك عن طريق العقل، لأن العقل يأمر بالعفاف وبالتقي... وإليه يأوي الحلم حين يؤول.

قال الحكيم ابو الحسن علي بن راماس العوفي (الفضائل مبدأ الخيرات، والرزائل أساس الشرور)^(٢)، والفضائل تنشأ من الضمير الخلقى، أي أن الإنسان هو الذي يختار فعله من خلال ضميره لذلك يستطيع أن يحاسب نفسه ويراجع ضميره ومن أهم الشروط أيضاً التي يجب أن يتبعها العالم لكي يبتعد عن الشبهة وهي ما يلي:

١. أن يكون عفيف النفس^(*)(١) ولعبد الله بن محمد: ثلاث من كن فيه حوي الفضل وإن كان راغباً عن سواها: صحة العقل، والتمسك بالعدل، وتنزية نفسه عن حقوقها.

(١) تاريخ حكماء الإسلام-البيهقي- مصدر سابق ص-٨٣

(٢) المصدر السابق ص-٨٤

(*) حسن النية: «وَأما النية فهي: إرادة تتعلق بإمالة الفعل إلي بعض ما يقبله لا بنفس الفعل من حيث هو فعل. ففرق بين قصدنا لفعل الصلاة وبين قصدنا لكون ذلك قربه، أو فرضاً، أو نفعاً، أو أداء، أو قضاء، إلي غير ذلك مما هو جائز. علي الفعل، بالإرادة المتعلقة، بأصل الكسب والإيجاد وهي المسماة بالإرادة عن جهة أن هذه الإرادة جميلة للفعل، إلي بعض جهاته الجائزة عليه فتسمي من هذا الوجه: نية فصارت الإرادة إذا أضيف إليها هذا الاعتبار صارت نية، وهذا الاعتبار-هو: تمييز الفعل عن بعض رتبته(الأمنية في إدراك النية-القرافي ص٩) [وقال عارف: من رأيت طلعتة منيرة فاستدل بذلك علي صفوة السريرة يتمناً إذا قوبل بالقبول شعر: وسنة الله من تخلص سريرته يعظم ويحمل بين الناس مشهدة فالوجه للقلب كالمرأة مطهرة والقلب للوجه كالمشكاه توقده»

٢. آدابه في نفسه «إن يحسن نيته ويظهر قلبه من الأناس، ليصلح لقبول العلم وحفظ واستمراره»^(٢) لأن النفس لطيفة مودعة في هذا القالب هي محل الأخلاق.
٣. قال بعض السلف: «لا يطلب أحد هذا العلم بعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح وقال أيضاً: لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس فقيل: ولا الغني المكفي، فقال: ولا الغني المكفي»^(٣)

البعد عن غرور الحياة الدنيا من صفات المعلم:

وعلي كل عالم وطالب للعلم أن يبتعد عن غرور الحياة الدنيا وزخرفها حيث يقول: الإمام الغزالي «أن يقلل علائقه من الأشغال الدنيوية، ويبعد عن الأهل، والولد، والوطن، فإن العلائق صارفه، شاغله] وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفة] وكما توزعت الفكرة، قصرت عن درك الحقائق، ولهذا قيل: [العلم لا يعطيك بعضه، حتى تعطية كلك، فإذا أعطيته كلك فإنك من إعطائه إياك بعضه علي خطر] والفكرة مهما توزعت علي أمور، كانت كجدل ماؤه منكشف منبسط، فينشقة الهوى والأرض، ولا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزرعة، وينتفع به»^(٤).

ومكتوب في الحكمة: إن العاقل لا يغتر بمودة الكذوب ولا يثق بنصيحته ويقال: المعجب لروح والعاقل منه في مؤونه. وأما العجب فإنه الجهل والكبر^(٥)

ويجب علي العالم أن يتمسك بأفضل المعرفة والمروءة ويبتعد عن الغرور لذلك «قيل لقس بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل لنفسه، قيل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه؟ قيل له: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء

(١) منية المرید في آداب المفید والمستفید- زين الدين بن أحمد العملي- ص ١٤٤.

(٢) المصدر السابق- ص ١٨٦.

(٣) المصدر السابق- ص ١٨٨.

(٤) ميزان العمل- الإمام الغزالي- ص ٣٤٣، ٣٤٤.

(٥) العقد الفريد- ابن عبد ربه- ح ٢، ص ٢٤٦.

وجهة. وقالوا: التفكير نور، والغفلة ظلمه، والجهالة ضلاله، والعلم حياه، والأول سابق، والآخر لاحق، من سعيد من وعظ بغيره»^(١)

والتكبر والغرور، يؤديان إلي الثناء الكاذب وهذا الإبقاء لهما عند العالم فقالوا: «ثلاثة لا بقاء لها: ظل الغمام، وصحبة الأشرار، والثناء الكاذب وقالوا: ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة: جالسوا الكبراء، وخالطوا الحكماء، وسائلوا العلماء»^(٢).

والعجب وهو إعجاب المرء بنفسه، لأن النفس الأمانة السوء هي أسباب الغرور والتكبر، فيجب الابتعاد عنها«وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: أخوف ما أخاف عليكم شح مطاع، وهوي متبع، وإعجاب المرء بنفسه»^(٣) والابتعاد عن الغرور يجعل التربية عملية هادفة غير حيادية تعمل كمحفز للحوار والبحث والمناظرة وبذلك يتم النسق التربوي بين المعلم والمتعلم في جميع الحقول التربوية، والأبحاث العلمية.

تحدثنا فيما سبق عن سيكولوجية العلاقة بين المعلم والمتعلم، وكيف يمكن تطبيق النسق التربوي بينهما في العملية التعليمية التربوية، وتناولنا البراهين الصادقة من القرآن والآثار والسنة والحكماء، ولكن هناك شروط تختص بوظيفة المعلم لكي يبتعد عن مواطن الشبهة والتهمة وهي ما يلي:

باعتباره قدوة حسنة:-

المعلم هو القدوة للمتعلمين في كل شيء، ويبدأ بنفسه بتطبيق الفضائل الأخلاقية مثل القناعة بالقوت البسيط والصبر علي طبق العيش والمال البسيط لذلك: يقول ابن جماعه: «أن يقنع من القوت بما تيسر وأن كان يسيراً، ومن اللباس بما ستر مثله وإن كان خلقاً. فالصبر علي ضيق العيش يناب سعة العلم ويجمع شمل القلب علي متفرقات الآمال ويتفجر منه ينابيع الحكم، وقال الشافعي: لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلاح

(١) المصدر السابق-ص ٢٥٥.

(٢) المصدر السابق- ص ٢٥٧.

(٣) المصدر السابق- نفس الصفحة.

ولكن من طلبه بذلّ النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفجح، وقال: لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس، قيل: ولا الغني المكفي؟ قال: ولا الغني المكفي، وقال مالك: لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد، حتى يضر به الفقر ويؤثر علي كل شيء^(١).

والمقصود ببذل النفس هنا هو: «عليك بالبحث عن جواهر النفس الشريفة»^(٢) والنفس الشريفة: هي النفس المطمئنة وليست الأمانة بالسوء.

أهم فضائل النفس الإنسانية وهي العلم، والأخلاق، الأدب:

والبحث عن جواهر النفس من الأمور العملية، فمن الواجب علي العالم أن يجامع نفسه من الشهوات ويقف ضدها مثل النفس الإمارة بالسوء فيقول الإمام الغزالي: «إما العملي: فمعرفة الله تعالى، ومعرفة الملائكة والأنبياء، أي معرفة النبوة ومراتبها، ومراتب الملائكة وملكوت السموات والأرض آيات الآفاق والأنفس، وما بث فيها من دابه»^(٣).

ويجب علي المتعلم المنتبغ الطرق التربوية الصحيحة أن يكون قصده في كل علم، كمال النفس، وتمسكها بالفضائل الأخلاقية فيقول الإمام الغزالي الآخرة التقرب إلي الله عز وجل، ولا يكون قصده الرياسة والمال ومباهاة السفهاء، وممارسة العلماء، فقد قال عليه السلام: [من تعلم العلم ليباهي به السفهاء، ويماري به العلماء دخل النار]^(٤).

وفي كتاب الياقوته في العلم والأدب لأبن عبد ربه يحذرنا من تحامل الجاهل علي العالم «قال النبي ﷺ: ويل لعالم أمر من جاهلة. وقالوا إذا أردت أن تقم عالماً فأحصره جاهلاً. وقالوا: لا تناظر جاهلاً. وقالوا: لا تناظر جاهلاً ولا لجوجاً، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلي التعلم بغير شكر»^(٥) والمعلم عند ما يتمسك بالأهواء والرغبات

(١) ابن جماعة: تذكره السامع المتكلم في آداب العلم والمتعلم - الباب الثالث في آداب العلم الفصل الأول: في آدابه في نفسه - مصدر سابق - ص ٤٨.

(٢) تاريخ حكماء الإسلام - البيهقي مصدر سابق ص ٤٨.

(٣) ميزان العمل - الإمام الغزالي - ص ٣٥٣، ٢٤٥.

(٤) المصدر السابق - ص ٣٦١.

(٥) العقد الفريد - ابن عبد ربه - ص ٢٠٠ - ص ٣٢٣.

الشخصية والبعد عن الموضوعية العلمية يصبح جاهلاً سفيهاً، لا يستفيد من مناظرته وعلمه، وعلاج فيما سبق عن طريق تفريج النفس، وإقامة الحجة عليها واللوم دليل ذلك حيث يقول الشاعر:

أبدأ بنفسك فانها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيمٌ

لا تته عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم^(١)

فقال حجة الإسلام: اعلم أن المعرفة معرفتان: معرفة حق ومعرفة حقيقة، فمعرفة الحق: هي الفرار من النفس، ومعرفة الحقيقة: هي الفرار من الله تعالى^(٢).

الشروط الواجبة في كسب المال الحلال:-

ومن شروط كسب* المال عند المعلم الخضوع والتملك وبذل المال بتواضع وخلق طيب ومن هناك شروطاً يحصل المعلم من خلالها علي السعادة حيث يقول ابن خلدون: «إن السعادة في الكسب وغيره، إنما تحصل غالباً لأهل الخضوع والتملق لأن الجاه لما كان مفيداً للمال، وكان موزعاً في الناس بحسب طاقتهم، كان بذله من أعظم النعم وأجلها وإذا ذلك لا يبذله صاحبة لمن دونه إلا عن يد عالية، فيحتاج مبتغيه إلي خضوع وملك وإلا فبتعذر حصوله وإذا حصل بتواضع هذا الخلق خطي بالسعادة في كسبه وغيره، كما يفوت المترفع عن هذا التواضع»^(٣).

وتجدر الإشارة هنا إلي للعلم ذكر أقوال ابن سحنون في كيفية المحاسبة علي أجر المعلم كل شهر أو كل سنه، أما عن أجر المعلم يقول ابن سحنون: «وهذا إذا كان المعلم

(١) رسائل في النفس-كشف اللبس عن دسائس النفس- نور الدين علي المنير-الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى-١٤١٠هـ-١٩٩٠م.ص،٥٥،٥٦

(٢) المصدر السابق- ص٦١.

(*) قال محمد بن عبد الله بن طاهر: لعمر ك ما بالعقل يُكسب الغني
وكم من قليل المال يُحمد فضله
وما سبقت من جاهل قط نعمه
وذو اللب إن لم يُعط أهدمت علته
ولا باكتساب المال يكتب العقل
وأخري ذي مال وليس له فضل
إلي أحد إلا أضر بها الجهل
وإن هو أعطي زلته القول والفعل
(٣) المقدمة-ابن خلدون-في العلوم وأصنافها وطرقه وسائر وجوهه- وفي اكتساب المعاش بالكسب والضائع وفيه سائل-ص١٩١،١٩٢ مصدر سابق

بأجر معلوم كل شهر أو كل سنة، وأما إن كان علي غير شرط. وما أعطي قَبْلَ، وما لم يعط لم يسأل فله أن يفعل ما شاء إذت كان أولياء الصبيان يعلمون بتضييعه، فهم إن شاؤوا أعطوا علي ذلك، وإن شاؤوا لم يعطوه»^(١) وتحديد الأجر عند ابن سحنون يجعل المعلم يضع التفاصيل اليومية في إطارها الأوسع لمصلحة العملية التربوية، وتساعد علي ربط الأمور ببعضها وتوضيح السبب مع المسبب، وتشجيع علي التدبر في عمل المرء.

أهم الصفات التي يتحلي بها المعلم:-

يقول أبو حاتم البستي في باب ذكر الحث علي لزوم العلم والمداومة علي طلب فيقول " الواجب علي العاقل إذا فرغ من إصلاح سريرته: أن يُتَيَّبَ بطلب العلم والمداومة عليه، إذ لا وصول للمرء إلي صفاء شئ من أسباب الدنيا إلا بصفاء العلم فيه، وحكم العاقل أن لا يُقَصَّرَ في سلوك حالة توجب له بسط الملائكة أجنحتها رضاً بضیعة ذلك"^(٢). وعلي أساس هذه الصفة السابقة يجب علي المعلم أن يكثر من المعرفة «وقال الخليل: «تكثر من العلم التعرف، وتقل منه لتحفظ» وقال عمر بن العزيز، ما قرن شئ إلي شئ أفضل من حلم إلي علم، ومن عَفُو إلي قدره»^(٣).

وقد ظهرت سمات العلم بوضوح تام في فضله والنظر إليه، واستمرارية العلم وزيادته عند العلماء يزيد من وقارهم وحسن هيتهم لذلك يقول الطرطوشي في طلب العلم «وإذا كان العلم فضيلة، فرغبة الملوك وذوي الأخطار والأقدار والأشراف والشيوخ فيه أولي، لأن الخطأ فيهم أقبح، والابتداء بالفضيلة فضيلة، وزوي أن بعض الحكماء رأي شيخاً يطلب العلم ويجب النظر فيه ويستحي فقال: يا هذا، أتستحي أن تكون في آخر عمرك، أفضل مما كنت في أوله؟ ولأن الصغير أعذر وإن لم يكن يستتكف ملك، أو ذو منزلة عليه من طلب علم؟ وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام إلي مجمع البحرين

(١) آداب المعلمين-ابن سحنون-الجزء الثالث-تشریح لبعض الحالات ص، ١٦٩.

(٢) سراج الملوك-الطرطوشي-ص١٩٥، ١٩٦،

(٣) البيان والتبيين -الجاحظ-ص١٧٧.

في أقصى المغرب علي بحر الظلمات إلي لقاء الخضر ليتعلم منه، فلما ظفر به قال ﴿هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾* (١).

ولا ريب أن مبدأ التوازن عند المعلم يتم من خلال تمسكه بالعلم والأدب، فيقول الثعالبي: «أشرف ما دعيت، والخير أفضل ما رعيت، العالم العاقل مرموق مرموق، قدر ما كان العالم موقراً والجاهل محقراً، من جميع بين الأدب والمال، فقد حاز جمل الجمال، لا يحسن ديباج الأدب ما لم يكن بالعقل مطرزاً، وبالقبول معزراً، الأديب لا يخالس من لا يجانس، الأدب وسيلة إلي كل فضلة، وذريعة إلي كل شريعة» (٢).

المسئولية والجزاء في أفعال المعلم:-

فيما مضى تحدثنا عن موقف المعلم من كسب المال، وهذا ما يسمى بشروط المسئولية الأخلاقية والدينية عند المعلم، وهي التي تعبر عن الطابع الشخصي للمسئولية: قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (٤) ويقول تعالى ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (٥) ويقول تعالى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (٦) (٧).

ومن شروط بعد المعلم عن الشبهة، أن يصاحب الصالح ويتجنب صاحب الشرير الفاسد حتى لا يوقعه في الشبهات فيقول العاملي «والذي ينبغي لطالب العلم أن لا يخالط إلا من يفيد أو يستفيد منه. فإن احتاج إلي صاحب فليحذر صاحب

(١) سورة الكهف-آية ٦٦

(٢) سراج الملوك- الطرطوشي- ص١٩٤، ١٩٥، ١٩٦.

(٣) من روائع الثعالبي- كتاب العقد النفيس ونزهة الجليس- ص١٨.

(٤) سورة البقرة-آية ٢٨٦.

(٥) سورة النساء:آية ١١١.

(٦) سورة الأسراء:آية ١٥.

(٧) سورة النجم:آية ٣٩.

(٨) دستور الأخلاق في القرآن الكريم د. عبد الله دراز- مصدر سابق ص١٤٨.

فلتختر الصاحب الصالح، الدينّ النقي الذكر، الذي أن نسي ذكره وأن ذكّر أعانه، وأن احتاج واساة، وأن ضجر صبره فيستفيد من خلقه ملكة صالحة»^(١).

التمسك بفضيلة العلم من أجل البعد عن قرناء السوء:

ولا يمكن تجنب الصاحب الشرير إلا من خلال استخدام العقل من التفكير الصحيح واجتناب المناهي والبعد عن المنكرات، وبذلك يصبح طالب العلم متمسكاً بالحكمة، والاستقامة، والقول الصالح

لم يُخلق العقلُ دراكاً لحكمته	لكن ليقبل ما يأتيه من حكمٍ
من اجتناب المناهي عن محاربه	وامتثال لأمر طاعة الخدم
ويستدل علي الباري بصفته	وانه الخالق الرزاق للأمم
ومبلغ العلم فيه أنه أحد	منزه عن صفات الخلق كلهم

وكيفية علاج مواطن الشبهة يتم عن طريق التمسك بالحلم ودفع السيئة بالحسنة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا نُو حَظٌّ عَظِيمٌ﴾ وعن النبي صلى الله عليه وسلم: ما تجرع عبد في الدنيا جرعه أحب إلي الله من جرعه غيظ ردها بحلم، أو جرعه مصيبة ردها بصبر^(٢).

ويجب استخدام فضيلة الحلم في تعليم الصبيان لذلك (قيل لقيس بن عاصم: ما الحلم؟ قال: أن تصل من قطعم؟ وتعطي من حرّمك، وتعفو عمن ظلمك، وقال لقمان

(١) منية المرید في آداب المفید والمستفيد-الباب الأول-في آداب المعلم والمتعلم- مصدر سابق ص ١٨٩.
(٢) الحكمة: وهي فضيلة النفس العاقلة، بها تسوس القوة الشهوية والقوة الفضية وتقدر حركاتها بالقدر -الواجب في كل الحالات كما أنه بالحكمة أيضاً تدر النفس الصواب من الخطأ فيما يأتي وتذر من الأفعال، [فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلتها بالفلسفة الاغريقية د. محمد يوسف موسي- مكتبة الخانجي - القاهرة- الطبعة الثالثة- ١٩٩٣م-ص ١٦٠].

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه -٢- ص ٢٧٥، ٢٨٦

الحكيم: ثلاثة لا تعرفهم إلا في ثلاثة: لا تعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عن الحرب، ولا تعرف أخاك إلا إذا احتجت إليه.

وفي شعر للحسن بن رجا يقول:

أحب مكارم الأخلاق جهدي	وأكره أن أعيب وأن أعبأ
وأصفي عن سباب الناس حُماً	وشر الناس من يهوي السبابا
ومن هاب الرجال تَهَيَّبوه	ومن حَقَّرَ الرجال فلن يهابا
ومن قضت الرجال له حقوقاً	ولم يقض الحقوق فما أصابا ^(١)

ومن أهم الفضائل التي يتمسك بها المعلم حسن الهيئة:

وحدد العاملي مجموعة خصائص ينبغي أن يتصف بها المعلم، وكذلك رسم مواصفات علاقة مثالية بين المعلم والمتعلم، وعيّن للمعلم الطريقة التي يسلكها في الدرس حيث يقول: «أن يخرج إلي الدرس الأكامل الأهبة وما يوجب له الوقار والهيئة في اللباس والهيئة والنظافة في الثوب والبدن. ويختار له البياض فإنه أفضل لباساً، ولا يعتني بفاخر الثياب بل بما يوجب الوقار وإقبال القلوب عليه، كما ورد النص به في أئمة المحافل من الأعياد والجماعات وغيرها»^(٢).

والهدف من حسن الهيئة هو توقير العلم: «وليقصد بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة، وليتطيب ويسرّح لحيته ويزيل كل ما يشينه»^(٣).

ومن حُسن الهيئة للعلماء زى خاص في كل بلد فهام الأساتذة عند الأفرنج يلبسون جبه العلم في المحافل الرسمية، ويلبسها بعضهم في أثناء إلقاء الدرس أيضاً^(٤).

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه - ٢ - ص ٢٨١، ٢٨٤

(٢) منية المرید في آداب المفید والمستفید - زين الدين العاملي - مصدر سابق ص ١٧٤.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٤) التربية عند العرب . د. خليل طومح - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ -

٢٠٠٤ م. ص ٥٢.

الفوائد العظمى من التمسك بحسن الهيئة عند المعلم:

فيما مضى تعرفنا من خلال النصوص علي التزام العالم بحسن هيئته لتعظيم شأن العلم والعلماء، واحترام العالم وتوقيره بين صفوة البشر يتم عن طريق التنافس بين أقواله وأفعاله وترتيب أفكاره تعطيه الهيئة والاحترام حيث يقول العاملي «أن يحترز من مخالفة أفعاله لأقواله، وإن كانت علي الوجه الشرعي، مثل أن يحرم شيئاً ويفعله أو يوجب شيئاً ويتركه، أو يندب إلي فعل شيء ولا يفعله»^(١)

وحسن الهيئة عند العالم تظهر علي من خلال علمه وأخلاقه وزيه وتطيبه، والمتعلمين هم مرآة العالم في كل شئ لأنه قدوة لهم وهناك تشبيه جميل ذكره العاملي في آداب يختص بها المعلم في نفسه حيث يقول «وبالجمله، فمثل العالم والمتعلم في انتفاشه بأخلاقه وأفعاله، مثل الفص والشمع، فإن لا ينقش في الشمع إلا ما هو منقوش في الفص. وقد شاهدنا هذا عياناً في جماعه من طلبة العلم مع مشايخهم علي اختلاف أفعالهم وأخلاقهم، ولا ينبئك مثل خبير»^(٢).

والمعلم هو الذي يخشي من الله بد (أما علمت أن الله عبداً أسكنتهم خشية من غير عمي، ولا بكم، وأنهم هم النبلاء، الفصحاء، الطلقاء، الألباء، العالمون بالله، وآياته، ولكنهم إذا ذكروا عظمه الله، انقطعت قلوبهم، وكلت ألسنتهم، وطاشت عقولهم، وأخلاقهم، فرقاً في الله، وهبة له)^(٣).

ونلاحظ أن العالم مسؤل عن علمه و«علموا أن الله - عز وجل - يسائلهم عن علمهم، ما علموا فيه، فجعلوا مسألة الله نصب أعينهم، فألزموا أنفسهم شدة الحذر، وأخذوا بالثقة في كل أمرهم»^(٤)

(١) منية المرید في آداب المفید والمستفید - زين الدين العاملي - مصدر سابق ص ١٥٩.

(٢) المصدر السابق - ص ١٦٠.

(٣) أخلاق العلماء - الأجرى ص ٦٧.

(٤) المصدر السابق ص ٦٨.

قال النبي: «إن مثل العلماء في الأرض كمثل نجوم السماء يُهتدي بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم يوشك أن تصل الهداة»^(*)

وينبغي علي المعلم أن يلتزم بالوقار والآداب في نشر العلم بين تلاميذه: «إذ الأدباء جلساء الحق، ومن لا أدب له، لا شهود له، ومن لا شهود له فهو يسبح في بحر الأفكار العقلية بالوسائط الخيالية وهي الحائر الذي لا ينتهي أبداً فهو يطلب ما لا يعطي حقيقته أن يطلب»^(١)

ومن حسن الهيئة عند العلماء أن يكون متفقهاً متقفاً، لأن علمه يعلي من همته وشأنه لذلك يقول الحكيم «العلم يعلي الهمة ويفيد المحاسن ويبسط اللسان»^(٢) علي تعلم اللغة لأن اللغة هي وعاء الفكر، وكلما صحت لغتك صح فكرك، وكلما عرفت عدداً من اللغات، أتيت لك أن تعرف الكثير من المعارف، وثمرات العقول في اللغة.

ويستدل العامل علي حسن هيئة المعلم من سيرة أصحاب السلف فيقول: «كان بعض أصحاب السلف إذا جاءه الناس لطلب الحديث يغتسل ويتطيب ويلبس ثياباً جداً ويضع رداءه علي رأسه ثم يجلس علي منصة ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ ويقول: أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٣).

كيفية تطبيق حسن الهيئة:

ويتم تطبيق حسن الهيئة عن طريق تهذيب النفس بالعلوم والأخلاق الحميدة:

وتري الكل فهو للكل بيت	هذب النفس بالعلوم لترقي
سراج وحكمة الله بزيت	إنما النفس كالزجاجة والعقل
وإذا أظلمت فإنك ميت	فإذا أشرققت فإنك حي

(*) الخطيب الفقيه والمتفقه ح ٢ ص ٧٠.

(١) رسالة كيفية السلوك إلي رب العالمين-الحكيم الترمذي -تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السامح الدار المصرية اللبنانية-الطبعة الأولى -١٤١٣هـ-١٩٩٣م. ص ٥٨.

(٢) تاريخ الحكماء -البيهقي- مصدر سابق ص ١٤٦.

(٣) منية المرید في آداب المفید والمستفید -العالمي- ص ١٧٨.

ويجب علي المعلم أن يخالف هوي النفس ليصبح معلماً مثالياً وقدوة حسنة للمتعلم
 إذا ما ودعتك النفس يوماً لشهوة وكان لها نحو الهواء طريق
 فخالف هواها ما استطعت فإنما هواها عدوٌ والخلافُ صديق
وقال الشاعر: وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل
 وقال العُتبيُّ عن أبيه: لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس: أن يكون عالماً، صادقاً، عاقلاً، ذا
 بيان، مستغنياً عن الناس، وقال الأحنف: لا مروءة لكذوب، ولا سُودد لبخيل، ولا قتع لسيئ
 الخلق، وقيل للأحنف، ما المروءة؟ قال العفة والحرفة، وقالوا المروءة: العفاف وإصلاح
 العيشة، وقيل لأبي هريرة: ما المروءة؟ قال: يقوي الله وتفقد الصيغة^(١).

ومن شروط حسن الهيئة عند المعلم إصلاح سريرته:

يقول البستي في باب: ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوي الله «فأول شعب العقل هو
 لزوم تقوي الله، وإصلاح السريرة، لأن من صلح جوانبه أصلح الله برانيته، ومن فسد
 جوانبه أفسد الله برانيته»^(٢)

وقال أبو حاتم: «قطب الطاعات للمرء في الدنيا: هو إصلاح السرائر، وترك أفساد
 الضمائر. والواجب علي العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته، والقيام بحراسة قلبه عند إقباله
 وإدباره، وحركته وسكونه لأن تكرر الأوقاف وتتحص الذات، إلا يكون إلا عند فساد. ولم
 لم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدي العاقل إلي استعماله: لا إظهار الله عليه كيفية
 سريرته، خيراً كان أو شراً، لكان الواجب عليه قله الإغفار عن تعاهدها»^(٣).

(١) العقد الفريد- ابن عبد ربه- ح- ٢- ص- ٢٩٢، ٢٩٣

(٢) روضة العقلاء نزهة الفضلاء - للأمام الحافظ أبي محمد بت حيان البستي تحقيق الشيخ خليل مأمون دار
 الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ص ١٩.

(٣) المصدر السابق - ص ٢٠.

«وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد: من إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا قدر عفاً وكفاً»^(١).

وحسن الهيئة عند المعلم تدل علي «عاطفة التعظيم والتوقير: وهي أحاسيس تدفع إلي تقدير شرف العلم ودراسته وتدريبه علي الوجه تبادلي بين المعلم وطلابه»^(٢) ويجب عليه التمسك بالتواضع لله، وحسن الأدب مع الخلق كلهم، وسخاء النفس.

وهذه الفضيلة التربوية يقول عنها النووي: «وينبغي أن ينظر إلي معلمة بعين الاحترام، ويعتقد كمال أهليته ورجحانه علي طبقته، فهو أقرب إلي انتفاعه به، ورسوخ ما سمعه في ذهنه. قال الشافعي: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحاً رقيقاً هيبه له. وقال الربيع: ما أجتأأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبته له»^(٣)

من النص السابق يتبين لنا أن حسن الهيئة عند العلماء تعبر عن الوفاق وشرف العلم والهيبة عند المعلم لذلك يقول الحكيم «تظهر أخلاق الحكماء علي من تعلم الحكمة* كما تظهر آثار الربيع علي البستان»^(٤)

وقيل في طبقات الرجال. قال خالد بن صفوان: الناس ثلاث طبقات: طبقة علماء، وطبقة خطباء، وطبقة أدباء، ورجرة بين ذلك يُغنون الأسعار، ويضيقون الأسواق، وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة: فرجل يدرس أنه يدرس فذلك عالم فسלוه، ورجل يدري ولا يدري أنه لا يدرك فذلك الناسي فذكروه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا

(١) سراج الملوك - الطرطوشي - ص، ٢٤٣.

(٢) في التراث التربوي دراسات نفسية تعليمية تراثية - نزيير حمدان مرجع سابق - ص ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٤) ومن نواذر الحكمة «وقالوا: التفكير نور، والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، والعلم حياة، والأول سابق، والآخر لاحق، والسعيد من وعظ بغيره» [العقد الفريد - ابن عبد ربه مصدر سابق ص ٢٥٥]

(٤) تاريخ الحكماء - البيهقي - مصدر سابق ص ١١٣.

يدري، فذلك الجاهل تعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذلك الأحمق فارفضوه. وقال النبي ﷺ: كُنْ عَالِماً مُتَعَلِّماً وَلَا تَكُنِ الثَّالِثَةَ فَتَهْلِكُ^(١).

وعلي هذا النحو يمكن أن نتتبع الجانب النقدي للعلم وهو الجهل، وأهل الجهل بمنزلة العميان «أنه سبحانه جعل أهل الجاهل بمنزلة العميان الذين لا يبصرون فقال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾^(٢)»

فما ثم ألا عالم أو أعمى وقد وصف سبحانه أهل الجهل بأنهم «صم بكم عمي في غير موضع من كتابه»^(٣)

ويجب علي المعلم بالسنة والعلم، ولا بد أن يتمسك بالعلم لأن بقاء الدين من بقاء العلم، لذلك يقول ابن الجوزية «أن بقاء الدين والدنيا في بقاء العلم وبذهاب العلم تذهب الدنيا والدين فقوام الدين والدنيا إنما هو بالعلم قال الأوزاعي: قال ابن شهاب الزهري: الاعتصام بالسنة نجاه والعلم يقبض قبضاً سريعاً فنحش العلم ثبات الدين والدنيا وذهاب العلم ذهاب ذلك كله»^(٤)

لذلك كان من الطبيعي أن يتحلي المعلم بالخصال التي هي جمال العقل ومن أهمها الحلم قال الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾^(٥) وقال تعالى ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٦) قال علي رضي الله عنه، الصفح الجميل: الرضا لا عتاب. وقيل: الصفح الجميل: الرضا لا توبيخ فيع ولا حقد معه وفي الأمثال القديمة: كان الحلیم أن يكون نبياً. ويروي أن رجلاً قال: يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن ولا يكثرن علي فأنسي، قال:

(١) العقد الفريد-ابن عبد ربه-٢-٢٩٣، ٢٩٤

(٢) رواة الإمام أحمد والبخاري والترمذي عن أبي هريرة.

(٣) سورة الرعد: آية رقم ١٩

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة. ابن قيم الجوزية- ص ٧٨

(٥) المصدر السابق - ص ٢٥٦.

(٦) سورة هود: آية ٧٥

(٧) سورة الحجر: آية ٨٥

(لا تغضب) * واعلم أن الحلم أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب، لما فيه من راحة السر، واجتلاب الحمد^(١)

ومن شروط حسن الهيئة عند العلماء التمسك بالفضائل الأخلاقية عند الجلوس مثل السكينة والوقار والتواضع لذلك يقول العاملي « أن يجلس بسكينة ووقار وتواضع وخشوع واطراق، ثانياً رجلية أو محتبياً غير متربع ولا مقع ولا غير ذلك من الجلسات المكروهة مع الاختيار. ولا يمد رجليه ولا أحدهما من غير عذر، ولا يتكى إلي جنبه ولا وراء ظهره ونحو ذلك. كل ذلك في حال الدرس. أما في غيره فلا بأس لأن الطلبة بمنزله أو لاداه»^(٢).

من النص السابق نجد أن فيه مصطلحات أخلاقية مثل السكينة والوقار والتواضع والخشوع وهذه المصطلحات تعبران عن الحكم الخلفي للمعلم والسبب هو أن المبادئ الأخلاقية طبيعية مكتسبة من خلال المجتمع وهي التي تعبر عن القواعد والسلوك * الإنساني، والنص السابق يشير أيضاً إلي أن الأخلاق نتقلها من بيئتها لأنها أساس التعود علي السلوك الأخلاق وتخضع للتطور الاجتماعي.

- الشروط الواجب توافرها من أجل التمسك بحسن الهيئة:

ومن مميزات حُسن الهيئة البعد عن الكبر «قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما قصمته وأهنته، وقال عليه السلام: لا يدخل حضرة القدس متكبراً»^(٣)

(*) رواية الإمام أحمد والبخاري والترمذي عن أبي هريرة.

(١) سراج الملوك- أبو بكر الطرطوشي ص- ٢٤٠

(٢) منية المرید في آداب المفيد والمستفيد آداب المعلم في دراسة- مصدر سابق ص- ١٧٥.

(**) هناك [السلوك الكلي، والسلوك الجزئي، والسلوك الاضطراري اللا إرادي هذا يعبر عن الإحساس الذي

يعبر عن العملية العقلية المعرفية الأولى تقوم علي استقبال المعلومات خلال أعضاء الحس في العالم

الخارجي أو الداخلي للإنسان]

(٣) العقد الفريد- ابن عبد ربه - ٢- ص- ٣٥١، ٣٥٢

وقال بعض الحكماء^(١) لأبنه: يا بني عليك بالترحيب والبشر، وإياك والتؤطيب والكبر، فإن الأحرار أحب إليهم أن يلقوا بما يحبون ويُحرموا، من أن يلقوا بما يكرهون ويُعطوا، فانظر إلي خصلة غطت علي مثل اللؤم فالزمها، وانظر إلي خصلة عفت علي مثل الكرم فاجتنبها. ألم تسمع قول حاتم الطائي:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي المحلُ جذبتُ

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكما وجه الكريم خصيب^(٢)

والسياق التربوي لحسن الهيئة يتم عن طريق التواضع وهذه ما نجده في أقوال النبي ﷺ والحكماء (قال النبي ﷺ: من تواضع لله رفعة الله، وقالت الحكماء: كل نعمة يُحسد عليها إلا التواضع. وقال عبد الملك بن مروان، رفعة إلي النبي ﷺ: أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة، وقال ابن السَّمَاك لعيسي بن موسى: تواضعك في شرفك أكبر من شرفك^(٣))

ومن مميزات حسن الهيئة في النسق التربوي عن ابن سحنون والقابسي هي ما يلي:

- ١- حسن الهيئة عند المُعلم يجعل المجتمعات الإسلامية بصفة خاصة لها أسلوب ونظام في التربية يميزها عن غيرها من المجتمعات.
 - ٢- عندما يصبح المُعلم متمسكاً بحسن الهيئة، يجعله قادراً علي إعادة البناء التعليمي والنمو الاجتماعي، في مجتمع له ثقافته وتاريخه التربوي العريق.
 - ٣- يصبح النسق التربوي قادراً علي تطبيق الوسيلة العملية لتحقيق المثُل العليا.
- إن المربي الذي لا يكون قدوة لطلاب في عقيدته وخلقه وسلوكه، لا يمكن أن ينجح في تربية شخصياتهم المتكاملة وحسن الهيئة من أهم أركان آداب العالم في درسه ويتم

(١) قال علية السلام: الحكمة ضالة المؤمن يأخذها عن سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت. وقال علية الصلاة والسلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم. وقال الحكماء: لا يطلب الرجل حكمة إلا بحكمة عنده، وقالوا الحكماء: عليكم بثلاث: جالسوا الكبراء، وخالطوا الحكماء، وسائلوا العلماء [العقد الفريد- ابن عبد ربه ح ٢ ص ٢٥٤، ٢٥٦]

(٢) المصدر السابق- ص ٢٥٤.

(٣) المصدر السابق- ص ٣٥٨.

ذلك عن طريق التطيب وليس أحسن الثياب، وإخلاص النية لله سبحانه وتعالى حيث يقول ابن جماعه «إذا عزم علي مجلس التدريس تطهر من الحَدَث والخُبث وتنظف وتطيب ولبس من أحسن الثياب اللائقة به بين أهل زمانه، قاصداً بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة. كان مالك رضي الله عنه إذا جاءه الناس لطلب الحديث اغتسل وتطيب ولبس جددًا، وضع رداءه علي رأسه ثم جلس علي منصة فلا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ وقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ثم يصلي ركعتي الاستخارة إن لم يكن وقت كراهة وبنوي** نشر العلم وتعليمه وبث الفوائد الشرعية، وتبليغ أحكام الله تعالى التي أئتمن عليها وأمر بتبنيانها»^(١)

يؤكد زين الدين العاملي علي الطهارة والتطيب في مجلس الدرس، لتوقير العالم حيث يقول «أن لا يحضر مجلس الدرس إلا متطهراً من الحدث والخبث متنظفاً متطيباً في بدنه وثوبه، لا يلبس أحسن ثيابه، قاصداً بذلك تعظيم العلم وترويع الحاضرين من الجلساء والملائكة، سبحانه أن كان في مسجد وجميع ما ورد من الترغيب في ذلك لمطلق الناس. فهو في حق العالم والمتعلم أكد»^(٢).

يحذرنا الأجرى من التقرب إلي مجالسة الملوك حيث يقول «قال محمد بن الحسين: هذه الأخلاق وما يشبهها تغلب علي قلب من لم يتتبع بالعلم، فبينما هو مقارن لهذه الأخلاق** إذا رغبت نفسه في حب الشرف والمنزلة وأحب مجالسة الملوك وأبناء الدنيا

(**) وبنوي: في محل النية.

(١) اعلم أن النية هي: نوع من الإرادة كما تقدم، والإرادة وأنواعها، والعلم والظن، والشك. والخوف. والرجاء. وجميع ما ينسب إلي القلب من الأعمال- هو قائم بالنفس. قال المازري في شرح التلقين: أكثر الفقهاء وأقل الفلاسفة: علي أن العقل في القلب، وأقل الفقهاء في أكثر الفلاسفة علي أنه في الدماغ، محتجين: بأنه إذا أصاب الدماغ آفة فسد العقل، وبطلت العلوم والأنظار والفكر وأحوال النفس. [الأمنية في إدارك النية- القرافي- دار الكتب العلمية ص١٧]

(١) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم- ابن جماعه- ص٨٣

(٢) منية المرید في آداب المفید والمستفيد- زين الدين العاملي- مصدر سابق ص١٥٤.

(**) الأخلاق: في اللغة جمع خلق وهو العادة والسجية والطبع والمروءة، والدين وعند القدماء ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم روية وفكر وتكلف تغيير الراسخ من صفات النفس لا يكون خلقاً كغضب

فأحب أن يشاركهم فيما هم فيه من راضي عيشهم من منزل بهي ومركب هي وخادم سري ولباس لين و فراش ناعم وطعام شهّي، وأحب أن يُغشي بابه ويُسمع ويُطاع أمره فلم يقدر عليه إلا من جهة القضاء مطلبه، ولم يمكنه إلا ببذل دنيه فتذلك للملوك ولأتباعهم وخدمهم بنفسه وأكرمهم بماله ومكث عن قبيح ما يظهر من مناكبرهم علي أبوابهم وفي منازلهم وقولهم وفعلهم، ثم زين لهم كثيراً من قبيح فعالهم بتأويله الخطأ ليحسن موقعه عندهم»^(١).

هذا العالم الذي أستفاد منه النبي ﷺ وأمر أن يستعاذ منه هذا العالم الذي قال النبي ﷺ « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه».

والبعد عن السلطان يجعل المعلم بمحور واحد هو الإنسان بفكره، والإنسان بتكوينه، والإنسان بإنتاجيته ومن ثم يخدم الأطفال في تحقيق سعادته التربوية في الحياة، فها هنا يأتي دور المعلم الحقيقي في تربية الأطفال من أجل أن يصبحوا في المستقبل علماء وأدباء وشعراء.

استعرضنا فيما سلف ذكر عن أهمية فضيلة العلم، والفضائل والرزائل التي تسمك بها المعلم، والشروط الواجب توافرها في الابتعاد عن العجب، الغرور، وتجنب مواطن الشبهة والآن نتحدث عن تجنب المعلم السلطان:

الحكيم، وكذلك الراسخ الذي تصدر عنه الأفعال بعسر وتأمل، كالبخيل إذا حاول الكرم، وقد يطلق لفظ الأخلاق علي جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة [المعجم الفلسفي د. جميل صليبا ١ ص ٤٩]

(١) أخلاق العلماء - الآجري ص ٧٥

(*) «في بيان حاجة السلطان إلي العلم: وشخص بلا علم كبلد بلا أهل، وأفضل ما في السلطان خصوصاً والناس عموماً محبة العلم والتحلي به، والشوق إلي استماعه، والتعظيم لحملته، فإذلك دليل علي قوة الإنسان فيه، وبعده من البهيمية، ومضاهته للعالم العلوي، وهو من أوكد ما يتحجب به إلي الرعية وإذا كان الملك خالياً من العلوم ركب هواه، وأخبر برعيته، كالداية بلا رسن» [سراج الملوك - الطرطوشي ص ١٩٣]

الحذر من أصحاب السلطان:

وقد تناول كثير من العلماء والأدباء تقرّب العلماء من السلطان فألف المقرئ كتاب «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» تحقيق د.محمد علي المرصفي. و«نبه العلماء علي خطر تعامل أهل العلم مع أصحاب السلطان، وقد حفل تاريخنا بصور كثيرة لهذا الرفض، فقد رفض الكثير منهم الدخول علي هؤلاء في بلاطاتهم، ورفضوا قبول أعطيّاتهم، وهداياهم، كما رفضوا قبول العمل في الوظائف التي أرادوها لهم مثل القضاء وغيره»^(١)

علاقة العلماء لأصحاب السلطة:-

وعن علاقة العلماء بأصحاب السلطة يقول د. محمد منير سعد: موقف العلماء من السلطة: ويرى أن الفقيه قد يبرر التردد علي أبواب السلاطين أنه لاعزاز الحق ولنصرة الدين والغرض من الأغراض الصحيحة^(٢)

لذلك فإن من يستقرئ كتب التراث وخاصة التراجم يلفت نظرة تلك المواقف من السلطة الحاكمة سواء كانت مع أو ضد فيقول ابن خلدون «في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة و مناهجها والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغرض علي المعاني وانتزاعها من المحسوسات»^(٣)

تمسك النفس بالفضائل يبعدها عن السلاطين:

ومن شروط طلب العلم أن يتمسك العالم بعفة النفس لأنها تبعده عن الملوك السلاطين، فيقول العاملي: «أن يكون عفيف النفس عالي الهمة، منقبضاً عن الملوك وأهل

(١) أخلاقيات المهنة في الحضارة الإسلامية د. موفق سالم نوري- دار ابن كثير -دمشق -سوريا- الطبعة الأولى- ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م. ص٢١٨.

(٢) العلماء عند المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع د. محمد منير سعد الدين دار المناهل بيروت- لبنان- الطبعة الأولى ١٤١٢هـ -١٩٩٢م. ص٨٧.

(٣) الفكر التربوي عند ابن خلدون د. عبد الأمير شمسي الدين- مصدر سابق ص١٧٧.

الدنيا، لا يدخل إليهم طمعاً، ما وجد إلي الفرار منهم سبيلاً صيانة للعلم كما صانه السلف، فمن فعل ذلك فقد عرض نفسه وخان أمانته»^(١).

ونلاحظ أن العلم هو الذي يهذب الملوك والسلاطين من خلال قول العلماء وتأثيرهم بالمواعظ والحكم والعبرة للملوك فيجعلوهم يحبون الله، ويتمسك بأفضل الأعمال حيث يقول بعض الفضلاء «قال بعض الفضلاء لبعض الإبدال: ما بال كبراء زماننا وملوكها لا يقبلون منا ولا يجدون للعلم مقداراً، وقد كانوا في سالف الزمان بخلاف ذلك؟ فقال: أن العلماء ذلك الزمان، كان يأتيهم الملوك والأكابر وأهل الدنيا فيبذلون لهم دنياهم ويلتمسون منهم علمهم، فيبالغون دفع وردّ منهم عنهم فصغرت الدنيا في أعين أهلها. وعظم قدر العلم عندهم، نظراً منهم إلي العلم لولا جلالته ونفاسته، وما آثره هؤلاء الفضلاء علي الدنيا، ولولا حقارة الدنيا وانحطاطها لما تركوها رغبة عنها ولما أقبل علماء زماننا علي الملوك وأبناء الدنيا»^(٢)

ويحذرنا الرسول ﷺ من أتباع السلطان «وسمعت جملة من الأخيار في ذلك سابقاً، كقول النبي (ص) الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل يا رسول الله: وما دخولهم في الدنيا؟ قال: أتباع السلطان. فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم علي دينكم، واعلم أن القدر المذموم من ذلك، ليس هو مجرد اتباع السلطان كيف اتفق، بل أتباعه ليكون توطئة له، ووسيلة إلي ارتفاع الشأن، والترفع علي الأقران، وعظم الجاه والمقدار، وحب الدنيا والرياسة»^(٣) فتدبر يا أخي هذا الكلام النفيس، وما قلناه يجده صريحاً في ذم الكبر ونحوه من الأمراض الباطنة: كالحسد، والعجب، والرياء، وسوء الظن، بأحد المسلمين، وحب الدنيا، وأن العبد لا فعل له ولا قول، بل ذلك كله من الله تعالي.

(١) منية المرید في آداب المفید والمستفید - العاملی ص ١٤٤.

(٢) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

أهمية مطالعة كتب التراث:-

«وهناك مواقف كثيرة في كتب التراث تبين موقف العلماء من السلطة* وهي ما يلي:

١- رفض قبول وظائف السلطة

٢- رفض عطاءات السلطة

٣- رفض مبدئية للعلماء ورفض تدخل الحكام بشؤون العلماء وعدم محاباة الحكام.

٤- عدم الدخول علي السلاطين والحكام وعدم احترامهم في مواقف معينة.

٥- موقف العلماء من الحكام أو أبنائهم في مجالس الدرس.

٦- مجالس الوعظ للخلفاء ورسائل النصائح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧- مشاركة العلماء لرجال السلطة بالمناسبات وتقديم الهدايا واعتناق أفكارهم»^(١)

ويجوز التردد علي الملوك من أجل مصلحة العلوم، وليس لمناصب دنيوية فيقول ابن جماعه«وعلي هذا يُحمل ما جاء عن بعض أئمة السلف في المشي إلي الملوك وولاية الأمر كالزهري والشافعي وغيرها. لأعلي أنهم قصرُوا بذلك فضول الأغراض الدنيوية وكذلك إذا كان المأتي إلية من العلم والزهد في المنزلة العلية والمحل الرفيع فلا بأس بالتردد إلية لإفادته»^(٢).

أهداف الرياسة العظمي:

ويجب معرفة قصد الرياسة ألا وهي حفظ الشرع والعلم فيقول الإمام الغزالي «وقد جعل الله تعالي قصد الرياسة من تعلم العلم، حفظاً للشرع والعلم، ويجري تحريض المتعلمين علي العلم بالإطماع في الرياسة وحسن الذكر، مجري الحَبِّ بيث حول القمح،

(١) «ليس أحد من أهل الدرجات السنية ، والمراتب العلية، أوج إلي مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب العلوم والحكم، ومطالعة دواوين العلماء، ومجامع الفقهاء، وسير الحكماء من السلطات دائما كان ذلك من وجهين: أحدهما: أنه نصب نفسه للممارسة أخلاق الناس، وفصل خصوماتهم وتعاطي حكوماتهم ، وكل ذلك إلي علم يارع، ونظر ثاقب ، وبصيرة بالعلم قوية.[سراج الملوك -الطرطوشي ص ١٩٣، ١٩٤]»

(١) العلماء عند المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع د. محمد منير سعد- مرجع سابق ص ٩٢

(٢) ابن جماعة - تذكرة السامع المتكلم في أدب العلم والمتعلم -مصدر سابق ص ٧٢

والمواضع المقيد علي الشبكة، ومجري شهوة الغذاء والنكاح التي خلقها الله داعية إلي الفعل الذي فيه بقاء الشخص والنوع»^(١)

ومن يتردد من العلماء إلي الظلمة الحكام فهو في النار - يقول نور الدين علي المنير «يترددون إلي الظلمة الحكام، ويظهرون أنهم هم العلماء الأعلام، وأن من سواهم من الأقران، سفلة وأرازل وأعوام كأنهم ما سمعوا قول العارف الإمام: من حفظ القرآن وشيئا من الفقه، وتردد إلي السلطان، تملقاً إليته، وطمعاً فيما في يديه خاص في جهنم بقدر خطاه. وسيأتيك ما قاله حجة الإسلام في مصونه زمانه فهو برهان ما قلتاه ودليل عنوانه.

مجيبُ لأهل العلم كيف تغافلوا عن الدين واستغشوا ثياب المهالك

يطوفون حول الظالمين كأنما يطوفون حول البيت وقت المناسك»^(٢)

علماء شرفوا التاريخ في بعدهم عن السلطان وحبهم للعلم:

وهناك نماذج كثيرة من العلماء تشير سيرتهم إلي الحذر من أصحاب السلطان فعلي سبيل المثال «العز بن عبد السلام»^{***} (٥٧٧-٦٦٠-١١٨١: ١٢٦٢م) ويلقب بسلطان العلماء "بائع الملوك" «بلغة مرة أن غالب الأمراء الأكابر إلي الآن في الرق لم تعتقهم ساداتهم فقال: كيف يحكم هؤلاء بين الناس؟ فطلع إلي السلطان وقال: كل من لم يأتنا

(١) ميزان العمل - الإمام الغزالي - مصدر سابق ص ٣٦٦.

(٢) كشف اللبس عن دسائس النفس - نور الدين علي المنير . تحقيق د. سعيد عبد الفتاح - الدار المصرية اللبنانية - الطبعة الأولى ١٤١٠ - ١٩٩٠ ص ٥١

(***) العز بن عبد السلام « الشيخ عز الدين بن عبد السلام بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن حسن أبي محمد بن مهذب السلمي أبو محمد شيخ الإسلام - سلطان العلماء ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسائة وتفقه علي الفخر بن عساكر وأخذ الأصول علي السيف الأمدي، وبرع في الفقه والأصول والعربية ، وقدم مصر فأقام بها أكثر من عشرين سنة، ناشرا العلم أمراً بالمعروف ناهياً علي المنكر، يغلظ علي الملوك فمن دونهم، تولي القضاء المصري - ومن مؤلفاته قواعد الأحكام في مصالح الأنام، قواعد الشريعة والفوائد، التفسير الكبير، بداية السؤل في تفضيل الرسول [الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م. ح ١ ص ٢٧٢، السلوك لمعرفة دول الملوك - المقريري ص ٤٥٤، الأعلام ٤/٢١، فوات الوفيات ١/٢٨٧، السبكي ٥/١٠٧، ٨٠، مفتاح السعادة ٢/٢١٢]»

بعنايته. بعناه ووضعنا ثمنه في " بيت المال " فباع منهم جماعة ونادي عليهم في الديوان ثم أعتقهم السلطان فاجتمعوا علي قتله وجاؤوا بالسلاح ووقفوا علي بابه، فخرج إليهم فوقع السلاح من أيديهم هيبة منه، فقال له ابنه الحمد لله الذي لم يقتلوك فقال: فقال والدك أحقر من أن يقتل في إقامة دين الله تعالى»^(١)

من النص السابق نجد أن سلطان العلماء لم يهتم بالسلطان ولا يخاف من لومة الله لائم نظراً لنشر دين الله تعالى والاهتمام بنور العلم، ومن خوف السلطان من عز الدين بن عبد السلام عندما مات قال السلطان «ولما بلغ السلطان خبر وفاته قال: لم يستقر ملكي إلا الساعة، لأنه أمر الناس في بما أراد لبادور إلي أمتثال أمره»^(٢)

المميزات العلمية والفقهية للعز بن عبد السلام:

وسلطان العلماء رفض عطاءات السلطة خوفاً علي قيام دين الله تعالى، والدليل علي ذلك عندما كان مريضاً بمصر أرسل إلي الملك الظاهر حاكم مصر رسالة من أجل أن يوظف أحداً أبنائه فرفض العز بن عبد السلام: «ثم اعتزل ولزم بيته. ولما مرض أرسل إلي الملك الظاهر يقول: أن في أولادك من يصلح لوظائفك قال: لا»^(٣)

«فهذه هي المعرفة اليقينية التي بها يقنع أولوا الألباب وأهل البصائر، ولا يقنعون بغيرها البتة. وهم إذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول وصدق القرآن. وفهموا موازين القرآن، كما ذكرت لك، وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين»^(٤)

إذن الحذر من أصحاب السلطان عن طريق رفض قبول وظائف السلطة كما فعل العز بن عبد السلام هذه هي المعرفة اليقينية لمفاتيح العلوم.

(١) جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النبهاني-المكتبة العصرية- صيدار-بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م. ج٢. ص١٦١.

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية-لأبن قاضي شهبة- تحقيق د.علي محمد عمر- مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة - د ت طبعة ونشر- ص٤٣٠.

(٣) الاعلام-خير الدين الزركلي-دار العلم للملايين-الطبعة العاشرة ١٩٩٢م. ج٤. ص٢١.

(٤) القسطاس المستقيم-الغزالي-تحقيق فيكتور شلحت-المكتبة الشرقية-بيروت-لبنان- الطبعة الثالثة- ١٩٩١. ص٩٢.

شروط البعد عن السلطان:-

ومن شروط الحذر من السلطان قوة الإرادة في نشر الإيمان وإعلاء كلمة الله، قوة الإرادة شئ هام وضروري للمعلم لكي يهتم بالعلم وماهيته فيقول د. أحمد أمين عن قوة الإرادة «تعني بالإرادة القوية إرادة تنفذ ما قصدت إليه مهما كلفها من المشاق، لا تحجم أمام العقبات تعترضها وإنما تبذل ما في وسعها لتذليلها، لا شئ أصعب عندما من عدولها عن قصدتها»^(١)

«والعلم عندما يتمسك بقوة الإرادة والبعد عن السياسة والسلطان تكون هي سر النجاح في الحياة وهي عنوان عظماء الرجال إذا أزمعوا أمراً لم يثتم شئ وإذا تجنبوا العلماء الحذر من أصحاب السلطان من أجل مصلحة العلم والعلوم الشرعية هذا ما يسمى الحكم الأخلاقي وخلاصته:

- ١- أن الحكم الأخلاقي* ينمو في العادة إلي القانون ثم يتابع نموه إلي أن يصل إلي المبادئ المبنية علي النظر.
- ٢- الحكم الأخلاقي يتدرج من حكم علي الأعمال الخارجية وحدها إلي أن يصل إلي حكم الخلق وعلي الأغراض والبواعث الداخلية.
- ٣- الحكم الأخلاقي ينمو من عادات تكونت في بيئة خاصة إلي مبادئ عامة صالحة لكل أمة وفي جميع الأحوال»^(٢)

(١) الأخلاق د. أحمد أمين- المركز الإسلامي- للطباعة والنشر- الطبعة العاشرة ١٩٨٣- ص، ٤٠

(*) « والحكم الخلفي عند ابن سحنون والقابسي يشمل الحياء

يقول الشاعر وجه عليه من الحياء سكينه ومحبة تجري مع الأنفاس
وإذا أحب الله يوماً عبده ألقى عليه محبة للناس

وقال الجارود: سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل» العقد الفريد- ابن عبد ربهح حـ ٢

صـ ٣١٥، ٣١٦.

(٢) المرجع السابق- صـ ١١٥.

وإذا كان القادة علي اختلاف مستوياتهم يتخذون القرار، ويقودون الأمة في الطريق الواضح ودون هوي وهنا التكامل ويتم الإنسجام، فلا بد إذن من تربية القادة والعلماء، وأتاحة الفرصة للعالم أن يعيش.

ومن الجدير أن السلاطين يعظمون المعلم لأنه الأب الروحاني لهم فكيف بالمعلم يقترب منهم حباً في المال والجاه والسلطة؟ وهناك بعض الملوك يوقر ويحترم المعلم لذلك يقول زين الدين العاملي «وقد سئل الاسكندر ما بالك توقر معلمك أكثر من والدك؟ فقال لأن المعلم سبب لحياتي الباقية، والذي سبب في حياتي الفانية. وأيضاً لم يقصد الوالد في الأغلب في مقاربة والدته وجوده، ولا كمال وجوده، إنما قصد لذة نفسه فوجدهم، علي تقدير قصده لذلك، فالقصد المقترن بالفعل أولي من القصد الخالي عنه، وأما المعلم فقصد تكميل وجوده وسببه وبذل فيه جهده، ولا شرف لأصل الوجود إلا بالإضافة إلي العدم، فإنه حاصل للديان والخنافس، وإنما السبب في كماله، وسببه المعلم»^(١)

وهناك أدلة من العلماء تبرهن علي تجنب السلطان احتراماً للمعلم وتوقيره وهذا ما حدث مع الخليفة العباسي من السيد الرضي قدس الله روحه حيث يقول العاملي «وقد روي السيد الرضي قدس الله روحه كان عظيم النفس، عالي الهمة أبي الطبع لا يقبل لأحه منة. وله في ذلك قصص غريبة مع الخليفة العباسي حين أراد صلته بسبب مولود وله له وغيره»^(٢)

لذلك وجب علي العلماء تجنب السلطان والجاه والاعتراف بقيمة العلم، لأن العلم يحرصه وهو الذي يحرص المال، والمعلم هو الأب الروحاني للعلم فيجب أن يحافظ عليه، ولا يتناول غرور الحياة الدنيا فيقول العاملي «ومنها أن بعض مشايخه قال له يوماً: بلغني أن دارك صيغة لا تليق بحالك، ولي دار صالحة لك قد وهبتها لك فانتقل

(١) منية المرید في آداب المفید والمستفید- زين الدين العاملي - مصدر سابق ص ١٩٧.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

إليها، فأبي، فأعاد عليّ الكلام، فقال: يا شيخ أنا لم أقبل برّ أبي قط، فكيف أقبل من غيرة؟ فقال له الشيخ: أن حقي عليك أعظم من حق أبيك لأن أبوك الروحاني وهو أبوك الجسماني. فقال السيد (رة) قد قبلت الدار. ومن قال بعض الفضلاء: من علم العلم كان خير أب، ذلك أبو الروح لا أبو النطق»^(١)

فيما مضي تحدثنا عن شروط الحذر* من السلطان خوفاً من الأغراض الدنيوية والبعث عن روح العلم وروح الأخلاق للعالم والمتعلمين، ونتحدث الآن عن تجنب العالم الجاه والمال والسمعة والشهرة حفاظاً علي فضيلة العلم والعلماء وفضيلة التواضع لله في سرّة وعلانيته ولا بد أن يحترس من نفسه ويقف ضدها وفجورها حتى يصبح متمسكاً بآداب العلم حيث يقول ابن جماعه «أن ينزه علمه عن جعله سُلماً يتوصل به إلي الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعه أو شهرة أو خدمة أو تقدم علي أقرانه. وقال الإمام الشافعي (رص) وددت أن الخلق تعلّموا هذا العلم علي ألا ينسب إليّ حرف منه. وكذلك يُنزهه عن الطمع في رفق طلبته، بمال أو خدمة أو غيرها بسبب اشتغالهم وترددهم إليه. كان منصور لا يستعين بأحد يختلف إليه في حاجة»^(٢) وقال عليّ السلام: «اثنان إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا، فسد الناس، الأمراء والعلماء» فقال العلماء يوضحون الطريق ويحلون المواقف، وينصحون بالبدايل الممكنة والمتاحة، والأمراء أي القادة علي اختلاف مستوياتهم يتخذون القرار^(٣)

وعلي المعلم أن يحافظ علي الأحكام الإسلامية والبعث عن السلاطين حيث يقول ابن جماعه «أن يحافظ علي القيام بشعائر وظواهر الأحكام كإقامة الصلوات في المساجد

(١) المصدر السابق ص ١٩٨

(**) قال أبقراط: من صحب السلطان فلا يجزع من قسوته، كما لا يجزع العواص من ملوحة البحر.

(٢) ابن جماعه: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العلم والمتعلم - في أدب العالم في نسخة مصدر سابق ص ٧٣.

(٣) أئمة التربية في الوطن العربي د. أسحاق أحمد فرحات - دار الفرقان - عمان الأردن الطبعة الثانية

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ص ١٥.

للجماعات وإفشاء السلام للخواص والعوام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر علي الأذى، بسبب ذلك صادعاً بالحق عند السلاطين، باذلاً نفسه لله لا يخاف فيه لومه لائم ذكراً قوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١) وما كان سيدنا رسول الله ﷺ وغيره من الأنبياء علياً من الصبر علي الأذى، أو ما كانوا يتحملونه في الله تعالى حتى كانت لهم العقبي»^(٢).

وحدثت واقعة علمية تعبر عن الاهتمام بالعلم والبعد عن أولاد الخليفة وهي «حضر بعض أولاد الخليفة المهدي عند شريك فاستند إلي الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه شريك، ثم أعاد شريك بمثل ذلك فقال أتستحي بأولاد الخلفاء؟ قال: ولا ولكن العلم أجل عند الله من أن أضيعه. ويروي: العلم أزين عند أهلة من أن يضيعونه»^(٣)

ويؤكد ابن الأزرق الفقيه التربوي علي بعد العلماء عن السياسة ويعلل ذلك ببراهين واضحة حيث يقول «إن العلماء من بين الناس أبعد عن السياسة ومذاهبها وذلك لأمرين: أحدهما: أنهم يعتادون النظر الفكري والغوص علي المعاني الدقيقة وانتزاعها من المحسوسات وتجريد ما في الذهن أمور كلية يحكم عليها بأمر علي العموم، لا بخصوص مادة أو شخص أو جنس أو صنف من الناس»^(٤)

والأمر الثاني «أنهم يقيسون الأمور علي أشياءهما بما اعتادوا من القياس الفقهي فلا يزال حكم نظرهم في الذهن ولا يصير إلي المطابقة إلا بعد الفراغ من البحث والنظر»^(٥) ومن شروط البعد عن السلطان عن ابن سحنون التربية الإيمانية وعظيم أثرها ترسيخ العقيدة، وتصحيح الفكر وتذكية النفس، وترقية السلوك، وتحقيق إنسانية الإنسان.

(١) سورة لقمان آية: ١٧

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم- ابن جماعة- مصدر سابق- ص ٧٤

(٣) المصدر السابق- ص ١١٧

(٤) بدائع المسالك- ابن الأزرق- منشور في كتاب الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق- د. عبد الأمير-

الشركة العالمية للكتاب- الطبعة الأولى ١٩٩١ ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٥) المصدر السابق- ص ٢٥٧

ويؤكد ابن سحنون علي أن يعلم القرآن يجعل المعلم يبتعد عن رذيلة النفاق حيث يقول: " عن سحنون ، عن عبد الله بن عبد الله بن نافع قال: حدثني حسين، عن عبد الله ابن حمزة عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عليكم بالقرآن فإنه ينفي النفاق كما تنفي النار خبث الحديد" (١)

ويقول ابن سحنون أيضاً عن بعض الرذائل التي يتجنبها المعلم من خلال الأحاديث النبوية الشريفة: " حدثني عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شرار أمتي معلمو صبيانهم، أقلهم رحمه لليتيم وأغظهم علي المسكين" (٢).

ويتناول القابسي بعض الرذائل التي يتخلي عنها مثل القاسي القلب ويشتهد بالأيات القرآنية حيث يقول: " فبين أيضاً أن الإسلام هو ما انشرح الصدر إليه وأما ما ضاق الصدر عن قبوله، ونفر منه عند سماعه، فصاحبة غير مؤمن، فقامت كلمة الإيمان مقام كلمة الإسلام وكذلك قوله: ﴿ أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢]" (٣).

(١) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٣٥١.

(٢) المصدر السابق - ص ٣٥٤.

(٣) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القابسي - ص ٢٦٨.

” تعقيب “

لقد وجدنا من خلال استعراضنا للأخلاق والسلوك عند المعلم وهذا ما يسمي في هذا الفصل «أخلاقيات مهنة المعلم» ويتم تطبيق أخلاقيات المعلم من حيث مراقبته لله سبحانه و تعالي، ومراعاة ضميره الخلقى، لأن الضمير الخلقى هو حال للنفس تحكم بوساطتها علي الخير والشر من الأعمال والنيات وهو القاضي المسموع الحكم، والضمير الخلقى عند المعلم ينقسم إلي قسمين: قسم إيجابي، وهو قبل الفعل من الإنسان، والقسم الآخر عاطفي، ولا يظهر أثره إلا بعد الوقوع.

يجب علي المعلم أن يربط بين الدين الإسلامي وبين جانب العقيدة منه، وذلك يبدوا واضحا من خلال القرآن الكريم، والسنة المطهرة، فإن مقتضى الإيمان بالله تعالي أن يكون المؤمن ذا خلق محمود، وإن الأخلاق السيئة دليل علي عدم وجود الإيمان.

ومن خلال النصوص السابقة في هذا الفصل وجدنا انتشار الكتابات، لنشر العلم والأخلاق الحميدة، والكتاتيب من أهم الوسائل التعليمية لتلقي الدروس ويصبح المعلم يؤدي رسالته من خلال الكتاب، والطبق الحديث «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وعلي المعلم أن ينشر الأوامر الإلهية والعلمية التطبيقية في كل خطوة من خطوات الحياة التربوية والتعليمية.

من أهم الفضائل التي يتمسك بها المعلم في المنهج التربوي، التمسك بفضيلة الرحمة لأنها من أخلاق الإسلام وهي تعني العطف والشفقة، والحنان والرفقة، والرفق والموودة، واللين والرافة، وهذه الفضيلة يستخدمها المعلم في تربية الأطفال، وفي تطبيق العقوبات.

وهذا ما أشار إلي ابن سحنون والقاسبي، ويقول الله تعالي ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب/ ٤٣] ومن الواجب علي المعلم التمسك بفضيلة الصدق، والصدق إخبار الإنسان بما يعتقد أنه الحق، والصدق: مطابقة القول الضميرة والمخبر عنه معاً، ويقول

الله تعالى: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ [سورة التوبة آية ١١٩]، ويجب علي المعلم أن يتمسك بالصدق لأنه القدوة والمثل الأعلى للأطفال.

بعد تمحيص وتفحص النصوص المستخدمة في أخلاقيات المهنة وجدنا شروط مهمة لابد أن يتمسك بها المعلم وهو ما يلي:

١- التمسك بالصبر لأنة زمام سائر الخصال، وزعيم الغنم والظفر، وملاك كل فضيلة، وبه ينال كل خير ومكرمة، قال الله تعالى ﴿إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [سورة الأعراف آية ٣٧].

٢- التمسك بالفضائل والبعد عن الرذائل. ٣- البعد عن الكبر والعجب والخيلاء.

٤- تجنب مواطن الشبهة والتهمة. ٥- التمسك بحسن الهيئة.

٦- البعد والحذر من أصحاب السلطان.

والتمسك بالصبر فضيلة، والحكمة عند ابن سحنون من ذلك هو بعد المعلم عن الغضب حتى لا يعاقب المتعلم لأن العقوبة ليست ضرورة لكل شخص، فقد يستغني شخص بالقدوة وبالموعظة فلا يحتاج في حياته كلها إلي عقاب، حيث يقول ابن سحنون عن حكمة الصبر: «قال محمد: وإنما ذلك لأنة يضربهم إذا غضب»^(١).

ويقول أيضاً: «وقد قال بعض أهل العلم: إن الأدب علي قدر الذنب»^(٢).

ويجب علي المعلم التمسك بالفضائل والبعد عن الرذائل لأنه قدوة وأسوة حسنة لأطفال لذلك وجب تعليمهم الأدب من خلال أخلاقه الكريمة حيث يقول: «وليعلمهم الأدب فإنه من الواجب لله عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم»^(٣).

وعن فضيلة الصبر يقول القاسبي قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٣].

ويجب علي المعلم التمسك بالاستقامة والبعد عن غرور الحياة الدنيا حيث يقول القاسبي: "فالاستقامة هي القيام بما أمر الله به"^(١).

(١) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٣٥٤.

(٢) المصدر السابق ص ٣٥٥.

(٣) المصدر السابق - ص ٣٥٨.

” مصادر ومراجع الفصل الثاني ”

” أخلاقيات مهنة العلم “

- القرآن الكريم
- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل (ت - ٢٥٦هـ)
- صحيح مسلم ابن الحجاج (ت - ٢٦١هـ).
- سنن الترمذي
- * أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القابسي - مخطوط - الشركة العالمية للكتاب.
- * ابن جماعة: تذكره السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم - تحقيق د. عبد الأمير شمسي الدين - دار
- * إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ح ٣ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- * آداب العلماء والمتعلمين - الحسين بن أمير المؤمنين - الدار اليمنية للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- * آداب المعلمين - ابن سحنون تحقيق د. أحمد فؤاد الأهواني - في كتابه التربية في الإسلام - دار المعارف - مصر - الطبعة السادسة ٢٠٠٢م.
- * أزمة التربية في الوطن العربي د. أسحاق أحمد فرعان - دار الفرقان - عمان - الأردن - الطبعة الثانية - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- * الأخلاق - د. أحمد أمين - المركز الإسلامي - للطباعة والنشر - الطبعة العاشرة - ١٩٨٥م.
- * الإعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - الطبعة العاشرة - ح ٤ - ١٩٩٢م.

(١) الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين - القابسي ص ٢٧١.

- * البيان والتبيين - الجاحظ المتوفي ٣٥٥هـ - وضع حواشيه موفق شهاب الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٩م.
- * التربية عند العرب د. خليل طوطح - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- * التربية في الإسلام د. احمد فؤاد الأهواني - دار المعارف - الطبعة السادسة د.ت
- * التعريفات - الجرحاني - وضع حواشيه محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- * الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد الفرحان - الشركة العالمية للكتاب - الطبعة الأولى - ١٩٩٩م.
- * الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القابسي - في كتاب التربية في الإسلام - دار المعارف - بمصر - الطبعة السادسة - ٢٠٠٢م.
- * الزهد - أبي عبد الله محمد خليل الشيباني.
- * الزواجر عن اقتراف الكبائر - الإمام ابن حجر المكي الهيثمي - تحقيق محمد محمود عبد العزيز وآخرون - دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- * العقد النفيس ونزهة الجليس - الثعالبي - إعداد فتحي نصار - الدار الثقافية للنشر - الطبعة الأولى - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- * العلماء المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع د. محمد منير سعد الدين - دار المناهل - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- * الفكر التربوي عند عبد الكريم بن محمد السمعاني - كتابه أدب الإملاء والإستملاء - تحقيق د. عبد الأمير شمسي الدين - الشركة العالمية للكتاب - الطبعة الأولى د.ت.

- * القسطاس المستقيم - الغزالي - تحقيق فيكتور شلحت - المكتبة الشرقية - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٩٩١م.
- * المروءة - المرزبان المتوفي سنة ٣٠٩هـ - تحقيق محمد خير رمضان يوسف دار ابن حزم - الطبعة الأولى - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- * المعجم الفلسفي د. جميل صليبا - دار الكتاب العالمي - بيروت - لبنان - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- * المقدمة - ابن خلدون - المكتبة التجارية بدون طباعة.
- * المهنة في الحضارة الإسلامية د. موفق سالم نوري - دار ابن كثير - الطبعة الأولى - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- * بدائع المسالك - ابن الأزرق تحقيق د. عبد الأمير - الشركة العالمية للكتاب - الطبعة الأولى ١٩٩١م.
- * تاريخ حكماء الإسلام - البيهقي - تحقيق ممدوح حسن محمد - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- * تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدب الأطفال - ابن حجر الهيتمي.
- * جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النبهاني - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ح ٢ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- * حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى. ح ١ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- * دستور الأخلاق في القرآن الكريم د. عبد الله دراز - تحقيق وترجمة د. عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة - ط ١١ - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- * رسالة الأدب في الدين - الإمام الغزالي - تحقيق د. عبد الأمير شمسي الدين - دار الكتاب العالمي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- * رسالة كيفية السلوك إلي رب العالمين - الحكم الترمذي تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح الدار المصرية اللبنانية - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- * سراج الملوك الطرطوشي - حققه د. نعمان صالح الصالح - دار العادرية للطباعة والنشر - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ح ١.

- * صبح الأعشي في صناعة الأنشا- الفلقشندي- (ت ٨٢١هـ - ٤١٨م) شرحه وعلق عليه محمد حسين شمسي الدين دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
- * ضحي الإسلام- د.أحمد أمين- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- الطبعة الثانية ٢٠١٣هـ - ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- * طبقات الفقهاء الشافعية- لابن قاضي شهبه- تحقيق د. علي محمد عمر- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- د.ت طبعة ونشر.
- * علم النفس التربوي د. عبد المجيد سيد أحم منصور وآخرون - العبيكان - الأردن - الطبعة الخامسة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- * فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلتها بالفلسفة الإغريقية د. محمد يوسف موسي- مكتبة الخانجي- القاهرة- الطبعة الثالثة- ١٩٩٤م.
- * في التراث التربوي دراسات نفسية تعليمية تراثية أ.نزير حمدان- دار المأمون للتراث- دمشق- سوريا- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- * في هوية التربية الإسلامية- د.مصطفى رجب- دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ٢٠٠٨م.
- * مختصر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) - تحقيق الشيخ خليل مأمون دار الكتاب العربي - بيروت- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- * مداخل تربوية معاصرة - أصول وفصول في دراسة التربية الإسلامية - د/ عادل السكري - الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى - ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- * مدخل إلي أصول التربية د.حسين الهدبة الرشيدى- مكتبة الفلاح - الكويت - الطبعة الأولى- ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- * مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة- ابن القيم الجوزيه ت (٦٩١هـ- ٧٥١م) تحقيق هاني الحاج- دار التوفيقية للتراث.
- * نهاية الرتبة في طلب الحسبة عبد الرحمن نصير الشيزري تحقيق د/ السيد الباز العريني دار الثقافة-بيروت- لبنان - الطبعة الثانية- ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

الفصل الثالث

المنهاج الدراسي

عند

ابن سحنون

الفصل الثالث

تمهيد

سوف نتناول النصوص الأصلية لأبن سحنون لإثبات (المنهاج الدراسي عنده) وهو الفصل الثالث، وهذه النصوص سوف نجد فيها النسق التربوي والسياق العلمي في منهاج ابن سحنون، لذلك وجدنا أثر هذه النصوص في التربية الحديثة والتربية المعاصرة، وظهر ذلك من خلال عقد المقارنات بين نصوص ابن سحنون والنصوص والمعاصرة.

وسوف ندرس معنى ومفهوم المنهج باعتباره أحد الميادين الهامة للدراسة والبحث في التربية، والمنهاج الدراسي عند ابن سحنون، ميدان واسع يمكن تناوله من زوايا متعددة، ومنطقتان متباينة، وجوانب كثيرة، لكي نستنتج النسق التربوي عنده ونتناول أهمية المنهج الدراسي عند ابن سحنون لأنه لب التربية وأساسها الذي تركز عليه، وكان المنهاج عند ابن سحنون كخبرة تعليمية موجهة، يعبر عن العلم بمفهومه العام عن طريق الحقائق والفن في الدراسة التي تشمل المهارات والخبرات التي يحذقها الإنسان عن طريق الاستعداد والممارسة والمنهاج عند ابن سحنون يتناول التنظيم السيكولوجي والتنظيم المنطقي لمواد المنهاج ويمكن تطبيقه في عملية الفروق الفردية، واستخدام العدل بين الصبيان.

ونتحدث في هذا الفصل عن اختيار محتوى المنهج والذي يحتوي على مم يتكون المنهج، واختيار وتنظيم محتوى المنهج ويظهر ذلك من تناول ابن سحنون إلى العلوم الإجبارية، والعلوم الاختيارية، والزمن الدراسي المحدد مثل زمن الفهم، وزمن الحفظ، وزمن الترويج والتعب عند الأطفال، لذلك أصبح الطفل كأساس في عمل المنهج عند ابن سحنون.

وسوف نقوم بدراسة منهج التربية الروحية عن طريق الفهم والتفهيم عند الطفل لتكوين العادات الحسنة، وتهذيب النفوس وتنمية الخصال الأخلاقية عند الأطفال. لذلك نقول أن المنهج

عند ابن سحنون أحد الميادين الهامة في النسق التربوي، شأنه شأن الأصول الاجتماعية، وسيكولوجية التربية، والتوجيه والإرشاد التربوي للأطفال.

ومن الجدير بالذكر أن المنهاج يهتم بمراعاة استعدادات الطفل الفطرية وطرق التدريس المتبعة فيها من أجل تنمية الجوانب بالمعرفية، والعاطفة والوجدان عند الطفل، ومحاربة التنجيم وكل علم لا يعطى ثمرة للأطفال.

تاريخ حياة ابن سحنون: (*Ibn Sahnon Muhammed)

مولده ونسبه:

هو " أبو عبد الله محمد بن عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التتوفى، القيروانى، المعروف بابن سحنون" (١).

ويزيد في نسبة ابن خلكان فيقول: " أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان من هلال بن بكار بن ربيعة التتوفى الملقب سحنون" (٢) ويقول عنه القاضي عياض: "محمد بن سحنون الانصارى. طليطى. أبو عبد الله" (٣) وكان مولده (٢٠٢ - ٢٥٦ هـ = ٨١٧ - ٨٧٠) (٤).

(*) ابن سحنون له ترجمة في: معالم الإيمان / ٢ / ٧٩ ورياض النفوس / ١ / ٣٤٥ والوفى بالوفيات / ٣ / ٨٦ - والفهرس التمهيدى ٢٢٧. سير أعلام النبلاء / ٩ / ١٢ ، طبقات الفقهاء لأبى اسحاق الشيرازى ١٥٦ - ١٥٧. وعلماء أفريقية للخشنى ٢٩٦، ٣٠٥ وقضاة قرطبة / ٨٨ / ٩٣. والأكمال لابن ماکولا ٤ / ٢٦٥ - ٢٦٦. واللياب فى تهذيب الأنساب / ١ / ٧٩ ، والبيان المغرب / ١ / ١٠٩ ومعالم الإيمان / ٢ / ٧٧ - ١٠٤ ، تاريخ الإسلام: ١٧ / ٢٤٧ - ٢٤٩ ، العبر / ١ / ٣٤٠ ، دول الإسلام / ١ / ٢١٢ ، مر أن الجنان / ٢ / ١٣١ - ١٣٢ - البداية والنهاية / ١٠ / ٣٢٣ ، تاريخ قضاة الأندلس - ٤٧ - ٥١ ، حياة الحيوان الكبرى / ٢ / ١٧ والحلل السندسية فى الأخبار التونسية / ١ / ٧٥٠ - ٧٨٥ ، تاريخ الأدب العربى / ٢ / ٣٠٢ - ٣٠٦ ، معجم المؤلفين / ٦ / ٢٢٤ ، تاريخ التراث العربى / ٣ / ١ ، ومدرسة الحديث فى القيروان / ٢ / ٥٨٠ - ٦٠١ .

(١) دائرة المعارف - ح ٣ ص ١٦٣ .

(٢) وفيات الأعيان - ابن خلكان - ح ٣ - ص ١٨٠ .

(٣) الأعلام الزر محلى - ح ٦ - ص ٢٠٤ .

(٤)

وفى ضوء ما تقدم من إشارات يقول عنه القاضي ابن الفضل عياض "الأفريقي، القيرواني، أصله من حمص الشام، وسحنون (*) لقب له واسمه عبد السلام"^(١).

أما عن مولده ووفاته فيقول: " ولد سنة ستين ومئة ويقال: سنة إحدى وستين وتوفى يوم الأحد الثالث، وقيل: السبع خلوت من رجب سنة أربعين ومئتين وله ثمانون سنة"^(٢)، أما عن وفاته فيقول البستاني "وفاته في منطقة الساحل (٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م) ونقل إلى القيروان، فدفن فيها"^(٣).

شيوخه وتلاميذه:

قال القاضي عياض " سمع ابن عيينة، وابن القاسم، وابن وهب، وغيرهم"^(٤) وتحدث عنه ابن خلكان فيقول: " قرأ على ابن القاسم، وابن وهب وأشهب، وحصل له من الأصحاب والتلاميذ ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك مثله، وعنه انتشر علم مالك بالمغرب". وكانت ولادته أول ليلة من شهر رمضان سنة ستين ومائة، وتوفى في يوم الثلاثاء لتسع خلون من رجب سنة أربعين ومائتين رحمة الله تعالى.

ويقول عنه القاضي عياض: " سمع من عمه ابن أرفع رأسه، وهبه الله بن يحيى، ومن وسيم ونظرانهم"^(٥).

(*) سحنون: بفتح السين المهملة وضمها وسكون الحاء المهملة وضم النون، وبعد الواو نون ثانية، وفي فتح السين وضمها كلام من جهة العربية بطول شحنة" ولقب سحنون باسم طائر جديد بالمغرب يسمونه سحنونا لحدة ذهنة وذكائة ذكر ذلك أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني في كتاب (طبقات من كان بأفريقية من العلماء".

(١) المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك - القاضي ابن الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي - تحقيق د.قاسم علي سعد - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - دار البحوث للدراسات الإسلامية - ح ١ - ص ٥٠٤.

(٢) المصدر السابق - ص ٥٠٦.

(٣) دائرة المعارف - البستاني - ح ٣ ص ١٦٣.

(٤) وفيات الأعيان - ابن خلكان - ح ٣ ص ١٨٠.

(٥) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك - القاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ صححة محمد سالم هاشم - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م - ص ١٢٢.

ويقول القاضي عياض " أخذ عنه ابنه محمد، وأصبغ بن خليل، حمد يس، وغيرهم " (١).

صفاته وعلمه:

وجاء في المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك " القاضي الأمام، راس الفقهاء الزاهد، الصادع بالحق. قال القاضي عياض: وسئل أشهب: من قدم إليكم في المغرب؟ قال سحنون قيل فأسد؟ قال: سحنون والله أفقه فيه بتسع وتسعين مرة: وقال أشهب: ما قدم إلينا من المغرب مثله. وقال يونس بن عبد الأعلى: هو سيد أهل المغرب فقال له مد يس: أو لم يكن سيد أهل المشرق والمغرب قال: قد كان رجلاً نبياً فاضلاً خيراً، من شأنه... وفي شأنه ما يلي عليه ورفع به، وقال ابن وضاح. كان سحنون يرون تسعة وعشرين سماعاً وما رأيت في الفقه مثل سحنون في المشرق. وقال عيسى بن مسكين: سحنون راهب هذه الأمة ولم يكن بين مالك وسحنون أفقه من سحنون وقال أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم: كان سحنون ثقة، حافظاً للعلم رقية اليد، اجتمعت فيه خلال كلما اجتمعت في غيره: الفقه البارع؟ والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا والتحسن في الملبس والمطعم والسماحة" (٢).

وجاء في الإعلام " فقيه مالكي مناظر، كبير من أهل القيروان. لم يكن في عصر أحد أجمع الفنون العلم منه. رجل إلى المشرق سنة ٢٣٥ هـ وتوفي بالساحل، ونقل إلى القيروان ورشمتي بثلاثمائة مرتبة. كان كريم اليد، وجيهاً عند الملوك، عالي الهمة" (٣).

وقال صاحب ترتيب المدارك "ذكر أنه ستنظر المرونة، وكتبها في اللوح، وحفظها كما يحفظ القرآن ولم يكن يخلط بها غيرها. وقصده أمير المؤمنين متبركاً بدعائه رحمة الله" (٤).

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - ابن فرحون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان -

الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م. ترجمة رقم (٤٤٦) ص ٣٣٣.

(٢) المصدر السابق. نفس الصفحة.

(٣) الإعلام - الزركلي - ح ٦ - ص ٢٠٤.

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك - القاضي عياض - ص ١٢٢.

وجاء في دائرة المعارف (ورحل إلى المشرق في طلب العلم، شأن أبناء عصره، وذلك سنة ٢٣٥ هـ (٨٤٩) وعرف بمواصلة الدرس والاجتهاد، والتبحر في العلوم، وقوة الجلد في التصنيف والتأليف" (١).

وعن علمه وفقهه يقول ابن قرحون " كان إماماً في الفقه" (٢).

مؤلفاته:

من الذين أطلوا في ذكر مؤلفاته الزركلي فيقول: " من كتبه (آداب المعلمين) رسالة، صدرت بترجمة صفة له، من إنشاء حسن حسني عبد الوهاب، وأجوبة محمد بن سحنون خ، ورسالة في فقه المالكية، و "الجامع" في فنون العلم والفقه، " والسير" عشرون جزءاً و "التاريخ" ستة أجزاء و "آداب المناظرين" جزآن و "الحجة على القدرية" (٣).

وجاء في وفيات الأعيان " وكان أول من شرع في تصنيف "المدونة" أسدين الفرات الفقيه المالكي بعد رجوعه من العراق، أصلها أسئلة سأل سحنون وكانت تسمى "الأسدية" ثم رحل بها سحنون إلى ابن القاسم في سنة ثمان وثمانين ومائة، فعرفها عليه، وأصلح فيها مسائل" (٤).

وذكر البستاني " من آثاره العديد كتاب في (آداب المعلمين)، ومنها الرسالة السحنونية في فقه المالكية، و " أجوبة محمد بن سحنون" في الفقه كذلك، و "الجامع" و "الحجبة على القدرية" و "آداب المتناظرين" في جزئين ومنها كتاب في التاريخ في ستة أجزاء" (٥).

(١) دائرة المعارف - بطرس البستاني - ج ٣ - ص ١٦٣.

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - ابن قرحون - ص ٣٣٣.

(٣) الإعلام - الزركلي - ج ٦ - ص ٢٠٤.

(٤) وفيات الأعيان - ابن خلكان - ج ٣ - ص ١٨١.

(٥) دائرة المعارف البستاني - ج ٣ - ص ١٦٣.

محتويات المنهاج الدراسي عند ابن سحنون من خلال رسالته:

ونفصل في هذا الإطار التربوي لتعليم الصبيان (أى الأطفال) بالمعنى الحديث، ووفقاً لما تقدم، ومن قراءة النصوص من كتب التراث التربوي والتي تهتم بتربية الأطفال وواجبات أخلاقيات مهنة المعلم نحوهم، وفي هذا السياق نتحدث عن المنهاج التربوي عند ابن سحنون في مخطوطته آداب المعلمين، يتورع منهاج ابن سحنون التربوي على العناوين التالية:

- ١- تعلم القرآن وتعليمه النصوص.
- ٢- ما جاء فى العدل بين الصبيان.
- ٣- ما جاء فى الأدب وما يجوز من ذلك وما لا يجوز.
- ٤- ما جاء فى الختم وما يجب فى ذلك للمعلم.
- ٥- ما جاء فى القضاء بعطية العبد.
- ٦- ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان.
- ٧- ما ينبغى أن يخلى الصبيان فيه.
- ٨- ما جاء فى إجازة المعلم ومتى تجب.
- ٩- ما جاء فى إجازة المصحف وكتب الفقه وما شابهها.

ومن خلال قراءة رسالته آداب المعلمين، يشير ابن سحنون أن موضوع التعليم عنده مقتصر على تعليم القرآن للصبيان، ويعالج هذا الموضوع مع المتعلمين بكل جدية وما يترتب عليها من النواحي الدينية والتربوية.

ويتناول ابن سحنون واجبات الأب والأهل لإرسال ولدهم إلى المعلم من أجل تعلم القرآن، عليهم أيضاً أن يدفعوا للمعلم ما يتناسب من الأجر الذى يتم الاتفاق عليه بين الطرفين (الأب والمعلم).

ومن الجدير بالإشارة إلى اهتمام ابن سحنون باشتراك الأسرة في تدبير شأن المتعلم ومعاونة المعلم والمدرسة في تربية الأطفال.

العلاقة بين المعلم والمتعلم عن طريق المناهج العلمية الدراسية:

لقد وضع ابن سحنون واجبات للمعلم والمتعلم وهذا يدل على: " عنى المسلمون بتلقى العلم عن المدرسين عناية ملحوظة، وكرهوا كراهة شديدة أن يتلقى الطالب العلم عن الكتب وحدها وكان بعضهم يقول: من أعظم البلية تشيخ الصحيفة أى أن يتعلم الناس من الصحف وورد في كتاب الشكوى من لا شيخ له فلا دين له، ومن لم يكن له استاذ فإمامه الشيطان، وروى عن مصعب بن الزبير أنه قال: إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويكتبون أحسن ما يسمعون، فإذا أخذت الأدب فخره من أفواه الرجال فإنك لا تسمع إلا مختاراً ولؤلؤاً منثوراً" (١).

ولا شك أن الدراسة الأولى للنص السابق يتناول المفاهيم الرئيسية في طرق التدريس وقدرة الطالب على متابعة سائر الموضوعات التفصيلية في تلقى الدروس العلمية، بعد ذلك يؤكد ابن سحنون على دراسة المنهج الدراسي لأن " المنهج أحد الميادين الهامة للدراسة وللبحث في التربية، وهو ميدان واسع يمكن تناوله من زوايا متعددة، ومنطلقات متباينة، وجوانب كثيرة" (٢).

و " تستخدم كلمة منهج بطرق متعددة" إذ تشير هذه الكلمة إلى البرنامج الكامل في مؤسسة أو نظام تعليمي، وذلك مثل مناهج المدارس الثانوية، أو قد يشير معنى المنهج إلى مقرر دراسي واحد فقط كان تقول مقرر الرياضيات بالمرحلة الإعدادية" (٣).

(١) التربية الإسلامية د. أحمد شلبي - ص ٢٠٩.

(٢) المنهج وعناصره د. إبراهيم بسيوني عميرة - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة - سنة ١٩٩٠.

(٣) مناهج البحث العلمي في العلوم التربوية والنفسية د/ محمد عزيز إبراهيم - مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٩ ص ٢٤.

" ولقد اشتمل معنى كلمة منهج فى السنوات الأخيرة على جميع جوانب العملية التعليمية بما فيها الكتب الدراسية، والمواد التعليمية، وباختصار يهتم المنهج بكل العمليات والممارسات التربوية التى تتعلق بالمدارس" (١).

وتهتم نظرية المناهج عند ابن سحنون بالآتى:

- ١- الافتراضات العلمية والتربوية للمنهج الدراسى فى المجال المعرفى والوجدانى.
- ٢- دراسة توضيح ثلاثة مكونات رئيسية للمنهج وهى الأهداف العامة، والخاصة، والمحتوى ويظهر ذلك من خلال تقويم المنهج الذى يعتمد على الاختبار والقياس والتقويم.
- ٣- الاهتمام بتطوير المنهج عن طريق الخبرة التعليمية لمواجهة، والتأكيد على عملية بناء المنهج و تنظيم الخبرات التعليمية بكفاءة، والأهداف التربوية التى ينبغى أن تسعى الكتابيب لتحقيقها.

ومن الحقائق المعروفة فى النسق التربوى عند ابن سحنون أن المناهج التربوية لها مكوناتها وعلاقتها بعضها البعض، ولها أسس وعناصر تربوية، وهى ما يلى:

المنهج الدراسى عند ابن سحنون: [اختيار محتوى المنهج مثل منهج العلوم القرآنية] يتألف المنهج الدراسى الفقهى الخاص بتعليم الصبيان من مواد دراسية وأنشطة، لكى تكون التنشئة الدينية المبكرة مستمدة من القرآن الكريم ولتصبح أخلاق الصبيان صحيحة. ومن أهمها: "القسم الإلزامى" وهو القرآن الكريم وضرورة تعلمه حيث يقول ابن سحنون: "أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه" وخيركم من تعلم القرآن وعلمه" " يرفع الله بالقرآن أقواماً" " عليكم بالقرآن فإنه ينفى النفاق كما تنفى النار خبث الحديد" (٢).

(١) المرجع السابق - ص ٢٥.

(٢) آداب المعلمين - ابن سحنون ص ٧٧.

ويستشهد بآيات القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا" قال: كل من تعلم القرآن وعلمه فهو من اصطفاه الله من بنى آدم" (1) وهذا يدل على منهجية المعرفة العلمية في القرآن الكريم والتي تحتوى على التأمل والتكفير وإعمال الفكرة في دائرة الغيبات.

من النصوص السابقة يبين لنا ابن سحنون من خلال منهجة الدراسة إلزام الصبي بتعلم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأن يقتدى بالسلف الصالح من أجل بناء شخصية الصبي وتأسيسها على سعادة الإنسان في الدنيا والفوز بثواب الآخرة.

عملية بناء المنهج وأهدافها التربوية عند ابن سحنون:

والتي تحتوى على الأهداف التربوية التي تسعى الأماكن التعليمية إلى تحقيقها والتعرف على الخبرات التعليمية التي يمكن توفيرها والمنهج الدراسي عند ابن سحنون هو اساس النسق التربوي عنده لأنه يشمل ما يلي:

- ١- القرآن الكريم يصفل مواهب الأطفال وعقولهم وتنمية معارفهم، وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم نحو أنفسهم ونحو غيرهم.
- ٢- القرآن الكريم هو الأمل الوحيد في المنهج الدراسي عند ابن سحنون لأنه يحقق التربية الصحيحة وتكوين ثقافة سليمة، وإعادة الروح الفكرية التربوية في إطار التعاليم والمبادئ الإسلامية.
- ٣- القرآن الكريم عند ابن سحنون يؤسس مجموعة من المبادئ والمعتقدات والمفاهيم والمسلمات التربوية المستمدة من نصوص الدين الإسلام وتعاليمه ومقاصده والتي لها قيمة تطبيقية وتوجيهية في مجالات التربية والتعليم.

(1) آداب المعلمين - ابن سحنون ص ٧٨.

٤- المنهج الدراسي عند ابن سحنون شكل مترابط متكامل متناسق، لأنه بمثابة الموجه والمرشد للجهل، والعمل التربوي بجميع أنواعه وجوانبه في المجتمع من أجل الحصول على الدرجة العلمية.

٥- المنهج الدراسي يتناول دراسة القيم وعلاقتها بمقومات المجتمع وعوامل التغيير فيه، ويبرز ابن سحنون أهمية المعرفة في العملية التربوية لأنها تناقش الجانب الخلقى الاجتماعي.

٦- النسق التربوي عند ابن سحنون يجعل مفهوم التربية يتميز بالمرونة، والقابلية والتغيير والتطوير في ضوء ما يستجد في المجتمع الإسلامي من احتياجات وتغيرات في المجالات التربوية النفسية، والأساس التربوي عند ابن سحنون يعبر عن ثقة المجتمع في قدرته على تطوير مستقبله بتحويل الناشئين والشباب على نحو يختلف عما يكون عليه إذا تركوا وشأنهم دون جهد تربوي مقصود ومنظم.

المنهج الدراسي عن ابن سحنون يتناول التعاون واحتياج الإنسان إلى الاجتماع وهذا ما عبر عنه الفارابي: بقوله (وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه وفي أن يبلغ أفضل كما لأنه إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحدة بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه، وكل واحد م كل واحد بهذه الحال) (١).

ومما تقدم ذكره من شروط النسق للمنهاج الدراسي عند ابن سحنون نجد أنه كان صادقاً في نسقه التربوي حيث يقول: " قال محمد: وحضرت لسحنون قضي بالختمة علي رجل ، وإنما ذلك علي قدر يسر الرجل وعسره" (٢)

(١) المدينة الفاضلة للفارابي. د. علي عبد الواحد وافي - نهضة مصر - القاهرة - ص ٣٦.

(٢) آداب المعلمين - ابن سحنون ص ٣٥٥

مكانة الطفل في منهاج ابن سحنون – عرض المشكلة وتحليلها:**أخلاقيات مهنة المعلم في تعليم الصبيان: (العلاقة بين المعلم والمتعلم)**

إن "آداب المعلم وواجباته" يتناولها ابن سحنون من زاويتها الدينية والشرعية. فهو يقدم لنا ما يجوز للمعلم شرعاً وما لا يجوز ويبحث في حقوقه وواجباته^(*) الشرعية وسنرى أن معظمها يدور حول الإجارة متى يستحقها وكم قيمتها "والختمة" وشروطها متى تحقق له ومتى لا تحقق، ثم هل يجوز أن يقبل الهدية ومتى؟^(١).

وفي هذا السياق يؤكد ابن سحنون على أهمية المعلم لنشر العلم وتعليم الأطفال حتى لا تنتشر الأمية حيث يقول: "ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً ولو لا ذلك لكان الناس أميين"^(٢).

الزمن الدراسي عند ابن سحنون (زمن الحفظ – زمن الفهم)

أما عن المنهج الذي يتبناه المعلم في تعليم القرآن للصبيان يقول ابن سحنون "وينبغي له أن يجعل لهم وقتاً يعلمهم فيه الكتاب ويجعلهم يتجاوزون لأن ذلك مما يصلحهم ويخرجهم ويبيح لهم أدب بعضهم بعضاً"^(٣).

مجالات الدراسة في ميدان المنهاج الدراسي عند ابن سحنون:

والنسق التربوي عند ابن سحنون له جوهر أساسي يعتمد على تعليم الأطفال مثل تعليم الخط^(*) الحسن والقراءة الحسنة وهذا ما عبر عنه الفارابي "الملقب بالمعلم الثاني" بعلم قوانين

(*) واجباته الشرعية: ويمكن تعلم ذلك من خلال منهج الدراسة عنده والذي يحتوى على حفظ القرآن – الحساب – الدين – أصل الأخلاق – الفضائل والردائل – والعلوم الأخرى التي يلزم تعلمها مثل الفقه – الفرائض – الخطابة

(١) الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي د. عبد الأمير شمس الدين – ص ٦٦.

(٢) آداب المعلمين ابن سحنون ص ٧٨.

(٣) إحصاء العلوم – أبي نصر الفارابي – شرحه د. علي بو ملحم – دار ومكتبة الهلال – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٩٦ – ص ٢٣.

الكتابة وتصحيح القراءة حيث يقول " وعلم قوانين الكتابة: يميز أولاً ما لا يكتب في السطور من حروفهم وما يكتب ثم يبين عما يكتب في السطور كيف سبيلة أن يكتب"^(١).

أما عن القراءة الحسنة فيقول الفارابي: " وعلم قوانين تصحيح القراءة يعرف مواضع النقط، والعلامات التي تجعل عندهم لما لا يكتب في السطور من حروفهم، وما يكتب، والعلامات التي تميز بين الحروف المشتركة، والعلامات التي تجعل الحروف التي إذا تلاقت اندغم بعضها في بعض، وينحى بعضها لبعض، والعلامات التي تجعل عندهم لمقاطع الأقاويل. وتمييز علامات المقاطع الصغرى من علامات مقاطع الوسطى والكبرى، وبين علامات رداءة الألفاظ والأقاويل المرتبطة التي بمعنى بعضها، وخاصة إذا تباعد ما بينها"^(٢).

من النص السابق يبين لنا الفارابي ما يكتب في السطور وما لا يكتب: ما يكتب هو الحروف، وما لا يكتب هو الحركات كالفتحة والضمة والكسرة والسكون و يجب على المعلم أن يعلم الطفل كيفية وضع النقط التي تميز الحروف، ويعلمه علامات بوقف كالنقطة والفاصلة والقاطعة والاستفهام والتعجب ومن الجدير بالذكر أن هذه القواعد السالفة الذكر، استطاع أن يطبقها ابن سحنون في منهجة التربوي لكي يستطيع الطفل أن يتأسس على الخط الحسن والقراءة الحسنة، والنسق التربوي يعالج اليوم رداءة الخط، والقراءة، وعدم معرفة علامات الوقف، والسبب في ذلك بعدنا عن التراث التربوي، وللوقوف على الفكر التربوي لهذه العلامة وعلى نظرية أو فلسفته التربوية لابد من عودة على بدء منطلقاته وبديهياته، لأن نسقه التربوي جزء من كل فلا بد من معرفة.

(*) واجباته الشرعية: ويمكن تعلم ذلك من خلال منهج الدراسة عنده والذي يحتوي على حفظ القرآن - الحساب - الدين - أصل الأخلاق - الفضائل والردائل - والعلوم الأخرى التي يلزم تعلمها مثل الفقه - الفرائض - الخطابة

(١) المصدر السابق - ص ٨٣.

(٢) المصدر السابق - ص ٨٣.

كيفية تطبيق المنهج التربوي الدراسي عند ابن سحنون:

من واجبات أخلاقيات المهنة عند المعلم لا بد أن يكون مخلصاً في مهنته، ويحاسب نفسه على جميع أعمالها دوماً واستمراراً ويتمسك بالاستقامة لإدراك الحقائق على طبيعتها، محافظاً على سريره وتراكمه العلمي وثقافته العلمية، لأنه هو الذي يخرج لنا الأجيال، فمن هذه الأجيال أطفالنا وقلوبنا وهم اللبنة الأولى لبناء المجتمع، وذخيرة المستقبل فلا بد أن يراعى الله في علمه وأخلاقه لهم في تعليمهم، ومن العلوم الإجبارية واللازمة للأطفال منذ الصغر، يشير إليها ابن سحنون حيث يقول: "وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له، والشكل، والهجاء والحظ الحسن والقراءة الحسنة والتوفيق والترتيل يلزمه ذلك ولا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش(*) من كلام العرب وأخبارهم، وليس بذلك واجب عليه"^(١). كل ذلك يتم في سياق التعلم في المواقف المختلفة، وفي سياق إعادة بناء طرق الأداء التربوية.

" والله در أبى سعيد البصرى حيث يقول: النحو يبسط من لسانى الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن وإذا طلبت من العلوم اجلها فأجلها عندى مقيم الألسن"^(٢).

اختيار وتنظيم محتوى المنهج عند ابن سحنون:

ومجمل القول نجد أن ابن سحنون يجعل القرآن من العلوم الإجبارية في سن الطفولة لأنه أساس القراءة الحسنة والخط الحسن، والقرآن الكريم هو معجزة البيان اللغوى، وفي نفس السياق يقول الشيرزى في كتابه "نهاية الرتبة ف طلب الحسبة" مؤكداً على صدق ابن سحنون فمن واجبات المعلم نحو تعليم الأطفال القرآن الكريم فيقول: " وأول ما ينبغي للمؤدب أن يعلم

(*) الفحشاء: "هو ما يفر عنه الطبع السليم، ويستنقسه العقل المستقيم"- التعريفات: الجرجاني - ص ١٦٧ -

"إعراب القرآن: ثم المرجع في معرفة النحو إلى التلقى من المنسوخات والمختصرات والمتوسطات أكثر من أن يأخذها الحصر مثل المفصل الزمخشري (القلقشندي ط ص ٢٠٨.

(١) آداب المعلمين - ابن سحنون - مصدر سابق - ص ٨٣.

(٢) صبح الاعشا في صاعه الإنشا - القلقشندي - ط(١) ص ٢٠٦.

الصبي السور القصار من القرآن، بعد صدقة بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل، وبدرجة بذلك حتى يألفه طبعة، ثم يعرفه عقائد أهل السنة والجماعة، ثم أصول الحساب، وما يستحسن من المراسلات والأشعار دون سخيها ومستزئها. وفي الروح يأمرهم المؤدب بتجويد الخط على المثال، ويكلفهم عرض ما أملاه عليهم حفظاً غائباً لا نظراً. ومن كان عمره فوق سبع سنين أمره المؤدب بالصلاة في جماعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " علموا صبيانكم الصلاة السبع، اضربوهم على تركها لعشر"^(١) والنتائج الحاصلة من هذه المقدمات تحقق النسق التربوي، لأن الهدف الأسمى عند ابن سحنون من تطبيق المنهج التربوي وهو ضرورة إعطاء الأولوية للمصادر الإسلامية عند بناء فلسفة النظام التعليمي للمجتمع الإسلامي، وبذلك يستطيع المربون والعلماء بناء نظام تربوي تعليمي شامل متكامل فمجتمع صالح ينشد التقدم في إطار تعاليم^(*) دينية والتي يأتي في مقدمتها كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

التعليم الإلزامي عند ابن سحنون: ويشمل طرق التدريس

واستناداً فيما سبق، وفي نفس السياق الدراسي يتناول ابن سحنون واجبات المعلم في تعليم الصبيان فيقول: " ويلزمه أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة وهو مقراً نافع، ولا بأس أن أقرأهم غيرة إذا لم يكن مستتبساً مثل "يبشرك" و (ولده) و (حرم على قرية) ولكن يقرئها (يبشرك) و (ولده) و (حرام على قرية) و ما أشبه هذا وكل ما قرأ به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٢)

(١) نهاية الرتبة في طلب الحسبة - عبد الرحمن بن نصر الشيرزى - يحقق الدكتور السيد الباز العرينى - دار الثقافة - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م. ص ١٠٣.

(*) المنهاج التربوي عند ابن سحنون تتضمن بوضع القيم الإخلاقية للعلم كالموضوعية والأمانة العلمية، والكثير من الأنشطة التي تستدعي الفكر والتأمل والبحث التجريبي، والمنهاج عنده تراعى القدرات العقلية والفكرية للتلاميذ، وأن تتضمن المنهاج اكبر قدر من الآيات القرآنية الكريمة التي تشجع العلم والتأمل والتفكير.

(٢) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨٣.

المواد الاختيارية في المنهج الدراسي عند ابن سحنون:

يشير ابن سحنون إلى أن هناك بعض المواد الاختيارية التي يتعلمها الصبي من قبل المعلم حيث يقول: "وينبغي أن يعلمهم الحساب^(*) وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط ذلك عليه، وكذلك الشعر، والغريب، والعربية، والخط وجميع النحو^(*) وهو في ذلك متطوع"⁽¹⁾.

ومن حسابات الفقهاء تدبير الحشو، ويسمى: التتمة، وحساب الدرهم والدينار وحساب الديباج، وفتح في هذه كلها: ما اعتياض، وإما اختلال واختلاف وأحسنها وأجمعها الذي لا يختلف في حال حساب الجبر والمقابلة⁽²⁾.

اختيار مواد المنهج وهي المواد الاختيارية والإجبارية:

وإذا كان ابن سحنون يهتم بالعلوم الإجبارية والمواد الاختيارية، فيعتبر ذلك من مفهوم القانون العلمي التربوي، وهو من المفاهيم الأساسية التي يتضمنها أي نسق تربوي، وهذا ما نستخدمه في وقتنا الحاضر في الحقول التربوية، وهذا يدل على تعمق ابن سحنون في النظريات التربوية لأنه يبدأ بتوضيح المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في النسق التربوي، ويحدد أسماء المواد الإجبارية، فيعتبر ذلك من مفهوم القانون العلمي التربوي، وهو من المفاهيم الأساسية التي يتضمنها أي نسق تربوي، وهذا ما نستخدمه في وقتنا الحاضر في الحقول التربوية، وهذا يدل على تعمق ابن سحنون في النظريات التربوية لأنه يبدأ بتوضيح المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في النسق التربوي، وهذا ما نستخدمه في وقتنا الحاضر في الحقول

(*) علم الحساب: فهو الأساس الأول للعلاقات الكمية، والعلم في صورته النهائية هي مجموعة من المعادلات الرياضية.

(*) ولأهمية النحو قال: " أبو عبيدة قال: مر الشعبي بقوم في الموالي يذكرون النحو" فقال لهم: لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده، وقال عبد الملك بن مروان: الإعراب جمال للوضع/ واللحن هجنه على الشريف وقال: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفروض" العقد الغريب ابن عبد ربه ح ٢ ص ٤٧٨، ٤٧٩.

(1) المصدر السابق نفس الصفحة

(2) مفاتيح العلوم - الخوارزمي - ص ٢٢٢

التربوية، ويحدد أسماء المواد الإجبارية والمواد الاختيارية تحديداً دقيقاً معروفاً، والهدف من تقسيم المواد عند ابن سحنون هو تنمية القدرات العقلية والاجتماعية للفرد، والتعليم شركة بين المعلم والتلميذ وينبغي على المعلم أن يشجع الطلبة على اختيارهم للمواد بإرادتهم وورغبتهم لينمي لديهم الاتجاه العلمى والانفتاح العقلى والموضوعية العلمية، لذلك وجيب على المعلم احترام شخصية التلاميذ فى اختيارهم وورغباتهم للمواد العلمية.

والحكمة من تقسيم المواد إلى إجبارية واختيارية هي ما يلي:

- ١- يصبح التلميذ مكتشفاً، ويجعل العقل بعيداً من مصادر الارتباك أو البلبه فى مفهومات المواد التعليمية، والمعرفة تتميز بالموضوعية ومجردة عن التحيز الشخصى.
- ٢- تناول التفرقة والتمييز بين العلوم الإجبارية والاختيارية ملائمة المناهج والاهتمامات الطفل وميوله، ويهدف إلى استثارة أنواع مفيدة من الاستطلاع والقراءة المفيدة.
- ٣- يجب على المعلم أن يكتشف الاستعدادات الخاصة لدى الطلاب حتى يتم اختيارهم للتخصص المناسب لهم، وكذلك التنافس فى اختيار المواد لنمو العقل والذكاء.
- ٤- التمييز بين العلوم الاجبارية والاختيارية تعتبر عن نقل الانماط السلوكية للفرد من المجتمع الذى يعيش فيه، ونقل التراث الثقافى الأتى من الاجيال السابقة إلى الاجيال اللاحقة، واكساب التلاميذ خبرات جديدة نابعة من قيم ومعتقدات ونظم وعادات.
- ٥- تنوير الأطفال بمعلومات جديدة وإطلاعهم على كل جديد بموضوعية ودقة علمية يشير ابن سحنون إلى اللحن و " كان اللحن - حتى بعد انتشاره - ينظر إليه على أنه شئ مستهجن يدعو إلى النفور والامتهان، روى أن كاتباً لأبى موسى الأشعري كتب إلى عمر: " من أبو موسى " فكتب عمر إلى أبى موسى: عزمت عليك لما خربت كاتبك سوطاً ودخل إعرابى السوق مرة فسمع الناس يلحنون فقال: سبحان الله يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح، ولكن الموقف زاد خطورة عندما تعرى اللحن عامة إلى خاصتهم، فوقع فيه الوليد

بن عبد الملك والحجاج بن يوسف، وأبو حنيفة النعمان. ثم كان اللحن أكثر خطراً وادعى لاشتمئزاز النفس عندما وقع في القرآن فغير المعنى تغييراً يؤدي بصاحبه إلى الكفر" (١).

مراعاة الأهداف التربوية في المنهج الدراسي عند ابن سحنون:

من كل ما تقدم نخلص إلى القول بأهمية المنهج الدراسي في الحقل التربوي لأنه يفرق بين المواد الإجبارية والمواد الاختيارية وكذلك المواد التي نحذر من تعليمها للصبي منذ الصغر لذلك يحذرنا ابن سحنون من بعض المواد مثل تعليم القرآن للأطفال بالألحان فيحذر ابن سحنون المعلم من القراءة بالألحان للأطفال حيث يقول: " ولا بأس أن يعلمهم الخطب أن أرادوا ولا أرى أن يعلمهم ألحان القرآن لأن مالكا قال: لا يجوز أن يقرأ القرآن بالألحان، ولا أرى أن يعلمهم التحييد لأن ذلك داعية إلى الغناء، وهو مكروه، وأن ينهى عن ذلك بأشد النهي قال، قال سحنون: ولقد سئل مالك عن هذه المجالس التي يجتمع فيها للقراءة، فقال: بدعة ، وأرى الموالي أن ينهائهم عن ذلك ويحسن أدبهم" (٢) عن طريق توجيه التلاميذ على حسب مواهبهم.

ومن واجبات المعلم أن يعلمهم حسن الخلق ويرشدهم بالنصائح المفيدة في مستقبلهم وحياتهم اليومية فيقول "ولعلمهم الأدب فإنه من الواجب عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم" (٣) وقال عبد الملك المؤدب ولده علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس روعة وأقلعهم أدباً، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة وأحق شهورهم تغلظ رقابهم.

(١) التربية الإسلامية - د. أحمد شلبي - ص ٩٨.

(٢) آداب المعلمين - ابن سحنون ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

طرق التدريس عند ابن سحنون:

ويمكن أن نستخلص من الفقرات السابقة لابن سحنون إلى ما يلي:

١ - طريقة تعليم القرآن والخط والأدب العربي وأساليب التربية الخلقية:

وهي الاهتمام بالوسائل الدافعة المتمثلة في القدوة الحسنة والبيئة الصالحة، والاهتمام بالوسائل المانعة والاعتاظ بالغير والعقاب، وهناك شروط للعلاقة بين المعلم والمتعلم وبالأخص في عملية طرق التدريس وإلقاء الدروس، لذلك يقول الجاحظ: "أنزركم حسن الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام، فإن المعنى إذا اكتسى لفظاً وإعارة البليغ مخرجاً مهلاً، ومنحة المتكلم ولا متعشفاً صار في قلبك أحلى، ولصدرك أملاً، والمعاني إذا كسبت الألفاظ الكريمة وألبست الأوصاف الرفيعة وتحولت في العيون عن مقادير صورها" (١)

ولا تقل طرق التدريس عند ابن سحنون أهمية عن اتجاهات التربية الحديثة، لأنه يهتم بتفريغ المعلم لأداء مهنته، وما يجب على المعلم من لزوم الصبيان من تعلمهم حسن الخلق وكان المحاسب يقول: "لو أن امرءاً أحسن الإحسان كله، وكانت له ودجاجة وأساء إليها، لم يكن من المحسنين وكان المحاسبي يقول: فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الأمانة، وحسن الخلق: أن لا تطمع فيما ليس لك وليس بهذه الصفة أحد إلا الله تعالى، وقيل حسن الخلق تحمل أثقال الخلق ومن أهم طرق التدريس عند ابن سحنون وهي عدم تعلم الأطفال القرآن بالألحان. " قال صاحب الريحان والريحان": واللحن قبيح في كبراء الناس وسرائرهم، أن الأعراب(*) جمال لهم، وهو يرفع الساقط من السفلة، ويرتقى به إلى مرتبة تلحقه بمن كان فوق نمطه وضعفه. قال: وإذا لم يتجه الإعراب فسد المعنى فإن اللحن يغير

(١) البيان والتبيين - الجاحظ - ط ١ - ص ١٧٤.

(*) حركات الإعراب ثلاث: رفع ونصب وجر، واصل الأعراب أن يكون بالحركات، وإنما يعدل عنها لسبب فأما قولهم: أخوه أبوه وفوه وهذه و ذو مال فإن الذي دعاهم إلى جعل اختلاف الحروف قائماً مقام اختلاف الحركات (كتاب المقتصد في شرح الإيضاح عن الفاهر الجرجاني والتحقيق د. كاظم بحر المرجان).

المعنى واللفظ ويقبله عن المراد به إلى ضده حتى يفهم السامع خلاف المقصود منه"^(١) وإلى جانب ذلك يهتم ابن سحنون بدراسة النحو " لا نزاع أن النحو هو قانون اللغة العربية، وميزان تقويمها وقد تقدم في النوع الأول أن اللغة العربية هي رأس مال الكاتب، فيحتاج إلى المعرفة بالنحو وطرق الإعراب وليرتسم الإعراب في فكرة، ويدور على لسانه، وينطلق به مقال قلمه وكلمه ويزول به الوهم عن سجيته.

الزمن الدراسي عند ابن سحنون:

وعلى الرغم من كل ما تقدم من أخلاقيات مهنة المعلم وواجباته التعليمية إلا أن ابن سحنون يؤكد على أهميته في عناية ورعاية الأطفال، وينظم وقته في متابعتهم حيث يقول: "وعلى المعلم أن يكسب الدرة والفلقة وليس ذلك على الصبيان، وعليه كراء الحانوت وليس ذلك على الصبيان، وعليه أن تفقدهم بالتعليم والعرض ويجعل لعرض القرآن وقتاً معلوماً مثل يوم الخميس وعشية الأربعاء ويأذن لهم في يوم الجمعة وذلك سنة المعلمين"^(٢) وعلى المعلم متابعة الأطفال وقت إملاءهم حتى يستطيع الطفل تصحيح أخطأه اللغوية لكي يتدرب على حسن الخط والإملاء الجيد وهذا ما نفتقده عند بعض الأطفال حيث يقول ابن سحنون: "وليجعل الكتاب من الضحى إلى وقت الانقلاب ولا بأس أن يجعلهم يملئ بعضهم على بعض لأن ذلك منفعة لهم ولينقدهم إملاءهم"^(٣).

وما يجب على المعلم لزوم الصبيان " ولا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان إلا أن يكون وقت لا يعرضهم فيه، فلا بأس أن يتحدث وهو في ذلك ينظر إليهم وينقدهم"^(٤)

(١) صح الاعشا في صناعة الإنشا - القلقشندي - ط ١ . ص ٢٠٦ .

(٢) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨٤ .

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة .

(٤) المصدر السابق - ص ٨٢ .

من خلال النصوص السابقة لابن سحنون يتبين لنا الزمن المدرسي عنده وهو:

١- زمن الحفظ ٢- زمن الفهم ٣- زمن الترويح

مما سبق نذكر من واجبات المعلم تجاه الصبيان من تعليم، وتقسيم للوقت، فهذا لا يتم إلا بالتمسك بالتواضع، ويشير الأجرى فيقول " فإذا نشر الله له الذكر عن المؤمنين، أنه من أهل العلم، واحتاج الناس إلى ما عنده من العلم، ألزم نفسه التواضع للعالم وغير العالم. فأما تواضعه لمن هو مثله في العلم، فإنها محبة تنب له في قلوبهم، وأصبوا قربه، وإذا غارب عنهم حنث إليه قلوبهم، وأما تواضعه للعلماء فواجب عليه إذا أراد العلم ذلك، وأما تواضعه لم هو دونه في العلم فشرف العلم له عند الله و عند أولى الألباب، وكان من صفته في علمه وصدقة وحسن إرادته يريد الله بعلمه" (١).

وعندما بحث ابن سحنون في النسق التربوي ركز وأكد على تطبيق مبدأ العدل بين الصبيان وهذا يدل على المساواة في حق التعليم، وتحقيق الديمقراطية في مجال التعليم، وتكافؤ الفرص التعليمية، وإيجاد صيغ وأساليب متنوعة جديدة للتعليم تلائم كل فرد، " وفي القرآن الكريم، كان العدل قيمة مركزية فمهما كان تصرف "الأخر" إزاءنا، فلا بد من معاملته بالعدل: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلنَّقْوَىٰ ۗ﴾ (٢) والعدل ليس سلوكاً علمياً فحسب، بل هو قيمة نظرية كذلك لا بد أن تبتدى في الأقوال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ﴾ (٣) والحكم بين الناس لا بد كذلك أن يستند إلى العدل: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ﴾ (٤) والعدل مطلب ألهي لا بد للبشر من الامتثال له: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

(١) أخلاق العلماء - الأجرى - مصدر سابق - ص ٥٢.

(٢) سورة المائدة آية رقم (٨).

(٣) سورة الانعام آية رقم: ١٥٢.

(٤) سورة النساء آية (٨)

وَالْإِحْسَانَ وَإِيتَاءَ ذِي الْقُرْبَى ﴿١﴾ (١) وهكذا تتعدد الواهد، وتتووع الأدلة والبراهين التي تنتهي جميعاً على أن فى العدل خير، بل كل الخير للإنسان فرداً وجماعة (٢) وقد شرح لنا الثعالبي - مفهوم العدل : " إذا نطق لسان العدل فى دار الإمارة، فلها البشرى بالعزو والعمارة، إذا عدل السلطان اعتدال الجانف، واقصر الخائف، فالإقبال صاحب، ونصر الله مصاحبة، حقة على رغبته أن يفتدوه بسنا أبصارهم، وسنى أعمارهم، الأوطان حيث يعدل السلطان عدله لدينه أحوط، ولدينا أضبط، ويجب تطبيق العدل فى جميع جوانب العملية التعليمية بما فيها لا كتب الدراسية، والمواد التعليمية، والممارسات التربوية التي تتعلق بتربية الأطفال.

تكافؤ الفرص فى التعليم "من أهم المناهج التربوية عند ابن سحنون"

ومن خلال النسق التربوى عند ابن سحنون، نجد انه استطاع أن يضع منهجا تربوياً صحيحاً لتعليم الأطفال وبالأخص فى التنشئة الأولى من حياتهم، وحدد للمعلم واجبات مهنية فى كيفية إعداد الصبى إعداداً تربوياً سليماً، وهو فى هذا السياق يشير إلى العدل بين الصبيان حيث يقول ما جاء فى العدل بين الصبيان : " حدثنى محمد بن عبد الكريم البرقى قال: حدثنا أحمد بن ابراهيم العمري قال: حدثنا آدم بين بهرام بين إياس، عن الربيع عن صبيح، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: " ايما مؤدب ولى ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيم و غنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين" (٣) وهذا يدل على تكافؤ فرص التعليم.

ويقول أيضا " عن موسى، عن فضيل بن عياض، عن ليث، عن الحسن قال: إذا قوطع المعلم على الاجرة فلم يعدل بينهم - يعنى الصبيان - كتب مع الظلمة" (٤) .

(١) سورة النحل آية (٩٠)

(٢) تعليم المحرومين وحرمان المتعلمين إعداد د. مهنى غنايم، د. هادية أبو كليله - عالم الكتب ١٩٩٤م. بدون طبعة ص ٥، ٦.

(٣) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٧٩.

(٤) المصدر - السابق نفس الصفحة.

من النصوص السابقة نجد أن ابن سحنون يشير إلى العدل بين الصبيان ويجب على المعلم أن لا يفرق بين الغنى والفقير فى التربية والعلم ويجعلهم أمامه سواسية كأسنان المشط وإذا لم يفعل ذلك أصبح خائناً وظالماً ويحشر يوم القيامة مع الخائنين ومع الظلمة".

الاعتبارات الاجتماعية والنفسية فى منهج ابن سحنون:

وقد تيسر لنا فى هذا الفصل دراسة المنهج الدراسى عند ابن سحنون، وتتبعنا تطور التكوين النفسى والتغير الاجتماعى عند الأطفال، وأما تصنيفنا للظواهر النفسية إلى مظاهر النمو العقلى، ومظاهر النمو الانفعالى، ومظاهر النمو فى السلوك الشخصى والاجتماعى، وقد نتج هذا التصور السابق من خلال النسق التربوى عند ابن سحنون وبالأخص عندما تناول دراسة الفروق الفردية والتي توضح الاختلاف بين الأطفال "فنحن نلاحظ اختلافاً بين الأطفال فى المدارس فى مختلف مراحل التعليم فى تحصيلهم وفى قدرتهم على المناقشة وفى إجاباتهم اللغوية التحريرية، وفى قدراتهم الحسابية والرياضية، وفى ميولهم المختلفة، وفى أساليب نشاطهم المتباينة، ولا شك أن المدرس المستنير يستطيع أن يرسم الكثير من هذه الفروق نتيجة لملاحظاته على ابنائه"⁽¹⁾.

ويتناول ابن سحنون نمو الطفل العام لأنها ظاهرة نلاحظها فى حياتنا اليومية، وهدف العلم هو دراسة هذه الظاهرة و وصفها وصفاً دقيقاً كما تبدو فى مجال السوى، والتمييز بين كل مرحلة وأخرى من مراحل هذا النمو، ومرحلة المراهقة يعبر عنها ابن سحنون عندما يؤكد على التفرقة فى المضاجع بين الذكور والإناث، وكذلك فى التعليم لأن "المراهقة مصطلح وصف يقصد به مرحلة نمو معينة تبدأ بنهاية الطفولة وتنتهى بابتداء مرحلة النضج أو الرشد أى أن المراهقة هى المرحلة النمائية أو الطور الذى يمر فيه الناشئ وهو الفرد غير الناضج

(1) علم النفس التربوى د/ أحمد زكى صالح - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبقة الحادية عشر . ١٩٧٩. ط ١ - ص ٥٢٧.

جسماً و انفعالياً وعقلياً واجتماعياً نحو بدء النضج الجسمي والعقلي، فالمرهق هو صبي أو ناشئ في مرحلة بين الطفولة والرجولة كذلك المراهقة هي فتاة في مرحلة بين الطفولة والأنوثة وبالتالي أن المراهقة بالنسبة للجنسين هو طور التغيرات الكبرى التي تؤهل طفل العقد الأول من الحياة إلى المشاركة في مجتمع أفراد المجتمع من أصحاب العقد الثالث^(١).

وينبها ابن سحنون إلى سيكولوجية النمو والأسس النفسية للنمو الإنساني وكذلك سيكولوجية الفروق الفردية ومطالب النمو في مرحلة المراهقة حيث يقول: : ما يجب علي المعلم من لزوم الصبيان: ولا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان^(٢). ويقول أيضاً: " وليلزم المعلم الاجتهاد وليتفرغ لهم"^(٣).

ولقد استخدم ابن سحنون^(٤) المنهج الاستنباطي وهو منهج يقوم على الاستقراء والقياس في معالجة الفروق الفردية القائمة بين الأفراد في القدرات والاستعدادات والميول والاتجاهات، على أن طبيعة الإنسان تقوم على الفردية والاجتماعية معاً.

الأسس التي يستند عليها عمل المنهاج عند ابن سحنون وهي ما يلي:

الفروق الفردية عند ابن سحنون:

تتناول الفروق الفردية أبعاداً نظرية وتوجيهات متنوعة، ومستويات تطبيقية في توظيف قدرات الطلاب المتفوقين والممتازين في مشاركة أساتذتهم في التعرف على الحقائق العلمية وهضم المعلومات والمعارف التي تستوعبها قدراتهم العقلية، وهذا ما ينبها إليه ابن سحنون من

(١) علم النفس التربوي د/ أحمد زكي صالح - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الحادية عشر ١٩٧٩. ط ١ - ص ٥٢٧.

(٢) آداب المعلمين - ابن سحنون ص ٣٥٧.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة

(٤) نادى ابن سحنون ببعض المبادئ التي ينادى بها المربون مثل: الحرية، الزامية التعليم استمرارية التربية، المهنية - تعليم الضائع والحرف، مراعاة الفروق الفردية ومعرفة مدى فاعلية برنامج قصص القرآن الكريم على النسق القيمي لدى تلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي".

خلال منهجه التربوي والذي يشير على واجبات المعلم في مراعاة الفروق الفردية عند الأطفال حيث يقول: " ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة حتى يحفظوها بإعرابها وكتابتها^(١). وقال آخر لمؤدب ولده: لا يخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه فإن احكموه العلم في السمع وازدحامه في الوهم مضلة للفهم^(٢). وعلى المعلم أن يراعى الصبى وسنه في العملية التربوية فيقول ابن سحنون " ولا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان في حوائجه وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بنى سبع سنين ويضربهم إذا كانوا بنى عشر وكذلك قال مالك، حدثنا عنه عبد الرحمن قال: قال : مالك: يضربون عليها بنو عشر ويفرق بينهم في المضاجح قلت: الذكور والإناث؟ قال: نعم " ^(٣)

ماذا يجب أن تكون عليه عملية بناء المنهج:

وعند تطبيق المنهج التربوي في الفروق الفردية، يجب على المعلم إتباع الأساليب والطرق التربوية وهي: " وإن كن له مجلس قد عرف بالعلم إلزم نفسه حسن المراجعة لمن جالسة والرفق بمن سألته، واستعمال الأخلاق الجميلة، ويتجافى عن الأخلاق الدينية، فأما أخلاقه مع مجالسيه فصبور على من كان ذهنه بطيئاً عن فهم حتى يفهم عنه^(٤) ومن واجبات المعلم أيضاً، التمسك بالصبر^(٥)، والرفق بالفقراء، لذلك وجب عليه أن يكون: " صبور على جفاء من جهل علمه حتى يزيده بحلم يؤدب جلساءه بأحسن من ما يكون من الأدب، لا يدعهم يخوضون فيما لا يعينهم، ويأمرهم بالإنصات مع الاستماع إلى ما ينطبق به من العلم، فإن تخطى أحدهم

(١) علم النفس التربوي د/ أحمد زكي صالح - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبقة الحادية عشر ١٩٧٩. ط ١ - ص ٥٢٧.

(٢) علم النفس التربوي د/ أحمد زكي صالح - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبقة الحادية عشر ١٩٧٩. ط ١ - ص ٥٢٧.

(٣) المصدر السابق ٠ نفس الصفحة.

(٤) أخلاق العلماء - الأجرى - مصدر سابق - ص ٥٣.

(٥) الصبر: النزول الحصيف يتماسك عن الأرزاء، ويتمسك عند الصبر والعزاء، الصبر مفتاح النجاح، ما أحرى من كان صابراً أن يكون إلى مناه صائراً، إذا قرعت النوائب مروءتك خلا تغفر لن مروءتك، الصبر بالحر أحرى، وفي طريق المروءة أجرى (كتاب مرآة المروءات - الثعالبي - ص ١٧).

إلى خلق لا يحسن بأهل العلم لم يجهل في وجهة على جهة التبكيث له، ولكن يقول: لا يحسن بأهل العلم والأدب كذا وكذا فيكون الفاعل لخلق لا يحسن قد علم أنه المراد بهذا فيبادر برفقة به" (١).

وعند معالجة الفروق الفردية، هناك خطوات تربوية هامة وبالأخص عن الأسئلة من الصبيان، فالعلم: " أن سألة منهم سائل عما لا يعينة ردة عنه، وأمره أن يسأل عما يعينة، فإذا علم أنهم فقراء إلى علم قد أغفلوه عنه ابداه إليهم، وأعلمهم شدة فقرهم إليه، لا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيبخله، ولا يزرجه فيضع من قدر ولكن يبسطه في المسألة ليجبره فيها قد علم بعينة عما يعينة، ويحثه على طلب علم الواجبات من علم أو فرائضه، واجتتاب محارمه، يقبل على من يعلم أنه محتاج إلى علم ما يسأل عنه، ويترك من يعلم أنه يريد الجدل والمراء، يقرب عليهم ما يخافون بعده بالحكمة والموعظة الحسنة" (٢).

والفروق الفردية عن ابن سحنون تفسر لنا توضيح المفاهيم وإضاءة بعض القضايا المتعلقة بالنسق التربوي، والمقارنة الشمولية بين الأطفال، وتبين لنا الاهتمام بسلوك الخبرة في فهم الطلبة، واستخدام الاستنتاج والتأويل والاستبصار بالطرق العلمية وهي الطريق إلى السلوك التنظيمي والأزدهار العلمي الثقافي الاجتماعي.

عدم تعليم الأطفال الخرافات وعلم التنجيم (المعلومات العلمية السليمة كأساس في عمل المناهج)

وانطلاقاً من المنهج الشمولي للمنهج التربوي عند ابن سحنون في مراعاة الفروق الفردية في العملية التعليمية، وبالأخص في المناهج الدراسية، وحذرنا ابن سحنون من عدم تعليم بعض العلوم للأطفال، مثل علم التنجيم حيث يقول: " عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قوم ينظرون في النجوم يكتبون "أبا حاد" أولئك لأخلاق لهم" (٣).

(١) أخلاق العلماء - الأجرى - مصدر سابق - ص ٥٣.

(٢) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٣) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٩٥.

المرتكزات الأساسية في المنهج الدراسي عند ابن سحنون

وينبغي للمعلم أن يلتزم بالمنهج الدراسي والخطة الدراسية حتى يزدهر العلم ويتقدم، لأن هناك علوم محرمة لا بد أن يبتعد عنها المعلم فيحذرنا ابن سحنون من ذلك حيث يقول: "وقد سمعت حفص بن غياث يحدث أن أبا جاد أسماء الشياطين القوها على السنة العرب في الجاهلية فكتبوها، قال: وسمعت بعض أهل العلم يزعم أنها أسماء ولد سابور ملك فارس أمر العرب الذين كانوا في طاعته أن يكتبوها، فلا أرى لأحد أن يكتبها فإن ذلك حرام" (١) بطبيعته مفطور على إصلاح العلم ونفسه حيث يقول الحكيم "الإنسان مفطور على إصلاح النفس" (٢) وفي ضوء ما تقدم من إشارات لابن سحنون إلى مراعاة الفروق الفردية، وعدم تعاليم الأطفال الخرافات، والعلوم المحرمة مثل علم التنجيم، وهذا ما نجده بالتفصيل عند الامام الغزالي.

ويؤكد الامام الغزالي على مراعاة الفروق الفردية عند المتعلم فيقول:

"أنا الخائض في العلوم النظرية لا ينبغي أن يصغى أولاً إلى الاختلاف الواقع بين الفروق، والشبه المشككة المحيرة ما لم يكن بعد تمهيد قوانينه، فإن ذلك يفز عزمه في أصل العلم ويؤيسه عن حقيقة الدرك لأسباب ذكرناها في كتاب معيار العلم" (٣).

ويتناول الامام الغزالي الفروق الفردية (٤) وتنمية القدرات العقلية في كثير من العلوم والفنون، ويحذرنا بعدم الانتقال من علم إلى علم إلا إذا كان المتعلم فاهماً له ففبقول: "للمتعلم أن لا يدع فناً من فنون العلم، ونوعاً من أنواعه، إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على غايته، ومقصده، وطريقة ثم أن ساعده العمر وواتته الأسباب طلب التبحر فيه، فإن العلوم كلها متعاونه

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٢) تاريخ الحكماء - البيهقي - ص ١٣٢.

(٣) تاريخ الحكماء - البيهقي - ص ١٣٢.

(٤) ابن سحنون يعالج الفروق الفردية فيقول: "ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة حتى يحفظوها بإعرابها وكتابتها" ويقول: "ولعلمهم الأدب فإنه من الواجب لله عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم" (آداب المعلمين الابن سحنون ص ٣٥٨، ٣٥٩).

مترابطة بعضها ببعض، وينقيد منه في الحال حتى لا يكون معاديا لذلك العلم بسبب جهلة به، فإن الناس أعداء ما جهلوا، قال تعالى: (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم)

قال الشاعر: ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراية الماء الزلالا

قال ينبغي أن يستهين بشيء من أنواع العلوم، بل ينبغي أن يحصل كل علم ويعطيه حقه ومرتبته، فإن العلوم على درجاتها:

أما سالكه بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على اسباب السلوك ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصد والقوام بها حفظه كحفظه الرباط والشغور عن طريق الجهاد والحج ولكل واحد منها رتبة" (١).

وقال الحسن: " العلم علما في ، علم في القلب، فذاك العلم النافع، وعلم في اللسان، فذاك حجة الله على عبادة." (٢).

أسس المناهج وطبيعتها عن ابن سحنون:

التربية الروحية عن ابن سحنون من أهم أسس المناهج عنده:

يجب على المعلم أن يعلم الأطفال الدين الصحيح والقيم الخلقية، والتعامل مع المعلم على أنه الأب الحقيقي والوالد الروحاني، وللمعلم دور تأسيسي، ودور تعليمي، وله دور تحصيلي معنوي، والمعلم لابد أن يكون قدوة حسنة للأطفال لأنهم يقلدونه في كل شيء، فإن قلده في حسن الأخلاق فهذا شيء حسن، وأن قلده في سوء الأخلاق فهذا شيء مذموم.

لذلك يقوم الزمخشري: " قال عينة ابن ابي سفيان لمؤدب ولده ليكتمل أول أصلاحك بي اصلاحك نفسك، فإن عيونهم معقوده بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت" (٣).

(١) المصدر السابق - ص ٣٤٨.

(٢) العقد الفريد - ابن عبد ربه - كتاب البياقوتة في العلم والأدب - ح ٢، ص ٢٢٧.

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار - الزمخشري - تحقيق د. سليم النعيمي.

و المعلم بالنسبة للطفل هو الأدب الروحاني لأنه يعلمه القيم ويرفعه من روحه المعنوية لذلك يقوم الحكيم أبو حاتم المطرف الاستقزازی وفاته (٤٨٠ هـ - ١٠٨٧ م) "المعلم أب روحاني والوالد أب بشري" ^(١)، لذلك يقول ابن سحنون : "وينبغي أن يعلمهم سنن الصلاة" ^(٢)

الأصول التربوية للتربية الروحية ومميزاتها :

والتربية الروحية مستمدة من القرآن الكريم " لقد رفع الله تبارك وتعالى جبين الأمة المحمدية بالقرآن الكريم والكتاب المجيد - وجعله نبراساً يستضاء به وسط الظلمة، وأصلاً يتجلى عند العمة ودواء تعالج به العلل والأسقام - وشفاء ورحمة للمؤمنين وضح فيه ما يصلح أمورهم ويهذب أخلاقهم ويحل مشاكلهم ويفصل بينهم فيما هم فيه يختلفون فهوا القول الفصل والكلام الصدق - والدستور العامل الذي يصون الحقوق" ^(٣). لذلك يقول ابن سحنون : " عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه" ^(٤)

التربية الروحية عند ابن سحنون تهتم بالتعلم لإظهار شرف العقل :

لأنها تعمل على تأكيد الثنائية بين عالم الروح والعقل من جهة، وعالم المادة أو الجسم من جهة أخرى، وقامت على توكيد القيم الروحية واعتبارها أهم ما في الحياة الإنسانية لذلك كان الاهتمام موجهاً إلى المعرفة وأصبحت المعرفة وحدها كافية لتحقيق غايات التربية واتجهت العناية إلى وضع الطرق لكسب الحقائق" ^(٥).

(١) تاريخ الحكماء - البيهقي - مصدر سابق - ص ١٤٤.

(٢) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٣٦٠.

(٣) جوهر الإيمان في الإسلام - جابر حمزة فرج - مكتبة الشاب - الهيئة العلمية للكتاب ص ٣٩.

(٤) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٣٥١.

(٥) أصول التربية وسيكولوجية التعليم - رياض معوض - ص ٨.

لذلك يقول الإمام الغزالي " قال الله تعالى وَأَنْذَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ [وَلَقَدْ بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ]

والتذكر هو أكثر ما يعبر به، وتسمية هذا النمط تذكراً ليس ببعيد وكأن التذكر ضربان:

أحدهما: أن يتذكر صورة كانت مكتسبة في قلبه بالفعل ثم غابت عنه.

والآخر: أن يكون تذكرة لصورة مضمنة بالفطرة في الإنسان ولذلك قال المحققون:

[التعلم ليس يجلب للإنسان شيئاً من خارج، بل يكشف الغطاء عما حصل في النفوس بالفطرة، كحال مظهر الماء من الأرض، ومظهر الصور في المرأة بالجلاء] وهذه حقائق ظاهرة للناظرين بعين العقل، ثقيلة على من حمية قصورة على أول رتبة صبيان المكتب في اعتلاق طبعهم بسوايق الخيالات من ظواهر الألفاظ من غير تحقيق لها^(١).

والتربية الروحية تعمل على مراعاة استعدادات الصبي الفطرية:

والمفطرة في الفكر الإنساني جاءت على عدة معان منها: الضمير والبصيرة الإنسانية والوجدان والحدس والحاسة المعنوية والدين والتدين والآية الكريمة تقرر أن الدين الذي فطرت الإنسانية عليه ليس هو إلا الدين الحنيف الخالص^(٢)، فيقول ابن سحنون: " ولا يجوز للمعلم أن يعلم أولاد النصاري القرآن ولا الكتاب"^(٣) لأن الدين دين الفطرة.

طرق التدريس في التربية الفطرية:

ومن أهم أركان التربية الروحية عند الصبيان هي ما يلي:

على المعلم أن يعلمهم أركان الإسلام لأنها سبب سعادته في الدنيا والآخرة وتجعل الأطفال في المستقبل يتمسكون بالورع والتقوى والخشوع إلى الله سبحانه وتعالى، فعندما يتعلم الصبي الوضوء فماء الوضوء تطفأ نار الشيطان، وكذلك الصلاة يكون الطفل صلته وثيقة بالله سبحانه وتعالى وقرباً من ربه حيث يقول ابن سحنون: " ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة لأن ذلك دينه، وعدد ركوعها وسجودها والقراءة فيها والتكبير وكيف الجلوس والأجرام

(١) ميزان العمل - الامام الغزالي - ص ٢٣٦.

(٢) إنسانية التربية الإسلامية ودلالاتها التربوية د. أم فتحى محمد قاسم - مرجع سابق ص ٣٨.

(٣) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٣٦٠.

والسلام، وما يلزمهم فى الصلاة والتشهد والقنوت فى الصبح ، فإنه من سنة الصلاة ومن واجب حقها الذى لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها حتى قبضه الله تعالى صلوات الله عليه ورحمته وبركاته، ثم الأئمة بعده على ذلك لم يعلم أحد منهم ترك قنوت فى الفجر رغبة عنه وهم الراشدون والمهديون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، وكلهم على ذلك ومن تبعهم رضى الله عنهم أجمعين" (١).

ومجمل القول أن التربية الروحية تحتوى على المدلولات التربوية للعقيدة، والتعرف على ما تسهم به العبادات.

أهم محتويات التربية الروحية ومناهجها:

والتربية الروحية تشمل الصلاة " فالصلاة يشترط فيها طهارة الثوب والبدن والمكان يقف فيها المؤمن بين مولاه. متجرداً من شواغل الحياة - مستمتعاً بلذة المناجاة بعد وضوء ينظف أعضائه وينشط جسده.... والصلاة صلة بين العبد وبين ربه ورباط بين المخلوق والخالق - ولقاء بين الإنسان وبين الله يقف خاشعاً معاً فتصفو نفسه ويسمو وجدانه وتنمو فيه بذور الإيمان ولأهمية الصلاة فى الإصلاح النفسى والروحى والاجتماعى فرضها الله خمس مرات فى اليوم واللييلة ليكون مداوم عليها والمقيم لها. نشيط القلب حى الضمير" (٢).

ويشير ابن سحنون إلى أهم القواعد التربوية فى تعليم الصبيان مثل:

أ- ترابط العلوم بعضها البعض.

ب- طريقة الترتيب والتدرج فى تلقى العلوم، والدفاع عن العقيدة فى صفائها ونقائها.

ج- على المعلم أن يأخذ من كل شئ أحسنه عندما لم يجد وقتاً متسعاً لجميع العلوم.

د- يجب على المعلم أن يعرف معنى كون بعض العلوم أشرف من بعض.

(١) آداب المعلمين ابن سحنون - ص ٨٥.

(٢) جوهر الإيمان فى الإسلام - جابر حمزة فرج - ص ٩٦، ٩٧.

هـ- للمتعم أن يكون قصده في كل ما يتعلمه في الحال، كمال نفسه وفضيلتها.

و- مراعاة الفروق الفردية وأن يتدرج بالمتعلمين على قدر أفهامهم.

والتربية الروحية تهتم بالدفاع عن الكتاب والسنة، ونشر العقيدة السمحاء بين المسلمين وغير المسلمين، وترتكز منهاج ابن سحنون على القرآن والسنة، ولا يمكن أن يستقيم منهج العلوم الشرعية من غير إحاطة بالنحو والصرف (فالإمام النووي قسم العلوم الشرعية ثلاثة أقسام: فرض العين، فرض الكفاية، والنقل. ^(١)).

ثم قسم العلوم الخارجة عن العلم الشرعي ثلاثة أقسام أيضا:

محرم كتعلم السحر والفلسفة والشعوذة، ومكروه كشعر الغزل والبطالة، ومباح كالشعر الذي لا ينشط على الشر ولا يثبط عن الخير

ويؤكد ابن سحنون على عدم تعليم الأطفال علم التنجيم لأن " ارتفع القرآن بالدين من عقائد الكهانة والوساطة وألغاز المحاريب إلى عقائد الرشد والهداية" ^(٢).

إن الفقهاء مسئولين عن توصل العلوم الشرعية، ومن ثم حافظوا على عمليات بتبسيطها وتوصيلها، وتصنيفها ونشرها، دراستها وتدريسها، فيقول ابن سحنون: للمعلم أن يكتب لنفسه كتب الفقه.

فمن واجبات المعلم أن يعلم الصبيان الدعاء إلى الله لأنه يجعل الطفل خاشعاً لله، والأطفال أحباب الله لولا هم لصب الله سبحانه وتعالى علينا العذاب صباً، والله سبحانه وتعالى يرحمنا بدعائهم لأنهم براعم الإيمان، وينزل علينا الغيث مدراراً بصلاتهم للاستسقاء فيقول ابن سحنون: "وليعاهدهم بتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله، ويعرفهم عظمتهم وجلاله، ليكبروا على ذلك

(١) مدارس التربية في الحضارة الإسلامية د. حسان محمد حسان، د. نادية جمال الدين - دار الكتاب اللبناني -

ص ٢٠.

(٢) الإنسان في القرآن - عباس محمود العقاد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٧ - ص ١٦.

وإذا أجدب الناس واستقى بهم الإمام فأحب المعلم أن يخرج بهم من يعرف الصلاة منهم، وليبتهلوا إلى الله بالدعاء، ويرغبوا إليه، فإنه بلغنى ان قوم يونس صلى الله على نبينا وعليه لما عاينوا العذاب خرجوا بصبيانهم فتضرعوا إلى الله بهم" (١).

و ينبغي أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر والوتر وصلاة العيدين والاستسقاء والخسوف، حتى يعلم دينهم الذي نعبد الله به" (٢).

لهذا عنى ابن سحنون بالتعليم ليشب الأطفال على معرفة الدين علماً وعملاً، والتعليم الذي نقصده هو تعليم الصبيان أحكام العقيدة والشريعة، والعبادات والمعاملات الإسلامية.

المقارنة بين التربية الروحية عند ابن سحنون والتربية الروحية المعاصرة:

وبالنظر للنتائج السابقة في ضوء الدراسات والنصوص للتربية الروحية الدينية عند ابن سحنون، وجدناه يؤكد على أهميتها في العملية التربوية وهذا ما وجدناه في التربية المعاصرة عند الطهطاوى حيث يقول:

" ومعلوم أن الشرع الريف لا يخطر جلب المنافع ولا درة المفسد ولا ينافى المتجردان المستحسنة التي يختر عنها من منحهم الله تعالى العقل وألهمهم الصناعة" (٣).

ونستطيع أن نلمح أهمية التربية الروحية للطفل من خلال التفسيرات السابقة لابن سحنون نستطيع أن نقول، كل المناهج الروحية التي تحدث عنها ابن سحنون وأهميتها الضرورية بالنسبة للطفل، ومما يلفت النظر أن هذه المناهج الروحية الدينية يتم تطبيقها في التربية المعاصرة ووقتنا الحاضر ونجد أن أصول هذه النظرية موجودة بالتفصيل في ضرورة التربية الدينية عند الطهطاوى فيقول: " أن يعلم الطفل ذكراً كان أم أنثى من بواكير الطفولة العقائد الدينية الدالة على وجود الله ووحدانيته، ويرى أيضاً أن تسير التربية الدينية جنباً إلى جنب مع

(١) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨٥.

(٢) المصدر السابق - ص ٨٦.

(٣) رواد التنوير الفكري د. شبل بدران ص ٢١.

تربية الطفل المعاشية ولا ينصح الطهطاوى بتوبيخ الطفل إذا خالف أصول الأدب فى بعض الأوقات، بل لا يكاشف بأنه أقدم عليه^(١).

وكذلك يتضح مما سبق أن تأكيد الطهطاوى على تعليم التربية الروحية، كان متأثراً بابن سحنون و "يعتبر الطهطاوى أول من كتب بتوسع عن التربية فى العصور الحديثة فى العالم العربى. وكان فى كتاباته عنها متأثراً بما كتبه سابقو عن التربية الإسلامية. ورد آراءهم كما كان لدراسته فى فرنسا وإقامته بها أثر واضح على آرائه والتربية فى نظره تعنى تنمية الأعضاء الجسمية والعقلية وهى طريقة تهذيب النوع البشرى ذكراً كان أم أنثى ليحصل هل أسباب السعادة والسيادة"^(٢).

من واجبات المعلم أن يعلم الأطفال كيفية مس المصحف وإمساكه لأنه اللوح المحفوظ، لا يمسه إلا الإنسان الطاهر فيقول ابن سحنون:

" قال: وقال مالك: ولا بأس أن يكتب المعلم الكتاب على غير وضوء، ولا بأس على الصبى إذا لم يبلغ الحلم، أن يقرأ فى اللوح على غير وضوء، إذ كان يتعلم وكذلك المعلم. ولا يسمى الصبى المصحف إلا على وضوء وليأمرهم بذلك حتى يتعلموه"^(٣).

من أخلاقيات المعلم وواجبه التعليمى تعليم الأطفال شرائع الإسلام والتفقه فى الدين مثل تعليمهم صلاة الجنابة حيث يقول ابن سحنون:

" وليعلموا الصلاة على الجنائز والدعاء عليها فإنه من دينهم وليجعلهم بالسواء فى التعليم، الشريف والوضيع وإلا كان خائناً وسئلاً مالك عن تعليم الصبيان فى المسجد، قال: لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يتحفظون من النجاسة ولم ينصب المسجد للتعليم"^(٤).

(١) رواد التنوير الفكرى د. شبل بدران ص ٢١.

(٢) رواد التنوير الفكرى د. شبل بدران ص ٢١.

(٣) آداب المعلمين - ابن سحنون ص ٨٦.

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة.

تقويم المنهاج عن ابن سحنون عن طريق الاختبار، القياس، التقويم:

وبناء على هذا التفسير لابن سحنون من النصوص السابقة يتضح لنا ما يلي:

- ١- من وسائل الإيضاح لعملية التعليم استخدام اللوح، والفهم، وتنوع أساليب التعلم فى حلقات، والمسجد، والكتاب.
- ٢- من واجبات المعلم تعليم الأطفال جميعاً وعدم التمييز بينهم فى تعليم العلوم.
- ٣- من أهم طرق التدريس طريقة تعلم القرآن، والصلاة، والوضوء.
- ٤- يجب على المعلم التمسك بالضمير الأخلاقى، والمعرفة العلمية التى هى خلاصة مجهود مخطط علمى، والقضايا العلمية عنده لابد وأن تكون موضوعية، وكذلك استخدام الخبرة العلمية، والتعرف على الأسباب والمسببات، وأن لم يفعل ذلك يصبح خائناً.

وبمقارنة نصوص ابن سحنون بعلماء التربية المعاصرة وجدنا ما يلي:

من خلال المصطلحات العلمية التى استخدمها ابن سحنون مثل "يبلغ الحلم" هذا المصطلح يدل على فترة المراهقة " فالمرحلة عضوياً وحيوياً، مرحلة تبدأ من بدء ظهور بشائر النضج الجنسى، وتمتد إلى حوالى سن العشرين، فطول مرحلة المراهقة مثلاً يتوقف إلى حد كبير على الإطار الثقافى الاجتماعى للبيئة الاجتماعية التى ينشأ فيها المراهق"^(١).

ويؤكد ابن سحنون على حفظ القرآن الكريم لأنه يقوى اللغة العربية قراءة وتعبير، ومادة حفظ القرآن الكريم تؤثر فى سلوكيات التلاميذ، وتطهير النفس. ولعل خير منهج يوضح اتجاهات النسق التربوى عند ابن سحنون فى التربية المعاصرة هو (رافس) عندما تحدث عن الأهداف الرئيسية للمنهج وخطوات عملية التقويم فيقول عن التفكير " الذى عرف بصفة عامة بأنه يشمل القدرة على تفسير المادة والقدرة على تطبيق نظريات العلم والحقائق الاجتماعية والعموميات على مواقف خاصة، والقدرة على تحليل طبيعة الدليل

(١) علم النفس التربوى د. أحمد زكى صالح - ص ١٩٤، ١٩٥.

والبرهان عند الاستنتاج والإحساس بالمشكلات، والمواقف الاجتماعية^(١). ومفهوم التفكير عند رافس يرتبط بالبيئة والحياة الاجتماعية وهذا ما فعله ابن سحنون في آراؤه التربوية. ويتناول ابن سحنون طريقة المعلم في تعليم الصبيان وهي أن لا يخوض في فنون العلم دفعة، بل يراعى الترتيب فيبدأ بالأهم، فالأهم حيث يقول:

يجب على المعلم أن يرشد الصبيان إلى طريق النور والتمسك بأركان الإسلام والسنة النبوية الشريفة، وأن يعلمهم كيف يقرأون القرآن في الأماكن الطاهرة بعيداً عن الأماكن النجسة التي يسكنها الشيطان فيقول:

"قال محمد: وحدثني سحنون عن عبد الله بن نافع، قال سمعت مالكا يقول: لا أرى أحد أن يقرأ القرآن وهو مار على الطريق إلا أن يكون متعلماً ولا أرى أن يقرأ في الحمام"^(٢).

تعلم المرأة الأحكام الفقهية:

يتناول ابن سحنون أحكام " آيات السجدة" بين المعلم والصبى وبين المرأة والمعلم فهل يجوز المعلم أن يسجد عندما يقرأ الصبى آية السجدة؟ وهل يسجد المعلم مع المرأة أذ قرأت، السجدة أم لا؟ ويستشهد بذلك من خلال أقوال الفقهاء فيقول: (قال مالك وإذا مر المعلم بسجدة وهو يقرأها عليه الصبى، فليس عليه أن يسجد، لأن الصبى ليه بإمام، إلا أن يكون بالغاً فلا بأس أن يسجدها، فإن تركها فلا شئ عليه لأنها ليست بواجبه وكذلك إذا قرأها هو فإن شاء سجد وأن شاء ترك"^(٣).

(١) علم النفس التربوي د. أحمد زكى صالح - ص ١٩٤، ١٩٥.

(٢) أداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨٦.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

كتاب أثر آراء ابن سحنون على العرب:

- ١ - تكافؤ الفرص في التعليم.
- ٢ - أخلاق التلاميذ وواجباتهم نحو طريقة تعلم القرآن.
- ٣ - الأحكام الفقهية في تعليم المرأة آيات السجدة.

وكذلك نجد أن ابن سحنون يضع الخطوط الأولى لتعليم المرأة، لأن الحركة العلمية تهتم بقوانين الرقى للعقل البشرى ذكراً أم انثى، وعلى هذا الأساس نجد أن لهذه النظرية أثر فعال وقوى في العصر الحديث، ونجد ذلك بالتفصيل في آراء الطهطاوى التربوية، وبناء على ذلك الف كتاب المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، وهو كتاب ضمنه آراء في التربية والتعليم، وتعلم المرأة عند الطهطاوى له أهميته الكبرى لأنه "ينظر إلى المرأة على أنها من أجمل ما صنع الله القدير، وهى قرينة الرجل فى الخلقة والمعينة له فى تدبير أمره والحافظة لأطفاله والقائمة بأمر عياله والمسلية له فى أيام حياته.

وهى تمتاز عن الرجل باللين واللفظ والرخاوة ويعتبر الطهطاوى أن التربية أساس صلاح المرأة ومن صفات كمالها وترتفع قدرها فى نظر الرجل والتعليم يزيل عنها سخافة العقل والطيش الذى يصيب المرأة الجاهلة. كما أن التعليم يمكن المرأة من العمل على قدر قوتها وطاقتها. وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة" (١).

وأول ما يمكن استخلاصه من تعليم المرأة هو ما يلي:

"لتعليم المرأة أثر قوى فى إسعاد بيت الزوجية وحسن معايشرة الأزواج أن آداب الفتاة ومعارفها تؤثر كثيراً فى أخلاق أولادها".

أن العلم يهين للمرأة سبيل العمل إذا دفعتها الحال إلى ذلك" (٢).

(١) فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها د. محمد منير مرسى - ص ٣٤١.

(٢) رواد التنوير الفكرى د. شبل بدران - مرجع سابق - ص ٢٩.

وقد اشتهرت فى مكة مدرسة كريمة المروزية العظيمة، وبرز تعليم المرأة فى هذا المركز الدينى العظيم، ويجب أن يكون من أشد الأمكنة محافظة، أكثر من أى مكان آخر^(١).

ابن سحنون يجمع بين الأصالة والمعاصرة:

وفى ضوء ما تقدم من دراسة المنهاج الدراسى عند ابن سحنون، لقد حققت نتائج نظريات علمية كثيرة يتم تطبيقها فى وقتنا الحالى وهى ما يلى:

طرق التدريس:

من أهم محتويات المنهاج الدراسى عند ابن سحنون اعتماد على طرق تدريس ومن أهمها:

أ - طريقة تعليم القرآن والخط والادب بالعربى.

ب- طريقة تعليم الهجاء.

ج- أساليب وطرق تعليم الحساب

وطرق التدريس عند ابن سحنون هى التى تعبر عن الطريقة فى التربية فى الوقت الحاضر وهذا الطريقة لابد أن تحتوى على:

أ- مدرس لإلقاء الدرس.

ب- تلميذ يتلقى الدرس.

ج- مادة علمية يعالجها المدرس.

د- طريقة يستطيع المدرس بواسطتها معالجة الدرس وأيضاً حقائقه العلمية إلى أذهان التلاميذ.

(١) التربية الإسلامية فى الأندلس - خوليان ريبيرا ترجمة د/ الطاهر أحمد مكي - مرجع سابق - ص ١٢٩.

وهناك الطريقة الاستقرائية أو الاستنباطية "الاستقراء والاستنباط، هو الانتقال بالتلميذ، أثناء سير الدرس من الجزئى على الكلى فيبحث المعلم عن الحقائق والمفاهيم الجزئية للشئ، أو الموضوع المدروس بواسطة الحدس والمشاهد وحمل التلاميذ على اكتشاف الحقائق، والتعرف عليها، متدرجين من الجزء إلى الكل، فيصلوا إلى التعميم والمفاهيم الكلية الشاملة"⁽¹⁾.

ويتجلى هنا ذكر آراؤه التى سبق بها علماء الغرب فى كثير من النظريات التربوية:

وكما سبق ابن سحنون كثير من العلماء فى بحث المنهاج الدراسى وطرق التدريس وضع مبادئ تعليم القراءة والخط العربى، والتهجى، فأنه بحث فى تعميق مناهج التربية فى عصر، واستطاع من رسالته التعليمية أن يخرج بأفكار جديدة، ورسم منهجاً جديداً، مبنياً على أصول وقواعد تربوية، تتمشى إلى حد كبير مع اتجاهات التربية الحديثة وهى ما يلى:

١- تعليم الخط:

"وقد شار معظم المدرسين المعاصرين، السيدة منتسورى، فى تعليم الخط، بيتدى مع تعليم مبادئ القراءة وأنهما يسيران جنباً إلى جنب فى هذه المرحلة الأولى، من مراحل التعليم، ولا يجوز أن يكون هناك فى بادئ الأمر، دروس خاصة بالخط بل يتعلم الصغار دروس القراءة الأولى قراءة وكتابة فى آن واحد ويتم تعليم الخط فى مرحلتين اساسيتين: أ. مرحلة تعليم الكتاب ب- مرحلة تحسين الكتابة"⁽²⁾.

٢- دروس التوضيح العملية:

ودروس التدريب وهى على وجه التحديد دروس اكتساب المهارات "من أغراض تدريس الحساب أن يكتسب الطفل مهارة فى التعامل بالأعداد بحيث يألّف استخدامها إما فى حل

(1) رائد التربية العامة وأصول التدريس د. عبد الحميد فايد - مرجع سابق - ص ٥٥.

(2) رائد التربية العامة وأصول التدريس - د. عبد الحميد فايد - ص ٢٠٥.

المشاكل الحسابية أو فى حل مشاكل حيوية تعرض له بحيث تصبح العمليات الحسابية التى فى متناول عادية لا تكلف مجهوداً يعرقل نواحي أخرى" (١).

الغاية من تعليم الحساب:

وأول ما يمكن استخلاصه من تعليم الحساب " والحقيقة أن تعليم الحساب، يرتبط بالميل الطبيعى للإنسان، الذى ولد ولديه منذ ادراك. وأن يحسن الوالد العد و الترقيم وأن يحسب ذهنياً أو كتابياً، وبسرعة معقولة، ثمن الأشياء التى يود شراءها، أو أن يعرف أوزانها أو مقاييسها" (٢).

وعندما يؤكد ابن سحنون على تعليم الحساب نظراً لأهميته فى حياتنا اليومية وهى ما يلى:

الأول: غرض نفعى صرف، يقتضى توجيه اهتمام الولد إلى الناحية الاقتصادية.

الثانى: غرض علمى ثقافى.

الثالث: تنمية أنواع التفكير الدقيق، فى المواقف التى تتطلب التعامل بالاعداد

كاكتشاف المفاهيم الضرورية للتفكير الكمي " كالنسبة والتناسب" وتربية التفكير

الواضح بواسطة المفاهيم الرياضية، واكتساب عادات واتجاهات فكرية مثل:

أ- تزويد التلاميذ بالمعارف والفنون الرياضية الضرورية.

ب- معرفة الأشكال الهندسية، الشائعة فى الحياة العلمية والصناعية.

ج- اطلاع التلاميذ عن الأوزان والمقاييس وتطورها" (٣).

(١) التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز وآخرو . ط ١ ص ٢٧٨.

(٢) رائد التربية العامة، وأصول التدريس د. عبد الحميد فايد . ص ٢٤١.

(٣) المرجع السابق - ص ٢٤٢.

ومن أهمية الرياضيات تنمية المهارات عند الأطفال لذلك: "ركز المربون الاهتمام حديثاً على الرياضيات مثلما ركزوه على العلوم الطبيعية في المرحلة الابتدائية، وتضافرت عوامل عدة على إبراز هذا الاهتمام منها استخدام الرياضيات في التسابق العلمي، ولقد وجه علماء النفس والتربية النظر على أن أطفال المرحلة الابتدائية يستطيعون أن يتفهموا كثيراً من المفاهيم الرياضية"^(١).

ومن خلال التفسيرات السابقة نستطيع أن نقول إن ما توصلنا إليه من أهمية عملية الهجاء عند ابن سحنون، ونستطيع أن نلمح أهميتها في النظريات التربوية المعاصرة مثلما قالها ابن سحنون وهي معاونة الأطفال على التهجى.

و "بعد أن تنمو مهارات الكتابة عند الأطفال يصبح التهجى أهم عملية تستدعيها القدرة على التعبيرات الكتابية، وتستلزم مستوى معين في التهجى من الأملاء"^(٢).

ويمكن تعليم التهجى فى أربع خطوات هي:

- فترة اكتشاف الحروف والكلمات.
- فترة خبرة يتعر الطفل فيها على الكلمة وعلى تكوينها من الحروف.
- فترة تعليم التهجى ويوضع فيها الاهتمام على السيطرة على الثروة اللفظية من الحروف"^(٣).

ومجمل القول أن للطريقة الهجائية فوائد عظيمة للأطفال وهي ما يلي:

- أ- تمكين الطفل، من معرفة حروف الهجاء بأسمائها وصورها ثم أصواتها مما يساعده على تهجئة أية كلمة، دون كثير من الصعوبة أو الخطأ.

(١) مفاهيم واتجاهات حديثة في تعليم أطفال المدرسة د. محمد سليمان شعلان ص ٨٦.

(٢) مفاهيم واتجاهات حديثة في تعليم أطفال المدرسة الابتدائية - محمد سليمان شعلان وآخرون ص ١٤٦.

(٣) المرجع السابق - نفس الصفحة.

ب- إنها تبدأ بالحروف، وهذا هو الطريق المنطقي المؤدى إلى الكلمة فالجملة.

ج - أنها لا تكلف المعلم جهداً كبيراً. (١).

وفيما سلف ذكره يتضح لنا أهمية المناهج عن طريق اللغة، والحساب، والأدب، والهجاء، ويجب على المنهج التركيز على بعض القدرات العقلية التي تفيد الطالب فى حياته الدراسية والعامية ومن أهم هذه القدرات القدرة على التفكير، والقدرة على الفهم، والقدرة على التذكر، والقدرة على جمع المعلومات وتحليلها والقدرة على تنظيم المعلومات، والقدرة على الربط، والقدرة على الاستنتاج. (٢)

صيغ العقود بين المدرسين وأولياء الأمور

ولكى نبرهن على صحة حديث ابن سحنون عن استئجار معلم القرآن، كان علينا

ذكر بعض نصوص هذه العقود:

وثيقة استئجار معلم القرآن:

استأجر فلان بن فلان، فلان بن فلان المعلم، ليعلم ابنه فلاناً، أو ابنته فلانه، أو بنيه فلاناً وفلاناً وفلاناً القرآن، نظراً أو ظاهراً، و الكتب والخط والهجاء عاماً، أوله شهر كذا، من سنة كذا، وبكذا وكذا دينار، صفة كذا، يؤدى إليه كل شهر ما ينوية منها، وذلك كذا وكذا، ويدفع إليه فى كل شهر فى أوله، من دقيق القمح الطيب الريون الجيد الطاهر أربعين أو ثلاثة بوز كذا.... فإن اشترط عليه فى الاعياد شيئاً ذكرت ذلك وقلت: ويدفع إليه فى عيد الفطر كذا وفى عيد الأضحى كذا، ويعطية عند حفلة الصبى فلان القرآن كله كذا شهر" (٣)

(١) رائد التربية العامة وأصول التدريس. د. عبد الحميد فايد - مرجع سابق ص ١٣٢.

(٢) أسس المناهج وتنظيماتها د/ حلمى أحمد الوكيل وآخرون - ص ٦٦.

(٣) التربية الإسلامية فى الأندلس - خوليان ريبسيرا - ترجمة د. الظاهر أحمد مكى - ص ٣٨.

حكم تعليم غير القرآن:

فإن استأجره ليعلمه الكتب تدون هذا النحو ولا تجوز الاجرة على تعليم الفقه والفراض والنحو العشر والعروض وكره بيع كتب ذلك، وروى ابن حبيب انه جائز، وقال ابن حبيب في التعليم الشعر أيضا أنه جائز إذا شعار العرب القديمة التي هي فيها مفاخرهم وذكر شعرهم والشعر ديوان العرب، ما لم يعلمه ذكر الهجاء والقبيح من الكلام إذ لا يجوز تعلم ذلك" (١)

هدايا الأعياد:

ولا تحكم للمعلم بشئ في الأعياد، إلا أن اشترط من ذلك شيئاً معروفاً فيكون له ما شرط. واختلف أهل العلم في الخدمة فأبو إبراهيم اسحاق بن ابراهيم عن بعض أهل العلم لا يوجبها حتى يشترط ذلك، وغيره يقول يحملان على سنة أهل البلد، ويأخذ فيما قد عرف الحذقة فيه من أجزاء القرآن على قدر غناء والد الصبي وحاله، ويقضى عليه بذلك للمعلم، وقبل لاحذقة له إلا في القرآن كله، فإن اشترط المعلم فلا بد من تسمية شئ معروف، وإلا لا تجز الأجرة، ويجوز لو ولد الصبي أن يشترك ألا حذفه عليه مع الأجرة" (٢)، فيقول ابن سحنون: "وما أهدي الصبي للمعلم أو أعطاه شيئاً، فيأذن له علي ذلك؟ فقال: لا إنما الأذن في الختم اليوم ونحوه، وفي الأعياد".

هدايا الأعياد:

وإذا مات الصبي انفسخت الاجازة فيما بقي، والاجازة تنقضى بموت المستأجر، ولا تنقضى بموت المستأجر له كالاستيجار لرعاية الغنم وشبه ذلك" (٣).

الانقطاع المرضى:

وإذا غاب الإمام أو المؤدب إلى بعض حاجته، أو إلى باديته، الأيام الجمعة ونحوها، فلا بأس بذلك فإن طال مغيبه كان لأهل المسجد التوفيق للإمام عن ذلك، والمعلم منعمة

(١) المرجع السابق - ص ١٣٩.

(٢) التربية الإسلامية في الأندلس - خوليان ريبيراس ترجمة الدكتور الطاهر الدمكي ص ١٤٠.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

منه، ولا يحط من أجرته شئ وكذلك أن مرضى الأيام اليسيرة، وإن طال مرضة أو مغيبه انحط من أجرته ما تقع منها على أمد مغيبه أو مرضى وأن غيب الصبي أبو أو وليه وشغلاه، فللمعلم الأجرة تامة، فإن مرضى الصبي مرضاً طويلاً انحط من الأجرة بقدر مرض الصبي" (١).

ونستطيع أن نستنبط مما تقدم أن المنهاج عند ابن سحنون لا يمكن تطبيقه إلا عن

طريق:

١- ما ينبغي أن يراعى فى طرق التدريس:

أ- التدرج والتكرار:

ويرى ابن سحنون أن تعليم الاطفال ينبغي أن يكون قائماً على أساس إجمالى المعلومات، فى البداية، ويكون الشرح تدريجياً، مراعاة الفروق الفردية أى النمو العلقى للأطفال، وقوة استعدادهم لقبول ما يلقى عليهم، ويجب على المعلم أن يوضح المسائل العويصة.

وهذا مما يتفق مع أحدث طرق التعلم وهى القواعد الأساسية التى يبنى عليها طرق التدريس الحديثة والمعاصرة: "التدرج من السهل إلى الصعب".

والمقصود هنا السهل والصعب بالنسبة للتلاميذ، فإن ما نراه سهلاً فى نظرنا من تعاريف واصطلاحات قد لا يكون كذلك بالنسبة لطفل الذى لا يستطيع إدراك معناه. ويحتاج الأمر إلى تجارب وأمثلة حسية لكى يفهمها. فما هو سهل عند التلميذ هو الاشياء التى تقع تحت حسه وترتبط بحياته أو تجاربه وكلن يجب أن يحتاط فى هذه الناحية فلا نعطى التلميذ الأشياء السهلة التى لا تحتاج إلى أعمال الفكر أو نعطى له الدروس صعبة

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

يعسر عليه فهمها، وإنما نعتدل ونتدرج مع علم بما هو السهل وما هو الصعب بالنسبة للطفل" (١).

التدرج من البسيط إلى المركب

وتبنى هذه القاعدة على أن العقل في إدراكه للأشياء يدركها أولاً (كحل) ثم يحاول بعد ذلك دراسة التفاصيل أي الأجزاء" (٢).

والغرض الاساسى عند ابن سحنون من استخدام التدرج والتكرار فى عملية التدريس هو ما يلى:

أ- ملائمة المادة التعليمية وطرق التدريس.

ب- تحتوى على الحالة النفسية للأطفال ومدى تكيّفه مع الجو المحيط به.

ج- كسب المعارف والحقائق العلمية والقدرة على استخدامها والحاجة إلى الانتماء.

د- تنظيم عملية التعليم والتعلم عن طريق وضوح الهدف فى ذهن الطفل، وجعل المادة التعليمية ذات معنى بالنسبة للطفل، وتوزيع أوجه النشاط التعليمى و المادة التعليمية توزيعاً سليماً.

وعلى المدرس الحاذق، أن لا يبدئ بذكر الصعوبات أمام تلاميذه، بل عليه الابتداء بما هو سهل، لأن صعوبات كل درس متفاوتة، فعلياً الابتداء بالمباحث، السهلة، والبسيطة ثم الارتفاع شيئاً فشيئاً" (٣)، ويستشهد ابن سحنون بالأحاديث النبوية الشريفة فيقول: " عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن علي سبعة أحرف فأقرعوا ما تيسر منه" (٤)

(١) التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز وآخرون ط ١ ص ٢٤٢.

(٢) المرجع السابق - نفس الصفحة.

(٣) رائد التربية العامة وأصول التدريس د. عبد الحميد فايد - مرجع سابق - ص ٤٦.

(٤) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٣٥١

ويجب علي المعلم أن لا يكلف المتعلم فوق طاقته فيقول: " لا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئاً من هدية وغير ذلك"^(١)

ويقول عن القراءة: " ويلزمه أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة"^(٢)

وعن التدرج يقول ابن سحنون: " ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلي سورة ، حتى يحفظوها باعرابها وكتابتها"^(٣)، وعن حفظ كرامة المتعلم فيقول: " ولا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان في حوائجه"^(٤)

(١) المصدر السابق - ص ٣٥٦ .

(٢) المصدر السابق - ص ٣٥٨ .

(٣) المصدر السابق - ص ٣٥٩ .

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة .

”تعقيب“

من خلال استعراض المنهاج الدراسي عند ابن سحنون يتضح لنا أن ابن سحنون يستخدم وسائل التدريس في منهجة مثل الحدس الحسي، والحدس الذهني، والحدس الخلقى، والهدف الأساسى لتقسيم العلوم إلى علوم إجبارية وعلوم اختيارية عند ابن سحنون، هي إعطاء الطفل الفرصة في اختياره للمواد الدراسية حسب ميوله وقدراته العقلية، ويتميز المنهج عند ابن سحنون بمرونة الخطط الدراسية فمثلاً نجد درس الخط مكانه المفضل اللوح، حيث يكتب المربي كلمات درس الخط، حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة حتى يظهر لأطفاله موقع كل حرف من الكلمة، ويظهر كيفية اتصال الحروف ببعضها ومركز كل منهما على السطر.

أما في درس التاريخ فيكتب المدرس عند سرده الحوادث والتواريخ المهمة، وأسماء الأماكن والأبطال والفاحين والمواقع.

بعد استنتاج النصوص الأصلية لابن سحنون تبين لنا أن التعليم منتج من نتائج الخبرة، وتحقيق حاجات وميول الأطفال والعناية بهم، وظهر ذلك من خلال تطبيق الفروق الفردية، والمقارنة بين العلوم الإجبارية والعلوم الاختبارية.

يؤكد ابن سحنون على استخدام التربية الروحية في المناهج الدراسية لأنها تغرس القيم الدينية عند الأطفال، وتغير من سلوكهم إلى الأفضل والأحسن، وتجعل الأطفال يتمسكون بالفضائل والابتعاد عن الرذائل وقوة الالتزام بالمفردات الدراسية والمنهج هو الذى يحدد المواد الدراسية لكل مرحلة، حتى يبلغ الأطفال الحلم.

كانت لآراء ونظريات ابن سحنون الأثر الفعال في التربية الحديثة والمعاصرة وهذا ما وجدناه عند الأمام محمد عبده وآراؤه في التربية وأيضاً عند رفاعة رافع الطهطاوى.

يهتم ابن سحنون بتدريس التربية الدينية عن طريق منهجة، لأن الغرض من الدين وتدريسة أن يفهم الطفل علاقته بربه الذى خلقه، وحتى تكون العلاقة بين الخالق والمخلوق علاقة أمن وسلام، ويعمل تدريس الدين فى سبيل هذه الغاية فيبصر الأطفال بالقوة الألهية المهيمنة فى الكون.

” مصادر ومراجع الفصل الثالث ”

” المنهاج الدراسي عند ابن سحنون ”

- * آداب المعلمين عند ابن سحنون - تحقيق د. أحمد فؤاد الأهواني - طبعة دار المعارف - الطبعة الخامسة.
- * إحصاء العلوم - الفارابي - شرحه د. علي أبو ملح - دار مكتبة الهلال - بيروت لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٩٦ م.
- * أخلاق العلماء - الأجرى - تحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩١ م - ١٤١١ هـ.
- * أصول التربية وسيكولوجية التعليم - رياض معوض - مطبعة دار النشر الثقافية ١٩٤٨ م. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب - البطلبوسي -
- * الإمام محمد عبده - د. محمد محمد البهي - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة العدد ٤٨ - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- * الإنسان في القرآن عباس محمود العقاد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٧ م.
- * البيان والتبيين - الجاحظ المتوفي ٣٥٥ هـ وضع حواشيه موفق شهاب الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٩ م.
- * التربية الإسلامية د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة السابعة ١٩٨٢ م.
- * التربية الإسلامية في الأندلس - خوليان - ريبيرا ترجمة د/ الطاهر أحمد مكي - دار المعارف - الطبعة الثانية - ١٩٩٤ م.
- * التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز وآخرون - دار المعارف بمصر - ح ١ ط ٢ د. ت.

- * التعريفات للجرحاني- وضع حواشيه محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان -الطبعة الثانية- ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٢م.
- * التقويم في التربية الحديثة ج.واين رايتستون -ترجمة محمد محمد عاشور -مكتبة الأنجلو المصرية .د.ت.
- * العقد الفريد- ابن عبد ربه-٢
- * العلاقات بين الآباء والمعلمين- اير فنج ستاون- وآخرون- ترجمة عدلي سليمان- تأليف اير فتيح وجريس لانجدون- دار القلم- بدون طبعة- ١٩٩٦م.
- * المبين في شرح ألفاظ الحكام والمنكلمين- الأمدي-حققه د.عبد الأمير الأعمش دار المناهل للطباعة والنشر- الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- * المدينة الفاضلة- الفارابي -د.علي عبد الواحد وافي -نهضة مصر- القاهرة.
- * المقتصد في شرح الايضاح- عبد القاهر الجرحاني- تحقيق د. كاظم بحر المرجان.
- * إنسانية التربية الإسلامية دلالتها التربوية د.أحمد فتحي محمد قاسم- مؤسسة حمادة للنشر - الأردن - الطبعة الأولى - سنة ٢٠١٣م
- * تاريخ حكماء الإسلام- البيهقي- تحقيق ممدوح حسن محمد- مكتبة الثقافة الدينية القاهرة- الطبعة الأولى-١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- * تعليم المحرومين وحرمان المتعلمين د.مهني غنايم وآخرون- عالم الكتب- بدون طبعة ١٩٩٤م.
- * جوهر الإيمان في الإسلام- جابر حمزة فرج- مكتبة الشاب- الهيئة العامة للكتاب.
- * رائد التربية العامة في أصول التدريس د. عبد الحميد فايد -دار الكتاب اللبناني بيروت-١٩٨١م.
- * ربيع الأبرار ونصوص الأخيار-الزمخشري- تحقيق د.سليم النعيمي إحياء التراث الإسلامي- العراق- د.ت.ط-ح-١.
- * رواد التنوير الفكري د.شبل بدران- الهيئة العامة للكتاب -١٩٩٣.

- * سراج الملوك- الطرطوشي- حققه د. نعمان صالح صالح- دار العادريّة للطباعة والنشر الرياض- الطبع الأولي ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- * صبح الأعشا في صناعة الإنشار- القلقشندي -ت (٨٢١هـ- ١٤١٨م) شرحه وعلق عليه- محمد حسين عبد العزيز وآخرون-دار الحديث- القاهرة د.ت الطبعة. ط ١ - ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- * علم النفس التربوي د/أحمد زكي صالح- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- الطبعة الحادية عشر ح ١- ١٩٧٩م.
- * فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها د. محمد منير مرسي - عالم الكتب- ٢٠٠٧م.
- * مدارس التربية في الحضارة الإسلامية د.حسان محمد وآخرون -دار الكتاب اللبناني بيروت- الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- * مرآة المروءات- الثعالبي -إعداد فتحي نصار -الدار الثقافية للنشر الطبعة الأولى - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- * مفاتيح العلوم- الخوازمي -دار الكتاب العربي- تحقيق إبراهيم الإبياري- الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- * مفاهيم واتجاهات حديثة في تعليم أطفال المدرسة د. محمد سليمان شعلان وآخرون مكتبة غريب- د.ت طبعة وسنة تشر.
- * منهاج البحث العلمي في العلوم التربوية والنفسية د. محمد عزيز إبراهيم- مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩م.
- * ميزان العمل- الإمام الغزالي -تحقيق د.سليمان دنيا- دار المعارف- القاهرة- الطبعة ١٩٦٤م.
- * نهاية الرتبة في طلب الحسبة - عبد الرحمن بن نصر الشيزري تحقيق د. السيد الباز العريني دار الثقافة -بيروت- لبنان- الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

الفصل الرابع

نظريات الثواب والعقاب
عند ابن سحنون

الفصل الرابع

تمهيد

في هذا الفصل سوف نتناول " نظريات الثواب والعقاب في العملية التربوية عند ابن سحنون، وقبل أن يتحدث ابن سحنون عن نظرية الثواب والعقاب، نتناول أولاً كيفية تعليم النساء، والاهتمام بشئون المرأة، وهذا ما عبر عنه في العصر الحديث الكواكبي حيث يقول في كتابه أم القرى " أن ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في أخلاق البنين والبنات أمر واضح غنى عن البيان".

ونؤكد على أهمية تعليم المرأة عند ابن سحنون من خلال النصوص الأصلية له، لأن الأم له دور فعال في تربية الأطفال وتعليمهم القيم الخلقية السليمة، حتى نقلل من العقوبات للأطفال، وهذه النظرية أثرت في فكر الكواكبي التربوي حيث يقول: أن "جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولة والصبوة" أهم القواعد التربوية التي فسر لها ابن سحنون وهي أن يقوم المربي بضرب الصبيان بنفسه، ولا يترك هذا الأمر لأحد من الصبيان خوفاً من الحمية فيما بينهم، وتبين ونوضح أهمية هذه النظرية وهي ينبغي أن يعمل المعلم بعلمه، والرفق في معاملة الأطفال، ومراعاة الاستعدادات الفطرية للمتعلم، وسوف نقوم بمقارنة نظرية ابن سحنون بالتربية الحديثة والمعاصرة فنجد أن هذه النظرية تسمى في وقتنا الحالي "نظرية الجزاء الطبيعي" وينصح سبنسر بأن خير وسيلة لبلوغ الإنسان غرضه هي أن يجنى ثمار عمله فهو يرى أنه من العبث أن نتعلم الأخلاق بوسائل، تقنية".

ومن أهم التعليمات التي يحذرنا منها ابن سحنون عند الضرب وهي عدم تألم الأطفال، وعدم الضرب على الرأس، وأن يكون مكان الضرب في الرجلين باستخدام الفلقة، لأن موقع الرجلين آمن، وينبغي أن تكون الدرة رطباً مأموناً، كل هذه التعليمات تربط بين الحالة النفسية والطبية. وهذا ما يسمي بعلم النفس الإكلينيكي في وقتنا.

وعند تطبيق العقوبة لابد من الأخذ بالحكمة وضبط النفس، وبرودة الطبع وعلى المربي أن لا يطبق الجزاء عند سورة غضبه، مهما كان الذنب كبيراً، فتجئ العقوبة كبيرة أو خارجة عن المألوف فتتقلب النتيجة إلى ضدها، ويركز ابن سحنون على أهمية المرأه في تنشأه الطفل.

ضوابط تعليم المرأة الأحكام الفقيهية لأن [المرأة أساس تهذيب الطفل]

وفى نفس السياق السابق عن أحكام السجدة بالنسبة للمرأة يقول ابن سحنون قال مالك: وكذلك المرأة إذا قرأت السجدة على الرجل، لم يسجد الرجل معها لأنها ليست بإمام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي قرأ عليه: كنت إماماً فلو سجدت سجدت معك^(١).

الآداب الشرعية عند ابن سحنون:

ومن أهم الآداب الشرعية التي تحدث عنها ابن سحنون تعليم أولاد النصارى، فهل من الناحية الشرعية يجوز للمعلم المسلم أن يعلم أولاد النصارى أم لا؟ للإجابة على هذا السؤال يقول ابن سحنون: " ولا يجوز للمعلم أن يعلم أولاد النصارى القرآن ولا الكتاب"^(٢)، وبعد ذلك يتحدث ابن سحنون عن نظريات تربوية هامة وهي.

اختلاط الذكور بالإناث:

لقد وضع ابن سحنون منهجاً تربوياً منذ قديم الزمن، وهذا ما نطبقه اليوم فى الحقل العلمى وهو فصل الذكور عن الإناث حيث يقول: " واكره للمعلم أن يعلم الجوارى ويخلطنهم مع الغلمان، لأن ذلك فاسد لهم"^(٣).

(١) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨٦.

(٢) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

أهمية تعليم المرأة في حياتنا اليومية :

وتصديقاً على الطرق التربوية عند ابن سحنون من النصوص السابقة التي تعالج تعليم المرأة نجد " أن البنت التي تقول أنها تعلمت في عصور الإسلام الأولى ونالت قسطاً ملحوظاً من الثقافة هي البنت الحرة قبل كل شئ وهذا الاقتباسان يتعلقان بالجوارى فلا يمكن أن نأخذ منهما حكماً عاماً على أن البنت تعلمت بالمكتب مع الاولاد، لأن تعليم الجوارى بالمكتب لا يدل بحال من الأحوال على تعليم الحرائر به، إذ أن كراهية اختلاط الجنسين ما كانت تنطبق على الجوارى، فقد كن مبتذلات فيحن كثيراً من التسهيلات التي لم تستمتع بها الحرائر" (1).

وعندنا من النصوص الصريحة ما يؤكد لنا أن البنت لم تلتحق بالكتاب صبية ولم تجلس في حلقة الرجال شابه، وكان الغالب أن تتعلم في المنزل عن طريق أحد أقاربها أو بمؤدب يدعى لها.

الهدف الأسمى من تعليم المرأة :

والهدف الأسمى عند ابن سحنون من تعليم المرأة: هو برهنة المرأة العربية الإسلامية على أنها متزودة لا بالثقافة الإسلامية فحسب ولكن بالإخلاق الإسلامية والنبيل في أرفع صورة وعند مجئ الإسلام كان هناك خمسة من نساء العرب يقرآن ويكتبن وهن حفصة بنت عمر، وأم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد، وكريمة بنت المقداد والشفاء بنت عبد الله العدوية، التي كانت تعلم حفصة وقد طلب الرسول منها أن تستمر في تعليمها لحفصة حتى بعد زواج الرسول منها.

ويؤكد ابن سحنون على تعليم المرأة، لان العلم يكسبها الفضائل جملة وتفصيلاً، حيث يقول: الإمام الغزالي "فأما الفضائل بجملتها، فتتخصر في معنيين: أحدهما: جودة الذهن والتمييز والآخر: حسن الخلق.

(1) التربية الإسلامية - د. أحمد شلبي - ص 331، 332.

أما جودة الذهن، فليميز بين طريق السعادة والشقاوة، فيعمل به، وليعتقد الحق فى الأشياء على ما هى عليه، عن براهين قاطعة مفيدة لليقين، لا عن تقليدات ضعيفة، ولا عن تخيلات مقنعة واهية، وأما حسن الخلق، فبأن يزيل جميع العادات السيئة، التى عرف الشرع تفاصيلها، ويجعلها بحيث يبغضها، فيجتنبها، كما يجتنب المستندات، وأن يتعود العادات الحسنة، ويشتاق إليها^(١).

وبعد أن استعرضنا نصوص ابن سحنون فى تعليم المرأة والغرض من تعليمها، لأنها هى الأساس الأول فى تربية وبناء الطفل علمياً وتربوياً وخلقياً ثم يعد ذلك يتحدث عن العقاب.

المنهج التربوى فى عملية الثواب والعقاب للصبيان عند ابن سحنون:

أجاز ابن سحنون العقوبة للتلميذ، متى استحقها وخاصة إذا كانت تتعلق بمنفعة وأدبه، وحدد لكل حالة العقوبة للتلميذ، متى استحقها وخاصة إذا كانت تتعلق بمنفعة وأدبه، وحدد لكل حالة العقوبة التى يسمح بها الشرع^(٢).

وكلمة "أدبه" تعنى رياضة النفس ومحاسبة الأخلاق، والأدب يقع على رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان.

والتناديب فى منهاج ابن سحنون يشمل ما يلى:

إساءة الأدب مع طالب مثله توجب انتهاء المعلم له فيقول ابن سحنون: عندما سئل عن ذلك: " سئل سحنون عن المعلم يأخذ الصبيان بقول بعضهم على بعض فى الأذى؟ فقال: ما أرى هذا من ناحية الحكم، وإنما على المؤدب أن يؤدبهم إذا أذى بعضهم بعضاً، وذلك عندي إذا استفاض علم الأذى من الجماعة منهم، أو كان الأعراف إلا أن يكون صبياً قد عرفهم بالصدق فيقبل ويعاقب على ذلك " ^(١).

(١) ميزان العمل - الأمام الغزالي - ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) الفكر التربوى عند ابن سحنون والقابس د. عبد الأمير شمس الدين - ص ٦٧.

الغرض من التأديب عند ابن سحنون:

ومن المتفق عليه لدى المربين ان الأصل في العملية التربوية ليس المثوبة والعقاب بل العناية بالتلميذ وتفهم مشاكله لذلك وضع ابن سحنون شروط عند تأديب الطفل وهى: عدم التشييد والمجازرة فى التأديب حيث يقول: " ولا يجاوز فى الأدب كما أعلمتك، ويأمرهم بالكف الأذى ويرد ما أخذ بعضهم لبعض" (٢).

وفيما سبق يتضح لنا ابن سحنون يعرف معنى التأديب، وغرض التأديب ثم بعد ذلك، يضع المواصفات والواجبات التى يجب على المعلم التمسك بها عند التأديب وهى الصدق.

الصفات المطلوبة للحكم على وسيلة التقويم:**الصدق أو الصحة:**

ومن خلال النصوص السابقة لابن سحنون، نجد أنها تطبق فى التربية المعاصرة وعندما قال ابن سحنون " إلا أن يكون صبياً قد عرفهم بالصدق فيقبل ويعاقب على ذلك" بمعنى أن المعلم يختبر ويقوم التلاميذ عن طريق الصدق من قبل بعضهم على بعض وهذا ما وجدنا عند كرونباخ " وقد أشار كرونباخ إلى أن الموضوع الأساسى فى الصدق هو الحد الذى يمكن للاختبار أو أية وسيلة تقويمية أن يؤدى به العمل الذى يستخدم من أجله. وليس الصدق صفة مطلقة للوسيلة التقويمية، بل أنه وثيق الصلة بهدف الشخص الذى يستخدم الاختبار. فقد تستخدم نفس الوسيلة لأغراض مختلفة ويتراوح صدقها من عال جداً إلى منخفض جداً إذ يتوقف هذا على الغرض من استخدامها" (٣).

(١) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨٧.

(٢) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٣) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨٧.

والصدق عند ابن سحنون هو عملية تقويمية للثواب والعقاب والاختبار لذلك نجد "فى الاختبار أو أية وسيلة تقويمية أخرى يكون الصدق هو المميز الذى يدل على الدرجة التى تقيسها وسيلة التقويم أو تعرض بها تشخيصاً للصفات السيكولوجية"^(١). المقيسة، ويقاس الصدق بالعلاقة القائمة بين القياس أو التشخيص وبين المستويات ذات الدلالة ويؤكد ابن سحنون مراعاة الصدق أو الصحة فى استخدام الثواب والعقاب، وهما من أساس عملية التقويم، لأن الطفل نحكم عليه بالثواب والعقاب من دراسة الحالة العلمية والنفسية عند الطفل، لذلك وجب الصدق عند المعلم، وهذه النظرية وجدنا عند جون ديوى الفيلسوف التربوى الأمريكى حيث يقول:

" ويجب علينا أيضا أن نقوم باختيار علمنا المدرسى من جهة ما يقدمه م شروط نفسانية ضرورية لتكوين الحكم الصائب فالحكم يكفى للقيم المتشابهة يتضمن المقدرة على الاختيار، وعلى التمييز، طبقاً لمعيار وأى تنمية يحصل عليها الطفل فإنما يكون ذلك رغماً عن الطرق التعليمية التى تؤكد سهولة التعلم"^(٢)

منهج ابن سحنون التربوى فى تأديب الاطفال:

وعلى أساس هذه الفكرة السابقة صاغ ابن سحنون منهجة ونسقة التربوى فى التأديب فى ما جاء فى الأدب وما يجوز من ذلك وما لا يجوز حيث يقول: " قال: وحدثنا عن عبد الرحمن عن عبيد بن اسحاق - عن يوسف بن محمد قال: كنت جالسا عند سعد الخفاف فجاءه ابنه بيكى فقال: يا بنى ما بيكيك؟ قال: ضربنى المعلم، قال أما والله لاحدثنكم اليوم: حدثنى عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " شرار أمتى معلمو صبيانهم، أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين"^(٣)

(١) المصدر - نفس الصفحة.

(٢) المبادئ الأخلاقية فى التربية - جون ديوى - ص ٥٨.

(٣) تاريخ الحكماء البيهقى - ص ٨٩.

الرفق بالأطفال خوفاً من هروبهم:

من النص السابق لابن سحنون نجد أنه يشير إلى مخففات العقاب في الأدب وبالأخص على الطالب اليتيم والمسكين، ويؤكد على واجبات المعلم في التأديب وهي: اتباعه أسلوب [الرحمة واللين] حتى لا ينفّر الطفل من العملية التعليمية، أما إذا كان المعلم فظ غليظ القلب على الأطفال فهذا يؤدي إلى هروب الأطفال، ولذلك وجبت الرحمة في طلب العلم حيث يقول الحكيم أبو الحسن بن سنان الطبيب "رأس مروءة الملوك حب العلم والعلماء ورحمة الضعفاء والاجتهاد في مصلحة عامة" (١).

ومجمل القول من دراسة النصوص السابقة عند ابن سحنون والتي تشير إلى الأدب للأطفال، وعلى أساس هذه الصفة يشرح ابن سحنون معنى السلوك في وقتنا الحالي وفي التربية المعاصرة: "فالتعريف العلمى للسلوك أنه كل ما يصدر عن الكائن الحي نتيجة احتكاكه أو اتصاله ببيئته خارجية، وهذا التحديد السلوك الحيوى العام الذى يتضمن سلوك الحيوان وسلوك الإنسان على حد سواء، ويتضمن السلوك بهذا المعنى كل ما يصدر عن الفرد من عمل حركى، أو تفكير أو سلوك لغوى، أو مشاعر أو انفعالات أو إدراك.... الخ" (٢)

لذلك تصبح التربية والتعليم من أهم المسؤوليات وأخطرها في حياة أية أمه، لأنها تتصل اتصالاً مباشراً بحياة كل فرد وفيها، وكل أسرة، ولأنها تؤثر تأثيراً جوهرياً فى حاضر الأمة وبناء مستقبلها، وعندما بين ابن سحنون أحكام وطرق التأديب فكان الهدف عنده هو تهذيب النفوس للأطفال وترويضهم على الأخلاق الحميدة، ووضح أن هذا لا يتم إلا عن طريق الشفقة والرحمة واللين، وعدم التفرقة بين الأغنياء والفقراء، ولا بين الأيتام والمساكين، فالغرض هنا هو تكافؤ فرص التعليم للجميع، وإتاحة الفرصة لتعليم الأيتام

(١) تاريخ الحكماء - ص ٨٩.

(٢) علم النفس التربوى د/ أحمد زكى صالح ص ٧.

والمساكين، وبمقارنة نصوص ابن سحنون بالنظريات التربوية الحديثة والمعاصرة تبين ما يلي "وتعتبر المدرسة (على هذا الأساس) المحور الرئيسي لهذه العمليات، لأنها تتلقى أبناء المجتمع في رحابها، وتهيئهم لأن يحتلوا مكانهم كمواطنين مستنيرين صالحين، فعلى المدرسة تقع مسؤولية تكوين المواطن بإتاحة فرص النمو المتكامل له، ويتعد اعداده، وتنمية وقاه ومواهبه حتى ينسجم مع باقي أعضاء المجتمع، ويعاونهم على تحقيق رغبات هذا المجتمع" (١)

وسائل الإيضاح عند ابن سحنون: [أصناف اللعب]:

بناء على ما تقدم هنا نصل مع ابن سحنون إلى الأسباب الموجبه للضرب وهي:

١- "ويؤديهم على اللعب والبطالة" (٢)

العقاب من وسائل الإيضاح وأحكام الضرب من الناحية الفقهية والشرعية:

٢- "ويستخدم الاحكام الشرعية في الضرب حيث يقول: "وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبة ثلاثاً" (٣)

٣- "ويبين لنا ابن سحنون التمسك بالأحكام الشرعية مستدلاً على ذلك بأقوال السلف الصالح ورسولنا الكريم حيث يقول: " قلت لم ومت عشرة في أكثر الأدب في غير القرآن وفي القرآن ثلاثة؟ فقال: لأن عشرة غاية الأدب، وكذلك سمعت مالكا يقول: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في حد" (٤)

(١) العلاقات بين الآباء والمعلمين - إيرفسنج شتاوت وجريس لا يخرون ترجمة عدلى سليمان - دار القلم - بدون طباعة - ١٩٦٢ ص ٧.

(٢) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨٠.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة.

الأسرة وأهميتها في الحقل التربوي:

٤- ويشير ابن سحنون إلى قاعدة تربوية هامة وهي أدب الطفل يبدأ في أول أمره من البيت، لأن الطفل ابن بيته وهو مرآة خلقه وأدبه، لذلك يستشهد بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم على أهمية مراعاة أولياء الأمور في تربية أطفالهم لدرجة أن أدب الطفل خير من الصدقة حيث يقول " وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق"^(١)

الضوابط التربوية في أحكام اللعب والبطالة عند ابن سحنون:

يؤكد ابن سحنون على أهمية اللعب والبطالة عند الأطفال من النصوص السابقة بقوله: "ويؤدبهم على اللعب والبطالة"، واللعب والبطالة عند ابن سحنون لا بد من التمسك بالأدب والأخلاق عند الطفل واللعب له أهميته الكبرى والعظمى، لأن الطفل يعبر عن مواهبه ورغباته الشخصية وبمقارنة هذا النص بالتربية المعاصر، وجد أن التربية المعاصرة تؤكد على اللعب مثل ابن سحنون تماماً: " وكما هو مذكور في اندرسون واندرسون، يقدم اللعب للطفل خبرة تنفيذية أى يتيح له فرصة للتخلص من البواعث غير المقبولة اجتماعياً ولتفريغ احساساته المصاحبة لخبرات غير سارة، كمولد طفل صغير في الأسرة، وافتقاد الحب الأبوي، وما إليها وفي السنوات الأخيرة ازداد استخدام اساليب اللعب لفهم سلوك الطفل وقيمة رغباته واتجاهاته وتخيلاته"^(٢) وعن مفهوم اللعب يقول ج واين رايتسون وآخرون: " اللعب نشاط طبيعي للطفل، وفيه يعبر الطفل عن نفسه تلقائياً ومن غير وعى وتستخدم مواقف اللعب غير المقصودة والمقصودة كوسائل اسقاطية، وفيها يترك الطفل حراً ليعالج ويعيد تنظيم المواد التي تحته على تمثيل بعض جوانب بيئته ذات الأهمية لديه"^(٣)

(١) المصدر السابق - ص ٨١.

(٢) المصدر السابق - ص ٨١.

(٣) المصدر السابق - ص ٨١.

ويذكر مورفي أن الطفل يستخدم الألعاب ليصور مفهومه عن المنزل والأسرة والجيران والعالم، وهو يظهر أبوية والكبار الآخرين^(١)

ومن ثم فإنه في ظل النصوص السابقة لابن سحنون عن أهمية و دور الأسرة في تربية الطفل، وهذا ما وجدناه في عصرنا الحاضر: "ونظراً لأهمية الدور الذي تقوم به الأسرة في تهيئة الطفل اجتماعياً فالإ تأثير الوالدين والأخوة وغيرهم من أعضاء الأسرة الأقربين على سلوك الطفل في المدرسة قد يكون قوياً جداً فمن والدية وقرانه يكتسب كثير من الاتجاهات الأساسية نحو المدرسة ونمو العملية التربوية فالأسرة بطبيعتها تنقل إلى الطفل ثقافة الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها وعن طريقها يعرف الأنماط العامة السائدة في ثقافته"^(٢)

قاعدة "الأدب على قدر الذنب":

من كل ما تقدم نخلص إلى القول بأن ابن سحنون وضع لنا قاعدة تربوية عامة، وهذا ما يسمى "الجزاء من جنس العمل" بمعنى أنه يجعل الأدب على قدر الذنب، ويستشهد بذلك من خلال أقوال أهل العلم أي جزاء التربية فيقول: "وقد قال بعض أهل العلم: أن الأدب على قدر الذنب"^(٣) وهناك قواعد للضرب وضعها ابن سحنون فعلى سبيل المثال ما جاء في القضاء بعطية العيد، وهي أن الأطفال مكلفين من قبل المعلم على أجر معين، فلا يأخذ منهم الهدايا بعد ذلك فيقول: "ولا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئاً من هدية وغير ذلك، ولا يسألهم في ذلك فإن اهدوا إليه على ذلك، فهو حرام، إلا أن يهدوا من غير مسألة، إلا أن تكون مسألة فيه على وجه المعروف فإن لم يفعلوا فلا يضربهم في ذلك"^(٤).

(١) المصدر السابق - ص ٢٧٤.

(٢) التربية ومشكلات المجتمع د. سيد إبراهيم الجيار ص ٣٨، ٣٩.

(٣) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨١.

(٤) المصدر السابق ص ٨٢.

يجوز تهرب الصبى بنى عشر إذا لم يصلى: " وينبغى للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بنى سبع سنين ويضربهم عليها إذا كانوا بنى عشر " (١).

نظرية الثواب والعقاب عند ابن سحنون بين الاصلية والمعاصرة:

وفى ضوء ما تقدم من إشارات إلى ابن سحنون فى نظرياته التربوية عن الجزاء من جنس العمل، وعندما يقول أن الأدب على قدر الذنب، هذه المقولة هى أساس التخطيط التربوى وهذا ما نجده فى التربية المعاصرة لأن " مراكز البحوث التربوية، ومراكز التوجيه المهنى والتربوى، ومؤسسات الأبنية المدرسية، وغيرها من المراكز الوثيقة الصلة بجهاز التخطيط و مما يساعد على هذا كله أن يوضح دليل يهدى المخطط التربوى فى عمله يشتمل فيما يشتمل على الأمور التالية:

- الأهداف الكبرى للتخطيط التربوي على نحو ما أشرنا إلى ذلك الفقرة.
- بنية جهاز التخطيط التربوى وأسلوب عمله واختصاصات أجزائه.
- الافراد اللازمون لجهاز التخطيط التربوى والوسائل المالية اللازمة لقيام هذا الجهاز بوظيفته" (٢).

وبمناسبة ذكر النقد الموضوعى الذى أسسه ابن سحنون فى عملية التعلم والحوار التربوى القائم بين المعلم والمتعلم، فعندما يقول: " لا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئاً من هدية وغير ذلك" بمعنى أنه يجب مراعاة تطور ونمو الطفل وهذا ما عبر عنه " تفسير واطسون ١٨٧٨ - ١٩٥٨ وهو إمام السلوكية فى الولايات المتحدة، وقد لاحظ واطسون أن الحركات الناجحة هى التى تبقى فى حين أن الحركات الفاشلة تذهب ولا تعود. أعنى أننا نستجيب مباشرة الأفعال الناجحة التى تقودنا نحو الغاية فى حين أن الحركات الفاشلة، التى تكون قد حدثت وقت العرض هذا الموقف لأول مرة لا تعود ولا

(١) المصدر السابق ص ٨٥.

(٢) المصدر السابق ص ٨٥.

تظهر فى سلوكنا بعد أن مارسنا عملية التعلم. وتعلمنا طريقة الاستجابة الصحيحة لهذا الموقف" (١).

التأديب الجسدى والمعنوى:

ومن الجدير بالذكر أن ابن سحنون وضع قواعد للتأديب الجسدى والمعنوى وكما يلى:

١ - التأديب الجسدى له شروط وهى: " ولا يجوز له أن يضرب رأس الصبى ولا وجهة" (٢).

٢ - "وعلى المعلم أن يكسب الدرة والفلقة" (٣)

٣ - هناك بعض الأحكام الشرعية يشير إليها ابن سحنون فى الادب الجسدى منها "وإذا أدب المعلم الصبى الذى يجوز له فأخطأ ففقأ عينه أو أصابه فقتله كانت على المعلم الكفارة فى القتل، والدية على العاقلة إذا جاوزت الأدب" (٤)

٤ - " وإذا ضرب المعلم الصبى بما يجوز له أن يضربه إذا كان مثله يقوى على مثل ذلك فمات أو أصابه بلاء، لم يكن على المعلم شئ غير الكفارة إن مات" (٥)

القياس والتقويم عن طريق الأسئلة:

٥ - " قال: وسئل مالك عن معلم ضرب صبياً ففقأ عينه، أو كسر يده فقال: إن ضرب بالدره على الأدب وأصابه بعودها فكسر يده أو فقأ عينه، فالديه على العاقلة إذا عمل ما يجوز له ، فإن مات الصبى فالديه على العاقلة بقسامه ووعليه الكفارة وإن ضرب باللوح أو بعصا فقتله فعليه القصاص" (٦)

(١) علم النفس التربوى د. أحمد زكى صالح - مرجع سابق - ص ٣٨٤.

(٢) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق - ص ٨٤.

(٤) المصدر السابق - ص ٩٠.

(٥) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٦) المصدر السابق - ص ٩١.

ونستخلص من نصوص ابن سحنون السابقة بأنه يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وأن حديثه متناسق في الأقوال، والأفعال والتطبيقات التربوية، والدليل على ذلك ما وجدنا في صدق نصوص ابن سحنون، وبمقارنة النسق التربوي عند ابن سحنون بأبعاد التربية المعاصرة، وجدنا أن أفكاره تدل على الحضارة والمعاصرة لأنها تتسم بما يلي:

- أ- تكافؤ الفرص التعليمية للجميع لقول ابن سحنون (ليجعلهم بالسواء في التعليم).
 ب- انتشار التعليم وازياد الطلب عليه بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر (وليجعلهم بالسواء في التعليم، الشريف والوضيع).
 ج- الاتجاه نحو اللامركزية في الإدارة التربوية وفي مجال تقديم الخدمات التعليمية والتربوية المختلفة.

د- التركيز - أكثر من أى وقت مضى على فكرة الديمقراطية في التربية^(١) والنصوص السابقة لابن سحنون في نظرية العقاب تخرس مبادئ أساسية في طرق التدريس، لأنها تعتمد على طريقة حل المشكلات وليس تعقيد الطفل وهذه الطريقة موجودة في وقتنا الحالى وهذه الطريقة تتطلب من المعلم أن يكون متحلياً بالصفات الآتية:

- أن يكون متسامحاً واسع العقل مبتكراً متحمساً.
 - أن يكون صديقاً - مرشداً - متيقظاً - صبوراً.
 - أن يكون متعاوناً ومخلصاً - على وعى اجتماعى.

ويجب على المعلم ألا يصب المعلومات في عقل التلميذ لأن مثل هذه الطريقة عديمة القيمة في نظر البراجماتية وإنما يجب أن يتعلم التلميذ وفق احتياجاته واهتماماته ومشكلاته^(٢) وهنا نصل مع ابن سحنون إلى ذلك التمييز الذى يقيمه بين قواعد التأديب

(١) التربية العاصرة - د. محمود عبد الرازق شفيق وآخرون ص ٢١.

(٢) فلسفة التربية د. محمد منير مرسى - ص ٢١٨، ٢١٩.

الجسدى وقواعد التأديب المعنوى، ويبدو الفرق واضحاً عنده بين صيغتي التقسيم، وهو فى هذا السياق يقول عن قواعد التأديب المعنوى:

١- يجب على المعلم نصح الصبى ولفت نظره إلى الخطأ. وهذه هى طرق التدريس للتكامل بين الأسرة والمدرسة.

٢- وإذا أخطأ الصبى وجب على المعلم إبلاغ أهل الصبى حيث يقول: "وليتعاهد الصبيان هو بنفسه فى وقت انقلاب الصبيان ويخبر أولياءهم أنهم لم يجيئوا"^(١).

٣- التأديب المعنوى يخلو من العنف والسباب لأن ذلك يولد العنف عند الأطفال لذلك وجب على المعلم أن "يأمرهم بالكف عن الأذى"^(٢).

٤- وهكذا فإن النظام التأديبى فى المثوبات والعقوبات يقوم على أساس تربية إيجابية يلاحظ فيه تقوم الطالب السوى ودفع قدرته إلى كسب المعرفة والتهديب، كما يحاول معالجة المشكلات الطلابية ويبحث عن أسبابها ودوافعها، ويقتصر فى العقوبة المادية على ما لا بد منه بعد استفاد سائر الوسائل التأديبية التى تتجدد وتنمو فروعها من تجارب المعلم الذاتية والعملية^(٣).

تهذيب الأطفال على التمسك بالفضائل الخلقية قبل عملية العقاب:

مما سبق ذكره نجد أن ابن سحنون يضع الخطوط الأولى لتربية الأطفال على يد المعلمين، فيؤكد على تعليم الأطفال فضيلة الصدق، لأن الإسلام يهتم اهتماماً بالغاً بتربية النشئ على خلق الصدق وغرس هذه الفضيلة فى الطفل حتى يشب عليها، لأنه أن تربي على الكذب فلن يعرف للصدق قيمة، ولا للحق مكانة بعد ما يكبر.

(١) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨٢

(٢) المصدر السابق - ص ٨٧.

(٣) فى التراث التربوى أ. تزيير حمدان - مرجع سابق - ص ١٥٩.

عن عبد الله بن عامر أنه قال: دعنتى أُمى يوماً، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاعد فى بيتنا: فقالت: ها تعال أعطيك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما أردت أن تعطية؟ قالت: أعطية ثمرأ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما أنك لو لم تعطية شيئاً، كتبت عليك كذبة)^(١) هكذا يجب أن يربى الأطفال على خلق الصدق.

وتجدر الإشارة بنا هنا إلى أهم أهداف التربية عند ابن سحنون وهى توجيه الفرد عن طريق الجماعة، وتناول ابن سحنون الركائز الأساسية التى تساعد الطفل على الاجتماع بالآخرين ومن أهمها الصدق، وفضيلة العدالة، والمعاملة برفق ولين، والإنسان كائن اجتماعى، والطفل يكتسب من الجماعة اللغة التى تساعد على التفاعل مع غيره، كما يكتب منها العادات والتقاليد، ويبين ابن سحنون فى كثير من رسالته إلى استفادة الفرد من الجماعة، وهذا ما وجدناه فى التربية الحديثة عند جون ديوى، وبافلوف، ونجد أن الجماعة وسيلة تحقق الفرد عن طريقها رغباته وأهدافه كما انها وسيلة يمكن عن طريقها تغيير سلوك الفرد "وإليك بعضاً مما قد يفيد الفرد من انتمائه لجماعة من الجماعات:

- ١- تحقيق الرغبات الشخصية والاجتماعية التى يعجز الفرد عادة عن تحقيقها بمفرده.
- ٢- لشعور بالانتمائية إلى جماعة تتقبله ويتقبلها فيشعر بالأمن والطمأنينة.
- ٣- يمكن تغيير سلوك الفرد عن طريق الجماعة، فكل جماعة لها معاييرها وقيمها التى يتحتم على الفرد المنتمى إليها اكتسابها فالجماعة بوتقة تنصهر فيها معايير الأفراد المختلفة"^(٢).

ويتضح المغزى من تأكيد ابن سحنون على مفهوم التربية من خلال رسالته "آداب المعلمين" لذلك يقول د. محمد الفرحان "قدمت لنا الرسالة درساً مفيداً فى تحديد مفهوم التربية وهذا الأمر يحملنا على إثارة التساؤل من جديد: ما معنى التربية عند ابن سحنون؟

(١) التوجيه النفسى و التربوى والمهنى د. سعد جلال - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٥٧م بدون طبعة - ص ١٣٥.

(٢) التوجيه النفسى والتربوى والمهنى د. سعد جلال ص ١٣٧.

الجواب: أن التربية في كتاب "آداب المعلمين" أخذت عدة معانٍ؟ فهي تعنى التعليم مرة، وتعنى العلم مرة أخرى، وهي تتضمن سمات المتعلم، وبياناً لجدول عمل المعلم وكشفاً عن طبيعة المواد الدراسية^(١).

المنهج التربوي عند ابن سحنون يشمل الإدماج:

ومن أهم أهداف التربية عند ابن سحنون هي: "بناء الشخصية إلى دمج الفرد في مجتمع الإسلامى ولعل هذه المسألة قد عالجها ابن سحنون وهو يناقش قضية العدالة بين الطلاب في داخل الحلقة الدراسية فالشخصية المأمولة من فعل المربي هي شخصية عادلة"^(٢).

لذلك وجب على المتعلم أن يكون صادقاً مع المعلم حيث يقول: "إلا أن يكون صديقاً قد عرفهم بالصدق فيقبل قولهم"^(٣).

هذه النظرية السالفة الذكر نجدها عند جون ديوي الفيلسوف الأمريكى البراجماتى وتسمى بالنظرية النفسانية.

وسائل التربية الخلقية أولاً ثم العقاب أخيراً:

ومجمل القول في الافادات التربوية عند ابن سحنون بعد قراءة النصوص التربوية عنده، نجد أنه أشار إلى توجيهات للمدرسين بشأن كذب التلاميذ وهي:

- ١- يجب أن يتصف الجو المدرسى بالصدق بأنواعه فلا غش، ولا كذب ولا تجسس، ولا نفاق، ولا اختلاق اعدار، ولا فرار من المواقف.
- ٢- يجب أن يتجنب المدرس الظروف التي تعطى الفرصة للكذب كالقسوة، والتشدد في طلب الواجبات: فإن هذا يضطر التلميذ إلى الكذب تقادياً للإيذاء.

(١) الخطاب التربوي الإسلامى د. محمد الفرحان - مرجع سابق - ص ٩٦.

(٢) المرجع السابق - ص ٧٣.

(٣) آداب المعلمين - ابن سحنون - ص ٨٧.

٣- إذا كذب تلميذ في حادثة ما ثم اعترف، فلا توقع العقوبة عليه، فللاعتراف قدسيته وإيقاع العقاب على التلميذ بعد اعترافه بالحق يقلل من قيمة الصدق، ومكانته في نظر التلميذ.

٤- يجب أن يحل التفاهم والأخذ والعطاء محل القانون، والعطف والمحبة محل السلطة والشدة في المدرسة، حتى يشجع ذلك التلاميذ على الصدق^(١).

ويؤكد ابن سحنون على التعليم الإلزامي في تربية الأطفال ومن أهم أهدافه يهيئ الأفراد ليكونوا مواطنين مستبشرين، قادرين على أن يضطلعوا بمسئولياتهم، وعلى أن يختطوا طريقهم في الحياة العملية، وبمقارنة نصوص ابن سحنون التربوية في تزويد الأطفال بأنواع المعرفة والعادات والاتجاهات والقيم وغيرها وجدنا أن هذه النصوص تعبر عن مستقبل التعليم عند الأطفال، والاستفادة من إفاداته التربوية في العصر الحديث، والتي تشمل ما يلي:

١- غرس مبادئ الدين، وأداء واجباته، ومحاربة الشعوذة والخرافات، وتربية الأطفال على الأخلاق الحميدة والاعتزاز بالوطن والتراث العربي المشترك.

٢- القدرة على فهم العلاقات الاجتماعية الصالحة، وتعود ممارستها في معاملة الآخرين.

٣- التمكن من وسائل المعرفة الأولية، كالقراءة والكتابة ومبادئ الحساب.

٤- تكوين المثل العليا ذات الصفة الاجتماعية، كاحترام الأسرة، والتفكير بمعايير السلوك الصالحة.

٥- حسن استخدام أوقات الفراغ، وإدراك المشكلات التي تواجه المجتمع^(٢).

(١) (المدرس في المدرسة والمجتمع - أبو الفتوح رضوان وآخرون - مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى - ١٩٦٠ - ص ٦٧.

(٢) (المرجع السابق - ص ٢٨ - ٢٩.

المنهج التربوي والخلقى عند ابن سحنون ودوره فى عملية الثواب والعقاب:

واستنادا إلى هذه الرؤية التربوية عند ابن سحنون نصل إلى أن هناك إفادات تربوية حول المتعلم والمعلم وهى ما يلى:

أن تكون شخصية المعلم مطبوعة بقول الصدق ورفض الكذب وتجنبه، وفى هذا السياق يقول عبد الملك للشعبى حين أخذ بتعليم ولده "علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رعة وأقلهم أدبا وعلماً، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة وأخف شعورهم تغلظ رؤيهم"^(١).

تجنب رذيلة الكذب والتمسك بفضيلة الصدق:

ونظراً لخطورة رذيلة الكذب، وجب على المعلم تجنبها خوفاً من تمسك الأطفال لها لذلك يقول أفلاطون "كفى بالمرء موبخاً على الكذب: علمه بأنه كاذب وكفاه ناهياً عنه: خوفه إذا كذب"^(٢).

التربية الخلقية:

ويجب على المعلم تناول الفضائل والبعد عن الرذائل والقول بالحسنى لأنها من خصائص مجلس العلم والدليل على ذلك ما نجد فى "مجلس الأخفشى مع يعقوب الحضرمى (حدثنا أبو جعفر قال: حدثنى أبو حاتم قال: قال سعيد بن مسعدة الأخفشى فى قوله عز وجل (وقولوا للناس حسنى)"^(٣).

فضيلة الصدق تخفف من عملية العقاب:

ويؤكد ابن سحنون على فضيلة الصدق ويجب تطبيقها بين المعلم والمتعلم ومعنى الصدق هو: "إخبار الإنسان بما يعتقد أنه الحق. ويشمل الإخبار كل ما يفهم المقصود سواء كان بالكلام أو بالعمل، كالكتابة والإشارة، ولكن الصدق الكذب، وهو إخبار الإنسان

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار - الزمخشري - مصدر سابق - ص ٥٢٣.

(٢) أسرار الحكماء - تأليف ياقوت بن عبد الله المستعصى الرومى جمال الدين المتوفى سنة ٦٩٨ هـ عنى بتخرجه سيد صديق عبد الفتاح - الدار المصرية اللبنانية - الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م. ص ١٩١.

(٣) أسرار الحكماء - تأليف ياقوت بن عبد الله المستعصى الرومى ص ١٥١.

بما يعتقد أنه غير الحق. وقال صاحب البصائر: "الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً ومتى انخرم شرط من ذلك لا يكون صدقاً، بل إما ألا يوصف بالصدق، وإما أن يوصف تاره بالصدق وتاره بالكذب على نظرية مختلفين، كقول الكافر من غير اعتقاد محمد رسول الله فإن هذا يصح أن يقال: صدق لكون المخبر عنه كذلك، ويصبح أن يقال: كذب لمخالفة قوله ضميره"^(١).

والإفادات التربوية عند ابن سحنون مستمدة من القرآن الكريم، فجعل الصدق من أهم واجبات المعلم والمتعلم، فوردت مادة (الصدق) في كتاب الله عز وجل حوالي ١٣٠ مرة. فقد أمر الله به المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

وأخبر أنه سيسألهم عنه فقال: ﴿لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾^(٣).

وأنه سيجازيهم عليه فقال: ﴿لَيَجْزِيَنَّ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾^(٤).

ووصف أنبياءه عليهم السلام- بالصدق فقال: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٥).

وقال: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٦).

وقال: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٧).

نستنبط من المعرفة العلمية عند ابن سحنون القيم الخلقية ومن أهمها قيمة الصدق والتي يجب تطبيقها في الحقل التربوي، ثم بعد ذلك يؤكد على مراعاة الفروق الفردية.

(١) أخلاقنا د. محمد ربيع محمد جوهرى - مطبعة الامانة - مصر - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ ص ٢١٣.

(٢) سورة التوبة آية ١١٩.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٨.

(٤) سورة الأحزاب آية ٢٤.

(٥) سورة مريم آية: ٤١.

(٦) سورة مريم آية: ٥٤.

(٧) سورة مريم آية: ٥٦.

وبالأخص فى أنواع اختبارات الاستعدادات (اختبارات الذكاء):

وقد أشار ابن سحنون من خلال استخدامه إلى الطالب الذكى المتفوق والذى يطلق عليه "عريف" وتستخدم الاختبارات الفردية لقياس القدرة العقلية فى المواقف الإكلينيكية بصفة أساسية وأكثر هذه الاختبارات الفردية شيوعاً فى الاستخدام اختبار الذكاء لستانفورد بينية، ومقياس الذكاء لوكسلر بليفيو. وقد وضعت صورة خاصة بالأطفال من مقياس وكسلر واستخدمت بوجه عام من سن الرابعة حتى سن الثالثة عشر" (١).

ولكن من الملاحظ أن تقسيمات العلوم عند ابن سحنون نجد أن العلوم البديهية يتم معرفتها عن طريق الذهن ومن سماتها لا تحتاج إلى برهان، والمعرفة البديهية: مثل الواحد نصف الاثنين والشمس تشرق كل صباح، أما المعرفة العلمية: هى معرفتنا بالقواعد الشرعية والأحكام الفقهية والقيم الخلقية، وهناك المعارف الخاصة ويعرفها الإنسان من خلال القياس العقلى وهو استنباط المجهول من المعلوم، ويسمى بلغة المنطق والعلم (برهان).

التفرغ لأداء مهمة التعليم :

يؤكد ابن سحنون على أن المتعلم لا بد أن يكون متفرغاً للعلم ومهتماً لذلك ووجب على المعلم أن "يؤدبهم على اللعب والبطالة" (٢). لأن اللعب نشاط طبيعى للطفل وفيه يعبر الطفل عن نفسه تلقائياً.

المعيدون: [مكانة الاستعدادات فى التربية]

يدقق ابن سحنون على مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، والدليل على ذلك أن الذى يساعد المعلم هو المتفوق ويطلق عليه لقب عريف يقوم بتخطيط الأطفال القرآن

(١) التقويم فى التربية الحديثة - ج. واين رايتستون وآخرون ترجمة محمد محمد عاشور وآخرون - مكتبة الأنجلو المصرية - ص ٤٨٠ - ٤٨١.

(٢) آداب المعلمين : ابن سحنون - ص ٨٠.

الكريم فيقول: "ولا يجعل لهم عريفاً منهم إلا أن يكون الصبى الذى ختم وعرف القرآن، وهو مستغنى عن التعليم فلا بأس بذلك وأن يعينه فإن ذلك منفعة للصبى فى تحريجه" (١)

مراعاة الفروق الفردية أثناء تطبيق العقاب:

فيما سلف ذكره عند ابن سحنون من معالجة الفروق الفردية عند الأطفال أو الصبيان، لاكتشاف المواهب العقلية المتميزة، من أجل ذلك وضح لنا شروط تقسم بين المعلم والمتعلم وهى " أن يقتصر بالمتعلمين على قدر أفهامهم، فلا يرقهم:

إلى الدقيق، من الجلى

وإلى الخفى، من الظاهر

هجوماً، وفى أول رتبة، ولكن على قدر الاستعداد اقتداء بمعلم البشر كافة، ومرشدهم، حيث قال: [أنا معشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم، ونكلم الناس بقدر عقولهم].

وقال: (ما أحد يحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان ذلك فتنه على بعضهم،

وقال على عليه السلام، وقت أوماً إلى صدره:

(إن ههنا لعلوماً جمّة، لو وجدت لها حملة)

وقال صلى الله عليه وسلم (كلموا الناس بما يعرفون، ووعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله

ورسله" (٢).

وتجدر بنا الإشارة إلى تفاوت العقول فى الفهم، لوجود العقل القاصر، وهناك العوام من المتعلمين، فالواجب علينا هنا هو مراعاة العقول القاصرة، ونذكر لهم ما يتناسب مع عقولهم فيقول الإمام الغزالي: " أن المتعلم القاصر ينبغي أن يذكر له ما يحتمله فهمه، ولا يذكر له أن ما وراء ما ذكرت لك تحقيقاً وتدقيقاً أدخره عنك، فإن ذلك يغتر رؤية فى تلفق

(١) المصدر السابق - ص ٨٢.

(٢) ميزان العمل - الإمام الغزالي - مصدر سابق - ص ٢٦٧، ٣٦٨.

ما ألقى إليه، بل يحيل إليه أنه كل المقصود، حتى إذا اشتغل به رقى إلى غيره بالتدرج، ومن هذا يعلم أن من تقيد من العلوم يفيد الشرع، واعتقد الظاهر، وحسن حالة في السيرة، فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده، وينبه على تأويلات الظاهر، فإن ذلك يؤدي إلى ينحل عنه قيد الشرع" (١).

القواعد المستخدمة في عملية الثواب والعقاب:

ومما يمكن استنباطه فيما سلف، يتضح لنا حرص ابن سحنون على التمييز بين واجبات المعلم النظرية والعملية في المجال التربوي وهي ما يلي:

١- يتميز المعلم بالحكمة وهو إصطفاه الله من بين البشر حيث يقول قال الله تعالى "ثم أورتنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" قال: كل من تعلم القرآن وعلمه فهو ممن اصطفاه الله من بنى آدم" (٢) ويجب استخدام الحكمة في عملية العقاب.

علاقة المعلم بالمتعلم:

٢- يؤكد ابن سحنون على وجود المعلم فيقول: " ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم" (٣).

تكافؤ الفرص عن طريق المساواة بين الأطفال:

٣- على المعلم المساواة بين الأطفال وإذا لم يفعل ذلك يصبح خائناً ومن الظلمة

اللين والرفق في معاملة الأطفال:

٤- عند معاملة الأطفال وجب على المعلم معاملتهم باللين والرحمة والشفقة وعدم الغلظة.

الضرب من أجل المنفعة وليس العقاب:

٥- لا يضرب الأطفال وهو غضبان أو من أجل مصلحة ولكن يضربهم على منافعهم.

(١) المصدر السابق - ص ٣٦٩ " قال سحبان وائل: العقل بالتجارب، لأن عقل العريضة سلم إلى عقل التجربة، وقيل لعمر بن العاص: ما العقل؟ فقال: الإصابة بالظن، ومعرفة ما يكون بما قد كان، وكان يقال: العقل ضربان: عقل الطبيعة وعقل التجربة، وكلاهما يحتاج إليه ويؤدي إلى المنفعة، وكان يقال: عريضة عقل لا يضيع معها عمل" [العقد الفريد - ابن عبد ربه - ٢ - مصدر سابق - ص ٢٤٠ ، ٢٤٥ .

(٢) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

٦- يتناول ابن سحنون الأحكام الشرعية في تأديب الأطفال بمعنى أن المعلم إذا أراد تأديبهم لا يضرب أكثر من عشرة أسواط.

ابن سحنون بين الأصالة والمعاصرة:

من خلال النصوص السالفة الذكر لابن سحنون والتي توضح دور المعلم في تعليم ونمو الأطفال، وأن وظيفة التعليم هي مساعدة الأطفال على اكتساب خبرات المجتمع المرغوب فيها، وتعويدهم على ممارسة أساليب الحياة الصالحة في هذا المجتمع، ويؤكد ابن سحنون على أن العملية التعليمية تنصب على ناحيتين:

الأولى: خبرات المجتمع وأساليب الحياة الصالحة، وهو ما يمكن أن يطلق عليه اسم المنهج أو المادة التعليمية، والتي ذكرها ابن سحنون مثل الهجاء، والقراءة والحساب والشعر، والقرآن الكريم، وتناول هدف التربية المدرسية وهو تحصيل التلميذ هذه الخبرات على المستوى الذي يتناسب مع مرحلة نموه، ولكي يتعلم الأطفال لا بد أن يأخذ المعلم بيده، وهذه هي عملية التعليم، وهي عملية صارت ضرورية، لا يمكن الاستغناء عنها، وهذا ما دفع ابن سحنون إلى القول: "ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم" وهذه المقولة تم تطبيقها في التربية الحديثة تحت عنوان ماذا يستفيد المدرس من دراسته وتفهمه لنمو التلميذ: ويفيد المدرس كثيراً من معرفة نفسية التلميذ مما يعينه على أداء رسالته ومن أمثلة ذلك:

١- يستطيع المدرس معرفة مستوى نضج أي تلميذ بالنسبة لمستوى نضج الأفراد في نفس السن.

٢- يستطيع المدرس، بفضل هذه المعرفة، أن يقف على ما ينتظر أو يتوقع من التلميذ في سن ما على وجه التقريب. مثال ذلك أنه يمكنه أن يعرف ما ينتظر أن يكون عليه تفكير التلميذ، أو مستوى لغته، أو نشاطه الاجتماعي، في سن معينة كما أنه يستطيع أن يعرف في أي عمر يمكن أن يؤدي التلميذ نشاطاً معيناً.

٣- يستطيع المدرس بهذا العلم أن يهيئ الظروف المحيطة بالتلميذ بحيث تساعد على النمو.

٤- يستطيع المدرس أن يعرف كيف يتعامل مع التلميذ، تعاملًا يتفق مع خصائصهم البدنية والنفسية" (١).

ويقتضينا المزج الحضاري لبحث موضوع التعلم بين ابن سحنون "ويشير بافلوف إلى أن شروط حدوث العملية الشرطية هي تحقق العوامل الآتية: (١) يجب أن تكون العلاقة بين المنير الأصلي الطبيعي (غير الشرطي) بالاستجابة الصحيحة علاقة نظرية أو كما يسميها هو علاقة عكسية" (٢).

الاعتبارات الاجتماعية والنفسية الواجب توافرها عند المعلم في نظريات الثواب والعقاب:

لا يجوز للمعلم أن يأخذ من الأطفال هدايا فوق أجرته، وإذا فعل ذلك يعتبر حرام حيث يقول: "ولا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئاً من هدية وغير ذلك، ولا يسألهم في ذلك فإن أهدوا إليه على ذلك فهو حرام" (٣).

العلاقة بين الهدية والضرب:

يحذر ابن سحنون المعلم من عدم ضرب الأطفال إذا لم يعطوه الهدية فيقول: "فإن لم يفعلوا فلا يضربهم في ذلك، وأما إن كان يهددهم في ذلك فلا يحل له ذلك، أو يخليهم إذا أهدوا له، فلا يحل له ذلك، لأن التخلية داعية إلى الهدية، وهو مكروه" (٤).

الاهتمام بأجازات العيد:

مراعاة المعلم أجازة العيد، حيث يقول: ابن سحنون ما ينبغي أن يخلي الصبيان فيه: "قلت له: إفكم ترى أن يأذن لهم في الأعياد؟ قال: الفطر يوماً واحداً ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيام، والأضحى ثلاثة أيام، ولا بأس أن يأذن لهم خمسة أيام" (١).

(١) المدرس في المدرسة والمجتمع - د. أبو الفتوح رضوان وآخرون ص ٤٧، ٤٨.

(٢) علم النفس التربوي - د. أحمد زكي صالح - مرجع سابق ص ٣٩٧.

(٣) علم النفس التربوي - د. أحمد زكي صالح - مرجع سابق ص ٣٩٧.

(٤) المصدر السابق - ص ٨٢.

مراعاة المعلم أجازة العيد، حيث يقول: ابن سحنون ما ينبغي أن يخلى الصبيان فيه: "قلت له: إفكم ترى أن يأذن لهم فى الأعياد؟ قال: الفطر يوماً واحداً ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيام" (٢)

لابد من غاية ورعاية الأطفال من قبل المعلم فيقول: "ولا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان إلا أن يكون فى وقت لا يعرضهم فيه، فلا بأس أن يتحدث وهو فى ذلك ينظر إليهم ويتفقدهم" (٣)

المقارنة بين أقوال ابن سحنون والنظريات المعاصرة:

بعد أن تعقبنا النصوص الأصلية فى نظريات الثواب والعقاب، وجدنا أن ابن سحنون يهتم ببعض المصالحات التربوية الهامة، التى لها صدى فى التربية الحديثة والمعاصرة، فنجد أن العلم ملتزم بقواعد تربوية تدريسية فى تطبيق العقوبة فملاً يقول ابن سحنون: "فإن لم يفعلوا فلا يضربهم" بمعنى الأطفال إذا لم يعطوا المعلم الهدية فلا يضربهم.

ومن هنا مزج بين نظرية التحليل النفسى، والبيئة الاجتماعية للأطفال، وكل هذه

النظرية موجودة فى الاتجاهات الحديثة للتربية وهى التى تشمل ما يلى:

- زيادة حسن المسئولية والالتزام.
- تحويل المربى إلى موظف أو مشاهد محايد على عامل تغيير.
- تحقيق التوازن بين السعى لكفاءة الانتاج وعقلنة التكلفة والربح وإضفاء معنى على الأفعال.

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

- التحليل والتركيب والوصف والتساؤل والنقد والتفحص والالتزام بالحقيقة واستعادة المعانى القديمة وإضفاء معانى جديدة.
- تعلم مهارات التحليل المنطقى والنقدى.
- التعمق فى فهم الطبيعة الإنسانية.
- فهم البيئة وتقديرها.
- تجاوز المصلحة الذاتية، والانغماس بالهم الإنسانى" (١)

ويؤكد سلامة موسى على نظرية ابن سحنون فى الترابط بين الاجتماع والسيكولوجية فيقول: " أما طريقة دالتون فتنشر غارمتين تؤديان إلى جعل التلميذ يعيش فى المدرسة ويقدر معنى التعاون ويضعه فوق التنافس ويبحث بنفسه ويعلم نفسه بدلاً من أن يعلمه المعلم، فإن الغاية الأولى أن يكون التلميذ مسئولاً عن تربيته نفسه ويتعود البحث والأساليب التى تجعله مدى حياته يربى نفسه" (٢).

الاستمرارية فى طلب العلم:

وفى نفس السياق للفقرة السابقة ينبه ابن سحنون أن من واجبات المعلم الاجتهاد فى طلب العلم، والاستمرارية فى طلبه، فيقول: " وليلزم المعلم الاجتهاد وليفرغ لهم" (٣).

الزمن الدراسى:

من واجبات المعلم تحديد وقتاً معيناً للحفظ فيقول: " وينبغى له أن يجعل لهم وقتاً ليعلمهم فيه الكتاب" (٤).

(١) اتجاهات حديثة فى التربية د. صالحه عبد الله عيان وآخرون - الطبعة الأولى دار المسيرة - عمان - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٧ م - ص ٢١، ٢٢.

(٢) السيكلوجية فى حياتنا اليومية - سلامة موسى - ص ٦٠، ٦١.

(٣) آداب المعلمين - ابن سحنون ص ٨٣.

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة.

التفرغ لأداء التعلم للمعلم:

وعن تحديد الوقت المباح للمعلم من أجل التأليف لنفسه نضع له شروط ومن أهمها أن يكون بعيداً عن وقت الاطفال في تعليمهم فيقول: " قلت فهل ترى للمعلم أن يكتب لنفسه كتب الفقه أو لغيره؟ قال: أما في وقت فراغة من الصبيان فلا بأس أن يكتب لنفسه وللناس مثل أن يأذن لهم في الانقلاب وإما ماداموا حوله فلا، ولا يجوز له ذلك" (١).

تحديد الامتحان عند ابن سحنون بين الأصالة والمعاصرة:

من المتعارف عليه أن المعلم يجرى اختبارات أو امتحاناته بعد شرحه واطلاعه في العمل لكي تبين له قدرة الطالب على تحصيل العلم. ومصطلح الختم هنا يعنى المحصلة النهائية للطالب من حفظة وفهمه للقرآن الكريم حيث يقول ابن سحنون ما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم (وسألته متى تجب الختمه فقال: إذا قاربها و جاوز الثلثين، فسألته عن ختمه النصف فقال: لا أرى ذلك يلزم قال سحنون ولا يلزم ختمه غيره القرآن كله لا نصف ولا ثلث ولا ربع، إلا أن يتطوعوا بذلك" (٢).

من النص السابقة لابن سحنون نجد انه أشار إلى التربية المعاصرة، والإشارة على المخطط التصميمي للمنهج والذي يشمل ما يلي:

أ- الجداول الزمنية اليومية.

ب - الجداول الأسبوعية.

والنص السابق يشير إلى "النمو ظاهرة كلية شاملة، فالإنسان جسماً وعقلياً واجتماعياً ولغويًا وغير ذلك من مظاهر النمو المختلفة، وكل هذه المظاهر يرتبط الواحد منها الأضرار ارتباطاً وثيقاً" (٣)، والغرض عند ابن سحنون "من دراسة مراحل النمو، أو

(١) المصدر السابق - نفسه الصفحة.

(٢) اعداد المعلمين: ابن سحنون - ص ٨١.

(٣) علم النفس التربوي د. أحمد زكى صالح ص ٢٤.

علم النفس للطفل هو دراسة نمو السلوك البشرى وتطور الوظائف النفسية فى سننى حياة الإنسان المختلفة لتحديد أحسن الشروط البيئية الممكنة التى تؤدى إلى أحسن نمو ممكن^(١)

مقارنة بين نظريات ابن سحنون والنظريات الموحدة

بعد استعراض المقولات التربوية عند ابن سحنون، نود أن نشير إلى مقارنة نصوصه بالنصوص الحديثة والمعاصرة لكى يتبين لنا أهمية النسق التربوى عند ابن سحنون، وجمعه بين الأصالة والمعاصرة، وقبل أن يبدأ ابن سحنون فى نظرياته للعقاب يتحدث أولاً عن أهمية دور الأم فى تربية الأطفال، باعتبارها اللبنة الأولى فى تأسيس الطفل على الأخلاق والقيم التربوية، حتى لا يتعرض الطفل للعقاب من قبل المعلم، فلأم أهمية ضرورية فى تربية الأطفال، وهذه النظرية موجودة فى النظريات التربوية الحديثة لذلك يقول سلامة موسى: " إذا كانت السيكولوجية الحديثة قد عادت بالكثير من الفوائد فإن أعظم فوائدها إنما هو الضوء الذى أنارت به مشكلات التربية الحديثة ونكشف عن نقائصها كما دلت على طرق العلاج لهذه النقائص والوقاية منها، وأول ذلك أنها أوضحت قيمة السنين الأربع الأولى فى التربية فإن الطفل الذى شب فى هذه السنين على استجابات خاصة للمؤثرات يبقى سائر عمره وهو يستجيب على ما ألف وتعلم مدة طفولته فى هذه السنين الأولى من عمره"^(٢).

والأم هى أساس تربية الطفل: " وواضح أن هذه الطفولة إنما تقضى فى البيت بين يدي الأم أو المربية، وليس فى المدرسة تحت إشراف المعلمين ومن هنا هذا العبث الذى يجده الإنسان حين يقرأ عن لوم اللاتمين للمدارس لأنها لا تعنى بالأخلاق فإنه ليس فى

(١) المرجع السابق - ص ٦٦.

(٢) السيكولوجية فى حياتنا اليومية - سلامة موسى - ص ٣.

العالم مدرسة يمكنها أن تعلم الأخلاق لتلاميذها وإنما في العالم ملايين الأمهات يمكنهن أن يعلمن أبناءهن ويغرس فيهم مبادئ^(١).

وعندما يؤكد ابن سحنون على دور الأسرة قبل عملية العقاب، ومن أهم الشروط التي يلتزم بها المعلم عند تطبيق العقاب وهو مشاورة، وتبليغ الأسرة وهذه النظرية عبرات عنا التربية المعاصرة لأن: " التربية من جهة أخرى عملية تنظيم اشتراك الفرد مع بقية أعضاء المجتمع في الإصلاح والنمو اشتراكا إيجابياً عن وعي وقصد، وكتاب العلاقات بين الآباء والمعلمين يتناول موضوعاً بالغ الأهمية في الميدان التربوي، ذلك أن تربية الأطفال، وتنشئتهم عملية متصلة مترابطة يستلزم التعاون الوثيق بين البيت والمدرسة، فالبيت هو البيئة التربوية الأولى، إذ فيه يولد الطفل وتفتح عيناه على الحياة الأولى مرة، وهو أول مجتمع يعيش فيه ويكبر ومنه ينشر العادات والاتجاهات وأبواه وأخوته وأقاربه هم معلمون الأول ينظر إليهم ويأخذ عنهم، ويحاكي أفعالهم وأقوالهم، ويقلد طبائعهم، وخصالهم، ومن ثم فإن الطفل عندما يفد على المدرسة فإن يكون مزوداً بتكوين شخص معين له مقوماته الخاصة في ميول ونزعات واتجاهات اكتسبها في بيئته الأولى^(٢).

والغرض الاساسي من عملية العقاب هو تهذيب الأخلاق الحميد عند الأطفال، وهذا المضمون هو نفس تحقيق وتحديد أهداف التدريس المعاصر وهي ما يلي:

- أهمية الجماعة وأهمية الفرد.
- مراعاة حقوق الغير.
- احترام القوانين واللوائح ض
- ضبط النفس^(٣).

والعقوبات التي أشار إليها ابن سحنون مستنبطه من الأحكام الفقهية، وهي أن المعلم لا ينبغي ضرب الصبيان عن ثلاثة أسواط شيئاً، وعن الحياة الاجتماعية والتربوية التي

(١) المرجع السابق - نفس الصفحة.

(٢) العلاقات بين الآباء والمعلمين - إيرفينج ستاوت وآخرون - ص ٧.

(٣) مفاهيم واتجاهات حديثة في تعليم أطفال المدرسة الابتدائية - د. محمد سليمان شعلان وآخرون - مكتبة غريب - بدون طبعة ونشر - ص ١١.

كانت موجودة في أفريقيا "ولكن من المعتقد أنها لم تبلغ الدرجة القصوى على نحو ما كان عليه الحال في أفريقيا، حيث كانوا يستخدمون "الفلكة"، وهي أداة تعذيب شديدة، تشد بها ساقى الصبي لتكون معدتين للضرب ويرى ابن خلدون أن من أسباب جبن سكان المدن وضعفهم وسائل الضغط في المدرسة، وبخاصة إذا كانت العقوبات شديدة" (١).

ومن الجدير بالذكر أن ابن سحنون استخدم بعض المفاهيم التربوية في نسقته التربوي، وهذه المفاهيم يتم تطبيقها في الغرب مثل الهدف من عملية الثواب والعقاب، الحكم على وسيلة التقويم، الضوابط التربوي في أحكام اللعب والأجازات والعطل، كل هذه المفاهيم استعرضناها فيما قبل وتعقبناها بالشرح والتفصيل في بداية هذا الفصل، وبمشابهة أقوال كومبنيوس (١٦٧٠ - ١٥٩٢) بابن سحنون في كتابه "المرشد العظيم" أور ما يلي:

- ١- ينبغي تعليم كل ما يعلم على أساس كونه ذا تطبيق عملي في الحياة اليومية وذا فائدة.
- ٢- ينبغي تعليم كل ما يعلم بشكل واضح المعالم - وليس بأسلوب معقد.
- ٣- ينبغي أن تعلم جميع اجزاء الموضوع وحتى أصغرها وبدون أى استثناء من حيث علاقتها بعضها ببعض بالنسبة إلى ترتيبها ومكانها وإرتباطها.

ينبغي التأكيد على الفروق الموجودة بين الأشياء، وذلك من أجل أن تكون المعرفة المكتسبة عنها (أى الأشياء) واضحة وجليّة" (٢).

الجمع بين المفاهيم الأصلية والمفاهيم المعاصرة عند ابن سحنون في نظرية الثواب والعقاب:

ومن قراءة النصوص السابقة لابن سحنون نضع إيدينا على النسق التربوي لابن سحنون، وارتباطه بالأصالة والمعاصرة، أى أن النصوص عنده مستنبطه من البيئة الاجتماعية ولكن متلائمة ومتحضرة مع العصر الحديث، والمعاصر فنجد أن المعلم يجب

(١) التربية الإسلامية في الاندلس أصولها المشرفية وتأثيراتها الغربية - خوليان ريبيرا ترجمة د. الطاهر أحمد مكي - ص ٣٩.

(٢) أصول التربية - د. أحمد على الفينش - مرجع سابق - ص ٢١١.

عليه التمسك بالضمير الخلقى، ودمج الطفل داخل المجتمع وتميز المعلم بالصدق والاستمرارية في التعليم، ونظام العقاب هو معالجة المشكلات الطلابية، وتقويم الطالب السوى ودفع قدرته إلى كسب المعرفة، كل هذه القواعد التربوية نادى بها بستالوتزى (في مدينة زيورخ عام ١٧٤٦) وسألخص الآن المبادئ التي نادى بها بستالوتزى وهذا التلخيص يحتوى على ما يلى:

- ١- يجب أن يؤسس التعليم على خبرة المتعلم نفسه.
- ٢- يجب أن ترتبط خبرات وملاحظات المتعلم باللغة.
- ٣- يجب أن يبدأ التعليم بأبسط العناصر ويتدرج المتعلم بعد ذلك في تمهل منطقياً.
- ٤- يجب أن يعرف المعلم أن المقصود بالتربية هو النمو لا مجرد إلقاء محاضرات وسرد حقائق.
- ٥- ليس هدف التعليم في المرحلة الأولى هو الحصول على المعرفة أو المهارة بل هو نمو وتقوية قوى العقل.
- ٦- يجب أن تكون العلاقة بين المعلم والمتعلم علاقة حب وعطف.
- ٧- لا يجب على المربي أن ينتقل من نقطة إلى أخرى إلا بعد تأكده من أن المتعلم قد فهم النقطة السابقة وثبتت في ذهنه^(١).

وعندما نادى ابن سحنون بتكافؤ الفرص بين اليتيم والفقير، فيقول بستالوتزى: "أن الطبيعة مملوءة بالمناظر الجميلة ومع ذلك فإننا لم نفعل شيئاً ليحس الفقير بهذا الجمال"^(٢). ويمكن أن نستخلص من نصوص ابن سحنون نسقة التربوى قبل تطبيق العقوبات على الأطفال فيقول من واجبات المعلم مراعاة اجازة العيد، لا بأس أن ينظر إليهم ويتفقدهم، وليلزم المعلم الاجتهاد وليفرغ لهم، أى للأطفال تحديد الامتحانات (ومسألته متى تجب الختمة)، "دمج الفرد في مجتمع"، كل هذه المصطلحات التربوية تعبر عن مفهوم

(١) تربية الطفل قبل المدرسة د. سعد مرسى أحمد وآخرون - ص ١٩٥.

(٢) المرجع السابق - ص ١٨٤.

التجديد: يرجع الأصل اللغوي لمفهوم التجديد إلى الفعل "تجدد" أى صار جديداً، جده أى صيره جديداً، وكذلك سمي كل شئ لم تأت عليه الأيام جديداً، فعندما اهتم ابن سحنون بالتربية الاجتماعية عند الطفل وهذا ما يسمى بعلم الاجتماع التربوي نجدها رولد راج الذى نشر كتاب "الثقافة والتربية فى أمريكا عام ١٩٣١، ووليم هـ. كليا تريك، وجون تشايلرز:

اللدان أكدا على أهمية التربية وحثها على أن تأخذ دورها فى المجتمع فى أن تعنى حقيقة مسئولياتها الاجتماعية، مؤكدين على الغاية من النمو الاجتماعى عن طريق التربية^(١).

والمصطلحات السابقة عن ابن سحنون السالفة الذكر فى بداية الصفحة تسمى فى وقتنا المعاصر "التخطيط الطويل المدى ويتضمن اختيار مجالات واسعة لها أهميتها فى محيط الطفل وبيئته، ومن الممكن أن تمدنا بخبرات مكتملة مترابطة لموضوعات المناهج فى المرحلة الابتدائية، يتضمن دراسة الأيام الستة الدراسية بحيث تعرف الاجازات والأعياد والأيام ذات المناسبات الخاصة والأحداث الهامة، حتى تدرج، وتنتج ما تحوية المناهج من موضوعات"^(٢).

الوقائع المستخلصة من تعريف التربية عند ابن سحنون من خلال الثواب والعقاب والجمع بين الأصالة والمعاصرة:

من خلال التفسيرات السابقة نستطيع أن نقول أن ما توصلنا إليه عند ابن سحنون من مفهوم التربية فى عملية الثواب والعقاب وهى ما يلى:

١- العلوم البديهية عن ابن سحنون يتم معرفتها عن طريق الذهن مثل الواحد نصف الاثنين.

(١) اتجاهات حديثة فى التربية د. سالحة عبد الله عيان وآخرون ص ٣٧.

(٢) مفاهيم واتجاهات حديثة فى تعليم أطفال المدرسة الابتدائية د. محمد سليمان شعلان - ص ٢٣.

٢- عن طريق نظرية الثواب والعقاب نتعرف على سمات المتعلم العقلية والذهنية، ومعرفة الفروق الفردية بين الأطفال والتي تشمل الذهن والجسم والأنفعال.

٣- لا يضرب المعلم الأطفال وهو غضبان والاهتمام بالنمو العقلي عند الطفل عن طريق المعيد. كانت أقوال ونصوص ابن سحنون متشابهة تماما " لنظرية جان بياجيه" فى النمو العقلي عند الطفل، لانه قسم مراحل النمو العقلي إربيع مراحل أساسية هي:

- ١- المرحلة الحسية الحركية وتشمل السنتين الأوليين من حياة الطفل.
- ٢- مرحلة التفكير التصورى أو مرحلة ما قبل العمليات وتشمل الفترة من السنتين حتى السابعة.

والمراحل الفرعية عند جان بياجيه تشمل (تدريب الأفعال المنعكسة، ضروب التكيف المكتسبة الأولى ورد الفعل الدائرى الأولى، ردود الأفعال الدائرية الثانوية والأساليب التى تهدف إلى العمل على استمرار المناظر الممتعة، رد الفعل الدائرى الثلاثى والكشف عن الوسائل الجديدة، عن طريق التجريب الإيجابى، اختراع الوسائل الجديدة بطريق التركيب العقلي)"^(١)

أما عن مرحلة ما قبل العمليات العقلية فيقول: " ومع بداية ظهور المرحلة السادسة من مراحل النمو الحسى الحركى، تبدأ تظهر سلسلة من التغيرات الهامة فى تفكير الطفل، كظهور اللغة وتكوين الأفكار البسيطة والرموز والتقليد المرجأ والصور الذهنية"^(٢).

وفى ضوء ما تقدم من النسق التربوى عند ابن سحنون نستنتج بعض النظريات التربوية التى فسرها مثل (الفروق الفردية - وظيفة المعلم وخصائصه - مبدأ اللعب"

(١) حوليات كلية الآداب - بجامعة عين شمس - المجلد الرابع عشر - القاهرة - مطبعة عين شمس - بحث النمو العقلي عند الطفل فى نظرية جان بياجيه د. سيد محمد محمد غنيم ص ٢٣٠.

(٢) المرجع السابق - نفس الصفحة.

وقد ظهرت هذه النظريات بوضوح تام في الاتجاهات الحديثة في التربية وهي:

- ١- الفروق بين الجنسين بمعنى أن البنات في الغالب أقل في القوة البدنية من البنين، وأن أعصابهن أكثر تأثراً وأسرع توتراً من البنين ولذا فإنهن أكثر تعرضاً للتعب.
 - ٢- يعتقد "ثورنديك" أن الاختلافات العقلية بين البنات والبنين، والولد والولد أكثر من الاختلافات بين الولد والبنات فالاختلافات العقلية بين البنين وبين البنات أمر قليل الأهمية ولقد أثبت اختبارات الذكاء صحة هذا الرأي.
 - ٣- يجب مراعاة الفروق الفردية في التربية والتعليم وتشمل ثلاث نواح: فسيولوجية ومزاجية وعقلية وهي اختلافات نسبية، تبدو الاختلافات المزاجية مرتبطة بالاختلافات الفسيولوجية، ويجب الاهتمام بأذواق الأطفال المتعددة وبقدراتهم المتباينة.
 - ٤- من أهم الخصائص التي يجب أن تتوفر في المعلم، أن يكون حسن الزى، نظيفاً منظماً لأن المعلم نموذج لتلاميذه، وإهماله زية يوحى إليهم بذلك، وقد يجعله موضع سخريتهم.
 - ٥- الألمان بقواعد التدريس المناسب للتلميذ وللمادة.
 - ٦- أن يكون فياض النشاط، فالمعلم الكسول يهمل عمله ولا يجد من الحيوية ما يحركه للقيام بواجبه.
 - ٧- من أهم الخصائص الخلقية التي أشار إليها ابن سحنون أثناء تطبيق العقاب وهي الصبر والإنابة والتحمل، وأن يكون مخلصاً في عمله، متميزاً بالعطف واللين مع التلاميذ، فلا يكون قاسياً عليهم فينفرهم، ويفقد لجودهم إليه واستفادتهم منه.
- لقد تعرفنا فيما سبق عن اهتمام ابن سحنون بمبدأ اللعب عندما قال "يؤدبهم على اللعب والبطالة" بمعنى أنه يجب على المعلم ألا يحرم الأطفال من مبدأ اللعب ولكن يؤدبهم على تنظيم اللعب واختيار الوقت المناسب للعب، لأن ابن سحنون يقدر أهمية اللعب عند الأطفال" ليس من العسير على القارئ أن يدرك أن هذا المبدأ يتضمن روح النظرية التي

ينادى بها رجال الدين، والتي تتلخص فى أن الذاتية هى الهدف الأسمى من التربية على أن هذا المبدأ ليس ببدعه جديدة أدخلت على ميدان التربية، فقد أصبح له من التأثير على التقدم التربوى اليوم ما لم يكن له فى أى وقت مضى"^(١).

وكانت لنظرية مبدأ اللعب صدى عند الدكتورة منتسورى وأرمسترنج "على أن قادة التربية الذين حذوا حذو أرمسترنج ومنتسورى قد حاولوا تطبيق مبدأ اللعب فى تدريس مختلف مواد المنهاج، وكان لهم فى ذلك فضل عظيم فى مبدأ تحقيق الذاتية"^(٢).

ومن الجدير بالإشارة أن معظم آراء الدكتورة منتسورى ترديد لأقوال ابن سحنون فعندما جعل ابن سحنون تدريس الحساب أمر مهم للطفل، ومر علينا فيما سبق فى مناهجة الدراسى، وبمشابهة أقوال مدام منتسورى نجد أنها تقول: "يشعر الطفل بحاجته الملحة لدراسة الحساب، فإن سحر الأرقام يجذبه فيتطلع إلى معرفة المزيد عنها، وتشوقه جداً إلى الجديد على أساس المعلومات الحسابية"^(٣).

أثر مبدأ اللعب والاهتمام به عند ابن سحنون فى النظريات المعاصرة

١- تقول سوزان ايزكس "والطفل يضيف عن طريق اللعب أيضا معلومات جديدة إلى معلوماته عن العالم"^(٤).

٢- تخصص بعض المدارس فترة طويلة للرياضة فى الهواء الطلق يقرر الأولاد خلالها الألعاب التى سيلعبون، وينتخبون أعضاء الفريق ورئيسة، كما يقررون قواعد اللعب والعقوبات أن وقت اللعب هو بمثابة امتحان لكفاءة الولد، أنه امتحان اجتماعى وجسدى معاً، واللعب الذى يجرى تحت المراقبة لا يعنى سيطرة المعلم عليه، أو يمكن

(١) التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز وآخرون - ص ٣٢٢.

(٢) المرجع السابق - ص ٣٢٤.

(٣) تربية الطفل قبل المدرسة د. سعد مرسى أحمد وآخرون - ص ٢٩٨.

(٤) الحضانة سوزان ايزكس ترجمة سمية أحمد فهمى - ص ١١.

أن يكون لعباً سعيداً صادراً من أعماق قلوب الأولاد، فدور المعلم هنا هو دور الحكم الذى يسعه أن يفهم بسرعة" (١).

٣- أما عن التربية الخلقية ودورها فى الثواب والعقاب فهى موجودة فى الفكر التربوى المعاصر والدليل على ذلك أنه "يهتم المربون الاشتراكيون بالتربية الخلقية مثلما يهتمون بتعليم العلوم أو اللغات، و يمكننا تبين مدى أهمية التربية الخلقية من الدور الذى تلعبه فى اعداد المعلمين، فهى تتال اهتماما كبير فى كل البرامج فبالإضافة إلى دراستهم لوسائل " ضبط الفصل" ومعرفتهم بضرورة قيامهم بدور القدوة" (٢).

٤- وتهتم النظريات المعاصرة بالعقاب مثلما ابن سحنون فنجد "من الضرب ومشتقاته فمجرم هو المعلم الذى يتوسل بالضرب لتعليم أطفالنا وأولادنا وتهذيبهم، فالعصا والفلقة، هما وسيلتنا استعباد و إذلال الإنسان الحر حتى ولو كانت بعض مدارس انجلترا اليوم وهى البلاد الراقية الكبرى لا تزال تعتمد هذه الوسيلة القسرية فى تأديب تلاميذها بالعصا وحتى المشاورة" (٣).

٥- التحذير من انتهاك كرامة الأطفال عن طريق العقاب" وكل ضربة تنزل على جسم الطفل الصغيرة سواء فى البيت أو المدرسة تعد انتهاكاً لكرامة الإنسان، وتغرس فى الود إما روح الذل أو الاستكانة والخوف ومن العقاب الصارم، وإما روح الثورة والتمرد والإجرام بل الحقد على من يضربه ويذله، فيخلق منه أنساناً متمرداً حاقداً على المجتمع" (٤).

(١) كيف تساعد ابناءك فى المدرسة - مارى فرانك لورنس ترجمة صبيحة عكاش فارس - ص ٣٢٢.

(٢) المدخل فى التربية المقارنة د. وهيب سمعان وآخرون - مرجع سابق - ص ٧٣.

(٣) رائد التربية العامة وأصول التدريس د. عبد الحميد فايد - ص ٤٢٦.

(٤) المرجع السابق - نفس الصفحة.

٦- أما عن العقوبات المسموح بها فهي " سحب العلامات الجيدة أو الجوائز من الأطفال، التنبيه والتأنيب بلهجة هادئة ودون جرح وتعنيف أو استهزاء، والحرمان الجزئي من الفسحة الطويلة"^(١).

٧- يهدف ابن سحنون من نظرية الثواب والعقاب توضيح أساسيات المناهج وطرق التدريس في عصره، وتحديد العلاقة بين المعلم من جهة وبين الدارسين وآبائهم، وضرورة الاهتمام بميول المتعلم واستعداداته واهتماماته وتوجيهه بما يتناسب مع عمره وقدراته وميوله.

٨- عن طريق نظرية الثواب والعقاب نستنبط قواعد تربوية هامة من كتاب آداب المعلمين لابن سحنون وهي توجيه المدرسين والدارسين، وأساليب طرق التدريس التي يتبعها المعلم في تعليمهم، وفيما يجوز ولا يجوز في التعليم، وتنمية شخصية الدارس للمثول أما المخاطبين، والتركيز في التعليم علي الإثراء اللغوي والتعبير الفكري، وتعليم الدارسون أصول المناقشة وآداب الاستماع،

٩- نستنبط من نظرية الثواب والعقاب عند ابن سحنون واجبات المعلم الإجتماعية تجاه المعلمين، ويجب أن يكون المعلم والداً وراعياً باستخدامه اللين والشفقة والحنوة.

١٠- فيما سلف ذكره هذا يتفق ولاشك مع اتجاهات التربية الحديثة التي تدعو إلي تثبيت المعرفة بالشرح والتوضيح وإدراك المعاني واستيعابها.

(١) المرجع السابق - ص ٤٢٧.

”تعقيب”

ناقشنا في هذا الفصل مفاهيم على جانب كبير من الأهمية في نظريات الثواب والعقاب عند ابن سحنون، ولا شك أن المحور الأول للمفاهيم الرئيسية التي تشملها النظريات السابقة تجعل المعلم يهتم بمتابعة سائر الموضوعات والمناهج التفصيلية، بانتظام دون تعطل، قبل تطبيق نظريات العقاب على الأطفال.

- ثم اعقبنا ذلك بمناقشة تفصيلية في شروط المعلم والالتزام بها عند العقاب وهي الرفق، الشفقة، الرأفة، الرحمة، واللين، فقال بعض الحكماء: إذا غلب على الرجل أربع خصال فقد عطب:

(الرغبة، الرهبة، الشهوة، الغضب، ومن شؤم الغضب، وعظيم بليته: أنه قد يقتل النفوس، ويسلب الروح. وكان سبب موت مروان بن عبد الملك. وهذا ما يحذرنا منه ابن سحنون عند تطبيق مبدأ العقاب لدى المعلم.

- ونستنتج فيما سبق أن ابن سحنون يقوم بتطبيق السنة في عملية العقاب بمعنى أنه لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا على ثلاثة أسواط شيئاً، وكان من الضروري حث المعلمين على الاعتدال وعدم تعنيف الأطفال حتى لا يهربوا من أماكن التعليم.

- من نظريات الثواب والعقاب عند ابن سحنون نجد أن له أثر فعال ومهم في التربية الحديثة والمعاصرة، وهذه النظرية تسمى "النظرية الوازنة" وهي التي تعبر عن أهمية الشك في العقاب الجسمي كرادع كما أن هناك ثقة كبرى في العامل الخلقى فالطفل يخاف من ألم العصا أقل من خوفاً من فقدان سمعته عند مدرسية أو فصله أو أهله، وما العقوبات الوازنة إلا وسائل ليس لها الأثر.

- وقد يبينها ابن سحنون إلى إفادات تربوية هامة عن طريق الثواب والعقاب وهي الاهتمام بالتربية الخلقية، لأن الأخلاق دعامة كل نهضة وهذه النظرية عبر عنها "ماكدوجال" الخلق القويم هو نظام تصاعدي متكامل من العواطف تسيطر عليه سيادة العواطف، والهدف منه (التماسك - التوجيه - العادات النافعة).

” مصادر ومراجع الفصل الرابع “

” نظريات الثواب والعقاب عند ابن سحنون “

- * أخلاقيات د. محمد ربيع محمد جوهرى - مطبعة الأمانة - مصر - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- * أسرار الحكماء - تأليف ياقوت بن عبد الله المستعصي الرومي جمال الدين المتوفي ٦٩٨هـ - عني بتخريجه سيد صديق عبد الفتاح - دار المصرية اللبنانية - الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- * أصول التربية د. أحمد علي الفنيش - دار العربية للكتاب - تونس - ١٩٨٥م.
- * التخطيط التربوي د. عبد الله عبد الدائم - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة العاشرة - ٢٠٠١م.
- * التربية الإسلامية د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة السابعة ١٩٨٢م.
- * التربية الإسلامية في الأندلس أصول المشرقية وتأثيراتها الغربية - خوليان - ريبيرا ترجمة د/ الطاهر أحمد مكي.
- * التربية المعاصرة د. محمود عبد الرازق شقشوق وآخرون - دار القلم - الكويت - الطبعة الأولى - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- * التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز وآخرون - دار المعارف - ح ١ الطبعة الثانية د.ت. سنة النشر.
- * التربية ومشكلات المجتمع د. سيد إبراهيم الجبار - مكتبة غريب د.ت. نشر.
- * التقويم في التربية الحديثة ج. واين رايتستون وآخرون - ترجمة محمد محمد عاشور - مكتبة الأنجلو المصرية د.ت. تاريخ وطبعة.
- * التوجيه النفسي والتربوي والمهني د. سعد جلال - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٥٧م.

- * الحضانة - سوزان ايزكس - ترجمة سمية أحمد فهمي - مطبعة لجنه التأليف والترجمة والنشر - ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- * الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد الفرحان - الشركة العالمية للكتاب - الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- * السيكولوجية في حياتنا اليومية - سلامة موسى د.ت طبعة ونشر مفاهيم.
- * العقد الفريد - ابن عبد ربه - ح ٢.
- * العلاقات بين الآباء والمعلمين - اير فنج ستاون وجريس لانجدون - ترجمة عدلي سليمان - دار القلم - بدون طبعة - ١٩٩٢م.
- * المبادئ الأخلاقية في التربية - جون ديوي - ترجمة عبد الفتاح السيد هلال - الدار المصرية للتأليف والترجمة - ١٩٩٦م.
- * المدرس في المدرسة والمجتمع د. أبو الفتوح رضوان وآخرون - مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى - ١٩٦٠م.
- * تاريخ حكماء الإسلام - البيهقي - تحقيق ممدوح حسن محمد - مكتبة الثقافة الدينية القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- * تربية الطفل قبل المدرسة د. سعد مرسي وآخرون - عالم الكتب - بدون طبعة ١٩٨٣م.
- * حوليات كلية الآداب - بجامعة عين شمس - المجلد الرابع عشر - القاهرة - مطبعة عين شمس (بحث النمو العقلي عند الطفل في نظرية جان بياجيه) د. سيد محمد محمد غنيم.
- * ربيع الأبرار ونصوص الأخيار - الزمخشري - تحقيق د. سليم النعيمي إحياء التراث الإسلامي - العراق - د.ت. ط - ح ١.
- * علم النفس التربوي د/ أحمد زكي صالح - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الحادية عشر ح ١ - ١٩٧٩م.

- * في التراث التربوي أ. نذير حمدان - دار المأمون للتراث - دمشق - سوريا - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- * مجالس العلماء - لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي - تحقيق عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- * مدخل إلي أصول التربية - د حسن الهدية الرشيدى - مكتب الفلاح للنشر والتوزيع - الكويت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ٢٠١١م.
- * مفاهيم واتجاهات حديثة في تعليم أطفال المدرسة د. محمد سليمان شعلان وآخرون مكتبة غريب - د.ت طبعة وسنة نشر.
- * ميزان العمل - الإمام الغزالي - تحقيق د.سليمان دنيا - دار المعارف - القاهرة - الطبعة ١٩٨٤م.
- * واتجاهات حديثة في التربية د.صالحة عبد الله عيسان وآخرون - الطبعة الأولى دار المسيرة - عمان - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٧م.

الفصل الخامس

التربية الرحية في النسق
التربوي عند القابسي

﴿الفصل الخامس﴾

تمهيد

في هذا الفصل وهو « التربية الروحية في المذهب التربوي عند القابسي» نتناول أهمية التربية الروحية عند القابسي في تهذيب النفس، وغرس القيم الخلقية في نفوس الأطفال، والتربية الروحية عند القابسي تتميز بالعمومية والشمولية للطرق التربوية لذلك ذكرها قبل المنهاج الدراسي عنده، ونظريات الثواب والعقاب، والتربية الروحية تشجّع الأطفال علي طلب العلم والاستماع إليّة، لذلك يقول حسان بن حسن قال: لأن يتعلم الرجل بابا من العلم فيعبد به ربه، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها إلي آخرها له، فوضعها في الآخرة، وعن مالك بن دينار قال: إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سرّة علمه، و إذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخراً.

وسوف نتحدث عن أهم أهداف التربية الروحية عند القابسي وهي نشر العقيدة السحاء بين المعلمين والمتعلمين، والدفاع عن الكتاب والسنة، وإعداد المعلمين أدبياً وخلقياً وتربوياً، لذلك وجب علي المعلم أن يهتم بدراسة القرآن والسنة.

وفي هذا الفصل سوف نؤكد علي العلاقة الوثيقة بين التربية الروحية والتربية الاجتماعية عند القابسي، لأن تأثير البيئة الاجتماعية علي الفرد فتختلف منه ذلك الشخص الذي نعرفه بخصاله وصفاته، والهدف الأساسي من العلاقة بين التربية الروحية والاجتماعية هو جعل الأطفال أعضاء نافعين في أسرته، وتنمي فيهم الشعور بالمسؤولية، وتنمية القيم الخلقية عندهم، ويقول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

والتربية الروحية عند القابسي نؤكد علي أهم المصطلحات التي أستخدمها في دعائمها مثل الإيمان، والإسلام/ والإحسان، والاستقامة، والصلاح والأصلح، وسوف نبين أن هناك المصطلحات المستخدمة من القرآن الكريم، ويقول الرسول نفسه في وصاة له رواها علي بن أبي طالب: «عليكم بكتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما

بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، ومن اتبع الهدى في غيره أضله الله، ومن دعا إليه هُدي إلي صراط مستقيم» [فخر الدين الرازي حـ ١: ١٦٠].

ونتحدث عن دور الأسرة والمساجد في المذهب التربوي عند القابسي، لأن المسجد ليس مقصوراً علي الصلاة فحسب، بل يجتمع فيه المسلمون للتشاور في الأمور التربوية وقد تناول القابسي دور الأسرة في العملية التربوية، لأن الطفل يتعلم اللغة في الأسرة، واللهجة التي يتكلمها، ويتعلم كل ما يحتاج إلي معرفته، مثل عادات الأكل والشرب والمشى والنوم، والطفل يعتنق دين أسرته وتقاليدها، فيؤثر في سلوكه، وتنكيره، ونظرته إلي الحياة.

ويؤكد القابسي علي أن التربية الخلقية هي روح التربية الإسلامية، والوصول إلي الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية، وعندما نتناول في رسالته المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين شرح كيف صفة الصلاح؟، وتعليم الفقه والفرائض، وتفسيره للإيمان والإسلام والإحسان والإستقامة، والغرض فيم سلف ذكره عند القابسي هو التقرب إلي الله دون الرياسة والمباهاة، وألا يقصر المتعلم بالتعلم الرياسة والمال والجاه، ويهدف القابسي أيضاً إلي تهذيب الخلق وتربية الروح ودراسة العلم لذات العلم وهي التربية المثالية لأنها تعبر عن ما لدي الطالب من ميل فطري إلي حب الإطلاع والمعرفة، والعلم أذ الأشياء وأفضلها.

ونلاحظ أن الهدف الأسمى من التربية الروحية عند القابسي هو أن يتعلم الطالب أدب الدين ليحيا فيها، وأدب الدين ليكون متصلاً بالله في كل وقت وحين، ويخاف الله في السر والعلانية، ويختار الفضيلة حياً للفضيلة، ويجتنبون الرذيلة لأنها رذيلة، ويراقبون الله في كل عمل يعملونه، ويتناول القابسي الصفات التي يجب أن تتوافر في المعلم مثل الزهد والتعليم ابتغاء مرضاه الله، ويجب أن يكون المعلم طاهر الجسم والجوارح، بعيداً عن الذنوب والآثام، طاهر الروح بريئاً من الكبر والرياء والحسد والعداوة والبغضاء وغيرها من الصفات الذميمة.

"حياة القاسبي"

Gbnal-Qabisy

اسمه ولقبه:-

وفي دائرة المعارف للبستاني يقول: «أبو الحسن علي بن محمد بن خليفة المعافري، نسبة إلي المعافرين من قري قابس، القيرواني، المعروف بابن القاسبي»^(١)

وجاء في وفيات الأعيان لابن خلكان: «القاسبي: بفتح القاف وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم سين مهملة، هذه النسبة إلي قابس، وهي مدينة بإفريقية بالقرب من المهديّة، ولما فتحها الأمير تميم بن المعز بن باديس»-المقدم- ذكره-قال ابن محمد خطيب سوسة قصيدة طائفة أولها:

ضحك الزمانُ وكان يُدعي عابساً لما فتحت بجدّ عزمك قابساً

أنكحتها عذراء ما أصدقتهما إلا قنا وبواتراً وفوارساً

الله يعلم ما جنيت ثمارها إلا وكان أبوك قلبك غارساً

من كان بالشمر العوالي خاطباً أضحت له بيض الحصون عرائساً^(٢)

أما عن لقبة بالقاسبي فيقول: «وقال أبو بكر الصقلي: قال أبو الحسن القاسبي: كُذِبَ عليّ وعليك وسموني بالقاسبي وأنا بالقابس، وإنما السبب في ذلك أن عمي كان يشدّ عمامته شدة قابسية فقبل لعمي (قاسبي) واشتهر بذلك، وإلا فأنا قروي»^(٣)

(١) ترجمة القاسبي (ترتيب المدارك: ٤: ٦١٦، الديباج: ١٩٩٩، وتكتب الهيمن: ٢١٧، ومعالم الإيمان: ٢: ١٦٨،

وعبر الذهبي ٣: ٨٥ والتراث ٣: ١٦٨

(٢) دائرة المعارف- بطرس البستاني- ٣- مصدر سابق ص ٤٤١

(٣) وفيات الأعيان- ابن خلكان- ٣- ص ٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) المصدر السابق- ص ٣٢٠

مولده:

ذكر ابن خلدون مولده فقال: «وكانت ولادته أبي الحسن المذكور في يوم الاثنين لست مضين من رجب سنة أربع وعشرين وثلاثمائة»^(١) أما بطرس البستاني فيقول: ولد سنة ٣٥٢هـ- (٩٦٣)

والقابسي هو الإمام المصلح «أبو الحسن علي بن خلق القابسي ولد عام ٣٢٤هـ الموافق ٩٣٥م وهو صاحب الرسالة" المفصلة لأحوالي المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" وقد نشرها د. أحمد فؤاد الأهواني، وتقع هذه الرسالة في حوالي ثمانين صفحة من القطع الكبير وهي أجزاء ثلاثة وأهم هذه الأجزاء الجزءان الثاني والثالث ويشمل هذا الجزءان علي المباحث الواردة في العناوين التالية:

١- ما يأخذه المعلمين علي المتعلمين ٢- سياسة تعليم ومعلم الصبيان»

رحلته:

يقول البستاني: «وكانت له رحلة إلي المشرق سنة ٣٥٢هـ (٩٦٣م) فسيح، وأخذ عن علماء الحجاز وعاد سنة ٣٥٧هـ. (٩٦٨م) إلي القيروان»^(٢)

أما ابن خلكان فيقول: «ورحل إلي المشرق يوم السبت لعشر مضين من شهر رمضان سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة، وحج سنة ثلاث وخمسين وسمع كتاب البخاري بمكة من أبي زيد، ورجع إلي القيروان فوصلها غداه الأربعاء أول من شعبان أو ثمانية سنة سبع وخمسين. كذا قاله أبو عبد الله مالك بن وهب»^(٣)

وفي معالم الإيمان ما يتفق مع ما ورد في الوفيات مع ذكر إقامته بمصر، قال: ثم رحل إلي المشرق سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة، وحج سنة ثلاث وخمسين، ثم عاد إلي

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج٣- ص٣٢٠

(٢) المصدر السابق- نفس الصفحة

(٣) وفيات الأعيان- ابن خلكان ج٣- ص٣٢٠

مصر. فأقام بها يسمع الحديث، سمع بالإسكندرية من أبي الحسن الثابيتاني... ثم عاد إلي القيروان سنة سبع وخمسين^(١)

شيوخه وتلاميذه:-

يقول البستاني عن علمه «محدث، فقيه مالكي مشهور، من أهل القيروان في القرن الرابع الهجري»^(٢)

ويذكر القاسبي شيخه في مجالس العلم فيقول: «ومما سمع القاضي يقول أول جلوسه للمناظرة بأثر صوت أبي محمد:

لعمراً أبئك ما تسب العليّ
إلي كرم وفي الدنيا كريمٌ
ولكن البلاد إذا قشعرت
وضوح بنتها روعي الهشيمُ

ثم بكى حتى أبكى القوم وقال: أنا الهشيم أن الهشيم، والله لوان في الأرض خضراء ما رُعت أنا، وأبو محمد هذا هو أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم النجيبى شيخه الذي روي، وهو قروي»^(٣)

والقاسبي قد فصل القول في موضوع التعليم من جميع نواحيه وجوانبه فكتب عن التلميذ والعلم، والمناهج التي يتلقاها الصبي، وطرق التعليم والتأديب، ومكان التعليم وهذا التفصيل يصف أحوال تعليم الصبيان في القرن الرابع الهجري في شمال أفريقية.

وعندما تحدث القاسبي عن التربية الروحية كان متسقاً في أقواله وتمشياً مع عصره، والتربية الروحية تعتمد علي القرآن لأنه رجع ونور حيث يقول: " تكلم بالقرآن ، وأنزله علي محمد خير الأنام، للرحمة والتبيان بالنور والبرهان، والحكمة والفرقان: ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ سورة النحل آية: ١٠٢ وقال جل ثناؤه: ﴿طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢) إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَىٰ (٣) تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ

(١) التربية في الإسلام د. أحمد فؤاد والأهواني - مرجع سابق ص ٢٥.

(٢) دائرة المعارف - البستاني - ٣ ص ٤٤١

(٣) وفيات الأعيان - ابن خلكان ح ٣ مصدر سابق ص ٣٢١.

وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ظَلَمَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿سورة طه آية ١١ إلى ٨﴾.

ونجد في الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين والمعلمين للقابسي جوانب روحانية كثيرة منها الاعتماد علي الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة والإجماع والقياس، ومنهج أصحاب الحديث، والقياس الشرعي.

ويقول القابسي: " وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كابني سبع سنين ويضربهم إذا كانوا بني عشر " (١)

واختبار حفظ القرآن كله يعرف بالختمة، وبدأ القابسي بذكر اسم الله، ثم أخذ في شرح الإيمان والإسلام والكلام في الإيمان والإسلام هو بيان لما يفهمه القابسي عن الديانة الإسلامية وشرح للعقيدة الإسلامية علي طريقة أهل السنة، ويهتم بالجانب المعنوي عن طريق شرح الإحسان والاستقامة والصلاح.

"المنهج التربوي عند القابسي"

نقف أمام فقيه آخر، من بقعه أخري هي المغرب أبو الحسن القابسي(ت ٤٠٣/١٠١٢م).

«لقد أشتهر بالقابسي نسبة إلي قابس وهي مدينة بتونس، وقد عرف بين الأوساط العلمية والأدبية بهذا الاسم، واسمة بالكامل هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني المشهور بالقابس» (٢)

منهج القابسي التعليمي صورة لأحوال المجتمع: [علم الاجتماع التربوي عند القابسي]

(١) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين والمعلمين - القابسي - ص ٢٩٩.

(٢) المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون د. عبد الله الأمين النعي - مركز دراسة جهاد الليبية للدراسات التاريخية - الطبعة الثانية - ١٤٠١ هـ - ١٩٩٢ م. ص ١٢٩

«ونجد أن القاسبي يعالج مواضيع تعليمية وفق مناهج لها خصائصها، ويعكس القاسبي فكر عصره ويعبر عن قضايا المجتمع الذي ينتمي إليه، والعوامل التي تأثر بها والقضايا التعليمية التي كانت مطروحة في حينه»^(١) وإذا شئنا أن نعرف العلة التي من أجلها وضع القاسبي منهج التعليم للصبيان في الكتاتيب، أو أقره علي النحو المذكور في رسالته، فينبغي أن ننظر إلي حالة المجتمع، فيقول القاسبي: فقد بيت له وجوه أخذ الإيجار علي تعلم القرآن.

«ويتابع القاسبي ابن سحنون في أفكاره التربوية، ويضمن رسالته موضوع بحثنا نصوصاً كثيرة متنوعة من كتاب "آداب المعلمين" لابن سحنون واستشهد القاسبي بأرائه كثيرة في وعم الموقف التربوي الذي رغب في تعزيزه في دائرة الثقافة التربوية الإسلامية»^(٢) وابن سحنون يري أن الإنسان ذلك المخلوق المتميز عن سائر الخلق بإدراكاته التربوية.

الخبرات التعليمية التي يجب توافرها من أجل تحقيق التربية الروحية:

من واجبات المعلم الاجتهاد في تعليم الأطفال حتى يصبح متمسكاً بأخلاقيات مهنته فيقول: «فالواجب علي المعلم الاجتهاد حتى يوفر ما يجب عليه للصبيان فإن وفي ذلك يطيب له ما يأخذه عن التعليم بشرط وليعلم أنه إن فرط في وفاء ما عليه، أنه لا يجب له، ولا يطيب له ما يأخذ من ذلك، لأن الذين أجازوا له شرط الإجازة، بينوا له ما يجب عليه، فإن خالق ما بينوا له ما يطيبوا له ما أخذ بشرطه. فليس يجد إلي من يستند من العلماء في جواز ما فعل من التفريط»^(٣) والاجتهاد يدل علي صلاح العلماء. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بشر الناس؟ قالوا: بلي يا رسول الله، قال: العلماء إذا فسدوا.

(١) الفكر التربوي عند ابن سحنون والقاسبي د. عبد الأمير ص ٩٧

(٢) الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد الفرخان - مرجع سابق - ص ١١٥.

(٣) أحوال المتعلمين - القاسبي - ص ١٦٢.

الوفاء بالعهد وشرط الإجارة لأنه يدخل في العقود التي ذكرها الله سبحانه وتعالى لذلك يقول القاسمي: «فإن التزامه كما التزم من هذا يدخل في العقود التي أمر الله سبحانه بوفائها، ونظره فيمن التزم النظر له من الصبيان رعاية يدخل بها في قول الرسول ﷺ «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته»^(أ) وليعلم أنه إن قام فيهم بالواجب عليه لهم ونصح لهم ووفاهم كما ينبغي أنه يدخل في مضي قول الرسول ﷺ: «أيما مملوك أدي حق موالية، وحق ربه، فله أجران»^(ب) أن المملوك أستأهل ذلك بما وفي مما وجب لهم عليه»^(١)

أهم الركائز الأساسية في التربية الروحية هي الموعظة الحسنة والحوار والمناظرة:-

- من النصوص السالفة الذكر عند القاسمي يتبين لنا وسائل التربية الروحية وهي ما
- ١- التعليم الديني الذي نحدد له الموضوعات ترسم له المناهج، ومحلة الكتاب والمسجد.
 - ٢- القدوة الحسنة التي تنهياً للناشئ عن طريق محيطته ومجتمعه.
 - ٣- الجو الصالح المقصود في البيت عن طريق الأسرة وفي المدرسة عن طريق المعلم.
 - ٤- المجتمع المتمسك بالدين، والعامل علي نصره الفضائل ومحاربة الرذائل.

أهمية آداب الحوار - والمناظرة للأطفال:-

وعندما تناول القاسمي التخابر بين الأطفال أي الحوار والمناظرة فيما بينهم نظراً لأهميتها:- «أن المحاوره المرَبِّي صغارهُ فائدة عظمي وللحوار الهادئ معهم أهمية كبري، ولتعليمهم آداب الحوار وطرائقه وأساليبه ثمرات جُليّ، فبذلك ينمو عقل الصغير، وتتسع مداركهُ، ويزداد رغبة في الكشف عن حقائق الأمور، ومجريات الأحداث، كما أن

(أ) في صحيح البخاري

(ب) في صحيح البخاري

(١) المصدر السابق نفس الصفحة

ذلك يكسبه الثقة بنفسه، ويورثه الجرأة والشجاعة الأدبية، ويشعره بالسعادة والطمأنينة، والقوة والاعتبار، مما يعده للبناء والعطاء، ويؤهله لأن يعيش كريماً شجاعاً، صريحاً في حديثه، جريئاً في طرح آرائه»^(١)

وكانت أفكار القاسبي وآراؤه التربوية في الحوار والمناظرة سابقة لعصره، وهذا ما أثبتته التجارب الدراسية الحديثة لذلك: «أثبتت دراسة بريطانية حديثة أن الآباء الذين يخصصون خمس دقائق علي الأقل يومياً للحوار مع أبنائهم يتمتع أبنائهم في المستقبل بدرجة كبيرة من الثقة بالنفس، والقدرة علي الابتكار والإبداع»^(٢)

وقال سابق البربري:

قد ينفع الأدب الأحداث في مسهل وليس ينفع عند الكبره الأدبُ
إنَّ الغُضُونِ إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها - الخشبُ

أما عن البنية الاجتماعية والأسرية يقول وسيريرس في كتابه عن (التربية) يري أن الإنسان متأثر حقاً بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها كتأثير الوالدين... كما لا يمكننا أن نتجاهل أثر الوراثة الاجتماعية^(٣) وبمقارنة أقوال القاسبي نجد أنها لا تختلف تماماً عن أقوال سيربيرس.

وقد وضع القاسبي كل فروع لمعرفة، ويبحث في العلاقات المتداخلة بين المعلم والمتعلم، ونظرياته التربوية تعبر عن الظواهر الاجتماعية، ويهتم بالجوانب النفسية عند التلاميذ لذلك يقول:

يجب علي المعلم الشعور بالمسئولية وتحملها ويتم هذا عن طريق ثقافته وعلمه ومعرفة ما يدور حوله من دراسة أحوال الأطفال الاجتماعية والأسرية والنفسية فهناك من

(١) فن الحوار - أصوله - آدابه - تأليف فيصل بن عبدة - دار الإيمان الإسكندرية ص ١٤٠.

(٢) المرجع السابق - نفس الصفحة.

(٣) أصول التربية وسيكولوجية التعلم - رياض عوض - ص ٤.

الأطفال الذي يبلغ الاحتلام ولم يكتمل تربيته، فالواجب علي المعلم مراعاة ذلك حتى يستطيع أن يقومه ويعلي من شأنه تربوياً وخلقياً لذلك يقول القاسبي: «وربما كان من صبيان المعلم من يناهز الاحتلام، ويكون سئ الرعية، غليظ الخلق لا يريعة وقوع عشر ضربات»^(١) وعلي المعلم أن يزداد علي العشر ضربات إذا كان الصبي يناهز الأحلام.

من أخلاقيات مهنة المعلم «أن يتفقدوم بالتعليم»^(٢)

وعند تفقدوم بالتعليم لابد أن يدر بهم علي آداب الحوار والمناظرة العلمية ويتم ذلك عن طريق: «ويجعلهم يتخابرون لأن ذلك مما يصلحهم ويخرجهم ويبيح لهم أدب بعضهم بعضاً»^(٣)، والحوار مع الصغار يقفز بالمربين إلي قمة التربية والبناء فيسبب ذلك ينطلق الطفل، ويستطيع التعبير عن آرائه، والمطالبة بحقوقه فينشأ حراً كريماً وتتم الحوار والمناظرة عن طريق: «ولا بأس أن ينظر في العلم في الأوقاف التي يستغني فيها الصبيان عنه، مثل أن يصيروا إلي الكتابة، وأملي بعضهم إلي بعض، إذا كان في ذلك منفعة لهم، فإن هذا قد مهل فيه بعض أصحابنا قال: وليلزم المعلم الاجتهاد ولتفرغ لهم»^(٤) مما سبق يتضح لنا أن المناظرات وسعت دائرة الحركة الفقهية، وكونت آراء قانونية لها قيمتها وحملت الكثير من الفقهاء علي أن يتسلحوا بأسلحة مناظيرهم^(٥)

ويتناول القاسبي موضوع حيوي هام نطبقها في حياتنا العلمية والعملية والحياتية ألا وهو موضوع الحوار والمناظرة، وهذا الموضوع له آداب وشروط لابد أن يقوم المعلم بتربية الأطفال علي آداب الحوار والمناظرة ومن أهمها (قال محمد بن الحسين: اعملوا رحمكم الله، ووفقنا وياكم للرشاد- أن من صفة هذا العالم، والعامل الذي فقهه الله في

(١) أقوال المتعلمين - القاسبي ص ١٦٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٦٥.

(٣) المرجع السابق - نفس الصفحة

(٤) المصدر السابق - ص ١٧١

(٥) ضحي الإسلام - أحمد أمين - ح ٢ - ص ١٧٠

الدين، ونفعه بالعلم: أن لا يجادل، ولا يباري ولا يغالب* بالعلم، إلا من يستحق أن يغلبه بالعلم الشافعي^(١)

وهناك أوقات محددة للمناظرة: «وذلك يحتاج في وقت من الأوقاف إلي مناظرة أحد من أهل الزيغ ليدفع بحقه باطل من خالف الحق، وخرج عن جماعة المسلمين، فتكون غلبته لأهل الزيغ، تعود بركة علي المسلمين، علي جهة الاضطرار إلي المنافسة، لا علي الاختيار. لأن من صفة العالم العاقل، أن لا يجالس أهل الأهواء، ولا يجادلهم، فأما في العلم، والفقهاء، وسائر الأحكام فلا»^(٢)

ومن واجبات المناظرة وأدب الحوار وهي ما يلي: «فإن قال قائل: فإن احتاج إلي علم مسألة قد أشكل عليه معرفتها لاختلاف العلماء فيها، لا بد له من أن يجالس العلماء وينظرهم، حتى يعرف القول فيها، علي صحته، وإن لم يناظر لم تقو معرفته. قيل له: بهذه الحجة، يدخل العرو علي النفس الهوي، فتقول إن لم تناظر وتجادل لم تقفه فيجعل هذا سبباً للجدل والمراء المنهي عنه، الذي يخاف منه سوء عاقبته، الذي حذرناه النبي صلى الله عليه وسلم وحذرناه العلماء من أئمة المسلمين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من ترك المراء وهو صادق بني الله له بيتاً في الجنة»^(٣) وينبهنا الإمام الغزالي إلي أن الجدل أقل العلوم شأنًا فيقول: «وأما الجدل: فأقل الأقسام فائدة في الإرشاد، إذا المحقق لا يقنع بما بتبني دلالاته علي تسليم الخصم، وليس مسلماً في نفسه والعالمي لا يفهمه، بل يكمل فهمه عن دركه»^(٤)

(*) قال النبي صلى الله عليه وسلم: من طلب العلم لأربع دخل النار، من طلب ليباهي به العلماء، وليماري به السفهاء، وليستميل به وجوه الناس إلية، أو ليأخذ به السلطان. وقال مالك بن دينار، من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه، ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة

(١) أخلاق العلماء-الاجري- مصدر سابق ص٥٦

(٢) المصدر السابق- نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق- ص٥٦، ٥٧.

(٤) ميزان العمل-الإمام الغزالي- مصدر سابق ص٣٥٣.

الأحكام الشرعية التي تصح عبادة ومعاملة الأطفال عن طريق التربية الروحية:-

وهناك شروط تربوية يجب علي المعلم* إتباعها عند مرضه وسفره، فإذا كان المعلم مريضاً فماذا يجب عليه؟

لذلك يقول القاسبي: «وكذلك إن مرض، أو (كان) عليه شغل، فهو يستأجر لهم من يكون فيهم بمثل كفايته لهم، إذا لم تطل مدة ذلك فإن طالت فلأبواب الصبيان في ذلك نظر ومتكلم من قبل أنه المستأجر بعينية، فلا يصح أن يقيم عوضاً منه إلا فيما قرب فيستحق إذا كانت الإجازة واجبة عليه»^(١)

أما عند سفر المعلم فالواجب عليه «كذلك إن هو سافر فأقام من يوفيههم كفايته لهم، إن كان سفرًا لا بد منه قريباً اليوم واليومين وما أشبههما فيستحق ذلك إن شاء الله، وأما بعد أو ضيف بعد القريب، لما يعرض في الأسفار من الحوادث، فلا يصلح له ذلك»^(٢) والسبب في ذلك: «إن العلماء كلهم مسافرون إلي الله تعالى، وسالكوا إليه الطريق، والترافق في الطريق يوجب تأكد المودة، فأخوة الفضيلة فوق أخوة الولادة»^(٣)

مقارنه بين أقول القاسبي وبستاالونزي في التربية الروحية:

والشروط التربوية والأساليب العلمية لا تتم عند المعلم إلا من خلال العقل والحكمة «قال الحسن البصري: لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكر، فإن كان له قال وإن كان عليك سكت. وقلبه الأحق من وراء لسانه.

ومن أحسن ما قيل في هذا المعني قول زهير:

وكائن تري من صامت لك مُعجب زيادته أو نفسه في التكمُّ

(١) قال الفضيل بن عياض: كان العلماء ربيع الناس، إذا رآهم المريض لم يسره أن يكون صحيحاً وإذا نظر الفقير لم يود أن يكون غنياً [العقد الفريد - ابن عبد ربه - ح ٢٧٧ - ص ٢٢٧]

(١) أحوال المتعلمين - القاسبي - ص ١٧١

(٢) المصدر السابق ص ١٧١، ١٧٢.

(٣) ميزان العمل - الإمام الغزالي - مصدر سابق ص ٣٦٣.

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وقال علي رضي الله عنه: العقل في الدماغ، والضحك في الكبد، والرأفة في الطحال،
والصوت في الرئة»^(١)

ومما يجدر الإشارة إليه مقارنة أهمية التربية الروحية عند القابسي، بنظرية
بستالوتزي فعندما جعل القابسي التربية الروحية في مقدمة كل شيء، لأنها هي التي تشكل
ضمير ووجدان الأطفال، وتغرس فيهم القيم والمبادئ الأخلاقية، ويتجلي هذا الأمر عند
بستالوتزي «يضع بستالوتزي التربية الخلقية والدينية في المقدمة، ويؤكد بحزم وإصرار أن
الطفل يحب ويصدق قبل أن يفكر ويعمل، ويشبه بستالوتزي قوي القلب وهي الحب
والإيمان بكونها عوامل تكون حياة الفرد بالجزر بالنسبة للشجرة، فهل يمكن أن اجث
الجزر أن تبقى بشجرة حيه؟ وهلي ذلك فإن الطفل دون حب وإيمان لا يمكنه أن ينحو
النحو الواجب وبذلك يضع بستالوتزي التربية الخلقية والدينية في المقدمة»^(٢)

من شروط التربية الروحية مراعاة الضمير والإخلاص في العمل:

من أخلاقيات مهنة المعلم عند غيابه فيضع من أجره مثل يومه الذي غاب فيه
وهذه يمثل التأديب المعنوي حيث يقول: «فإن فعل: يريد ما نهي عنه، وتشاغل عن
الصبيان ماذا عليه؟ فاعلم أنه يكون من الاشتغال الخفيف، الذي يكون في مثل حديثه في
مجلسه، فيشغله من الصبيان شيئاً، فهذا وما أشبهه يقل خطبه، ويخفق قدرة، فتحلل من
آباء الصبيان مما أصاب من ذلك، إن كان الأجر من أموالهم، وإن كان من أموال الصبيان
فلا بأس عندي أن يعوضهم من وقت عادة راحته، ما يجد لهم به ما نقصهم من حظوظهم
باشتغاله ذلك»^(٣)

(١) العقد الفريد- ابن عبد ربه- ح- ٢ ص- ٢٤٠، ٢٤١

(٢) تربية الطفل قبل المدرسة د. سعد مرسي أحمد وآخرون- مرجع سابق ص ١٩١

(٣) أحوال المتعلمين ص- ١٧٢.

وإذا غاب المعلم يوماً أو أكثر من ذلك فعليه جزاء مادي من أجره فيقول: «وأن كان غائباً اليوم أو أكثر اليوم، فهذا كثير فإن كان إجازته أجلاً معلوماً، وقد عطلهم، ولم يقيم لهم عوضاً منه فيضع من أجره ما يتوب ذلك اليوم الذي عطله. وإن كان الإجازة مطلقة، وفي كل شهر بما علم فيه، وليس له أن يعتاد التشاغل، حتى يلجئه إلي العوض. لأن ذلك يضر بالصبيان»^(١)

والأدب المعنوي عند القاسبي بالنسبة للمعلم يدل علي الجد والاجتهاد في طلب العلم، ويبين لنا أن المعلم لا يأخذ أجره إلا من خلال جهده ومشقة والعالم يسأل عن علمه وماله فيما اكتسبه وهذا ما وجدنا في الأثر والسنة المحمدية «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو سعيد المفضل بن محمد اليماني في المسجد الحرام، أخبرنا صامت بن معاذ أخبرنا عبد الحميد، عن سفيان الثوري، عن صفوان بن سليم، عن عدي بن عدي، عن الضابحي عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدماً عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه*»

وعن سعيد بن عبد الله بن جريح، عن أبي بردة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدماً عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه، وعن عمله ماذا عمل فيه»

وعن عطاء، وعن ابن عمر، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدماً ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصال: عن عمره فيما أفنيت، وعن شبابه فيما أبليت، وعن مالك من أين اكتسبت، وفيما أنفقت، وما عملت فيما علمت».

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(*) رواة الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (١) أخلاق العلماء - الاجري ص ٦٩.

وموجز القول أن الأدب المعنوي عند القاسبي نستفيد منه العبرة والحكمة عن طريق ما يلي:

١- قال أبو الدرداء: «إن أخوف ما أخاف إذا وقفت علي الحساب، أن يقال: قد عملت، فماذا عملت فيما علمت؟»

٢- قال أبو الدرداء: «لا تكون عالماً حتى تكون بالعلم عاملاً»

٣- قال أبو الدرداء: «ويل للذي لا يعلم مرة، وويل للذي يعلم ولا يعلم سبع مرات»
من خلال النصوص السابقة والتي تعبر عن أذي المعلم في طلب الهدايا من الأطفال يضع له القاسبي قواعد تأديبية معنوية فيقول: (فيصير المعلم من ذلك إلي أكل السحت، ولا يفعل هذا إلا معلم جاهل. فليوعظ فيه ولنبيه عنه ويزجر، حتى يترك العمل الذي وصفت، فإنه من عمل الشيطان وليس من عمل أهل القرآن)^(١)

مفهوم التربية الروحية:

التزام المعلم بالتربية الروحية: (التعليم الإلزامي)

هناك شروط وضعها القاسبي للمعلم في وقت صلاته، فهل يجوز للمعلم أن يُصلي علي الجنائز وهو يعلم الأطفال أم لا؟ وللإجابة علي هذا السؤال يقول: «ولا يجوز له الصلاة علي الجنائز إلا ما لا بد له منه، ممن يلزمه النظر أمره، لأنه أجبر لا يدع عمله ويتبع الجنائز وعيادة المرضى»^(٢) والتربية الروحية: «حياة القلوب من العمي، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الإبدان من الضعف، يبلغ به العيد منازل الأحرار، ومجالسة الملوك، والدرجات العُلي في الدنيا والآخرة، والفكر به يدل بالصيام ومدارسته»

(١) أحوال المتعلمين - القاسبي - ص ١٧٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٧١

أهم أهداف التربية الروحية:

بالقيام، به يطاع الله- عز وجل- وبه يُعبد الله- عز وجل- وبه توصلُ الأرحام وبه يُعرف الحلال من الحرام، إمام العمل والعملُ تابعه، يُلهمهُ السعداء، ويحرمه الأشقياء^(١) والتربية الروحية في طلب العلم هي الطريق إلي الجنة لذلك «أخبرنا أبو بكر قاسم بن ذكريا المطرز، أخبرنا محمد بن الصباح الجرجاني، أخبرنا جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلي الجنة»*^(٢)

وأن الغرض من التربية الروحية هو حفظ الشرع لا الرياسة فيقول الإمام الغزالي: «وقد جعل الله تعالى قصد الرياسة من تعلم العلم، حفظاً للشرع والعلم»^(٣) ويقول أيضاً: «وعلي الجملة: فمعرفة الله غاية كل معرفة، وثمره كل علم علي المذاهب كلها. وقد روي أنه رئي صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في المسجد، وفي يد أحدهما رقعة فيها: [إن أحسنت كل شئ فلا تظن أنك أحسنت شيئاً، حتى تعرف الله تعالى، وتعلم أنه مسبب الأسباب، وموجد الأشياء] وفي يد الآخر [كنت قبل أن عرفت الله أشرب وأظمأ، حتى إذ عرفته رويت بلا شرب]»^(٤).

ومن أهم أغراض التربية الروحية عند القاسمي الطهارة والنظافة وينتج ذلك عن طريق الصلاة لأن شرط الصلاة الوضوء وهي غسل وطهارة ونظافة والنظافة من الفضائل الشخصية العظيمة الأثر في الصحة كما تنتقل فائدتها إلي النفس فتطهرها،

(١) أخلاق العلماء-الأجري- مصدر سابق ص٤٢

(٢) أخلاق العلماء-الأجري- مصدر سابق ص٤٤. *رواة الترمذي في سننه وقال: هذا حديث حسن ورواه ابن القيم في مفتاح السعادة، ورواه مسلم في صحيحة من أوجه.

(٣) ميزان العمل-الإمام الغزالي- مصدر سابق ص٣٦٦.

(٤) المصدر السابق ص٣٥١.

والطفل مطالب بطهارة الجسم، كما هو مطالب بطهارة القلب والنفس لذلك ينبغي أن يكون صادقاً، عفيفاً، أميناً، حافظاً للعهد.

والتربية الروحية الغرض الأساسي منها التقرب إلى الله، بالعلوم الدينية «فإن الرتبة القصوى للأنبياء، ثم للأولياء، ثم العلماء، علي تفاوت مراتبهم، ثم للصالحين في الأعمال - وبالجملة: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يري) ومن قصد التقرب إلى الله بالعلوم، نفعه الله ورفع له لا محالة»^(١)

والتربية الروحية تحافظ علي اللغة العربية لأنها لغة القرآن، واللغة وعاء لفكر الأمة وحضارتها بالإضافة إلى كونها وسيلة للاتصال بين أبنائها، والأمة التي لا تستغل لغتها في التواصل بين أبنائها فهو خطأ.

الأحكام الشرعية المتعلقة بأجر المعلم بين الحلال والحرام:

وهناك قواعد تختص بسلوك المعلم وضعها القاسبي وهي ما يلي:

١- إذا كان المعلم يذهب إلى الأطفال في بيوتهم فهل يجوز أن ينام عندهم إذا غلبه النوم أم لا؟ للأجابة علي هذا السؤال يقول: (وأما قولك: هل للمعلم إذا غلب عليه النوم أن ينام عندهم، أم يغالب ذلك عن نفسه. فإنه إن كان في وقت تعلية إياهم. وحضورهم عنده فليغالبه إن استطاع، وإن غلب فليقم فيهم من يحلفه عليهم. إذا كان في مثل كفايتهم، بإجارة يستأجره أو يتطوع له إذا كان من غير الصبيان، وإن كان من الصبيان أنفسهم)^(٢)

٢- إذا كان المعلم وفيّاً بشروط التعليم ومخلصاً في عمله لا مانع من أخذ الأجر علي ذلك حيث يقول: «ولا يضره أخذ الأجر شيئاً إذا وفيّ بشرط التعليم»^(٣)

(١) المصدر السابق ص ٣٦١، ٣٦٢

(٢) أحوال المتعلمين - القاسبي ص ١٧١

(٣) المصدر السابق ص ١٥٢

٣- يجب علي المعلم تحري الدقة في معرفة الحلال والحرام لإجارة القرآن الكريم فيقول: «وقد قال سحنون قال ابن وهب: قال مالك: لا بأس بما يأخذ المعلم علي تعليم القرآن وإن اشترط شيئاً كان له حلالاً جائزاً، ولا بأس بالاشتراط في ذلك»^(١)

٤- هناك علوم يجب علي المعلم مراعاة شروط تعليمها، والشرط علي تعليمها شر مثل تعليم الفقه والفرائض حيث يقول: «إلا أنه كره بيع كتب الفقه، وإنما نري الإجارة علي تعليم ذلك لا تعجبني، والشرط علي تعليمها أشر وأما ابن سحنون فذكر في كتابة، قال: قال مالك: لا أري أن يجوز إجارة من يعلم الفقه والفرائض. وقال لابنه: روي بعض أهل الأندلس أنه لا بأس بالإجارة علي تعليم الفقه والفرائض والشعر والنحو، وهو مثل القرآن فقال: كرة ذلك مالك وأصحابنا، وكيف يشبه القرآن، والقرآن له ينتهي إليها، وما ذكرت ليس له غاية ينتهي إليها»^(٢)، ويركز القاسبي علي تعلم الفقه لأنه ينمي التربية الروحية.

ولتوضيح النص السابق يشير القاسبي إلي شروط الإجارة التي يقوم بها المعلم فهي معرفته العلوم التي يجوز فيها الإجارة والعلوم التي لا يجوز فيها حيث يقول: (وقد وصفت لك فيما تقدم احتجاج سحنون في الأباء من تحذير الإجارة علي تعليم الفقه والفرائض وغير ذلك مما فرق بينة وبين الأجارة علي تعليم القرآن فافهمه^(٣) وبالرغم من أن القاسبي يتابع ابن سحنون إلا أنه يعرض آراء في التعليم وفي المتعلمين تستحق التقدير فما في موافقه، وما هي أحكامه علي المعلم والمتعلم وعلي عملية التعليم في حد ذاتها؟ وما قيمة آرائه وما نفعها؟

(١) المصدر السابق ص١٥٢، ١٥٣.

(٢) أحوال المتعلمين - القاسبي - ص١٥٤.

(٣) المصدر السابق ص١٥٩.

ولعل أهمية دراسة هذه الرسالة التربوية تتحد في الجوانب الآتية:

* علم الاجتماع الديني:

أولاً: إن هذه الرسالة تعكس لنا الفلسفة الاجتماعية الدينية التي كانت سائدة في القرن الرابع الهجري في المغرب العربي، وهي مرحلة تاريخية مهمة من تاريخنا الثقافي عامة وتاريخ فكرنا التربوي خاصة، لأنها تخضع الحياة الاجتماعية للدين.

ثانياً: إن هذه الرسالة التربوية في حقيقة الأمر تطبيق للفلسفة الاجتماعية في تلك الحقبة التاريخية، وهذه قضية محسوبة لصالح العمل التربوي.

ونحاول وضع صياغة للأجابة عن الأسئلة الآتية: ما هي فصول هذه الرسالة؟ وما

هي الدروس المستفادة من قراءة الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين؟

ومن أهم الدروس المستفادة من رسالة القابسي نجد أن التربية بلا أهداف واضحة تعتبر عملاً عشوائياً، ووضوح الأهداف يعني استنادها إلى فلسفة اجتماعية، والعمل بالأهداف يعني ضرورة تحديد مستوياتها وأنواعها حسب الاستراتيجيات التربوية.

وهذه الرسالة توضح أن هناك التخطيط التربوي والعمليات التربوية وهذا ما نجده في غضون هذا البحث، والغرض منها أن (التربية ضرورة من ضروريات الحياة في المجتمع، ذلك لأنه عن طريق التربية يصبح الطفل البشري شخصاً إنسانياً بكل ما في هذه الكلمة من معني إنساني مكتسب، وعن طريق التربية أيضاً لهؤلاء الأفراد والصغار

يستطيع المجتمع أن يضمن بقاء طرق الحياة التي يحيها)⁽¹⁾

وتجدر بنا الإشارة إلى أهمية رسالة ابن سحنون والقابسي في العملية التربوية لأنها يساعدان علي تطبيق السلوك الخلقى الذي ينبغي له تعزيزه وتنميته في تلاميذه، لأن الجانب الخلقى الاجتماعى يعتبر ركيزة أساسية في مجال التربية الروحية وهاتين

(1) في أصول التربية- الأصول الفلسفية للتربية د. محمد الهادي عفيفي - مكتبة الأنجلو المصرية - ط

الرسالتين تبين لنا أهمية المعرفة، وما القيم التي ينبغي أن يلتزم بها المعلمون في تفاعلاتهم مع التلاميذ، وما أنواع هذه القيم وعلاقتها بمقومات المجتمع وعوامل التغيير فيه؟ وسوف نقارن كل ذلك بالتربية المعاصرة والمناهج التربوية الحديثة.

ما مدي إيقاف الوسائل والطرق المتبعة داخل الكتاب والعملية التعليمية من جانب المعلمين؟ مع تطبيق القيم المختارة المطلوب تنميتها في الكتاب.
ومن خلال النسق التربوي عند القاسبي في رسالته نجد ما يلي:

- ١- تهتم هذه الرسالة بالعمل القيمي أي الالتزام بالقيم وتنميتها.
- ٢- التربية عملية تطبيقية، فكرية تأملية، لأنها تهتم بالمعرفة ونقلها والعمل علي استمرارها وتجديدها وتنميتها عند الأطفال، والمعرفة أساس التقدم والازدهار.
- ٣- هذه الرسالة تتناول العملية التحليلية باعتبار أن التربية حقلاً عملياً تتضح فيه، الدراسات الأخلاقية، والثواب والعقاب، والتربية الروحية.
- ٤- تشير رسالة القاسبي إلي الاعتماد علي الخبرة التربوية، لأنها تؤكد علي اشتراك المتعلم في تكوين الأهداف التربوية المستفادة من المناهج الدراسية، ويتم ذلك بالتربية الروحية.
- ٥- تتناول هذه الرسالة دراسة القيم التي تحدد مفهوم الحسن والسيء، والحق والباطل، والجميل والقبيح، باعتبار صلة القيم بالسلوك الإنساني. وهذه القيم تهتم بصورة الإنسان بوصفه طاقة إبداعية، ويظهر ذلك من خلال العلاقة الحميمة بين المعلم والمتعلم، ويعرف في وقتنا الحاضر بالقيم الدينية والخلقية والجمالية.
- ٦- إن هذه الرسالة تحدد المنهج والنمو الشامل للأطفال الذي يشمل الجانب الديني، والجانب العقلي، والجانب الثقافي، والجانب الجسمي والنفسي والروحي، والجانب العقلي، والجانب الثقافي، والجانب الجسمي والنفسي والروحي، والجانب العقلي عند القاسبي ليس المقصود منه الحشو بالمعلومات وإنما المقصود بذلك هو تنمية

قدرة الأطفال علي الإبداع والابتكار العلمي. وهذه الرسالة يعبر عن إهتمامها بمجالات فلسفة التربية: «وكان من بين علماء المسلمين فلاسفة تربية عظام من أمثال القابسي وابن سحنون وابن مسكوبة والغزالي والشيخ محمد عبده وطه حسين والقباني»^(١) وعنوان كتاب القابسي يرشدنا إلي الاتجاه الذي سلكه في معالجة مشكلة تعليم الصبيان، والقيم التربوية.

وللإجابة عن السؤال الأول: وهو الذي يشمل محتويات رسالة القابسي وفصولها: «الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين»

- من طرق التعليم عند القابسي " الخطابية " -

وتتكون هذه الرسالة للقابسي من مقدمة احتوت علي خطاب ديني يدافع القابسي عن القرآن الكريم والعلم والعلماء حيث يقول: في الجزء الأول قال الله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ فَيَمَّا لِيُذْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا، مَّا كَثِيرِينَ فِيهِ أَدْأًا، وَيُذْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَاَدًا، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۗ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۗ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾^(٢) وأخذ في شرح الإيمان والإسلام لما يفهمه القابسي عن الديانة الإسلامية.

ويؤكد القابسي علي تعلم القرآن لأنه يساعد علي فهم الدين وتثبيت الإيمان في النفوس فيقول: «والحمد لله الذي لم يزل واحداً أحداً، حياً، قيوماً له الأسماء الحسني، والصفات العلي، ليس كمثل شئ، وهو السميع البصير، تكلم بالقرآن، وأنزله علي محمد خير الأنام للرحمة والتبيان بالنور والبرهان، والحكمة والفرقان (ليثبت الذين آمنوا وهُدِي وَبُشِّرِي لِلْمُسْلِمِينَ)»^(٣)

(١) فلسفة التربية - اتجاهاتها ومدارسها د. محمد منير مرسي ص ٣٦.

(٢) سورة الكهف آية ١: ٥

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

واجبات المعلم تجاه الأطفال (تعليم كتاب الله - السنة النبوية الشريفة - الأحكام الفقهية):

وينبهننا القاسبي إلي أنه يجب علي المعلم أن يكون: «همة في تلاوة كلام الله الفهم، وفي سنن الرسول ﷺ الفقه لئلا يضيع ما لله عليه، وليعلم كيف يتقرب مولاه، مذكر للغافل، معلم للجاهل، يضع الحكمة عند أهلها، ويمنعها من ليس بأهلها، مثله مثل الطيب يضع الدواء بحيث يعلم أنه ينفع، فهذه صفته، وما يشبه هذه الأخلاق الشريفة، إذ كان الله- عز وجل- قد نشر له الذكر بالعلم، في قلوب الخلق، فكلما ازداد علماً، ازداد تواضعاً يطلب الرفعة من الله- عز وجل- مع شدة حذره من واجب ما يلزمه من العلم»^(١)

والعلوم الذي يقوم المعلم بتعليمها ثلاثة: و«قال عبد الله بن عبد العزيز بن عمرو بن العاص: من سئل عما لا يدري فقال: لا أدري فقد أحرز نصف العلم. وقالوا: العلم ثلاثة: حديث مُسند، وآية محكمة، ولا أدري. فجعلوا لا أدري من العلم، إذا كان صواباً من القول وقال الخليل بن أحمد: إنك لا تعرف خطأ مُعلمك حتى تجلس عند غيره»^(٢)

ويجب علي المعلم أن ينشر علم الأخلاق والفضائل الإنسانية ويتمسك بها لأنة قدوة حسنة للطالب، وهذا ما نجدة في سيكولوجية التعلم، والنسق التربوي، حيث يقول الأکفاني) وأعلم أنه يتبين في علم الأخلاق أن الفضائل الإنسانية التي هي الأمهات أربع وهي:

(١) العلم (٢) والشجاعة (٣) والعفة (٤) والعدل

وما عدا هذه فروع عنها وتُرد إليها فالعلم فضيلة النفس الناطقة، والشجاعة فضيلة النفس الغضبية، والعفة فضيلة النفس الشهوانية، والعدل فضيلة القسيط وهي عام في الجميع. ولاشك أن النفس الناطقة أشرف هذه ففضيلاتها أشرف، وأيضاً أن تلك لا تتم، ولا توجد

(* «أن موضوع التعليم الذي ذكره القاسبي كان وصيفا يقرر فيه الواقع، ويحيط بلون من ألوان البيئة العقلية في إحدى جوانبها، وهي بيئة المعلمين في الكتاتيب» [التربية في الإسلام د. أحمد فؤاد الأهواني - ص ٦٧].

(١) أخلاق العلماء - الأجرى - مصدر سابق ص ٥٥.

(٢) العقد الفريد - ابن عبد ربة - كتاب الياقوتة في طلب العلم - ج ٢ ص ٢١٧.

كاملة إلا بالعلم. والعلم يتم ويوجد كاملاً بدونها فهو مستغن عنها وهي مفتقرة إليه فيكون أشرف. وأيضاً أن هذه الفضائل الثلاث قد توجد لبعض الحيوانات العجماوات. والعلم يختص بالإنسان وتشاركه فيه الملائكة، ومنفعة العلم باقية علي وجه الدهر كما جاء عن خير البشر صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد بار. أو علم ينتفع به»^(١)

وهكذا بدأ القاسبي بذكر اسم الله، ثم أخذ في شرح الإيمان والإسلام والكلام في الإيمان والإسلام. ونسق التربية هو بيان لما يفهمه القاسبي عن الديانة الإسلامية وشرح للعقيدة الإسلامية علي طريقة أهل السنة، ويتناول القاسبي في الجزء الأول من رسالته: «تفسير الإيمان والإسلام والإحسان وعن الاستقامة ما هي وكيف صفة الصلاح؟ حيث يقول: «قال أبو الحسن: أما تفسير الإيمان والإسلام فقد بُين ذلك في الصحيح* قال أبو هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل قال: ما الإيمان؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر»^(٢)

فالإيمان والإسلام والإحسان من أهم الركائز الأساسية في النسق التربوي عند القاسبي، ولكي يفسر القاسبي معني الإيمان والإسلام نجد أنه يعتمد علي الأحاديث النبوية الصحيحة، أم عن الإسلام فيقول: قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان^(٣) وعن الإحسان يقول: «قال: ما الإحسان؟ قال: " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" قال: متى الساعة؟ قال:

(*) رواة البخاري في الأدب ورواة مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة- الفتح الكبير ١/١٥٤ وفي رياض الصالحين. ورواة مسلم ٣٨٧ ط عيسى الحلبي. وفي أسني المطلب للبيروني ص ٣٣ ورواة مسلم وغيره.

(١) إرشاد القاصد إلي أسني المقاصد في أنواع العلوم- ابن الأكفاني- ص ٩٤.

(*) صحيح البخاري.

(٢) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين. القاسبي ص ١٢١.

(٣) المصدر السابق ص ١٢١، ١٢٢.

ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وأخبرك عن أشراتها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل الهم في البنين»^(١)

إذن عقيدة الديانة الإسلامية كما يفهمها القاسبي وكما ينبغي أن تذيع في الناس عن طريق التعليم تتخلص في خمس: الإيمان، والإسلام، والإحسان، والاستقامة، والصلاح. لأن الدين عنده نظر ينتهي إلي عمل. وهذا ما يجب أن تقوم بتطبيقه في مجال العملية التعليمية، والحقل التربوي.

أهم مكونات التربية الروحية عند القاسبي:

من خلال الفقرات السابقة نجد أن القاسبي تحدث عن تفسير الإيمان والإحسان والإسلام، وكيف يمكن تطبيق الإسلام ومعرفة معناه، حتى نتمكن من تطبيق الإسلام لأن الإسلام يزيد وينقص وكذلك الإيمان والإحسان لذلك: «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو أحمد هرون بن يوسف، أخبرنا ابن أبي عمر، أخبرنا سفيان، عن الأعمش عن أبي وائل: سمعت ابن مسعود يقول: هل تدرون كيف ينقص الإسلام؟ قالوا: كيف؟ قال: كما ينقص الدابة سمته، وكما ينقص الثوب عن طول اللبس، وكما ينقص الدرهم عن طول الخبث، وقد يكون في القبيلة عالمان فيموت أحدهما فيذهب نصف علمهم ويموت الآخر فيذهب علمهم كله»^(٢)

والإيمان والإسلام هما أشرف العلوم حيث يقول الغزالي: «وأشرف العلوم ثمرة العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما يعين عليه، فإن ثمرته السعادة الأبدية»^(٣)

ومعرفة الله عن طريق الإيمان والإسلام هو من الأمور العلمية فيقول: «أما العلمي: فمعرفة الله تعالى، ومعرفة الملائكة والأنبياء، أي معرفة النبوة ومراتبها، ومراتب الملائكة، وملوك السموات والأرض»^(١)

(١) المصدر السابق ص ١٢٢.

(٢) أخلاق العلماء - الأجرى مصدر سابق ص ٤١

(٣) ميزان العمل - الإمام الغزالي - مصدر سابق ص ٣٥٢.

وعندما تناول لقابسي في أول رسالته التفرقة بين الإيمان والإسلام، لكي يبين لنا أهميتها في التربية الروحية، وأنها يهتمان بالمجال التربوي وتنشئة الأطفال والشباب، وتقويمهما تربوياً وخلقياً وثقافياً وهذا ما نحتاجه في وقتنا الحالي في الحقل التربوي العلمي، لكي نأسس أطفال وشباب قادرين علي تحمل المسؤولية في المستقبل. حيث يقول: " تيري أن التربية هي العامل الذي تقوم به لتنشئة طفل أو شاب، وأنها مجموعة من العادات الفكرية أو اليدوية التي تكتسب، ومجموعة من الصفات الخلقية التي تنمو" (٢) والصفات الخلقية هي المنهج المستقيم الذي يصون الإنسانية من الزيغ والانحراف، ويجنبها مزالق الشر، ونوازع الهوى، وتنظم علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بغيره من الناس.

فالإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإسلام هو العبادة التي تجتمع في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت. ويزيد القابسي التفرقة وضوحاً بين الإيمان والإسلام لأنها أساسيان في العملية التربوية الروحية حيث يقول: «وقول الرسول عليه السلام، حين فسر الإسلام: تعبد الله لا تشرك به، معناه: بذلك يصح لهذا العمل المذكور أن يكون السلامة، كما قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾» (٣) والإيمان هو القبول من الرسول. ما جاء به، يصححه لقائلة اعتقاد قلبه بتصديقه والإسلام: هو العمل بما أمر به، ودعا إليه والانتهاه مما نهى عنه، يصححه اعتقاد قلب عامله، أن الله عز وجل أمر به علي لسان رسوله عليه السلام « فإذا كان كذلك كان هاهنا

(١) المصدر السابق ص ٣٥٤

(٢) التربية العامة- روتية أوبير- ترجمة د. عبد الله عبد الدائم- دار العوم للملايين الطبعة السادسة- ١٩٨٣م. ص ٢١

(٣) سورة الكهف. آية ١١٠.

الإسلام هو الإيمان لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ، كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾^(٢) وقال جل ذكره ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣)»^(٤)

وهذا الاتجاه في التفكير هو الذي يجعله يدمج الإيمان في الإسلام ولا يفصل بينهما، هذه النظرة تركيبية لا تحليلية فهي تركيبية لأنه يجعل سلوك المرء وحدة لا تتجزأ بل أكثر من هذا يوحد بين سلوكه الخارجي الظاهر، وبين إيمانه الباطن وعقيدته الداخلية، بين التصديق بالقلب وعمل الجوارح، بين الإيمان والإسلام^(٥)

ولقد استطاع القاسبي أن يكون نسقاً تربوياً أصيلاً تكون جذوره مستمرة من الأصول الإيمانية والإسلامية لاعتمادها علي القواعد التربوية والمناهج التعليمية، ونجد أن حد الإيمان هو الذي يحتوي علي حواس ومصادر المعرفة العلمية. والإيمان هو الطاقة الحيوية الروحية للمعلم فحدُ الإيمان «فهو: التصديق الجازم، والإعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً. فهو: تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن. وذلك شامل للقيام بالدين كله ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: الإيمان: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح». وهو: قول، وعمل، واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية^(٦)

«وهذا صريحُ أن الإيمان يشمل:

(١) سورة آل عمران بعض آية ١٩
(٢) سورة آل عمران آية ٨٥ وبعض آية ٨٦
(٣) سورة المائدة آية ٥.
(٤) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ص ١٢٣.
(٥) التربية في الإسلام د. أحمد فؤاد الأهواني ص ٨٨، ٨٩.
(٦) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان فوائده وثمراته. العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق أبي محمد أشرف بن عبد المقصود- دار أضواء السلف والنشر- الرياض- الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

- أقوال اللسان، وأعظم أصول الإيمان: الاعتراف بانفراد الله بالوحدانية والإلهية

- وأعمال الجوارح، وعباده الله وحده لا شريك له.

- والاعتقادات والأخلاق.

- والقيام بحق الله

- والإحسان إلي خلقه»^(١)

والإيمان العقيدة: ما استقر في النفس، أو ملك علي الإنسان قلبه وعقله وأحاسيسه ومشاعره ووجدانه، فإذا فكر فضمن نطاق الإيمان، وإذا تكلم فيوحي الإيمان، وإذا عمل فمن أجل الإيمان، وكل حضارة إنسانية لابد لها من عقيدة تؤمن بها وتبني عليها أوجه حياتها كلها. وفي نفس هذا الاتجاه جاء الميثاق الأخلاقي عند القابسي من الإيمان لأنه يعمل علي (تهذيب المرء نفسه وأهله، وما يجب أن تكون عليه العلاقات الاجتماعية وما هو المثل الأعلى الذي يجب أن يعمل لبلوغه، أو مقاربتة، وما هي الطريق التي يصل بها إلي هذا المثل، أو الغاية من الحياة، وذلك كله هو: ما يعرف باسم "علم الأخلاق")^(٢)

إخلاص المعلم في العملية التربوية: "أساليب التربية الخلقية"

ومن هنا نصل إلي أن القابسي يربط بين الإيمان والإسلام والإحسان والمنهج التربوي عن طريق أن المعلم عندما يكون مخلصاً في تعليمة ومجتهداً في عمله فهذا من الإيمان، والإسلام، ويزيد في شرحه لمعني الإحسان نظراً لأهميته في سريره المعلم وضميره لأنه يشعر دائماً أن الله مطلعاً عليه في كل صغيره وكبيره فيقول القابسي: «وأما قول الرسول عليه السلام في تفسير الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه

(١) المصدر السابق ص ٣٦.

(٢) أعضاء حول الثقافة الإسلامية د. أحمد عبد الرحيم السايح- الدار المصرية اللبنانية- الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣. ص ٨٤.

براك، فمعناه: أن هذا هو إحسان عبادة الله في كل ما تعبد من الشهادة بالإلوهية وحده، ومن كل ما أمر به من عمل بطاعته، أن يكون العامل بذلك يعلمه الله-وهو يعلم أن الله يراه-فيما يؤديه إليه من طاعته، ولا يخفي عنه ما في سره من ذلك، وكذلك فيما تعبد به، من الانتهاء عما نهاه عنه، يكون في ذلك يعلم أن الله جل وعز يراه، ويعلم ما في سره من الانتهاء عن ذلك»^(١)

ولذلك يقول الغزالي: «لما كانت السعادة، التي هي مطلوب الأولين والآخرين لا تناول إلا بالعلم والعمل، وافترق كل واحد منهما إلي الأحاطة بحقيقته، ومقداره، ووجب معرفة العلم والتمييز بينه وبين غيره بمعيار، وفزعنا منه، وجب معرفة العلم المسعد والتمييز بينه وبين العمل المشقي فافتقر ذلك أيضاً إلي ميزان، فأردنا أن نخوض فيه، ونبين أن الفتور عن طلب السعادة حماقته، ثم نبين أن لا طريق إلي السعادة، إلا بالعلم والعمل»^(٢)

مضمون الإحسان عند القابسي:

من خلال الفقرات السابقة نجد أن القابسي «يطالب بإحسان عبادة الله في كل ما يتعبد الإنسان، وذلك يكون بإخلاص في هذه الأعمال، علي أن يذكر الإنسان الله حين العبادة كأنه يراه فإنه لم تكن تراه أية العبد فإنه يراك، وهذا هو المقصود الصحيح من ذكر الله لا كما يفعل المسلمون في العصر الحاضر في حلقات الأذكار يرددون فيها اسم الله ترديداً آلياً، وينسون بعد ذلك المعني السامي من ذكر الله وهو الرقابة علي الأعمال فالغرض من الإحسان هو نوع العبادة التي يؤديها المرء خالصة لله تعالى»^(٣)

^(١) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ص ١٢٥.

^(٢) ميزان العمل - الإمام الغزالي - تحقيقي د. سليمان دينا - مصدر سابق ص ١٧٩

^(٣) التربية في الإسلام د. أحمد فؤاد الأهواني ص ٩٠.

مفهوم الاستقامة عند القابسي:

بعد أن تناول القابسي مضمون الإحسان وأهميته في ضمير المعلم، يتناول بعد ذلك مفهوم الاستقامة لكي يصبح منهجه التربوي متكامل، ويعبر عن روح الإسلام، وأداء الفروض «أما الاستقامة فهي مداومة المقام في الدين، لا ينكب عنه يمينا ولا شمالاً، ولا يلتزم منه ما لا يطيقه، فالدين يسر، والقابسي يجري مع روح الإسلام الواقعي الذي ينشط التوسط، ويلتزم الحدود البشرية، وللإنسان بعد ذلك أن يزيد في العبادة بما يطيق، وهذه صفة الصالحين، وقدر رتبهم القابسي درجات أدناها أن يسلم العبد من الخطايا وأوسطها الاقتصار علي أداء الفرائض واجتناب المحارم مع حسن العبادة وأرفعها أداء النوافل بعد استكمال الفرائض وهؤلاء هم الأولياء»⁽¹⁾ فما سلم العبد من الخطايا فهو من الصالحين وما زاد بعد ذلك من طاعة ربه زاد خيراً»⁽¹⁾

من خلال النص السالف الذكر يتضح لنا ما يلي:

- ١- نلاحظ أن القابسي يشرح الدين بما يلاءم المجتمع بأسره.
- ٢- نجد أن منهجه يتفق مع الطبيعة الإنسانية دون مغالاة أو إسراف.
- ٣- إن الغرض من تعليم الصبيان عند القابسي، هو معرفة الدين علماً وعملاً.
- ٤- ينظر القابسي إلي الحياة، ولا ينبغي منها إلا وسيلة إلي الآخرة، ويجعل الإنسان يستقر في جميع أوقاته وجميع أعماله في سبيل الدين، وباسم الدين، والسيرة الروحية ترمي إلي ابتغاء مرضاه الله والعمل لدار الآخرة.
- ٥- النتيجة التي تنتهي إليها رسالة القابسي تصف التعليم في شمال أفريقية، وأبرز ما في هذه الطريقة البدء تعليم القرآن، وإتباع أشهر المقرئين في حفظه والعناية بالخط والهجاء ويصحب بعض النحو والعربية، والغرض الديني عند القابسي ويقصد به العمل للآخرة، حتى يلقي العبد ربه، وقد أدي ما عليه من حقوق.

(1) المرجع السابق- نفس الصفحة.

٦- الغرض العلمي الدنيوي عند القاسبي، وهو ما تعبر عنه التربية الحديثة بالغرض النفعي أو الإعداد للحياة وهذا ما نجده عند جون ديوي ووليمي جيمس وجون لوك.

٧- يتناول القاسبي اتخاذ القدوة الحسنة وسيلة إلى تعليم الأخلاق، وغرس أصول الفضائل في النفس، وبالقدوة الحسنة والنصيحة علي انفراد ، نستطيع أن نصلح الكثير من التلاميذ وبالترغيب والتشجيع يمكننا أن نحبيهم في الدراسة والتعلم وأداء الواجب.

٨- والتربية الروحية عند القاسبي تتناول تربية الصبي تربية دينية علمية عمالية منذ الصغر، فيفهم كيفية الضوء، ويعلم الصلاة، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان، حينما يستطيع الصيام، ويشجع علي التصدق علي المحتاجين، حين يعتاد الصلاة والصوم والصدقة وهو صغير، ويجب أن يراعي في تربية الطفل ترك الترف والنعيم ولبس الحرير.

٩- التربية الروحية تهتم بعلم الأخلاق (التربية الخلقية) لأنها الغرض الأسمى من التربية و تكوين رجال كريمي الأخلاق، أقوىاء العزيمة، مهذبين في أقوالهم وأفعالهم، نبلاء في تصرفاتهم وخلقهم، دينهم الحكمة والفضيلة، والإخلاص والطهارة.

**وشأنه دائما ينصدي في الغوص للكشف عن الحقائق لتتجلي أمالته في علم التربية
فيتناول:**

- الاستقامة وأهميتها في الحقل التربوي:

يستشهد القاسبي بآيات من القرآن الكريم ليبين مفهوم الاستقامة حتى يستطيع كل مُعلم أن يأخذ العظة والعبرة في ذلك، حيث يقول: «وقال الله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۗ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١) فالاستقامة هي القيام بما أمر الله به، وفي الذي قدمنا قول الله جل وعز: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلَ

(١) سورة هود - آية ١١٢

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ وفي وصف أولي الألباب، والذي يصلون ما أمر الله به أن يوصل، فتلك الأوصاف كلها، من وفي بها فهو المستقيم كما أمر» (٢)

- القياس والتقويم:

- الموقف التربوي التعليمي عند القاسبي: - (واجبنا نحو التربية الدينية).

- ١- تعلم القرآن الكريم واجب علي كل مسلم - أنة واجب الأب نحو ولده.
- ٢- ونظراً لأهمية تعليم القرآن، يذكر القاسبي فضائله حيث يقول (أبو الحسن: أما سؤالك أن نبداً بشئ ، من فضائل القرآن فكفيك من فضل القرآن، معرفته ان القرآن كلام الله عز وجل: وكلام الله غير مخلوق، ثم ثناء الله علي هذا القرآن في غير موضع منه قال الله عز وجل ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ (٣)

الدروس التربوية المستفادة من الاستقامة:

وتصديقاً علي أهم الطرق التربوية التي وضعها القاسبي ألا وهي الاستقامة في طلب العلم، وهذه الاستقامة لا يتم تطبيقها في المجال التربوي إلا من خلال التمسك بالأخلاق الكريمة، ويؤكد الإمام الغزالي علي ذلك فيقول: «فاعلم: أنك تتحقق السبب إن علمت تفاصيل ما سبق من ارتباط السعادة بـ محور إثبات عن النفس وفيها. وأن المحور لما لا ينبغي أن يكون تزكية لها. والإثبات لما ينبغي أن يكون، تكميل لها بكشف الحقائق فيها. وذلك لا يحصل إلا بتهديب الأخلاق، والتفكر في آلاء الله، و ملكوت السموات والأرض، حتى تتكشف أسرارها. والفقہ

(١) سورة الرعد آية ١٩

(٢) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القاسبي ص ١٢٧.

(٣) سورة الزمر آية ٢٣

إنما يحتاج إلية من حيث إنه محتاج إلية البدن. والبدن لا يبقى إلا بعلم الأبدان وهو الطب، وعلم الأديان وهو الفقه»^(١)

«وقال محمد بن إدريس رضي الله عنه: العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة: من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً، ومن أراد أن يكون أديباً فليتسع في العلوم»^(٢)

والاستقامة من شرائط العلم (وما يصلح له) وتأكيداً علي أقوال القاسبي في شروط طلب العلم: «قالوا: لا يكون العالم عالماً، حتى تكون فيه ثلاث خصال: لا يحتقر من دونه ولا يحسد من فوقه، ولا يأخذ علي العلم ثمناً. وقالوا: رأس العلم الخوف من الله تعالي. وقيل للشعبي: أفنتي أيها العالم فقال: إنما العالم من اتقي الله»^(٣)

والموقف التربوي عند القاسبي يمثل التربية العلمية والروحية لأنهما: «هدفهما غير حيادية فهي ليست مجرد معرفة تضاف لمخزون الفرد من المعرفة، بل قيم واتجاهات وتوجهات ذات صلة بهوية الفرد والأمة، والتعليم لا يتم في الفراغ بل في إطار مجتمع له يكتب للتعليم النجاح»^(٤) والموقف التربوي عند القاسبي نُسَمِيَه في عصرنا بالمواقف التعليمية، لذلك وجب علينا أن نقول ما وظائف المواقف التعليمية؟ هل هي وظائف محدودة أم أنها وظائف متعددة، كيف ننظم المواقف التعليمية وما خصائصها حتى نكون قوة تغيير في التربية.

(١) ميزان العمل - الإمام الغزالي - مصدر سابق ص ٣٥٨، ٣٥٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٠.

(٣) المصدر السابق - ص ٢٢٠.

(٤) اتجاهات حديثة في التربية د. صالحه عبد الله عرسان وآخرون - دار الميسرة - عمان - الأردن - الطبعة الأولى - ٢٠٠٧ م ، ١٤٢٥ هـ - ص ٢٥.

المبادئ التي روعيت عند اختيار المناهج:

وفي نفس السياق السابق يقول القاسبي: بأهمية القرآن وتعلّيمه إجبارياً علي الأطفال لأن القرآن الكريم يحتوي علي الفضائل الخلقية والتعظيم وهذا لا يتم إلا للمؤمنين حيث يقول: « فقل ما جري في أوائل السور من هذا فهو تعظيم للقرآن الكريم وتعريف للمؤمنين بفضلة وكذلك قوله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٢) وقوله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾^(٣) »^(٤)

ونلاحظ أن القيمة التاريخية للمنهج التربوي عند القاسبي هو أنه يعتمد علي الخطاب التربوي الديني المستمد من القرآن الكريم، لأنه كتاب من عند الله سبحانه وتعالى - ويستدل علي ذلك من القرآن الكريم حيث يقول: « قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ط تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٥) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾^(٦) »

(١) سورة النساء آية ١٧٤.

(٢) سورة المائدة ١٦، ١٥.

(٣) سورة المائدة آية ٤٨.

(٤) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ص ١٣٢.

(٥) سورة فصلت: بعض آية ٤١، ٤٢.

(٦) سورة الإسراء: آية ٩، ١٠.

القرآن الكريم دستور التربية الروحية والأخلاق:

وتصديقاً لما سبق في نفس سياق القاسبي عن فضل القرآن وحملة القرآن يقول ابن عبد ربه: «وقال الحارث الأعور: حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتاب الله فيه خير ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيع به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق علي كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، والذكر العظيم، والصراط المستقيم، خذها إليك يا أعور»^(١)

«وقال عبد الله بن مسعود: الحواميم ديباج القرآن الكريم، وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها، تنزل علينا الآية في عهد رسول الله ﷺ فتحفظ حلالها وحرامها، وأمرها وزجرها، قبل أن نحفظها»^(٢)

وقال الحسن: حملة القرآن ثلاثة نفر: رجلٌ اتخذه بضاعته بنقله من مصر إلي مصر يطلب به ما عند الناس، ورجل حفظ حروفه، وضيع حدوده، واستدر به الولاية، واستطال به علي أهل بلده، وقد كثر ما الضرب في حملة القرآن، لا كثرهم الله عز وجل، ورجل قرأ القرآن، فوضع دواءة علي داء قلبه، فسهر ليلته، وهملت عيناه، وتسربل الخشوع، وارتدي الوقار، واستشعر الحزن والله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر، بهم يسقي الله الغيث وينزل النصر، ويدفع البلاء»^(٣)

ومجمل القول في فهم العقيدة عند القاسبي هي: «وعقيدة الديانة الإسلامية كما يفهمها القاسبي وكما يريدتها وكما ينبغي أن تذيع في الناس عن طريق التعليم تتلخص في خمس: الإيمان، والإسلام، والإحسان، والاستقامة، والصَّلاح، فالدين عنده نظر ينتهي إلي

(١) العقد الفريد - ابن عبد ربه - ج ٢ - ص ٢٣٩.

(٢) العقد الفريد - ابن عبد ربه - ج ٢ - ص ٢٣٩.

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٠.

عمل. وليس الدين هو الإيمان فقط أو الإسلام فقد، أو الإحسان والاستقامة فحسب وإنما هو كل ذلك مجتمعاً. فالشخص الذي ينتحل الإسلام ينبغي أن يكون مؤمناً ومسلماً ومستقيماً ومحسناً وصالحاً^(١) أذن الهدف الاسمي عند القابسي هو الصلة بين العلم والعمل.

وهكذا يكون القابسي كعالم تربوي بالإضافة كفقيه قد دعا إلي:

دعائم المنهج التربوي الموضوعي وهو: «الصلاح والعمل الصالح»:

ومما يمكن استنتاجه هنا أن القابسي يولي اهتمامه دعائم أساسية للمعلم والمتعلم في الحقل التربوي. فمن أهمها صفة الصلاح فيقول: «وأما قولك: كيف صفة الصلاح، فصفة الصلاح هي ما تقدم وصفة في هذا الباب من أوله إلي آخره، من وفي بجمعية وفاء حسناً فقد استكمل صفة الصالحين ومن عجز عن شئ منه، فبمقدار ذلك الذي عجز عنه - إذا كان عن تفريط منه فيه - يكون نزوله عن وصف من استكمل ذلك كله. قال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)»^(٣)

ونجد أن الصلاح والعمل الصالح من أهم الطرق التربوية الحديثة لأنهما يعتمدان علي التمسك بالفضائل وهما الطريق إلي السعادة لذلك يقول الإمام الغزالي: «إذا عرف أن السعادة تنال بتزكية النفس وتكميلها. وأن تكميلها باكتساب الفضائل كلها. فلا بد من أن تعرف الفضائل جملة وتفصيلاً.

فأما الفضائل بجملتها، فتتخصر في معنيين:

أحدهما: جودة الذهن والتمييز.

(١) التربية في الإسلام د. أحمد فؤاد الأهواني ص ٨٨.

(٢) سورة النحل آية ٩٧.

(٣) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين القابسي ص ١٢٩

والآخر: حسن الخلق. أما جودة الذهن، فليميز بين طريق السعادة والشقاوة، فيعمل به، وليعتقد الحق في الأشياء علي ما هي عليه، عن براهين قاطعة مفيدة لليقين»^(١)

تؤكد التربية الروحية علي العلم والعمل:

ودعائم المنهج التربوي عند القاسبي يتم من خلال ما يلي:

١. يجب علي المعلم أن يكون مثقفاً وتربوياً عندما يتعرض في الحقل التربوي عن الأسئلة والاستفسارات (وأما ما يستعمل مع من يسأله عن المعلم الفتيا فإن من صفته إذا سأله سائل عن مسألة، فإن كان عند علم أجاب، وجعل أصلة أن الجواب من كتاب أو سنة أو إجماع)^(٢)، والغرض من العلم هو المعرفة، وأن العلم يطلب الحقوق لذاتها، والعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمرة، فالمنطق يقضي بالجمع بين العلم والعمل وفن التفكير.

٢. وتطبيق مبدأ الصلاح والإصلاح في سيكولوجية التربية بين المعلم والجاهل يتم عن طريق: ليسكت عن الجاهل حتماً، وينشر الحكمة نصحاً، فهذه أخلاقة لأهل مجلسه وما شاكل هذه الأخلاق^(٣)

٣. من أهم واجبات المعلم عند ما يُسئل عن علم لا يعلمه هو: «وإذا سئل عن علم لا يعلمه لم يستح أن يقول: لا أعلم، وإذا سئل عن مسألة فعلم أنها من مسائل الشغب ومما يورث بين المسلمين الفتنة استعفي منها، ورد السائل إلي ما هو أولي به علي أرفق ما يكون، وإن أفتي بمسألة فعلم أنه أخطأ لم يستكف أن يرجع عنها، وإن قال قولاً فرده عليه غيره ممن هو أعلم منه أو مثله أو دونه فعلم أن القول كذلك، يرجع عن قوله وحمده علي ذلك وجزاه خيراً»^(٤)

(١) ميزان العمل. الإمام الغزالي - مصدر سابق - ص ٢٥٤، ٢٥٥

(٢) أخلاق العلماء - نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة.

ويجب علي العالم أن يعمل بعلمه حيث يقول: «عبد الله بن مسعود في حفظ العلم واستعماله: «تعلموا فإذا علمتم فاعلموا. وقال مالك بن دينار: العلم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلب، كما يزل الماء عن الصفا. وقالوا: لولا العمل لم يطلب العلم، ولولا العلم لم يطلب العمل. وقالوا: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان»⁽¹⁾ ويتم تطبيق التعليم الإلزامي عند القاسبي من خلال استخدام النهج العلمي الموضوعي والمنطقي الذي يقوم حيناً علي الاستقراء وحيناً آخر علي الاستنتاج. ويقدم لنا التفسيرات لبعض الظواهر البشرية الاجتماعية والعمرائية بين البنين والبنات، وتعليم الإناث، وتعليم الوالد لأبنيه».

وانطلاقاً من تقسيم المناهج عند القاسبي والتي صنفها إلي مواد إجبارية وإلزامية واختيارية ومن

مكونات المنهج الدراسي عند القاسبي: [القواعد الأساسية في التربية الإسلامية]

يحدد القاسبي بشكل عام المواد الدراسية التي تشكل المنهج الروحي من خلال خطابة التربوي في رسالته عند «ذكر سؤاله عما جاء في فضائل القرآن، ولمن تعلمه وعلمه وما يصحب به القرآن، وعن آداب حامله، ومن ضيعه حتى نسيه، وما لمن علمه ولده، وهل ذلك في الصغير واجب علي أبيه أو علي غيره، ومن يعلم الإناث»⁽²⁾ يشير هنا القاسبي إلي الإسلام وتعليم المرأة وعن الاستعدادات التربوية التعليمية للمتعلم، وما قيل في العالم والمتعلم.

من النص السابق نجد أن المنهج التربوي عند القاسبي يشتمل ما يلي:

- أ- من أهم المواد الإجبارية التي يتعلمها الأطفال القرآن الكريم.
- ب- والنسق التربوي في التعليم عند القاسبي وهو الهدف الديني والخلقي والتعليمي.

(1) العقد الفريد- ابن عبد ربه- كتاب الباقوته في طلب العلم جـ ٢ ص ٢٢٢

(2) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القاسبي ص ١٣٢.

ج- التعليم الإلزامي: مفهوم الإلزام في العليم من خلال مقولته وما لمن علمه ولده ومن يعلم الإناث.

د- من أهم المناهج التعليمية عند القابسي تعليم الصبي دينه واجب علي الوالد.

ه- تعلم القرآن وتعليمه واجب علي كل مسلم نظراً لفضائله الكثيرة.

أهم أهداف وغايات التربية الروحية عند القابسي:

ولعل خير منهج يوضح اتجاهات النسق التربوي عند القابسي هو تقسيمه للمناهج الدراسية والتي تشمل (إعراب القرآن- الهجاء- القراءة الحسنة- التوثيق- الترتيل) والمنهج يحتوي علي المعلومات، والمهارات العملية، وطرق التفكير وأساليبه وهذا ما عبر عنه القابسي في تقسيمه إلي (المواد الاختيارية مثل الحساب- الشعر- تاريخ العرب وهناك المواد التطوعية والتي يتطوع المعلم بتدريسها مثل العربية- الخط- النحو. ومجمل القول فيما سبق فمنهج القابسي هو ما نجده في تعريف المنهج بالمعني المعاصر و«معني المنهج: فالمنهج بمفهومه الحديث هو مجموع الخبرات وأوجه النشاط التي توفرها المدرسة لتلاميذها داخل جدرانها وخارجها لكي تحقق لهؤلاء التلاميذ أقصى نموهم. وتحقيق للمجتمع أقصى فائدة مستطاعه طالماً أن هذه الخبرات خاضعة لتوجيه المدرسة»⁽¹⁾

وقد تميز هذا المنهج بتطبيق الأختبارات العديدة مقننة غير مقننة، ويجب مراعاة التغيرات في سلوك الفرد لأن «مجموع السلوك الذهني والجسمي والعاطفي والاجتماعي للفرد يجب أن يكون موضع اهتمام المدرس والمشرف الفني في كل موقف تعليمي فإذا درس الطفل الحساب أو العلوم أو التاريخ فهو يدرس في الوقت نفسه الاتجاهات وينمي الميول ويحدث توافقاً عاطفياً واجتماعياً، فإن صدم الطفل نتيجة لصعوبة الواجبات أو مل

(1) المدرس في المدرسة والمجتمع د. أبو القتوح رضوان وآخرون -مرجع سابق ص- ١٠٧.

بسبب سهولتها فإن اتجاهاته والتكيف العاطفي والاجتماعي تتأثر في المواقف التعليمية بطريق عكسية»^(١)

وإذا انتقلنا إلى تعليم الإناث عند القاسبي، فهذا ما يعبر عن تحرير المرأة عند الطهاوي وقاسم أمين، لأن الهدف من تعليم المرأة هو مواجهة التحديات العصرية، والقرآن الكريم ساو بين الرجل و المرأة في أصل الخلقة، والإسلام كفل للمرأة حقوقها كاملة مثل الرجل، وتعليم المرأة العلوم الشرعية يساعدها علي القيام بمسؤوليتها تجاه أبنائها وأسرتها.

- الهدف الديني عند القاسبي: " طريقة دراسة القرآن الكريم" القياس والتقويم من الإفادات التربوية حول شروط التعليم عند القاسبي من خلال قراءة الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وهي ما يلي:

(١) فضائل القرآن الكريم حيث يقول: «قال أبو الحسن: أما سؤالك أن نبدأ لك بشئ، من فضائل القرآن فيكيفك من فضل القرآن معرفتك أن القرآن كلام الله عز وجل: وكلام الله غير مخلوق، ثم ثناء الله علي هذا القرآن في غير موضع منه، قال الله عز وجل ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِينَ﴾^(٣) الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٤)»^(٥)

(١) التقويم في التربية الحديثة ج. وارين رايبستون - مرجع سابق ص ٣٩، ٤٠.

(٢) سورة الزمر: آية ٢٣.

(٣) سورة يوسف: آية ٢، ٣.

(٤) سورة البقرة: آية ١، ٢.

(٥) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القاسبي ص ١٣٢.

الهدف الأسمى من تعليم القرآن الكريم باعتباره دستور التربية الروحية:

ويتم الهدف الديني في المناهج التربوية عن طريق تناول الحسنة في الدنيا واتخاذ المنهج العلمي السليم: و«أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن في قول الله عز وجل- ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ قال: الحسنة في الدنيا العلم والعبادة والجنة في الآخرة»^(١)*

وحسنة العلم والعبادة مستنبطة من القرآن الكريم، لذلك يؤكد القاسبي علي أهمية تعليم القرآن الكريم للأطفال، والقرآن الكريم عربي في أكثر من آية فهو- سبحانه وتعالى- يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢) ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣) ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٤) ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾^(٥) ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٦) ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٧) ﴿بَلِسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٨).

والهدف الأسمى عند القاسبي من تعليم القرآن الكريم، هو حل المشكلات الاجتماعية والثقافية واللغوية وإخراج الإنسان من الظلمات إلي النور، لذلك وجب علينا أن نفسر آياته

«والهدف الديني يشمل العلوم الدينية أو كما يسميها القدماء العلوم النقلية التي بدأت حول هذه الكتب المقدسة لضبطها وقراءتها وتفسيرها وتقنياتها وتمثل مثل علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه والسيره. ففي هذه العلوم تعلمت الشعوب مناهج البحث ووضعت طرقها الخاصة للتعليم وقصورها للعلم [دراسة فلسفية د. حسن حنفي ص ٥٤]»

(١) أخلاق العلماء- الاجري-ص ٤٥ *رواة ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ح ١ ص ٣٠ دار الكتاب العلمية ببيروت ١٣٩٨هـ

(٢) سورة يوسف آية ٢

(٣) سورة الزخرف آية: ٣

(٤) سورة فصلت آية: ٣

(٥) سورة الرعد آية: ٣٧

(٦) سورة الشوري آية: ٧

(٧) سورة الزمر آية: ٢٨

(٨) سورة الشعراء آية : ١٩٥.

والتعرف علي أساليبه، واستنباط الأحكام منه، ويجب أن ننظر إلي القرآن الكريم نظره تسليم وضي لأن هذا الكتاب: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١).

ويري القاضي عياض الأندلسي الأصل، وهو من علماء القرن السادس الهجري أن إعجاز القرآن إنما يرجع إلي وجوه أربعة «أولهما: حسن تأليفه والتثام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة. وثانيها: صورة نظمة العجيب والأسلوب الغريب. وثالثها: ما انطوي عليه من الأخبار بالمغيبات. ورابعها: ما أنيابه من أخبار القرون السالفة»^(٢).

ويفصل في هذا الإطار القاسبي فضائل القرآن الكريم لأنه أساس العملية التعليمية بين المعلم والمتعلم حيث يقول: «وكل ما جري في أوائل السور من هذا، فهو تعظيم للقرآن وتعريف للمؤمنين بفضله وكذلك قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤) وقوله سبحانه لنبيه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^(٥)»^(٦).

والقرآن الكريم يؤكد علي استخدام الحكمة في العملية التعليمية لأنها هي الطريق إلي السعادة والخير وتجعل العالم يتمسك بدار الخلود وبيتعد عن دار الغرور ويقول الله تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَالْحِكْمَةُ هِيَ

(١) فصلت: آية: ٤٢

(٢) نظرات في الأسلوب القرآني د/ السيد تقي الدين السيد - ٢- ص ٨٥، ٨٦

(٣) سورة النساء آية ١٧٤.

(٤) سورة المائدة - آية ١٥، ١٦

(٥) سورة المائدة - بعض آية ٤٨.

(٦) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القاسبي ص ١٣٢.

العلم النافع لذلك يقول الإمام الغزالي عن فضيلة الحكمة «أما الحكمة: فيندرج تحت فضيلتها حسن التدبير. وجودة الذهن. ونقاية الرأي وصواب الظن»^(١)

أما حسن التدبير: فهو جودة الرواية في استنباطها ما هو الأصلح، والأفضل، في تحصيل الخيرات العظيمة، والغايات الشريفة، فما يتعلق بك، أو تشير به علي غيرك، في وبالجملة: في كل أمر متفاهم خطير فإن كان الأمر هيناً حقيراً سمي كيساً ولم يسم تدبيراً. وأما جودة الذهن: فهو القدرة علي صواب الحكم عند اشتباه الآراء، وتوازن النزاع فيها.

وأما نقاية الرأي: فهو سرعة الوقوف علي الأسباب الموصلة في الأمور، إلي العواقب المحمودة.

وأما صواب الظن: فهو موافقة الحق لما تقتضيه المشاهدات من غير استعانة بتأمل الأدلة»^(٢)

ويؤكد القاسبي علي شروط المنهج الديني التربوي وهو التمسك بالأحكام الفقهية الصحيحة لذلك «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الجماني، أخبرنا أبو بدر، أخبرنا زياد بن حثيمة، عن أبي اسحاق، عن عاصم بن خمره، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنع قال: «ألا أنبئكم بالفقيه ولم يؤمنهم مكر الله، ولم يترك القرآن إلي غيره، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في تفقه ليس فيه تفهم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر*»^(٣)

وتجدر بنا الإشارة هنا إلي أن القاسبي يعبر عن منهجه الديني بمضمون الحكمة وهناك نواذر من الحكمة وهي «قيل لقس بن ساعده: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة

(١) ميزان العمل - الإمام الغزالي - مصدر سابق ص ٢٧٤

(٢) ميزان العمل - الغزالي - مصدر سابق ص ٢٧٤.

(٣) أخلاق العلماء - الأجرى ص ٦٦، ٦٥ * الخطيب الفقيه والمتفقه باب ورع المفتي وتحفظه ص ١٦١.

الرجل نفسه، قيل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه، قيل له: فما أفضل المروءة؟ قال: أستبقاء الرجل ماء وجهه، وال حسن: التقدير نصف الكسب والتوده نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم»^(١)

أهمية مصادر الشرائع والأحكام في الدين الإسلامي:

وعن الموقف التعليمي والتربوي يبين القاسبي ماهية العلم وتعلمه وهو:

تعلم القرآن وتعليمه واجب علي كل مسلم:

لقد بلغ عمق الموقف التعليمي عند القاسبي بالاعتماد علي تعلم القرآن الكريم حيث يقول: «وأما ما لمن تعلمه أو علمه من الفضل، ففيه حديث مشهور ومنشور وهو حديث سعد بن عبيده، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢) وفي الصحيح من حديث سعيد بن قتادة، عن أنس، عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجه طعمها وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ریح لها، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالربحانہ ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر»^(٣)»^(٤) وتعلم القرآن يزيد العلماء خشية الله والبرهنة علي عجائب مخلوقاته و«أخبرنا أبو بكر، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، أخبرنا قطن بن يسير، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن مطر الوراق، في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ قال:

(١) العقد الفريد- ابن عبد ربه -مصدر سابق ص٢٥٤.

(٢) في صحيح البخاري بلفظة.

(٣) في البخاري بلفظه كتاب فضائل القرآن.

(٤) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين القاسبي ص١٣٤.

بلغنا أن الحكمة: خشية الله، والعلم به»^(١) ويقول ابن رشد فالحكمة الأخت الرضية للشريعة المتحدثات بالطبع المتحابات بالجوهر.

المنهج التربوي عند القابسي بين الأصالة والمعاصرة

وعندما تحدث القابسي عن ماهية العلم وتعليمه، تبين لنا أنه يربط بين التعلم والعمل ويظهر ذلك من خلال ارتباطه بالبيئة الاجتماعية، هذه النظرية تسمى في العصر الحديث نظرية التعليم بالعمل، وعندما نقارن بين آراء القابسي، والنظريات التربوية المعاصرة نجد أن هناك تشابه كبير جداً، والدليل على ذلك يقول فروبل «إن تعلم الأشياء في الحياة، عن طريق العمل، أفضل كثيراً في نمو التلميذ وتنميته وتقويته، عما لو تعلمها عن طريق الألفاظ، ولقد فحص جيزل نحو ١٢٠٠٠ طفل وانتهى إلي أنه «من المرجح أن حياتنا العقلية ذات أساس ومنشأ حركيين. كما أنه أكد العلاقة بين إدراك المرء أمراً، أس استحواذه عليه، وبم إدراكه إياه، أي تعلمه له»، وتقول لورازربي: «إن التعلم يمكن أن يزداد حيوية إذا كان وثيق الصلة بالحياة وبالخبرات الفاعلية الحية الحاسية، التي يعزز بعضها وتزيد معانيها غني»^(٢).

وغرض التربية الروحية عند القابسي مشابهة تماماً لفروبل:

فيقول فروبل «وغرض التربية هو حصول الفرد على حياة حرة مقدمة فيها الوفاء، والإخلاص وهكذا الحكمة في أسمى صورها. وستؤدي التربية عن طريق التعليم، بالفرد إلي إدراك ومعرفة المبدأ الروحي الأزلي والإلهي الذي يوهب إلي كل ما يحيط به من كائنات، وسعي الفرد أن الإنسان والطبيعة مصدرهما الله، وأن الله هو المهيمن عليها، فالتربية إذن تسوق الفرد إلي إدراك نفسه»^(٣)

(١) أخلاق العلماء - الأجرى ص ٦٤

(٢) الوسائل التعليمية د. إبراهيم مطاوع وآخرون - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٧٩م - ص ٥٢.

(٣) تربية الطفل قبل المدرسة د. سعد مرسي أحمد وآخرون ص ٢٤٨.

التراث والتغيير الاجتماعي:

ووفقا لما تقدم، ومن قراءة النصوص للقابسي نجد أن الهدف الديني عنده واضح وبين حيث يقول: «قال أبو الحسن: فقد بينت لك ما جاء، في فضل من تعلم القرآن وعلمه وبينت لك من وصف حامل القرآن ما يكفيك عن سؤالك عما يصحب به القرآن وعن آداب حامله، كل ذلك في كتاب الله عز وجل، مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم»^(١)

التربية الروحية عند القابسي:

ويلفت نظر المعلم* إلي وجوب مراعاة بعض القواعد في تعليم القرآن وهي ما يلي:

١ - أحكام من تعلم القرآن ثم ضعيه ونسيه

يضع لنا القابسي أحكام لمن ضيع القرآن إجابته بخصوص الفقرة السالفة الذكر حيث يقول: «وأما سؤالك عن تعلم ثم ضيعه حتى نسيه فإن كان تضييعه إياه، زهاده فيه - ليس بغالب عليه عمل يقوم له به عذر. فهو الذي أخشي عليه من شيء قد جاء فيمن تعلم القرآن ثم نسيه، فهي نعمه كفرها، وإنما يكون ذلك فيمن تعمد التشاغل به عنه. فإن كان تشاغله عنه بعمل من أعمال السفهاء. كان أشد»^(٢)

أحكام تعلم القرآن الكريم:-

وهو في هذه السياق يقول عن أحكام من تعلم القرآن ونسيه: «وما يدريك أن ذلك النسيان إنما أصابه عقوبة لاشتغاله عند بسوء الاكتساب، فكان اكتسابه السوء ذنباً منه عجلت له عقوبته بأن نسي القرآن بعد ما حفظه»^(٣)

(١) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين القابسي ص ١٣٤

(٢) المصدر السابق ص ١٣٥، ١٣٥.

(*) المعلم ثقب نبيل أطلق منذ فجر التاريخ علي الأنبياء والمرسلين وهذه البشرية، الآخذين بين الإنسان إلي نور العلم، وسماحة الأخلاق، ومعارج الحضارة الإنسانية الرفيعة التي تتمتع بها اليوم وقديما قيل: (لولا المربي ما عرفت ربي) فالتربية والتعليم رسالة، لا مهنة عادية المربي الحق حامل ورسالة هي من أقدم الرسالات وأشرفها. [المدرس في المدرسة والمجتمع د. أبو الفتوح رضوان وآخرون ص ٣٥]

(٣) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القابسي ص ١٣٥.

ويستشهد بأقوال الرسول ﷺ حيث يقول « ومن حديث شعبه وغيره عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله: قال: قال رسول الله ﷺ: بئسماً لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي، واستذكروا القرآن، فأنة أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم»^(١) «قال أبو الحسن: فانظر كيف عاب عليه السلام علي أحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت. وقال عليه السلام: "ويل هو نسي" معناه أن الله أنساه ما نسي. فهذا هنا ينظر العبد فيما يشغله عن القرآن حتى نسي منه ما نسي. هل له في ذلك عذر أم لا عذر له فيه فيحسن الإنابة إلي ربه مما لا عذر له فيه وقد قال الله عز وجل لنبيه (سُقْرُوكَ فَلَا تَنْسَىٰ ، إِيَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ)»^(٢)»^(٣)

طرق التدريس: "طريقة تعلم القرآن":

ومن ملامح التربية الروحية عند القاسمي تعلم أحكام قراءة القرآن:-

حيث يقول:- (وأما سؤالك عن الماشي هل يقرأ القرآن، أو الراكب، أو الواقف، أم من في السوق، أو من في الحمام تريد في غير الصلاة، فإن هذا للمصرف في حاجاته في الأسواق أو غير ذلك من أزقة الحضر، والصانع علي صنعته، فلم يستحب ما لم من ذلك شيئاً. وإنما يخفف من ذلك ما كان من فاعله من وجه التحفظ للمتعلمين ليقوموا حفظه بدراسته)^(٤)

تنوع أساليب التعليم - حلقات الدروس (في الكتاب - المساجد - السفر)

والتربية الروحية عند القاسمي تشمل المبارزة^(٥) في التفوق، والمنافسة المحمودة حيث يقول «فأما ما كان علي وجه التبرز قال مالك فإنما يقرأ القرآن في المساجد، وفي الصلاة وعلي حال التفرد بقراءته، أو في السفر، فيقرؤه ماشياً، وراكباً في سفره: إلا أنه

(١) في صحيح البخاري بلفظه

(٢) سورة الأعلى- آية ٦، ٧

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القاسمي ص ١٣٧.

(٥) وهذا يدل علي أدب السؤال. وقالوا: إذا جلست إلي العالم فسل تفقهاً ولا تسئل تعنتاً.

إن مر بسجدة تلاوة لم يقم بها الراكب ولكن ينزل فيسجدها إذا كان علي طهارة، وفي وقت يجوز أن يسجد فيه، إلا أن يكون في سفر تقصر في مثله الصلاة فيؤمن الراكب بسجودها إيماءً»^(١)

والغرض الأساسي عند القابسي من التربية الروحية فهي الركيزة الأساسية المنهجية ذات الأهمية البالغة وهي تعليم الأطفال الفرائض والعبادات. حيث يقول أ.عباس محمود العقاد «الفريضة الدينية أدب يراد به صلاح الفرد أو صلاح الجماعة، ومن محاسن الفرائض الإسلامية أن كل فريضة منها تؤدي إلي المقصرين، وتجعل الإنسان ذي ضمير، ولجماعة ذات ضمير، فصلاة الجماعة- في يوم الجمعة- واجب علي المسلمين مقدم علي البيع والشراء ومطالب المعاش ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۗ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾»^(٢)

وهنا لابد أن نتساءل عن أهمية التربية الروحية وما مدي شرعية الضرورة الدينية. وهل كان للتربية الروحية صدي كبير في حقل التربوي بعد القابسي أم لا؟ وللإجابة علي هذه الأسئلة، ومن خلال التفسيرات السابقة للتربية الروحية عند القابسي، نستطيع أن نقو إن ما توصلت إليه من أهمية التربية الروحية في العملية التربوية وبالأخص في التربية المعاصرة، وهذا ما وجدناه في فلسفة التربية عند رفاعه رافع الطهطاوي، الذي يؤكد علي ضرورة التربية الدينية فيقول: « و ترجع أهمية التربية الدينية إلي أنها تشكل المنطق السلوكي والأسلوب الصحيح للإنسان المتحضر، حيث رفض الطهطاوي الرأي القائل بتكوين السلوك الفردي اعتماداً علي معايير أخلاقية عامة دون نظر في الدين. فالنظر العقلي لا يصح- في رأي الطهطاوي- في تلك الأمور التي قررها الدين فالدين قد وضع المعايير الضرورية للسلوك ومن ثم يعتمد عليه فيها»^(٣)

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) الفلسفة القرآنية- عباس محمود العقاد- دار الهلال ص ١٥٠.

(٣) رواد التنوير الفكري د. شبل بدران- الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣م ص ٢١

ومما يلفت النظر أن الطهطاوي يؤكد علي ضرورة التربية الروحية، لأن العلوم تثمر إلا بها، ولا عبرة بالنفوس إلا بالتربية الروحية حيث يقول: «كل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لا تثمر العافية الحسني فلا عبرة بالنفوس الفاصرة الذين حكموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التي ركنوا إليها تحسباً وتقبيحاً (بالنظر العقلي المجرد) وظنوا أنهم فازوا بالمقصود وبتعدي الحدود، فينبغي تعليم النفوس السياسة (السلوك والواجبات) بطريقة الشرع لا بطريق العقول»^(١)

إعداد المعلم علمياً وخلقياً:

التربية الروحية عند القاسبي تشمل أحكام السجدة بين المتعلم والمعلم حيث يقول: «وأما قولك هل علي المعلم أو المتعلم إذا قرؤوا سجدة أن يسجدوا في كل مرة أو في أول مرة، فقد خفف مالك عنها، واستحب لها أيضاً أن يسجدوا في أول مرة إذا تكررت السجدة بعينها. وأما المعلم فيكثر ذلك عليه علي قدر كثرة أصحاب الأحزاب فأكثر القول التخفيف عنه من ذلك فإن سجد في أول مرة فحسنٌ ولقد قال مالك: ولو كان علي من تعلم إذا مر بسجدة يسجد. لسجد الرجل سجوداً كثيراً»^(٢)

من واجبات المعلم عند القاسبي هي «وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين، ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر»^(٣)

طرق التعليم عند القاسبي:

التربية الروحية في المنهج التربوي عند القاسبي تشمل: «ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة لأن ذلك من دينهم، وعدد ركوعها وسجودها. والقراءة فيها والتكبير، وكيف الجلوس، والإجرام، والسلام، وجميع التكبير، وما يلزمهم في الصلاة والتشهد

(١) المرجع السابق نفس الصفحة

(٢) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القاسبي - ص ١٣٧، ١٣٨

(٣) المصدر السابق ص ١٥٤

والقنوت في الصبح فأنة سنة الصلاة ومتى واجب حقها. وليعلمهم الصلاة علي الجنائز والدعاء عليها فأنة من دينهم»^(١)

أغراض وأهداف التربية الروحية:

ونستخلص من فؤائد التربية الروحية ما يلي:

١. الوضوح في التفكير، والتعرف علي الأحكام الفقهية.
٢. اتساق التفكير والقدرة علي تدعيمه بالشواهد والأدلة الإيمانية.
٣. صدق المعرفة ومناسبتها للمواقف المختلفة.
٤. الموضوعية العلمية، والدقة المنطقية، والبعد عن الأهواء والرغبات الشخصية.
٥. عقلية السلوك الخلقي الإيماني الهادف.

ومجمل القول من الفقرات السابقة للقابلي المختصة بالصلاة وأهميتها في التربية الروحية وهي «إذا صلي المسلم منفرداً في سائر الأيام فهو في انفراد لا يغيب عنه شعوره بأصره القربي بينه وبين الجماعة الإسلامية في أقطار الأرض من شمال إلي جنوب ومن مشرق إلي مغرب. لأنه يعلم أنه في تلك اللحظة يتجه، وجهة واحدة مع كل مسلم علي ظهر الأرض يؤدي فريضة الصلاة، ويستقبل معه قبلة واحدة، ويدعو بدعاء واحد، وأن تباعدت الديار.... وحسبه أن يقف بين يدي الله خمس مرات من مطلع الشمس إلي مغيبها لتمتزوج حياته بالعنصر الإلهي، ويتمثل الوازع الأعلى نصب عينية ما بين كل صلاة وصلاة..... ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، ولا شيء هو أقمن بالنهاي عنها من الشعور بوزرها، كلما تمرست النفس بالدنيا بضع ساعات من ليل أو نهار»^(٢)

وتعليم الصلاة، تجعل الإنسان يدرك الربوبية في الكون الإلهي، وأن الإنسان وحدة دون سائر مخلوقات الله، وهو الذي يعبد الله، والحسن الديني يكمن في أعماق كل قلبه

(١) المصدر السابق ص ١٥٥

(٢) الفلسفة القرآنية- عباس محمود العقاد- دار الهلال ص ١٥٠، ١٥١

بشري، والتربية الروحية الداعية إلي القيم، والداعية إلي المعرفة، والداعية إلي العقل بإحياء لا يغفل دور العلم في صنع الحضارة، بحيث يبدو إسلام المسلم متنسفاً أتم اتساق مع النظرة العلمية الوافدة إلينا من حضارة العصر، وعلينا أن ننظر نظرة عصرية إلي مشكلات عصرية، لكننا نستعين بروح سلفية، فنستعين بما تصلح الأستعانه به من تراثنا المجيد^(١)

والتراث التربوي عند القابسي يهتم بالمناهج التعليمية وتنقسم إلي العلوم العقلية مثل الحساب، وهو الذي يهتدي إلية الإنسان بفكره، ويمكن تحصيله بالمدارك.

ومناهج البحث هي طرق الأستدلال التي لا يستغني عنها الباحث في أي علم:
- المناهج التعليمية* عند القابسي:

يُعلن القابسي رأياً تربوياً مهماً وهو ضرورة تعليم الإنسان منذ سنين حياته الأولى، وهذا معناه تأكيد القابسي علي الدور التربوي للأسرة في تعليم الصبيان منذ الصغر حيث يقول: «وأما سؤالك عما لمن علم القرآن ولده، فيكفيك منه قول الرسول عليه السلام: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ، والذي يعلم القرآن ولده داخل في ذلك الفضل»^(٢) ويؤكد القابسي علي دور الأسرة في تحفيظ القرآن الكريم في الجزء الثامن من رسالته حيث يقول «لمن تعليم القرآن وعلي من تقع مسؤولية ذلك؟»^(٣)

وللإجابة علي هذا السؤال بين لنا القابسي الدور المهم في تربية الأطفال منذ النشأة الأولى، لأن الطفل يولد صفحة بيضاء، والتعليم في الصغر كالنقش علي الحجر، فيجب علي الأسرة الاهتمام بالأطفال منذ عمرهم الأول.

(١) الفكر الديني عند زكي نجيب محمود د. مني أحمد أبو زيد - دار الهداية القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ ص ٩٢.

(٢) المناهج التعليمية وهي التي تعبر عن أدوات البحث اللازمة لجمع المعلومات عند استخدام المنهج، ومن أدواته الملاحظة، الفرض العلمي، المقابلة الشخصية والمذكرات الشخصية.

(٣) أحوال المتعلمين وأحكام المتعلمين والمعلمين - القابسي ص ١٣٩

(٣) المصدر السابق - ص ١٤٢.

ويجب تعليم الأطفال عن طريق الحكماء، لأن الحكيم هو الذي يهتم بالطرق التربوية السليمة لذلك «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو الفضل العباسي بن يوسف النكلي قال: قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-:

كلام الحكيم حياة القلوب	كوبل السماء غياث الأمم
فنطق الحكيم جلاء الظلام	وصمت الحكيم دعاء الحكم
حياة الحكيم جلاء القلوب	كضوء النهار يجلي الظلم» ^(١)

والسنة النبوية الشريفة تشجع علي طلب العلم وتطبيق المناهج التعليمية الصحيحة «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجونه القطان، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي، أخبرنا صفي بن عمر عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما سَلَكَ عَبْدٌ طَرِيقاً يَقتَبِسُ فِيهِ عِلْماً: لا سَلَكَ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ وَإِن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً عنه وأنة ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر»^(٢)

والمناهج التربوية عند ابن سحنون والقابسي، يتم تطبيقها عن طريق الحكماء لأنهم يفسرون أهمية العلم في حياتنا اليومية، وفضل العلم والعلماء في القرآن والسنة، وهذا ما يسمي في وقتنا الحاضر بفلسفة التربية «فإن فلسفة التربية تبحث في وظيفة المعرفة والقيم والجمال و سط المتغيرات والمتناقضات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، تبحث دور المنطق باعتباره علم التفكير السليم. فهذا يساعد علي دراسة الاستبدال الصادق»^(٣) ومن أقوال الحكماء «قالوا: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف ولا حَسَب كحُوق الخُلق، ولا غني كرضاعن الله، وأحقُّ ما صُبر عليه ما ليس إلي تغييره سبيل، وقالوا

(١) أخلاق العلماء الأجرى - مصدر سابق ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣.

(٣) في أصول التربية - د. محمد الهادي عفيفي - مكتبة الأنجلو المصرية - بدو طبعة - ١٩٧٨ م. ص ١٨.

أفضل البر الرحمة، ورأس المودة الاسترسال، ورأس العقوق مكاتمة الأذنين، ورأس العقل الإصابة بالظن»^(١)

دور الأسرة في تربية الأولاد:

حيث يقول «قال أبو الحسن: إن الذي قد من لك مما يرجي للوالد في تعليم ولده القرآن، وإنما هو علي وجه الترغيب للوالد في تعليم ولده الطفل، الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضداً، ولا يميز لنفسه ما يأخذ لها، وما يدفعه عنها وليس له ملجأ إيل لولده، الذي تجب عليه نفقته لمعيشته، فما زاد بعد ذلك الواجب، فهو إحسان من الوالد للولد، كما لو أحسن للأجنبيين، أو لمن لا يلزمه نفقته ولكن يرجي له فيما أحسن به إلي ولده المحتاج إلية ما هو أفضل، إذ ليس يشركه فيه غيره، ولا حيله للطفل يستعين بها فيستغني بنفسه فيها عن نظر والده له فيها»^(٢)

من واجبات الأسرة تعليم أطفالهم التربية الروحية:

يتناول القاسبي دور الأسرة في تعليم الأطفال التربية الروحية حيث يقول: «وقد أمر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة والوضوء لها، ويدربوهم عليها ويؤدبوهم بها ليسكنوا إليها ويألفوها فتخفف عليهم إذا انتهوا إلي وجوبها عليهم»^(٣)

من مميزات المنهج التعليمي في تربية الأطفال ربط تعليم الصلاة بالقرآن الكريم

أهمية التربية الروحية:

وفيما سلف ذكره من تأكيد ابن سحنون والقاسبي علي تعليم التربية الروحية للأطفال وهذا لا يتم إلا من خلال معلم يؤكد بأهمية التعليم، ومن الضروري لكل مشغل بالتعليم أن يكون علي بصر وإيمان بأهمية هذا التعليم، بحيث يصير هذا الإيمان جزءاً من عقيدته وموجهاً لسلوكه وحافزاً له علي التحمس لعمله، والتربية الروحية تؤكد علي معرفة

(١) العقد الفريد- ابن عبد ربه -مصدر سابق ص ٢٥٤.

(٢) أحوال المتعلمين وأحكام المتعلمين والمعلمين - القاسبي ص ١٤٢.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

الأطفال بالمسائل التعليمية، وغرس الفضيلة، وهذا ما أشار إليه سقراط وأفلاطون وأرسطو ومن أقوال سقراط صاحب الطريقة الحوارية "المعرفة هي الفضيلة" ومن أقوال أفلاطون "إن التربية هي إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال، وكل ما يمكن من الكمال"

ومن أقواله في جمهورية أنة" يجب أن نعلم الذكور والإناث وتربيتهم تربية واحدة لأنهم متساوون من حيث القابلية والاستعداد" ومن أقوال أرسطوطاليس "ما قاله في كتابه، علم الأخلاق «إن غاية الفرد في حياته الخاصة وفي علاقته مع إخوانه هي السعادة»⁽¹⁾

وأراء القابسي في التربية الروحية مشابهة لجون لوك في محتوى التربية «يعالج لوك محتوى التربية ويقول إن هذا المحتوى ينبغي أن ينمي لدي التلميذ الفضيلة والحكمة والتهديب والتعلم ويقول عن الفضيلة: «ينبغي هنا أن نرسخ في عقل الطفل صورة صحيحة عن الرب أو الخالق فمنه نستمد كل ما هو طيب وهو يولينا محبته ويجود علينا بكل شيء»⁽²⁾

وسنطلق من مناقشتنا لأهمية التربية الروحية الدينية إلي ما يلي:

- غرس مبادئ الدين، وأداء واجباته، ومحاربه الشعوذة والخرافات وتربية الأطفال علي الأخلاق الحميدة، والاعتزاز بالوطن.
- القدرة علي فهم العلاقات الاجتماعية الصالحة، وتعود ممارستها في معاملة الآخرين.
- عادة التفكير المنطقي المنظم، وإقامة الأحكام علي النقد والدرس والإقناع.
- عادة النشاط المنتج، وحسن استخدام أوقات الفراغ فيما ينفع الفرد والجماعة.

(1) رائدة التربية العامة وأصول التدريس د. عبد الحميد فايد-دار الكتاب اللبناني- بيروت ١٩٨١م. ص-٢٠.

(2) فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها د. محمد منير مرسى- ص-٣٥٠.

• تكوين المثل العليا ذات الصلة والصفة الاجتماعية كاحترام الأسرة والتقيد بمعايير السلوك الصالحة واحترام القانون، وتقديم الصالح العام علي الصالح الشخصي. حيث يقول «وهم لا بد لهم إذا علموهم الصلاة، أن يعلموهم من القرآن ما يقرؤونه فيما، وقد مضى أمر المسلمين أنهم يعلمون أولادهم القرآن، ويأتونهم بالمعلمين ويجتهدون في ذلك، وهذا مما لا يمنع منه والد لولده وهو يجد سبيلاً، إلا مداركه شح نفسه، فذلك لا حجة له»^(١)

ويجمل القاسبي ذلك للأسباب التالية:

١. لأنهم من عباد الرحمن.
 ٢. الأطفال هم ذرية الإنسان وقرّة عينه فلا بد أن يحافظ عليهم.
 ٣. تعليم الأطفال القرآن يؤكد علي تعليمهم الدين وتعليمهم المبادئ والأخلاق.
 ٤. يجب علي الآباء لم ينجلوا علي أولادهم لأنهم ذخيرة المستقبل.
 ٥. يستشهد القاسبي من القرآن الكريم علي أن الأطفال ذرية الآباء حيث يقول: قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.
- ويجب علي تعليم الأطفال طرق الهداية ثلاثة منازل: الأولى تعريف طريق الخير والشر المشار إليه بقوله عز و جل: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ وقد أنعم الله به علي كافة عبادة بعضهم بالعقل وبعضهم علي ألسنه الرسل
- ٦- ويرى القاسبي أن الغرض من التربية الروحية هي التقرب إلي الله، وترقية وجدان الطلاب، ومراعاة قدرات المتعلمين واستعداداتهم والأخذ بمبدأ الفروق الفردية من أجل غرس العقيدة الإسلامية وتتميتها وتنمية الولاء لله تعالى ولدينه.

(١) أحوال المتعلمين وأحكام المتعلمين والمعلمين - القاسبي ص ١٤٢.

٧- التربية الروحية عند القاسبي تهتم بفضيلة الصدق وغرسها في نفوس الأطفال لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ سورة التوبة/ ١١٩ ، ويقول الحكيم: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ سورة الأحزاب/ ٢٤ والتربية الروحية مثالية تطالب بالعلم لما فيه من لذة روحية للوصول إلي الحقائق العلمية والأخلاق النبيلة.

٨- تؤكد التربية الروحية في منهج القاسبي علي العلم النافع ويشمل أسماء الله وصفاته، و علم بما أخبر الله به من الأمور الخلقية والعقيدة الأخلاقية، و علم بما أمر الله من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.

٩- تهتم التربية الروحية في منهج القاسبي بالطريقة المباشرة وهي: طريقة الوعظ والإرشاد والنصح وذكر الفوائد والضار، وتوضح للمتعلمين الأمور النافعة والضارة وتعظهم وترشدهم إلي الخير، وتحثهم علي التحلي بمكارم الأخلاق، وتجنب الرذائل.

١٠- من أهم فضائل التربية الروحية نجد أنها تغرس فضيلة الحق، والصدق، والوفاء، والإحسان، والإيثار، وأن تجعل الأطفال مخلصين في علمهم، وحسن نبتهم وذو هممة عالية ، وأخلاق سامية، والطفل يتحلي بكل فضيلة ويتجنب كل رذيلة.

” تعقيب “

بعد استعراض النصوص الأصلية للقابسي في التربية الروحية في المذاهب التربوية عند القابسي يتضح لنا ما يلي:

أن القرآن الكريم أساس التربية الروحية لأنه دعوة للناس جميعاً، علي اختلاف حظوظهم من العقل والقدرة علي التفكير، كان منه ما يتجه للقلب ليتفتح للموعظة، وكان منه ما يتجه للعقل ليذ عن للمنطق والدليل.

إن القرآن الكريم باعتباره كتاب الدين الذي هو خاتم الأديان، وأن الغاية منه هو هداية البشر كافة وتعريفهم الحق فيما يختلفون فيه.

تؤكد التربية الروحية في مذهب القابسي علي التربية بالموعظة الحسنة والأمر بالتواضع، وترويض الأطفال علي مراقبة الله وخشيته في كل شؤون حياتهم، والإخلاص لله.

من أهم مميزات المذهب التربوي عند القابسي في أنه اعتمد علي أصول الشريعة والتربية الروحية وهي «الإيمان، والإسلام، والإحسان، والاستقامة، والصلاح والأصلح» فالدين عند عنده نظر ينتهي إلي عمل، وليس الدين هو الإيمان فقط أو الإسلام فقط، أو الإحسان والاستقامة والصلاح فحسب، وإنما هو كل ذلك مجتمعاً. فالشخص الذي ينتحل الإسلام ينبغي أن يكون مؤمناً ومسلماً ومستقيماً ومحسناً وصالحاً.

من الجدير بالذكر أن القابسي يفسر التربية الروحية بما يلائم المجتمع بأسره، ويتفق مع الطبيعة الإنسانية دون مغالاة أو إسراف، ويجب علي المعلم أن يعترف بالإيمان ظاهراً وباطناً، ويلتزم الاستقامة، حتى يستطيع أن يصبح قدوة حسنة وتعقيباً بعد ذلك دور الأسرة في تربية الأولاد فوجدنا أن للأسرة دور مهم في غرس القيم الدينية والخلقية عند الأطفال، وأول ما يجب علي الآباء بناء العقيدة الصحيحة في نفوس أبنائهم، ويجب علي الأسرة إصلاح الأطفال في الصغر «لأن التعليم في الصغر كالنقش علي الحجر» والعناية

بالأمثلة الحسنة. ويجب علي الأسرة تنشئة الأبناء علي حب الخير وفعلة الاهتمام بإصلاح المجتمع، والتربية الروحية تشمل الوعظ والإرشاد والنصح وذكر الفوائد والمضار، بأن توضح للمتعلمين الأمور النافعة والضارة، وتعظهم وترشدهم إلي الخير، وتحثهم علي التحلي بمكارم الأخلاق، وتجنب الرذائل.

من واجبات الأسرة عند القابسي غرس القيم الدينية في نفوس الأطفال ومعاملة الأطفال بالرحمة والرفقة والعدل بين الأطفال، وبالبحث والمقارنة وجدنا صدي هذه النظريات علي الدراسات المعاصرة «وقد لاحظت سوزان أيزكس أن عامل الأسرة هو أحد العوامل الثلاثة التي تسبب الفروق الفردية بين الأطفال وهي تقول في هذا الصدد:

" أما الضرب الثالث من المؤثرات التي تؤدي إلي التباين بين الأطفال، فهو اختلاف حالات بيوتهم، وأوساطهم الاجتماعية، فهذا طفل من بين فيه كتب وحديث ونزهات، وإجازات، وفية يعني الولدان عناية كبيرة بمن يصادق الطفل، ويتقدمه في المدرسة، وذلك في وسط عائلي يكاد يكون أمياً والثالث يأتي من مسكن مزدحم تهمل فيه حاجات الطفولة. ومن هؤلاء نجد جميع ضروب الخير والشر، وشتي العوامل المساعدة أو المعطلة» [التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز وآخرون حـ ١ ص ٨٦].

ونستخلص مما سبق أن التربية الروحية عند القابسي تشمل ما يلي:

١- تهتم بدراسة العلاقة بين المعلم والمتعلم وفهم قدراته واستعداداته، وعلاقة المتعلم بالمحيط العلمي والمجتمع الخارجي وفهمه، أما من حيث المناهج فإنها توفر الأهداف قدرأ من الفهم، ويسمح للقائمين علي الأمور التربوية بوضع المناهج التي تحقق المثل العليا.

٢- تقوم التربية الروحية بدراسة أنواع التقويم مثل التقويم الذاتي والتقويم الموضوعي، وهناك تقويم أداه المعلمين، وتقويم المنهج الدراسي، وتقويم طرق التدريس.

من أجل صيانة الطفل والمحافظة عليه ويجب تأديبه وتهذيبه وتعويده علي الأخلاق الكريمة، وحفظه من قرناء السوء، وتمييزه بين الخير والشر والحسن والقيبح.

٣- تهتم التربية الروحية بدراسة فضيلة العدل، فقد أمر الله بالعدل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ وأحكامه كلها عدل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾

” مصادر ومراجع الفصل الخامس ”

” التربية الروحية في النسق التربوي عند القابسي “

- اتجاهات حديثة في التربية د.صالحه عبد الله عيسان وآخرون - الطبعة الأولى دار المسيرة - عمان - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٧م.
- أخلاق العلماء - الأجرى - تحقيق د.أحمد عبد الرحيم السايح - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩١م - ١٤١١هـ.
- إرشاد القاصد إلي أسني المقاصد - ابن الأكفاني - ت (٧٤٩هـ - ١٣٤٨م) تحقيق عبد المنعم محمد عمر وآخرون - دار الفكر العربي - القاهرة - د.ت.
- أساليب تدريس التربية الإسلامية د.محمد هاشم ربان وآخرون - الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات - الطبعة الثانية - ٢٠١٠م.
- أصول التربية وسيكولوجية التعلم - رياض معوض - مطبعة دار النشر الثقافية - ١٩٤٨م.
- التربية العامة - روتية أو بير - ترجمة د.عبد الله عبد الدائم - دار العلم للملايين الطبعة السادسة - ١٩٨٣م.
- التربية في الإسلام - د.أحمد فؤاد الأهواني - دار المعارف - الطبعة السادسة د.ت.
- التقويم في التربية الحديثة ج.واين رايتستون - ترجمة محمد محمد عاشور - مكتبة الأنجلو المصرية. د.ت.
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تحقيق أبي محمد أشرف عبد المقصود - دار أضواء السلف للنشر - الرياض - الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
- الخطاب التربوي الإسلامي د.محمد الفرحان - الشركة العالمية للكتاب - الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

- العقد الفريد- ابن عبد ربه-ح-٢- أحمد أمين- الطبعة الثانية- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.
- الفكر الديني عند زكي نجيب محمود د. مني أحمد أبو زيد- دار الهداية- القاهرة- الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- الفلسفة القرآنية- عباس محمود العقاد- دار الهلال- ١٩٩٨م.
- المدرس في المدرسة والمجتمع د. أبو الفتوح رضوان وآخرون- مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى- ١٩٦٠م.
- المناهج وطرق التعليم عند القاسبي وابن خلدون د. عبد الله الأمين النعيمي- مركز دراسة الليبيين للدراسات التاريخية- الطبعة الثانية ١٤٠١هـ- ١٩٩٢م.
- الوسائل التعليمية د. إبراهيم مطاوع وآخرون- مكتبة النهضة المصرية- ١٩٧٩م.
- تربية الطفل قبل المدرسة د. سعد مرسي وآخرون- عالم الكتب- بدون طبعة ١٩٨٣م.
- دراسات فلسفية د. حسن حنفي.
- رائد التربية العامة في أصول التدريس د. عبد الحميد فايد- دار الكتاب اللبناني بيروت- ١٩٨١م.
- رواد التنوير الفكري د. شبل بدران- الهيئة العامة للكتاب- ١٩٩٣م.
- ضحى الإسلام د. أحمد أمين- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- الطبعة الثانية ح-٢- ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.
- فلسفة التربية- اتجاهاتها ومدارسها د. محمد منير مرسي- عالم الكتب- ٢٠٠٧م.
- فن الحوار- أصوله آدابه- تأليف فيصل بن عبده- دار الإيمان- الإسكندرية د.ت طبعة ونشر.
- في أصول التربية- الأصول الفلسفية للتربية د. محمد الهادي عفيفي- مكتبة الأنجلو المصرية د.ت.

مدخل إلي أصول التربية د.حسين الهدبة الرشيدى - مكتبة الفلاح - الكويت - الطبعة

الأولي ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

مدخل تربوية معاصرة - أصول وفصول في دراسة التربية الإسلامية أ.د/ عادل السكري

- الدار المصرية اللبنانية - الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

ميزان العمل - الإمام الغزالي - تحقيق د.سليمان دنيا - دار المعارف - القاهرة -

الطبعة ١٩٨٤م

نظرات في الأسلوب القرآني د/ السيد تقي الدين السيد - ٢ - ١٤٢٨هـ.

الفصل السادس

المنهاج الدراسي عند القابسي

﴿الفصل السادس﴾

تمهيد

في هذا الفصل وهو «المنهاج الدراسي عند القابسي» سوف نفضّل القول في معنى كلمة المنهج أولاً عند القابسي ثم بعد ذلك نتحدث عن مكونات المنهج الدراسي عنده، واختيار محتوى المنهج الدراسي عنده، واختيار محتوى المنهج التربوي عند القابسي، وبعد ذلك نفضّل الشرح في عملية بناء المنهج بمعنى أنه يمكن تطبيق المنهج عن طريقة مراعاة الاستعدادات الفطرية عند الطفل، وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين المتعلمين، وسوف يظهر ذلك من عرض النصوص الأصلية التربوية عند القابسي.

وسوف نشير إلي أهمية عملية بناء المنهج التربوي، وبناء المنهاج الدراسي يتم عن طريق معرفة العوامل التي تؤثر في نوع التربية وأغراضها، مثل التغيير الاجتماعي، ومن استعراض النصوص وجدت أن الغرض الأساسي من تطبيق المنهج التربوي وهو أن يصبح الطفل فرداً صالحاً في المجتمع من خلال غرس الأفعال الخيرة والبعد عن الأفعال الشريرة، وكيف يصبح الطفل سعيداً في حياته اليومية.

وسوف نذكر النصوص التربوية للقابسي والتي تؤكد علي دور المنهج نحو ميول الأطفال. وهذا ما وجدنا في وقتنا الحاضر بمعنى «يجب علي المنهج العلمي الميول التي تؤدي إلي صالح الفرد والمجتمع، ومعني ذلك تضيف الميول في فئات حسب فوائدها التربوية وتنمية ما هو صالح منها والتصدي للميول التي تحمل في طياتها روح العدوان، ويجب أن تؤدي عملية إشباع ميول التلاميذ إلي توليد ميول جديدة في اتجاهات مختلفة، بحيث يتحقق مفهوم الاستمرارية في طلب العلم»⁽¹⁾

(1) أسس بناء المناهج وتنظيماتها د. حلمي أحمد الوكيل. مرجع سابق ص ٦١.

ونظراً لرغبات و ميول الأطفال نجد تقسيمات القاسمي من خلال المنهاج الدراسي عنده فيقسم المنهج الدراسي إلي المواد الإلجبارية، والمواد الاختيارية، والمواد التطوعية والهدف الأسمى من ذلك هو توفير المعارف الضرورية لتنمية القدرات العقلية عند الطفل، وأنة يري تعليم المواد بحسب أهميتها من حيث فائدتها للأطفال، وتحقيقها الأغراض التربوية فهو يبدأ بالقرآن والقراءة والنحو والبلاغة ويحذرنا من تعليم البنات الشعر خوفاً علي عواطفهم.

وهناك إفادات تربوية سوف نشير إليها بالتفصيل مثل " إن التربية إعداد للحياة وليست الحياة نفسها" ولا يتم إلا عن طريق تمسك المعلم بأخلاقيات مهنته وهي التمسك بالضمير الأخلاقي، والاستمرارية في التعليم، وتفقد الأطفال بالتعليم والعرض.

في آداب الطلبة وواجباتهم:

آداب المتعلم التي يذكرها لنا القاسمي ويعالجها كفقيه، مستنبطاً أحكامها من الشرع والدين، وجميعها تدور حول طبيعة العلاقة بين المتعلم وأستاذه. ومن أهم الآداب التي ذكرها القاسمي وهي ما يلي: [طرق التدريس]

١- طريقة محو كلام الله:- [من أهم طرق التدريس]

يحذرنا القاسمي من محو كلام الله بأرجل الأطفال حيث يقول: «وأما ما يضعه الصبيان من محو ألواحهم وأكتافهم، فذكر ابن سحنون فيه عن أنس بن مالك بإسناد ليس هو من رواية سحنون قال: إذا محت صبية الكتاب ﴿لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بأرجلهم نبذ المعلم إسلامه خلق ظهره، ثم لم يبال حين يلقي الله علي ما يلقاه عليه»^(١)

وعن محو كلام الله تعالي من الألواح بالطريقة الشرعية يستدل القاسمي بعصر الخلفاء الراشدين حيث يقول: «قيل لأنس: كيف كان المؤدبون علي عهد الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم؟ قال أنس: كان المؤدب له إنجانة وكل صبي

(١) أحوال المعلمين- القاسمي ص-١٦٧.

يجئ كل يوم بنوتية ماء طاهراً فيصبه فيها فيمحوون به ألواحهم. قال أنس: ثم يحفرون له حفرة في الأرض فيصبون ذلك الماء فينشف»^(١) والألواح التي ذكرها القاسمي تعتبر من أهم الوسائل التعليمية الحديثة (السطورة)، وبناء علي ذلك لا يمكن ذكر طرق التدريس إلا مع شرح فضيلة الأدب، وواجبات المتعلمين تجاه معلمهم، والعلاقة التربوية فيما بينهم، وقيل أن تناول آداب الطلبة تجاه معلمهم نعرف أولاً معني فضيلة الأدب من خلال بعض الحكماء يوصي بنيه فيقول: «أوصي بعض الحكماء بنية فقال: الأدب أكرم الجواهر طبيعة، وأنفسها قيمة، يرفع الأحساب الوضيعة، ويفيد الرغائب الجليلة، ويُعزّ بلا عشيرة، ويكثر الأنصار بغير رزية، فالبسوه حله، وتزينوه حلية، يؤنسكم في الوحشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة»^(٢)

وقال شبيب بن شيبية: اطلبوا الأدب فإنه مادة للعقل، ودليل علي المروءة، وصاحب في الغربية، ومؤنس في الوحشة، وحلية في المجلس، ويجمع لكم القلوب المختلفة وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بطلب الأدب فإنكم إن اجتمعتم إليه كان لكم مالاً، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً، وقال بعض الحكماء: اعلم أن جاهاً بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال وجاهاً بالأدب غير زائل عنك^(٣)

وهذا الأدب والعلم لا يتم إلا علي يد معلم، حيث يقول ابن جماعة: «ينصح الطالب بتلقي العلم عن مدرس، بل يزيد علي ذلك بأن ينصح الطالب أن يختار مدرساً يكون له مع من يوثق به من مشايخ عصره كثرةٌ بحث وطول اجتماع، لا ممن أخذ من بطون الأوراق، ولم يُعرف بصحبه المشايخ الحذاق»^(٤)

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٢) العقد الفريد - ابن عبد ربه ح ٢ ص ٤٢٠.

(٣) المصدر السابق ص ٤٢١.

(٤) التربية الإسلامية - د. أحمد شبل ص ٢١٠.

ولعل خير منهج يوضح اتجاهات النسق التربوي عند القابسي، وهو شرح معني المؤدب لتوضيح طرق التدريس عند القابسي «وإنما قيل لهم المؤدبون تمييزاً لهم من المعلمين الذي اقتصوا بإقراء صبيان العامة في الكتاتيب، فإن هؤلاء لم يكن يطلق علي أحدهم إلا لقب المعلم، وقد جعلوهم مثلاً في الحمق حتى قالوا: «الحمق في الحاكاة والمعلمين والغزاليين» ثم جعلوا الحاكاه والغزاليين أقل وأسقط من أن ينال لهم حمقي.... لأن الأحمق هو الذي يتكلم الصواب الجيد ثم يجيء بخطأ فاحش، وليس عند هؤلاء صواب جيد في مقال ولأفعال، في الحمق في عرفهم خاصاً بالمعلمين، أما المؤدبون فهم الذين ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلي تعليم أولاد الخاصة، وأولاد الملوك المرشحين للخلافة، وأخذهم بفنون الآداب كالخير، والشعر، والعربية ونحوها، ولذا كانوا يسمونها "علوم المؤدبين"»^(١)

وبناء علي ما تقدم يحدد لنا القابسي الطريقة الصحيحة التي يتبعها المعلم في محو كلام الله فيقول: « قال محمد: قلت لسحنون فترى أن يلعط؟ قال لا بأس به ولا يسمح بالرجل ويسمح بالمنديل وما أشبهه. قلت تقول فيما يكتب الصبيان في الكتف من الرسائل، فقال: أما ما كان من ذكر الله تعالى فلا يمحه برجله، ولا بأس أن يمحي غير ذلك مما ليس من القرآن»^(٢)

وعلي هذا الأساس نستطيع أن نفهم أن القابسي يحذر المتعلم من محو كلام الله بأرجله، ويجب علي المعلم مراعاة ذلك فيقول: «وما جاء فيه عن أنس من التخليط فينبغي أن يحذر منه فإنه تغليظ شديد علي المعلم، إن هو ترك الصبيان يمسحون القرآن بأرجلهم»^(٣) لذلك نجد أن هناك قواعد تربوية لا بد أن يتمسك بها المتعلم تجاه معلمه، ويشير الإمام الغزالي إلي أهم القواعد فيقول: «ومهما لم يكن المتعلم لمعلمه، كأرض جذبة

(١) تاريخ آداب العرب - مصطفى صادق الرافعي ح ١ ص ٢٦.

(٢) أحوال المتعلمين - القابسي ص ١٦٧.

(٣) المصدر السابق ص ١٦٨.

نالت مطراً غزيراً، فيلقاه بالقبول، من غير دفع، لم ينتفع به، ومهما أشار المعلم في طريق التعلم بما يراه المتعلم عين الخطأ، ويعتقده قطعاً، فليتهم نفسه، وليصبر، وليتبع معلمه، فإن خطأ معلّمه، خير من صواب نفسه، كسالك الطريق يكون قد استفاد بالتجربة مما يتعجب المبتدئ منه. وعلي هذا نبه الله تعالى في قصة الخضر وموسي، وقال: ﴿هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾^(١) إلی قوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾^(٢)، وقد تناولنا فيما مضى أخلاقيات مهنة المعلم بالتفصيل.

وعن تبجيل العلماء وتعظيمهم يقول علي بن أبي طالب رضوان الله عليه «من حق العالم عليك إذا أتيتَه أن تسلم عليه خاصة، وعلي القوم عامة، وتجلس قدامه، ولا تشر بيدك، ولا تغمز بعينيك، ولا تقل: قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه في السؤال، فإنما هو بمنزله النخلة المُرطبة، التي لا يزال يسقط عليك منها شيء»^(٣)

عندما يتناول القابسي تعليم الأطفال أحكام الصلاة فهذا ما نجده في وقتنا الحاضر في دارة «المنهج والنمو الشامل للتلاميذ» «إن من الأهداف التربوية مساعدة المدرسة للتلميذ علي النمو الشامل والمقصود بالنمو الشامل هو النمو في كافة الجوانب وهي: الجانب الديني، والجانب العقلي، والجانب الثقافي، والجانب المعرفي، والجانب الجسمي، والجانب الاجتماعي، والجانب النفسي والفني»^(٤)

وعندما يؤكد القابسي علي تعليم الجانب الديني للأطفال، وتعليمهم الأحكام الفقهية، فهذا ما وجدناه في فلسفة التربية المعاصرة لأن «المقصود بالجانب الديني: هو تربية

(١) سورة الكهف آية ٦٦.

(٢) ميزان العمل - الإمام الغزالي ص ٣٤٥.

(٣) العقد الفريد - ابن ربة ص ٢٤٢.

(٤) أسس بناء المناهج وتنظيماتها د. حلمي أحمد الوكيل، د. محمد أمين المفتي دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة - الطبعة الأولى ٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ ص ٤٦.

الطفل وفقاً لتعاليم الدين بحيث يتشرب القيم والاتجاهات التي ينادي بها ديننا الحنيف حتى تنعكس في سلوكه وتصرفاته مع الآخرين»^(١)

«ولقد أدرك الباحث من خلال استخدام النصوص التربوية الفقهية عند القابسي مثل «الأمر بالصلاة لسبع» «التفرقة في المضاجع» «سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر، والوتر، وصلاة العيدين، والاستسقاء والخسوف» وهذا يدل على عبقرية القابسي في دراسة المفاهيم التربوية من أجل أن تتلائم مع المنهجية الإسلامية وذلك من خلال إتباع الخطوات التالية:

أ- الحرص على إحياء المفاهيم القرآنية والواردة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومحاولة اشتقاق أكبر عدد ممكن من المفاهيم التربوية من القرآن والسنة.

ب- الحرص على ألا تتعارض المفاهيم مع العقيدة الإسلامية.

ج- الحرص على استخدام اللغة العربية في صياغة المفاهيم»^(٢)

٢- الأمر بالصلاة، والعمر المناسب لتعليمها:

لقد كان القابسي فقيهاً تربوياً امتازت نتاجاته وأفكاره بالتنظيم وحسن الترتيب ودقة التصنيف لذلك يقول: «وينبغي للمُعَلِّم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع، ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر وكذلك قال مالك، أخبرنا عنه عبد الرحمن وقال: قال مالك: يضربون عليها بنو عشر ويفرق بينهم في المضاجع قلت الذكور والإناث؟ قال نعم»^(٣)

وهناك بعض العبادات التي يجب أن يتعلمها الأطفال وهي سنن الصلاة فيقول عن واجبات المعلم تجاه المتعلم: «له أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر، والوتر،

(١) المرجع السابق - نفس الصفحة.

(٢) نحو تأصيل إسلامي للبحث التربوي د. عبد الرحمن النقيب وآخرون - ص ٢٣.

(٣) أحوال المتعلمين القابسي - ص ١٥٤، ١٥٥.

وصلاة العيدين والاستقاء، والخسوف حتى يعلمهم دينهم الذي تعبدهم الله عز وجل، وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم»^(١)

التدرج في التعليم:

وهناك الأحكام الشرعية في كيفية الصلاة وإمامة الصبي فيقول: «قد سئل مالك عن صبيان الكتاب يصلي بهم صبي لم يحتلم قال: مازال ذلك من شأن الصبيان وخففه. قال أبو الحسن: يريد الذين يصلون معه لم يحتلموا لو كان في صبيان الكتاب محتلم، فإن صلح للإمامة قدم، وإن لم يصلح للإمامة فلا يصلي خلف من لم يحتلم ولا يقطع عن صبيان الكتاب، عادتهم لكي يتدرجوا علي معرفة صلاة الجماعة، وليعرفوا فضلهم حتى يكبروا علي الرغبة فيها والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين»^(٢)

وفي ضوء ما تقدم من إشارات إلي التربية الروحية عند القاسمي، وهنا لابد أن نتساءل ما هي أهمية التربية الروحية عند القاسمي؟

«القاسمي كان يريد أن الهدف من التربية والتعليم هو تهذيب الأخلاق وتكوين الضمير الأخلاقي المستمد من الدين»^(٣)

وإصلاح الأخلاق يعني السلوك والصفات سواء أخلاقية أو لا أخلاقية، أي السلوك المقبول أو غير المقبول، وهذا يعتمد علي فكرة المعيار الاجتماعي فنحن إذا تحدثنا عن السلوك الأخلاقي من حيث كونه مقبولاً أو غير مقبولاً فإننا نفكر فيما هو مقبول أو غير مقبول من المجتمع. ويعتبر الدين أصل الأخلاق كما أشرنا. كما أن الأخلاق أساس هام للتربية الإسلامية. وقد اهتم المربون المسلمون بتربية الطفل علي الأخلاق الحميدة منذ الصغر.

(١) المصدر السابق صـ ١٥٥.

(٢) المصدر السابق صـ ١٧٥.

(٣) فلسفة التربية د. محمد منير مرسي - مرجع سابق صـ ٢٧.

ومن ثم فإنه في ظل مضمون التربية الروحية وأهميتها في علم الأخلاق. نلاحظ أن هذا المضمون موجوداً بتفاصيله عند جون ديوي الفيلسوف الأمريكي حيث يقول: «ومن الضروري تطبيق هذا التطور الخاص بعضوية الطفل في المجتمع» علي وجه الأخص عند بحث تحديد المبادئ الأخلاقية في التربية فالمدرسة لا هدف لها ولا غرض بعيداً عن فكرة مشاركتها في الحياة الاجتماعية. وبقدر ما نحصل أنفسنا في التفكير علي أن المدرسة نظام انعزالي فلن تكون لدينا أية مبادئ أخلاقية موجهة. ذلك لأننا والحالة هذه تفتقر إلي الهدف و المثل الأعلى»^(١)

وعند ما اهتم القابسي بدراسة السلوك الأخلاقي والقيم الخلقية، وبمقارنة نصوص القابسي بنصوص جون ديوي وجدنا أن جون ديوي يعبر عن المعني والمضمون حيث يقول «أن الجانب النفسي من التربية يتلخص بالطبع، في بحث طبيعة الخلق ومعرفة كيف ينمو نمواً حسناً، وبناء علي ذلك قد يمكن إزالته أو علي الأقل تخفيف وطأة شئ من التجريد الذي لمسناه في المناقشة السابقة، إذ ما عبرنا عنه من حيث علاقته بالسلوك»^(٢)

أما عن طبيعة الخلق فيقول: جون ديوي «فالخلق، علي العموم، معناه قوة الفاعلية الاجتماعية»^(٣)

منهج الدراسة في قراءة القرآن:

٣- متى وأين يسمح للطالب بقراءة القرآن:

وقبل أن يتحدث القابسي عن الأماكن التي يسمح فيها قراءة القرآن يبين لنا الآداب الشرعية في كيفية إمساك المصحف فيقول: «وأما إمساك الصبيان المصاحف، وهم علي غير وضوء، فلا يفعلون ذلك، وليس كالألواح وما في نهيمهم عن مس المصاحف

(١) المبادئ الأخلاقية في التربية -جون ديوي ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق -ص ٥٣.

(٣) المصدر السابق ص ٥٤

الجامعة- وهو علي غير وضوء- خلاف من مالك، ولا من يقول بقولة. ورأي سحنون أن علي المعلم أن يأمرهم ألا يمسوا المصحف إلا وهم علي الوضوء، حتى يعلموه. وهو حسن صواب»^(١)

وعن أحكام بيع المصحف يقول القابسي: «كما أن بيع المصاحف إنما هو بيع للرقوق والخط والصنعة وليس بيعاً لما فيها، لأن الذي فيها موجود غير مطلوب إلي أحد ولا محجوب عن أحد، ولا ممنوع من أحد»^(٢)

بعد ذلك يتناول القابسي فضل القرآن الكريم فيقول: «أن القرآن أحسن القول، مع سائر ما جاء في القرآن من حسن الثناء علي القرآن وما لقارئه فيه من اتساع الفوائد»^(٣)

لذلك يسمح للطالب بقراءة القرآن: «فإنما يقرأ القرآن في المساجد وفي الصلاة وعلي حال التفرد بقراءته، أو في السفر فيقرؤه ماشياً وراكباً في سفره»^(٤)

من النص السابق نجد أن القابسي يستخدم طريقة التدرج في التعليم بمعنى أن الطفل يتعلم أولاً في الكتاب ثم بعد ذلك يقرأ القرآن في المساجد.

التقويم عن طريق الامتحانات:- "تحديد أيام الامتحانات"

وتحدث القابسي عن حمله القرآن حيث قال: رجل لإبراهيم النخعي: إني أختم القرآن كل ثلاث؟ قال: لبتك تختمه كل ثلاثين وتدرس أي شئ تقرأ.

وقال الحارث الأعور: حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتاب الله فيه خير ما قبلكم، ونياً ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيع به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق علي كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغي الهدى

(١) أحكام المتعلمين - القابسي - ص ١٧٥.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٢

(٣) المصدر السابق ص ١٣٨

(٤) المصدر السابق ص ١٣٧

في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، والذكر العظيم، والصراط المستقيم، خُذها إليك يا أعور^(١)

«وقال الحسن: حمله القرآن ثلاث نَفَر: رجلٌ اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس، رجل حفظ حروفه، وضيع حُدوده، واستدر به الولاة، واستطال به علي أهل بلده، وقد كثر هذا الضرب في حمله القرآن، لا كثرهم الله عز وجل، ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه علي داء قلبه، فسهر ليلته، وعملت عيناه، وتسربل الخشوع، وارتدي الوقار واستشعر الحزن، والله لهذا الضرب من حمله القرآن أقل من الكبريت الأحمر، بهم يسقي الله الغيث، وينزل النصر، ويدفع البلاء»^(٢)د

من خلال النصوص السابقة للقاسمي وجدنا يؤسس ركائز تربوية عملية وهي ما يلي:

أ- تنوع أساليب التعليم عن طريق حلقات الدروس في المساجد، المناظرة، الخطابة، الجدل.

ب- استخدام وسائل الإيضاح مثل الفهم عن طريق التدرج في المعلومات والأفكار.

ج- يؤكد علي عملية التقويم وهي السؤال، ومعرفة قوة الإنسان في المجال الذي درسه إذا حان إلي التربية المعاصرة وجدنا نصوص القاسمي يتم تطبيقها في مؤسسات المجتمع ودورها التربوي ومن أهم المساجد ودور العبادة «تؤدي دور العبادة كالمساجد وغيرها من المؤسسات الدينية وظيفية حيوية في حياة الأفراد والجماعات، وتعتبر هذه المؤسسات من أهم عوامل التربية. وذلك بدعوتها الدائمة للتمسك بأهداف الدين والقيم الخلقية والروحية»^(٣)

(١) العقد الفريد-ابن عبد ربه ح-٢ ص-٢٣٩

(٢) المصدر السابق ص-٢٤٠.

(٣) التربية المعاصرة طبيعتها وأبعادها الأساسية د. محمود عبد الرزاق شفيق وآخرون مرجع سابق -٩٢

سيكولوجية التعلم عند القابسي:

ومما سبق استنتجناه فيما سلف أن القابسي يولي وقوع المسؤولية علي الآباء في تربية الأطفال، وفي حفظ القرآن الكريم، ويحذر القابسي الآباء من عدم بخلهم علي تعليم أولادهم القرآن الكريم، لأن تعليم أولادهم القرآن معناه التضرع والإخلاص إلي الله تعالى حيث يقول «فمن رغب إلي ربه أن يجعل له من ذريته قرة عين لم يبخل علي ولده بما ينفق عليه في تعليمه القرآن الكريم قال الله جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١) أي وما نقصانهم من عملهم من شيء، فما يدع الرغبة في تعليم أهله وولده الخير شحاً علي الإنفاق أو تهاوناً به يفقدهم ذلك الخير إلا جاف أو بخيل»^(٢)

الدين وعلاقته بفطرة الإنسان عند القابسي:

يؤكد القابسي علي أن كل طفل يولد علي الفطرة، ودين الولد من دين والده حيث يقول «إن حكم الولد في الدين حكم والده. مادام طفلاً صغيراً، أفيدع ابنه الصغير لا يعلمه الدين، وتعليمه القرآن يؤكد له معرفه الدين؟ ألم يسمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد علي الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تتأتج الأبل من بهيمة جمعاء، هل تحسن من جدعاء» فقالوا يا رسول الله: أفرأيت من يموت وهو صغير فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»^(٣)»^(٤)

والمنهج التربوي عند القابسي يعبر عن الرؤية المستقبلية للمناهج التعليمية، وبالأخص في سيكولوجية التعلم وهي «التي تبحث في العمليات النفسية والعقلية التي تتعلق

(١) سورة الطور: بعض آية ٢١

(٢) أحوال المتعلمين في أحكام المتعلمين والمعلمين - القابسي ص ١٤٣

(٣) الحديث في البخاري ومسلم مع خلاف يسير في اللفظ

(٤) أحوال المتعلمين في أحكام المتعلمين والمعلمين - القابسي ص ١٤٣.

بالكشف العملي، وما يقترن بها من القدرات الإبداعية والخيالية الموجهة لحل المشكلات العلمية»^(١)

ويجب علي المتعلم أن يكون له أهداف خاصة حيث يقول أفلاطون «أن الفرد الذي يتبع أهداف غيره دون أن تكون له أهدافه الخاصة هو الذي يمكن أن يوصف بالرق والعبودية»

وعندما تناول القابسي مفهوم الفطرة في العملية التربوية كان دقيقاً، والسبب في ذلك أنها متعلقة بالأخلاق التي هي أساس التقدم والازدهار العلمي لأن (الخلق منه ما هو طبيعي، أي فطري يولد الإنسان مزوداً به: كالحلم، والحب، والحياء، كما ورد في حديث) أشبح عبد القيس: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: إن فيك لخلقين يحبهما الله، قلت: وما هما يا رسول الله؟ قال: الحلم والحياء. قلت: قديماً كان أو حديثاً؟ قال: قديماً. قلت: الحمد لله الذي جبلني علي خلقين أحبهما الله^(٢)، وهذا يدل علي وجوب التعلم لإظهار شرف العقل.

لذلك يقول الغزالي «أعلم أن شرف العقل من حيث كونه مظنة العلم، والحكمة، آلة له، ولكن نفس الإنسان معدن للعلم، والحكمة، ومنبع لها، وهي مركوزة بالقوة، في أول الفطرة، لا بالفعل: كالنار في الحجر، والماء في الأرض، والنخل في النواة، ولا بد من سعي في إبرازه بالفعل»^(٣)

ولقد أشار القابسي إلي حال الأذكياء من الصبيان ويؤكد الغزالي علي ذلك فيقول «ومنة ما يكفي فيه السعي القليل كحال الأذكياء من الصبيان ولكن العلوم مركوزة في النفوس، قال تعالي: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ

(١) فلسفة العلم د. صلاح قنصوة - دار التنوير للطباعة والنشر - القاهرة - ٢٠٠٨ د. ط ص ٣٢

(٢) رواة البخاري في الأدب المفرد ٤٢/٢ (ثم لما كان الإيمان بالله مركوزاً في النفوس بالفطرة أنقسم الناس إلي أعرض فنسي، وهو الكفار، وإلي من أجل فتذكره وكان كمن جملة شهادة فنسيها بغفلة، ثم تذكرها ولذلك قال تعالي: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(٣) ميزان العمل - الإمام الغزالي ص ٣٣٤.

أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۗ فَاَلْمَرَادُ بِإِقْرَارِ نَفْسِهِمْ، الْمَعْنَى الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ كَوْنِهَا مَوْجُودَةً بِالْقُوَّةِ. ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ فِكَلِ آدَمِي فَطَرَ عَلِيَّ الْإِيمَانِ، وَمَا جَاءَ الْأَنْبِيَاءَ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلِحُوا﴾^(١)

وعلى أساس هذه الفقرة السالفة الذكر قرر القابسي استخدام منهج المقارنة في التربية المقارنة. أي المقارنة بين تربية أولاد الكافرين وأولاد المؤمنين حيث يقول: «قال رسول الله ﷺ: فأخبر بما يدرك الولد من أبوية مما يعلمانه فمن مات قبل أن يبلغ أن يعلم، رد رسول الله أمره، إلي علم الله بهم ما كانوا عاملين لو عاشوا. فإذا كان الكافرين يدركهم الضرر من قبل آبائهم، انبغى أن يدرك أولاد المؤمنين النفع في الدين من قبل آبائهم ولقد استغني سلف المؤمنين أن يتكلفوا الاحتجاج في مثل هذا، واكتفوا بما جعل في قلوبهم من الرغبة في ذلك تعلموا به، وأبقوا ذلك سنة ينقلها الخلق عند السلف ما احتسب في ذلك علي أحد من الآباء»^(٢)

من خلال الفقرات السابقة نجد أن القابسي ربط بين العلم والتعلم بمفهوم التربية الحديثة وهذا ما يسمي بالتعلم التعاوني والحوار والمناقشة والعصف الذهني

- حكم من لا يعلم ولده القرآن: وكذلك لجأ القابسي إلي القياس الشرعي، ويبدو الفرق واضحاً بين صيغتي التقسيم عند القابسي، بين من يعلم ولده القرآن وبين من لا يعلمه، حيث يقول «ولا يتبين علي أحد من الآباء أنه ترك ذلك رغبة عنه لا تهاوناً به، وليس هذا من صفة المؤمن المسلم، ولو ظهر علي أحد أنه ترك أن يعلم ولده القرآن تهاوناً بذلك لجَهْلٍ وَقُبْحٍ وَنُقُضٍ حَالَةٍ، وَضَعُ عَنِ حَالِ أَهْلِ الْقِنَاعَةِ وَالرِّضَا»^(٣)

ولم تكن الأجور التي يدفعها الصبيان إلي معلمي الكتاتيب محددة، بل كانت متروكة لحالة الطفل نفسه وطاقة أهله المالية، والأجر يدفع أسبوعياً أو شهرياً، وفي مناسبات

(١) ميزان العمل - الإمام الغزالي ص ٣٣٥.

(٢) أحوال المتعلمين في أحكام المتعلمين والمتعلمين - القابسي ص ١٤٣.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

الأعياد والمواسم، ثم بعد ذلك يستدل القاسمي علي أجر المعلم من خلال أئمة المسلمين حيث يقول: «ثم اعلم أن أئمة المسلمين في صدر هذه الأمة، ما منهم إلا من قد نظر في جميع أمور المسلمين بما يصلحهم في الخاصة والعامة، فلم يبلغنا أن أحداً منهم أقام معلمين يعلمون للناس أولادهم من صغرهم في الكتاتيب، ويجعلون لهم علي ذلك نصيباً من مال الله عز وجل»^(١)

وبالرغم من أنه يستدل علي أجر المعلم إلا أنه يبرهن علي ذلك لاستتجار المعلم لتربية الصبيان من أجل تعليمهم مقابل أجر حيث يقول «صَلِّحْ للمسلمين أن يستأجروا من يكفيهم تعليم أولادهم ويلازمهم لهم ويكتفي بذلك عن تشاغله بغيره ويكون هذا المعلم قد حمل عن آباء الصبيان مؤونه تأديبهم»^(٢)

من النص السابق نجد أن القاسمي يجوز أن يستأجر المعلم ليحمل المؤونه عن الآباء ويؤكد القاسمي ذلك أيضاً من أقوال مالك فيقول «ولقد ذكر الحارث بن مسكين في تاريخ سنة ثلاث وسبعين، أخبرنا ابن دهب قال: سمعت مالكا يقول: كل من أدركت من أهل العلم لا يري بأجر المعلمين - معلمي الكتاب - بأساً. ولا ين وهب أيضاً في موطنه عن عبد الجبار بن عمر قال: كل من سألت بالمدينة لا يري لتعليم المعلمين بالأجر بأساً»^(٣)

ويؤكد القاسمي علي أجر المعلم من خلال أقوال السلف حيث يقول «حدثونا عن سفيان الثوري عن العلاء بن السائب، قال: قال ابن مسعود: ثلاث لا بد للناس منهم، من أمير يحكم بينهم، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً، ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذلك لبطل كتاب الله، ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ علي ذلك أجراً، ولولا ذلك كان الناس أميين»^(٤)

(١) أحوال المتعلمين - القاسمي ص ١٤٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٧.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق ص ١٤٨.

إذن من خلال النصوص السالفة الذكر للقاسبي نلاحظ أنه يؤكد علي أجر المعلم من أجل تربية وتهذيب الأطفال.

ومن أصول القاسبي بعد الكتاب والسنة عمل أهل المدينة. لذلك يقول في أجر المعلم: «عن ابن وهب في موطنه عن الجبار بن عمر قال: كل من سألت بالمدينة لا يري لتعليم المعلمين بالأجر بأساً».

أجر المعلم:

ويهتم القاسبي بالمصادر الهامة عن الحديث والمستوي الاجتماعي للمدرسين لأنه: «بحث القاسبي في دائرة الفقه الإسلامي عن تأكيدات لدفع الأجر للمعلم، و بعد ذلك قرر مشروعية دفع الأجر له»^(١)

والنتيجة التي يريد أن يصل إليها القاسبي هي تعليم جميع أبناء المسلمين أغنياء وفقراء. حيث يقول عن:-

التكافل الاجتماعي للأطفال الأيتام:

نلاحظ أن القاسبي ربط بين التكافل الاجتماعي للطفل وأجر المعلم، فإذا كان الطفل قاصراً ومات والده، وجب علي المعلم أن يأخذ الأجر بحسب جهده، ويجب علي المعلم أن يطبق العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي والحرية والشورى للأيتام. فيقول: «وأما كان للولد مال، فلا يدعه أبوة أو وصية- إن كان قد مات أبوه- وليدخل الكتاب ويؤجر المعلم علي تعليمه القرآن من ماله حسب ما يجب»^(٢)

ويستطيع الإنسان أن يقرر دون تردد أن فرص التعليم عند القاسبي متاحة للفقير والغني واليتيم.

(١) الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد الفرحان -ص- ١٢٠.

(٢) أحوال المتعلمين في أحكام المتعلمين والمعلمين -القاسبي- ص- ١٤٤

التضامن الاجتماعي للطفل اليتيم:

والتضامن الاجتماعي يظهر من خلال المؤسسات الاجتماعية التابعة للدولة عن طريق الحاكم، فيقرر القاسمي أن الحاكم لا بد أن ينظر في تعليم الطفل اليتيم الذي فقد والده حيث يقول «فإن لم يكن لليتيم وصي نَظَرَ في أمره حاكم المسلمين، وسار في تعليمه سيرة أبية أو وصية»⁽¹⁾ وهكذا كان تكافؤ الفرص في العالم الإسلامي مرعياً في جميع مراحل التعليم.

وفيما سلف ذكر تبين لنا أن القاسمي يراعي الطبقات الاجتماعية بالنسبة لأجر المعلم، وينبها إلى الطفل اليتيم الذي فقده والده، لذلك نجد أن الإمام الغزالي يشير إلى قصد المعلم من تعليمه للأطفال هل من أجل المادة فقط أم من أجل الآخرة. حيث يقول للمتعلم أن يكون قصده في كل ما يتعلمه في الحال، كما نفسه وفضيلتها.

وفي الآخرة التقرب إلى الله عز وجل، ولا يكون قصده الرياسة والمال، ومباهاة السفهاء، وممارسة العلماء، فقد قال عليه السلام:

[من تعلم العلم ليباهي به السفهاء، ويماري به العلماء، دخل النار]

وقد سبق أن العلوم لها منازل في الوصول بها إلى الله عز وجل، والقوام بتلك العلوم، كحفظه الرباطات في طريق الجهاد.

فإذا عرف كل أحد رتبته، ووفاته حقه، وقصد به وجه الله تعالى، لم يضع أجره، فإن الله يرفعه بقدر علمه، في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ وقال: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾

(1) المصدر السابق - نفس الصفحة

«وبني نور الدين في كثير من بلاده مكاتب للأيتام وأجري عليهم وعلي تعليمهم الجرايات الوافرة، وفي عهد صلاح الدين كان للأيتام من الصبيان في دمشق محضرة كبيرة بالبلد ولها وقف كبير يأخذ منه المعلم ما يقوم به، وينفق منه علي الصبيان ما يقوم بهم وبكسوتهم، أما في مصر فيذكر ابن جبير أن من مآثر صلاح الدين الكريمة أنه أمر بعمارة محاضر ألزمها معلمين لكتاب الله عز وجل، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة، كما أوقف القاضي أوقافاً لتعليم الأيتام بالكتاب» [التربية الإسلامية د. أحمد شلبي - ص ٢٩٨]

ونلاحظ أن العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً من أجل أجور العلم وإنما يورثوا العلم فقط ونذكر ما جاءت به السنن والآثار من فضل العلماء في الدنيا والآخرة فيقول الأجرى «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو المصري، أخبرنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي عن ابن عبد السلام بن سليم، عن يزيد بن سمره عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ولفضل العالم علي العابد كفضل القمر ليلة البدر علي سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه بحظ وافر»⁽¹⁾*

ونجد أن العلماء في الأرض كمثل نجوم السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر والعالم هو الذي ينشر العلم ويمحو الجهل، لأن العلم نور والجهل ظلام، ويصبح المعلم كمثل رجل عمل سراجاً في طريق مظلم يستضيء بعلمه ويدعو إلي طريق الخير.

وقد أجاز القابسي العرف في مواضع كثيرة كما جاء عند الكلام في البطالة «وأما تخليه الصبيان يوم الخميس من العصر فهو يجري أيضاً عرف الناس» وكذلك بطالة الأعياد علي العرف المشتهر المتواطأ عليه، أما إذا كان العرف غير مستحسن فإنه ينسبه علي وجوب الابتعاد عنه.

العرف وتعليم الأطفال الأيتام:

كان القابسي دقيقاً في تناول تعليم الأطفال من جميع الجوانب النفسية والاجتماعية حتى يضمن للأطفال التعليم، ونجده ماهراً في معرفة أحوال البلاد الاجتماعية والدليل علي ذلك يذكر أن هناك بلدان لا يوجد فيها حكام يتولون رعاية الأطفال، فالعلاج أتباع العرف

(1) أخلاق العلماء - الأجرى - مصدر سابق ص ٣٥.

* رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، في صحيحة والبيهقي واللفظ الذي نقله المنذري في الترغيب والترهيب.

ورواه أيضاً أحمد والحاكم وصححه، وحسنه حمزه الكناني.

ورواة أيضاً ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ح ١ ص ٣٤.

في هذه البلدة عن طريق العادات والتقاليد الاجتماعية حيث يقول «وأن كان ببلد لا حاكم فيه نُظِرَ له في مثل هذا، لو اجتمع صالحوا ذلك البلد علي النظر في مصالح أهله، فالنظر في هذا اليتيم من تلك المصالح، وإن لم يكن لليتيم مال، فأمّة أو أولياءه الأقرب فالأقرب به، هم المرغبون في القيام به في تعليم القرآن. فإن تطوع غيرهم بحمل ذلك عنهم فله أجره، وإن لم يكن لليتيم من أهله من يعني به في ذلك، فمن عني به من المسلمين فله أجره»^(١) وأتباع العرف من الأمور الاجتماعية.

أخلاقيات مهنة التعليم (آداب المعلم في تعليمه):

من الجدير أن القابسي يطلق علي مهنة المعلم اسم "الصنعة" إذا المُعَلِّم صنعته التعليم ولقد تحدث فيما قبل عن آداب المعلم في تعليمه و هي أن يكون مستقيماً مخلصاً لله سبحانه وتعالى لكي يأخذ الأجر والثواب من الله حيث يقول «وإن لم يكن لليتيم من أهله من يعني به في ذلك، فمن عني به من المسلمين فله أجره، وإن احتسب فيه المعلم فعلمه الله عز وجل وصبر علي ذلك، فأجره إن شاء الله يُضَعَّف في ذلك، إذ هي صنعته التي يقوم منها معاشة، فإذا أثره علي نفسه استأهل - إن شاء الله - حظاً وافراً من أجور المؤثرين علي أنفسهم، ويكفيك من البيان عمّاً وصفت لك من ثواب من رغب في ذلك وسارع إليه»^(٢)

وبالجدير بالذكر أن القابسي أشار إلي تعليم الأيتام بدون أجر، لكي يصبح المُعَلِّم أباً له وهذا ما رواه الشافعي «وروا عن الشافعي أنه قال: كنت يتيماً في حجر أمي فدفعتني في الكتاب ولم يكن عندها ما تعطي المعلم، فكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام: فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء، وكنت أسمع الحديث أو المسألة

(١) أحوال المتعلمين في أحكام المتعلمين والمعلمين - القابسي ص ١٤٤.

(٢) المصدر السابق - نفس الصفحة

فأحفظها، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به قراطيس، فكنت إذا رأيت عظماً يُلَوِّح
أخذه فأكتب فيه الخ»^(١)

ويشير الإمام الغزالي إلي أن المعلم يجري من اليتيم مجري بنيه حيث يقول «فأول
وظائف المعلم: أن يُجري المتعلم منه مجري بنيه، كما قال عليه السلام [إنما أنا لكم مثل
الوالد لولده]، وليعتقد المتعلم أن حق المعلم أكبر من حق الأب فأنه سبب حياته الباقية
والأب سبب حياته الفانية.

وكذلك قال الاسكندر لما قيل له:

[أعلمك أكرم عليك، أم أبوك] فقال: [بل معلمي]

وكما أم من حق بني الأب الواحد أن يتحابوا ولا يتباغضوا، فكذلك حق بني
المعلم، بل حق بني الدين الواحد، فإن العلماء كلهم مسافرون إلي الله تعالى، وسالكون إليه
الطريق.

والترافق في الطريق يوجب تأكد المودة، فأخوه الفضيلة فوق أخوه الولادة»^(٢). وهذا
يدل علي تكافؤ الفرص في التعليم حيث (يستطيع الإنسان أن يقرر دون تردد ولا هوي أن
فرض التعليم في العالم الإسلامي كانت مكفولة للغني والفقير علي حد السواء، وأن الفقر
لم يقف عائقاً أما الراغب في العلم أو الساعي لا تشارف المعرفة)^(٣)

ويتحدث القابسي عن علاقة التقدم العلمي بالتقدم الاجتماعي والارتقاء الحضاري،
والعلم والتنبؤ بالمستقبل، ويبحث عن علاقة العلم بالتراث الثقافي ونسق الفكر عند المرأة
حيث يقول:

(١) ضحي الإسلام د. أحمد أمين ح ٢- ص ٥١.

(٢) ميزان العمل - الغزالي ص ٣٦٣.

(٣) التربية الإسلامية - د. أحمد شلبي - ص ٢٩١

مكانة المرأة التعليمية عند القابسي: "تعليم الإناث"

دائماً يسعى القابسي إلي مصالح الأنثي وينبهنها عليها لأن التعليم بالنسبة للمرأة فيه مصلحة لها حيث يقول «وأما تعليم الأنثي القرآن فهو حسن ومن مصالحتها»^(١) لكي تصبح المرأة المسلمة مزودة بالتقافة الإسلامية، والأخلاق الإسلامية والنبيل في أرفع صورة، وهذا ما يريد القابسي من تعليم المرأة.

يجدرنا القابسي من تعليم البنات الشعر والترسل "ضوابط تعليم المرأة في الإسلام"

«نادي القابسي بتعليم الإناث وأزال التحفظ والمحاذير التي كانت تحيط به فوضع لذلك برنامجاً معقولاً ومقبولاً يقتصر علي تعليمهن الدين والقرآن، لاشك أنه وضع قيوداً، فأجاز تعليمهم في حدود ضيقة، مع الضمانة لأخلاقهن وإذا أخذنا القابسي في قراءته التاريخية أو ضمن المجتمع الذي وجدنا فيه، فإننا لن نغض من قيمة رأيه في تربية الأنثي»^(٢) وتتم هذه الحلقة في إلزام التعليم بإشراك البنت إلي جانب الولد في هذه الفضيلة.

ونجد أن القابسي يضع قيود في تعليم الأنثي الترسل والشعر حيث يقول «فأما أن تُعلم الترسل والشعر وما أشبهه، فهو مخوف عليها، وإنما تعلم ما يُرْجى لها صلاحه، ويؤمن عليها من فتنته»^(٣)

(١) أحوال المتعلمين في أحكام المتعلمين والمعلمين - القابسي ص ١٤٤.

(٢) الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي د. الأمير ص ١١٥.

(٣) أحوال المتعلمين - القابسي ص ١٤٤.

«بيروي البلاذري أنه عند مجئ الإسلام كان هناك خمسة من نساء العرب يقرآن ويكتبن، وهو حفصه بنت عمر، وأم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد، وكريمة بن المقداد، والشفاء بنت عبد الله العدوية، التي كانت تعلم حفصة وقد طلب الرسول منها أن تستمر في تعلمها لحفصة حتى بعد زواج رسول الله منها» [التربية الإسلامية - د. أحمد شلبي ص ٣٣٢].

وإذا كان القابسي تحدث عن تعليم البنات والمرأة لأن العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة حياة ووجود، وقد كان الشعراء أكثر قدره علي التعبير عن هذه العلاقة لرهافة أحاسيسهم ورقة مشاعرهم.

وعند تناول القابسي تعليم البنات خوفاً من الجهل وهذا ينعكس علي تربية الأطفال منذ الصغر وهذا ما وجدنا في العصر الحديث عند الكواكبي حيث يقول أن «جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية والصبوة» هي علة من أكبر العلل التي أصابت الحياة القومية في الشرق بداء "الغرارة" كما سماه وفسره بالقصور عن طلب الإلتقان في أعمال العاملين وإن كان لهم علم بما يعملون ويشرقون عليه⁽¹⁾

ولا تتم في الأمة تربية قومية بغير تعليم المرأة كما قال الكواكبي في أم القرى: «إن ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في أخلاق البنين والبنات أمر واضح غني عن البنين»⁽²⁾ وهناك مهامات للمرأة في الحياة الأدبية، وكان في صفة نساء الأندلس ولادة بنت المستنكي التي عرفت بمساجلاتها الأدبية مع الشاعر ابن زيدون.

ويؤكد الإسلام علي تعليم المرأة فيقول خوليان ريبيرا «لم تكن للإسلام أية تحفظات فيما يتصل بتعليم المرأة، وأشد العلماء محافظة في المشرق لم يجتمع عن إجازة تعليم ذخائر السنة لهن، وهو علم ذو قداسة خاصة، ولدينا شواهد علي وجود أستاذات بلغن ثلاثاً وأربعين امرأة في كتاب المرأة في هذا المركز الديني العظيم، ويجب أن يكون من أشد الأمكنة محافظة، أكثر من أي مكان آخر، واحترام المرأة يمكن أن يفسر لنا كثيراً من العادات التي تخلفت عن الحضارات القديمة»⁽³⁾ و«لقد فرض العلم علي المرأة كما فرض علي الرجال في الإسلام، فقد سوي الدين الإسلامي بين المرأة والرجل في الأمور

(1) عبد الرحمن الكواكبي - عباس محمود العقاد - دار النهضة مصر - القاهرة - ص ١٦٧

(2) المرجع السابق - ص ١٦٦

(3) التربية الإسلامية في الأندلس - خوليان ريبيرا - ترجمة د. الطاهر أحمد مكي - دار المعارف الطبعة الثانية -

١٩٩٤م - ص ١٢٩.

الروحية والواجبات الدينية، ولم يفرق بينهما في العلم والتعلم. قال الرسول الكريم: «طلب العلم فريضة علي كل مسلم ومسلمة» من غير تفرقة بينهما في طلب العلم، فالعلم مقدس في الإسلام، وطلبة فريضة علي كل مسلم ومسلمة، وقد كان للمرأة العربية في الجاهلية الحق في التعلم. وكان بين النساء كاتبات وشاعرات، وحينما ظهر الإسلام بدأت الحياة العقلية تنشط وتحيا لدي العرب، وكسبت المرأة حقوقاً اجتماعية»^(١)

كيفية تعلم العلوم النبي تتعلمها المرأة في الإسلام:

أما عن تعلم البنات الخط فيقول القاسمي: «وسلامتها من تعلم الخط أنجي لها ولما أذن النبي ﷺ للنساء في شهود العيد أمرهن أن يخرجن العواتق وذوات الخدور، وأمر الحائض أن تعتزل مصلي الناس، وقال يشهدن الخير ودعوة المسلمين فعلي مثل هذا يقبل في تعليمهن الخير الذي يؤمن عليهم فيه وما ضيق عليهم منه»^(٢). وإن تعليم المرأة العلوم الشرعية يساعدها علي القيام بمسئوليتها تجاه أبنائها وأسرته، والقرآن الكريم ساوي بين الرجل والمرأة في أصل الخلقة.

المسؤولية والجزاء الحسن عند المرأة:

يتناول القاسمي الثواب الحسن وما يترتب عليه من فعل الخيرات والحكمة عند المؤمنات حيث يقول «وأعلم أن الله عز وجل قد أخذ علي المؤمنات فيما عليهن، كما أخذ علي المؤمنات فيما عليهن، وذلك في قوله جل وعز ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا...﴾^(٣) الآية» وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ...﴾ الآية» وجمعهما في حسن الجزاء في غير آية من كتاب الله، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ الآية» وأمر أزواج نبيه عليه السلام أن يذكرن ما سمعن منه ﷺ فقال: ﴿

(١) التربية الإسلامية وفلاسفتها. محمد عطية الإبراشي - الطبعة الثانية - عيسى الحلبي - القاهرة ص ١٢٧.

(٢) أحوال المتعلمين - القاسمي - ص ١٤٤.

(٣) سورة الأحزاب: بعض آية ٣٦.

وَأَذْكُرَنَّ مَا يُنْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴿١﴾ فكيف لا يُعلمن الخير، وما يعين عليه، ويصرف عنهم القائم عليهم ما يحذر عليهم منه، إذ هو الراعي فيهن والمسئول عنهن والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»^(٢)

وهكذا تزداد السمة الأخلاقية لمكانة المرأة عند القابسي، نظراً لاهتمامه بها، وعلي هذا الأساس نستطيع أن نفهم كيف أن بحث القابسي في آداب المرأة كان في الوقت ذاته معالجه تربوية حيث يقول في آداب المرأة: «وسألت هل يؤدب الرجل امرأته؟ فاعلم أن أدبه إياها مأخوذ من كتاب الله. وذلك قوله عز وجل: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۗ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾^(٣) فلكذلك كل شيء يجب عليها أن تطيعه فيه، إذا كان هو مؤدياً إليها حقوقها، وسالماً من ظلمها، فله أن يؤدبها عليه وأدبه إياها يكون بقدر استئصالها. وكذلك قال فيه العلماء»^(٤)

الأحكام الشرعية في تأديب المرأة:

ويأتي في السياق ذاته عند القابسي كيفية تأديب المرأة من الوجهة الشرعية حيث يقول «فإن ضربها علي وجه التأديب لها فقفا عينها، أو أعنتها، فإن ذلك من الخطأ. تحمل العاقلة ما بلغ الثلث منه فصاعداً وإن أنكرت ما أدعاه قبلها من خلافة. فهذا لا ينتهي منها إلي ما يوجب من ضربها وإلا فلا بد أن يسمع من الأهليين والجيران لأن أدبه إياها ليس يقع في أول مرة»^(٥)

(١) سورة الأحزاب: بعض آية ٣٤.

(٢) أحوال المتعلمين: القابسي - ص ١٤٥.

(٣) سورة النساء: بعض آية ٣٤.

(٤) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٩٣.

(٥) المصدر السابق - نفس الصفحة.

ومن المسائل التي تدل علي بصيرة القابسي بالأمور الاجتماعية ما ذكره عن الجميع بين الجنسين في التعليم وعن الاحتراس من البالغين.

موقف القابسي من مسألة الاختلاط في التعليم بين الذكور والإناث:

يقول النعيمي: «كما أن القابسي يرفض التعليم المختلط للأطفال، بل ويرى أن عدم الاختلاط يساعد علي سلامة سلوك الصبيان ويؤمنهم بالتالي عدم الانحراف أخلاقياً. لذلك يطالب المعلم ألا يخلط بين البنين والبنات»^(١)، ولذلك فأنه يجب أن يكون تصورنا عن الفروق الفردية في مرحلة المراهقة أنها فروق في نوع ما يملك المراهق. ويفكر القابسي علي عدم خلط الذكور بالإناث في العملية التعليمية حيث يقول: «ومن صلاحهم، ومن حسن النظر لهم، ألا يخلط بين الذكور والإناث»^(٢)

ويستدل القابسي علي واجبات المعلم في فصل الذكور عن الإناث من أقوال السلف الصالح فيقول: «وقد قال سحنون: أكره للمعلم أن يعلم الجوارى، ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن»^(٣) من النص السابق يجب معرفة المراهقة والإطار الثقافي، والعوامل الثقافية المحددة لسلوك المراهق والمدرسة. ويحذرنا القابسي المعلم من اختلاط الصبيان بعضهم بعضاً في فترة المراهقة.

وهذا ما وجدناه في وقتنا المعاصر حيث يقول «قال أبو الحسن: وأنة لينبغي للمعلم أن الصبيان بعضهم من بعض إذا كان فيهم من يخشي فسادهم، يناهز الاحتلام، أو يكون له جراً»^(٤). وهذا يدل علي معرفة مشاكل كل الانحراف الانفعالي في المراهقة.

ونظراً لأهمية مكانة المرأة في المجتمع، تناولها القابسي من حيث تعليمها وواجباتها، ومسؤوليتها تجاه العلم والأدب والتصوف، لذلك وجب علينا ذكر النسوة

(١) المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون - د. عبد الله الأمين النعيمي ص ١٤٧

(٢) أحوال المتعلمين - القابسي ص ١٦٥.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة

المتعبدان الصوفيات منهنّ رابعة العدوية، وكانت من أهل البصرة، وكان سُفيان الثوريُّ، رحمه الله عليه، يسألها عن مسائل ويعتمد عليها، ويرغب في موعظتها ودعائها. «حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت رابعة العدوية، وقال لها سُفيان الثوريُّ: ما أقرب ما تقرب به العبدُ إلي الله عز وجلّ؟ فبكت وقالت: مثلي يُسأل عن هذا؟ أقرب ما تقرب العبد به إلي الله تعالى أن يعلم أنه لا يحبُّ الدُّنيا والآخرة غيره»^(١)

ومن النسوة المتعبدات «لبابة العابدة» من أهل الشام:

«كانت من أهل الورع والنسك ذكر أحمد بن محمد الأنطاكي، عن أحمد بن أبي الحواري، قالت: سمعت أحمد بن محمد، يقول: قالت لبابة: إني لأستحي من الله تعالى أن يراني مشغولة بغيره بعد أم عرفته. قال: وقالت: المعرفة لله تورث المحبة له، والمحبة لله تورث الشوق إليه والشوق إليه يورث الأنس به، والأنس به يورث المداومة علي خدمته وموافقته»^(٢).

وهناك أقوال حكيمة للمتصوفات وهي «قالت فحروية مرة لأبي علي النقي رحمه الله: إن الإنسان إذا تكلم بالعلم يُريح قلبه ونفسه، ويعظم في نفسه، لاستحسانه كلامه. وإذا استعمل العلم أتعب نفسه وقلبه، ويصغر في نفسه، لعلمه بقله إخلاصه في معاملته. فبكي أبو علي [ثم قال]: لا أقول لم إلا ما قال عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه: امرأة أفتة من عمر»^(٣)

وعن الأدب وطلب العلم تقول عائشة بنت أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيريّ النيسابوري. كانت من أزهد أولاد أبي عثمان وأورعهم، وأحنهم حالاً ووقتاً وكانت مجابة الدعوة «سمعت ابنتها أم أحمد بنت عائشة تقول: قالت لي أمي: الزمي الأدب ظاهراً

(١) ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات- لأبي عبد الرحمن السلمي- تحقيق د. محمود محمد الطنحاي- الهيئة

المصرية العامة للكتاب ص ٢٧، ٣٠

(٢) المصدر السابق ص ٥٢.

(٣) المصدر السابق ص ٨٠.

وباطناً، فما ساء أحد الأدب ظاهراً إلا عوقب ظاهراً، وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً»^(١) وقالت الوهطية تقول: «احذروا ألا يكون شغلكم طلب راحات النفوس. وتوهمون أنكم في طلب العلم، وطالب العلم هو العامل به! وليس العمل بالعلم كثره الصون والصدقة والصلاة، وإنما العمل إخلاص العمل بصحته النية ومراقبة نظر الله»^(٢) والمنهج أحد الميادين الهامة للمدارسة في التربية، شأنه شأن ميادين أخرى كالأصول الفلسفية والاجتماعية والسيكولوجية للتربية، ويحتوي علي مجموعة من المقررات أو المواد الدراسية، مثل منهج العلوم الاجتماعية أو الرياضيات ومن:

مكونات المنهج الدراسي عند القابسي:

«يحدد القابسي بشكل عام المواد الدراسية التي تُشكل المنهج ويُلاحظ أن خطابه التربوي قد استحوذ بصورة غير اعتيادية علي المواد الدراسية»^(٣) وهذا المنهج الذي يعرضه القابسي يعكس لنا اهتمامات المجتمع بالثقافة الإسلامية بعناصرها الأصلية من قرآن وفقه و عبارات وأخلاق وعقائد.

أولاً: المواد الإجبارية:

- تشمل المواد الإجبارية ما يلي:

القرآن الكريم* حيث يقول: «وهم لابد لهم إذا علموهم الصلاة أن يعلموهم من القرآن ما يقرؤونه فيها» فالقرآن هو أول العلوم التي ينبغي أن يدرسها الصبيان ويشير القابسي إلي تعلم القرآن حتى يوم القيامة، حيث يقول«قد من فوق هذا الباب ما جاء لمن

(١) المصدر السابق ص ٨٥.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٦.

(٣) أحوال المتعلمين - القابسي ص ١٤٢.

* (كان القرآن الكريم هو مادة الدراسة في جميع الحلقات التعليمية التي كانت تعقد في صدر الإسلام. فكان الرسول (ص) يجلس إلي أتباعه لقرئهم القرآن، ويشرح لهم ما قد يغمض عليهم منه ويستتبط أحكام الدين من آياته وكان الرسول بطبيعة الحال يؤدي هذا العمل ابتغاء وجه الله واتجه الصحابة بعده [التربية الإسلامية د. أحمد شلبي ص ٢٣٣]

علم القرآن، وبينت ما يؤكد تعليمه والحرص عليه، ويحذرننا مما يشغل عنه لئلا ينساه من حفظ، بما فيه الكفاية، وفي قول الله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۗ﴾^(١) ما يلزم القيام بتعلم القرآن حتى يقول له من يبلغه إلي يوم القيامة وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۗ﴾ وهو ميسر للذكر إلي يوم القيامة، وما اختلف المسلمون أن القرآن هو حجة الله علي عبادة إلي يوم القيامة وأن علي المسلمين القيام به والدعوة إليه إلي يوم القيامة»^(٢).

ونظراً لأهمية القرآن الكريم يؤكد القابسي عليه فيصبح بالفعل من العلوم الإجبارية، لأن القرآن درس وإطلاع ودستور للمسلمين وأنة لغة العالمية «إن القرآن هو الكتاب الذي يقرأه الناس أكثر ما يقرأون، لأنة ليس كتاب دين فقط بل هو كتاب درس وإطلاع يعتمد عليه كل مسلم ومسلمة في تعلم اللغة العربية. وليس للقرآن ترجمة رسمية إلي لغة أجنبية إلا الترجمة التركبية، ولكنه نقل إلي نحو أربعين لغة»^(٣)

والقرآن الكريم هو الهادي إلي الجنة وهو الذي يحتوي علي القوانين والشرائع السماوية «ولقد أحصيت آيات القرآن فكانت ٦,٢٣٦ آية وأحصت كلماته فكانت ٧٧,٩٣٤ كلمة، وأحصيت كذلك حروفة فكانت ٣٢٣,٦٢١ حرفاً، والقرآن فلب الدين الإسلامي والهادي إلي الجنة، وهو فضلاً عن ذلك موجز علمي وصل سياسي يضم بين طياته مجموعة قوانين وشرائع لتدبير شؤون مملكة علي هذه الأرض»^(٤)

(١) سورة الأحزاب-بعض آية ٣٤.

(٢) أحوال المتعلمين-القابسي ص-١٤٥.

(٣) العرب تاريخ موجز د.فيليب حتى- دار العلوم للملايين- بيروت- ١٩٤٦م ص-٤٣.

(٤) المرجع السابق ص-٤٤.

ونود الإشارة إلي أن القرآن الكريم أساس الحضارة الإسلامية فهي حضارة عالمية لأنها ذات طابع مميز آخر، يجمع بين الدين والدنيا وبين الروح والمادة، لقد استطاع المسلمون أن يزاوجوا بين تعاليم الدين والبحث العلمي التجريب.

لقد كان من أبرز صفات الحضارة الإسلامية أنها امتكلت القوة التي تنشأ من امتزاج عالم الروح وعالم المادة... ولا غرابة إذن أن نجد باحثاً أوروبياً مثل "برك" يقول في كتاب له بعنوان "عرب الأمس وعرب الغد".."أن الطابع الذي ميز الحضارة الإسلامية هو الطابع الذي لم يفصل بين المادة والفكر، و بين النظر في الأشياء وتفصيلاتها، وبين الكليات والأفكار»^(١)

أساسيات المنهج عند القابسي وهي ما يلي:

- ١- الكتابة والخط العربي القرآن فيقول القابسي: «فأما ما كان من معاني التقوية علي القرآن: من كتابة والخط فما اختلفوا فيه»^(٢). ويؤكد القابسي أن القرآن مرجع المسلمين في معرفة العبارات والمعاملات، ولا سبيل إلي معرفة الحدود الشرعية إلا عن طريق القرآن.
- ٢- إعراب القرآن حيث يقول «ولقد ذكر ابن سحنون أنه ينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن، ذلك لازم له»^(٣) لأن النحو والعربية الغرض منهما قراءة القرآن علي الوجه الصحيح وحسن فهمه، والإعراب يميز المعاني الجميلة للغة العربية.
- ٣- ويجب علي المعلم « ويلزمه أن يعلمهم ما علم من المقارئ الحسنة وهو مقراً نافع، ولا بأس إن أقرأهم بغيره إذا لم يكن مستشعباً»^(٤)

(١) فضل علماء المسلمين علي الحضارة الأوربية د. عز الدين فراج- دار الفكر العربي- ص ٨.

(٢) أحوال المتعلمين- القابسي- ص ١٥٤.

(٣) أحوال المتعلمين- القابسي- ص ١٥٤.

(٤) أحوال المتعلمين- القابسي- ص ١٥٤.

٤- وتعليم الأدب عند القابسي أمر هام وضروري والمقصود هنا بالأدب هو آداب الطعام والسلوك الأخلاقي في الحياة العامة فيقول: «ويعلمهم الأدب، فإنه من الواجب لله عليه، وهو من النصيحة لهم، وحفظهم ورعايتهم»^(١)

والخلاصة أن المنهج الإجباري ينص علي تعليم القرآن والصلاة والدعاء والكتابة والنحو وبعض العربية. فكما ترمي إلي غاية واحدة هي معرفة الدين والعبادات.

وعندما يؤكد القابسي علي إعراب القرآن، والهجاء، والخط الحسن، ينبهنا إلي الأسلوب التربوي السليم وهو احترام وإجلال العلماء «فالملك المعظم شرف الدين عيسى الأيوبي صاحب دمشق، وكان من رعايا الأدب، اشترط لكل من يحفظ كتاب المفصل للزمخشري مائة دينار وخلعة فحفظه جماعة كبيرة»^(٢)، من النصوص السابقة الذكر نجد أن القابسي يؤكد علي المنهاج الدراسي في تعليم الخط، والسلوك الأخلاقي، قراءة القرآن وإعرابه، وفهمه، وهذا ما يسمى في عصرنا الحديث بسيكولوجية التنظيم العقلي.

«واستمر المسجد كذلك مكاناً لتعليم القرآن والحديث، وللقصاص يعظون، والفقهاء يعلمون الفقه، مدة العهد الأموي، فيذكر ابن خلكان أن ربيعة الرأي كان يجلس في مسجد رسول الله (ص) في المدينة ويجلس في حلقة مالك ابن أنس والحسن وأشرف أهل المدينة ويحدقون به»^(٣)

ويجب الإهتمام بعلماء النحو لأنهم يفسرون إعراب القرآن ونلاحظ أن (الرشيد عهد بتعليم ابنة الأمين إلي الأحمر النحوي ثم إلي الكسائي وعهد بتأديب المأمون لليزبيدي وسيبويه وغيرهما)^(٤)

(١) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٥٤.

(٢) فضل علماء المسلمين علي الحضارة الأوربية - د. عز الدين فراخ - ص ٣٤.

(٣) ضحي الإسلام د. أحمد أمين ح ٢ ص ٥٢.

(٤) فضل علماء المسلمين علي الحضارة الأوربية د. عز الدين فراخ - ص ٣٤.

وعلم النحو من مكونات المنهج الدراسي عند ابن سحنون والقابسي، لأنهما يهتمان بإعراب القرآن وعدم الوقوع في أخطاء نطق القرآن، وأيضاً أخطاء التفكير ونلاحظ أن لعلم النحو صلة وثيقة بعلم المنطق لأن الأثنان يعبران عن الفكر الصحيح واستخدام العقل في التفكير السليم، والاهتمام بإعراب القرآن وعلم النحو، والقراءة الحسنة، والخط الحسن، كل هذه العلوم من «عوامل النهضة الثقافية فهو العقل والتفكير العقلاني في مواجهة الخرافة والتفكير الخرافي، وفي الإسلام نجد أن العقل هو من ط الأهلية للخطاب الإلهي تشريفاً وتكليفاً»^(١)، ويجب بتحرير العقل خلوصه من كل محذور.

لا غرور إن تفت عليك الأنفس... فجمال معنك الأعزّ الأنفسُ

الفقه:

من يتعلم الفقه فهو خير من الله سبحانه وتعالى للإنسان وعن طريق الفقه نفهم كتاب الله حيث يقول القابسي «وأسألة أن يثبت القرآن في قلوب المؤمنين وأن يشرح صدورهم له، وأن يقبلوا بقلوبهم علي استنكاره وحسن تدبيره حتى يفقههم فيه علي ما بينه لهم الرسول المبين محمد خاتم النبيين»^(٢)

وعن أحكام الإجارة في تعليم الفقه يقول القابسي: «فأما تعليم الفقه والفرائض يستأجر الرجل من يعلم ولده ذلك، فسئل القاسم عنه فقال: ما سمعت -يعني من مالك- فيه شيئاً إلا أنه كره بيع كتب الفقه فإننا نري الإجارة علي تعليم ذلك لا تعجبني»^(٣)

ويستدل القابسي بأقوال السلف لتعليم الفقه حيث يقول: «وأما ابن سحنون فنذكر في كتابه، قال: قال مالك: لا أري أن يجوز إجارة من يعلم الفقه والفرائض، وقال لأبنة: روي

(١) فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي د. محمد السيد الجليبيد - دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة د.ت طبع وسنة النشر. ص ٤٦.

(٢) أحوال المتعلمين القابسي - ص ١٤٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٤.

بعض أهل الأندلس أنه لا بأس بالإجارة علي تعليم الفقه والفرائض والشعر والنحو وهو مثل القرآن»^(١)

وقد قال النبي «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٢)

ويجعل الإمام الغزالي العلوم الفقهية من العلوم العلمية حيث يقول «وأما العملي، فهي: الأحكام الشرعية، والعلوم الفقهية، والسنن النبوية و معرفة سياسة النفس مع الأخلاق كما مضي

ومعرفة تدبير أهل البيت، والولد، والمطعم، والملبس، وكيفية المعيشة والمعاملة.

وهذا اعلم الفقه، ويشمل علي ربع المعاملات، والنكاح والعقوبات. ثم إذا عرف أنواعها فينبغي أن يعرف مراتبها، كي لا يضيع العمر إلا في المقصود أو فيما يقرب منه»^(٣)

ويبين الإمام الغزالي أهمية العلوم الفقهية، لأنها عظيمة القدر بالنسبة للإنسان فيقول: «وأما الخائض في العلوم العلمية، المقتصر عليها أعني الفقهيات وتفصيلها، فحالة أقرب من حال المقتصر علي اللغات فهو بالإضافة إلية عظيم القدر كما أن العلم باللغات أيضاً بالإضافة إلي العلم بالرقص والزمير عظيم، ولكن إن أضيف إلي جانب المقصود، فهو في غاية البعد، ولا يتشكل ذلك إلا بمثال»^(٤)

ويؤكد الإمام الآجري في كتابة أخلاق العلماء عن أهمية الفقه من خلال تفسير العلماء للقرآن الكريم فيقول «قال محمد بن الحسين: وهذا النعت ونحوه في القرآن يدل

(١) المصدر السابق- نفس الصفحة.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجه، ورواه أبو يعلي وزادنية: «ومن لم يفقهه لم يبال به» أنظر المتنبي من الترغيب والترهيب ١-٢٥ «وقالوا: من أكثر من النحو حمقه، ومن أكثر من الشعر بذله، ومن أكثر من الفقه شرفه» [العقد الفريد-ابن عبد ربه ٢-٢٠٨.

(٣) ميزان العمل- الإمام الغزالي- مصدر سابق-٣٥٥.

(٤) المصدر السابق-٣٥٦.

علي فضل العلماء، وأن الله- عز وجل- جعلهم أئمة للخلق، يقتدون بهم، أخبرنا أبو بكر، حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، حدثنا مروان بن عبد الله الرقي، حدثنا فضل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد في قول الله: ﴿اتَّبِنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قال: الفقه، والعقل، والعلم»^(١)

بعد أن انتهى القاسمي من شرح المواد الإلزامية بدأ يستخدم المنهج المقارن في المقارنة بين تعليم القرآن وأهمية وتعليم الفقه حيث يقول: «فقال: كره ذلك مالك وأصحابنا، وكيف يشبه القرآن، والقرآن له غاية ينتهي إليها، وما ذكرت ليس له غاية ينتهي إليها، فهذا مجهول والفقه والعلم أمر قد اختلفت فيه، والقرآن هو الحق الذي لا شك فيه، والفقه لا يستظهر مثل القرآن وهو لا يشبهه»^(٢) ويحذرنا القاسمي من دفع الإجارة علي علم الفقه ويستشهد بقول سحنون فيقول: «قد وصفت لك فيما تقدم احتجاج سحنون في الإباء من تحذير الإجارة علي تعليم الفقه والفرائض وغير ذلك مما فرق بينه وبين الإجارة علي تعليم القرآن، فافهمه إذا مررت به، فإنه حسن»^(٣)

ويعلل القاسمي عدم مقارنة تعليم القرآن و الإجارة عليه بالفقه فيقول: «أن القرآن تعلمه غاية ينتهي إليها، والفقه وغيره من العلوم ليس له غاية. يريد أن القرآن إنما يتعلم استظهاره، وهو شيء مجموع أن يُشترط استكمالها فله غاية. وهو ما هواه المصحف المجتمع عليه من سور القرآن المعودة، والفقه إنما التعلم به بالفهم فيه، وهو شيء لا يحاط به، ولا يعرف من الفهم جزء مقتصر عليه والنحو مثله، وكل شيء يحتاج إلي الاستنباط منه بالفهم فيه فهذا سبيله»^(٤)

(١) أخلاق العلماء - أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى - المتوفي ٣٦٠ هـ تقديم وتحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح - ص ٣٢.

(٢) أحوال المتعلمين - القاسمي - ص ١٥٤.

(٣) المصدر السابق - ص ١٥٩.

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة.

ومن خلال النص السابق للقاسمي نجد أن يستخدم أسلوب المقارنة بين الإجارة علي القرآن والفقه ليبين لنا أن القرآن الكريم له شروط ومميزات وهي ما يلي:

- ١- أن القرآن تعلمه غاية وهدف أسمى
- ٢- تعلم القرآن يريد استظهاره أي أنه يجب حفظه تماماً بالحركات والسكون حتى نحافظ عليه من الوقوع في أخطاء قراءته.
- ٣- القرآن الكريم عند تعلمه له غاية نظراً لأن المصحف المجتمع عليه من سور القرآن محدودة ومعدودة.

أما الأحكام الفقهية فهي التي تتميز بالفهم والاجتهاد فيقول القاسمي:

- ١- إذا كان القرآن لتعلمه غاية فإن الفقه ليس له غاية وهي الفهم.
 - ٢- إذا كانت سور القرآن معدودة فإن الفقه هو شيء لا يحاط به ويعتمد علي الفهم.
 - ٣- الأمور الفقهية تتم عن طريق الاستنباط والفهم فهذا هو سبيله.
- ويؤكد الأجرى علي هذه المقارنة ليثبت أن الفقه يتم عن طريق العقل والفهم حيث يقول: «أخبرنا أبو بكر، حدثنا أبو بكر أبي داود، حدثنا أسيد بن عاصم، حدثنا الحسين - يعني ابن حفص الأجهاني، حدثنا سفيان عن ابن أبي بجيح عن مجاهد في قول الله - عز وجل - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ قال: -العقل والفقه والإصابة في القول في غير نبوة»^(١)
- ويزيد الأجرى المقارنة تفسيراً ووضوحاً بين القرآن والفقه فيقول «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو العباسي أحمد بين سهل الأشناني، أخبرنا الحسين بن الأسود العجلي، أخبرنا يحيى بن آدم، أخبرنا شريك، عن ليث، عن مجاهد في قول الله - عز وجل - (وأولي الأمر منكم) قال: الفقهاء، والعلماء. قال: وحدثنا يحيى بن آدم، أخبرنا الفضل بن مهلهل، عن مغیره، عن إبراهيم مثله»^(٢)

(١) أخلاق العلماء - الأجرى - مصدر سابق ص ٣٢.

(٢) المصدر السابق ص ٣٣.

والتعليم في تلك المرحلة تعليم متخصص وفق صناعة الصبي في المستقبل التي تُختار له وفق ميوله واستعداداته، وهو تعليم مفتوح النهاية، أي أنه مستمر مدي الحياة، لأنه يشمل:

المواد الاختيارية في المنهج الدراسي عند القابسي:

أما العلوم النظرية -كالرياضيات- فإنها تُدرس خصوصاً بالبرهنة، وهناك قمة التربية بالعقل التي تعتمد علي منهج القياس:

- ١- فالحساب « وينبغي له أن يعلمهم الحساب وليس ذلك بلازم»^(١)
- ٢- الشعر «ولا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش»^(٢) من النص السابق يستخدم القابسي السنة: «وقد ثبت الرواية عن رسول الله ﷺ أنه قال (إنما الشعر كلام، فحسنة حسن وقبيحة قبح»
- ٣- علم التاريخ «ومن يربط كلام العرب وأخبارها، وليس ذلك بواجب عليه»^(٣)
- ٤- استطاع أن يربط القابسي بين التعليم والحرف المهنية وهذا ما يسمي في وقتنا الحالي بالتعليم الفني حيث يقول: «هو عندنا معروف بمنزله الحنطة والخبر، وقد أجاز مالك الشرط علي تعليم الحنطة والخبر، وما أشبه ذلك من الصناعات»^(٤). وهذا ما يسمي في العصر الحديث بالتربية المهنية، والتي تهدف إلي تنظيم اقتصاد البلاد، وإلي التعليم المقنن.

٥- تعليم الخطابة: «ولا بأس أن يعلمهم الخطب إن أرادوا»^(٥)

وروي الطبراني في الكبير ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم، والفقہ بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقه في الدين وإنما يخشي الله من عباده العلماء».

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة

(٢) المصدر السابق - نفس الصفحة

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة

(٥) المصدر السابق - نفس الصفحة

ومن الجدير أن القاسمي يبين لنا الإجابة علي المواد الاختيارية حيث يقول: «أما الاستئجار علي تعليم الشعر لولده، يقال فيه ابن القاسم: قال ما لم: لا يعجبني هذا»^(١)

فيما سلف ذكر ينبهنا القاسمي إلي الاهتمام بالتعليم الفني مثل الحناطة والخبر وغيرها من الصناعات المتعددة، ويؤكد علي هذه الصناعات الإمام الغزالي فيقول «أما التعليم فهو أشرف الأعمال. والصناعات ثلاثة أقسام:

إما أصول، لا قوام للعالم دونها وهي أربعة:

الزراعة، والحياسة، والبنائة، والسياسة

وأما مهياة لكل واحدة منها، وخادمة لها:

كالحدادة: للزراعة، والحلاجة، والغزل: للحياسة

وإما متممة لكل واحدة من ذلك، ومزينة لها:

كالطحانة والخبز: للزراعة والقصادة والخياطة: للحياسة

وذلك بالإضافة إلي قوام العالم: الأرض مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلية، فإنها ثلاثة أضرب: إما أصول: كالقلب، والكبد، والدماع، وإما مرشحة لتلك الأصول، وخادمة لها كالمعدة، والعروق، والشرابين، وإما مكملة ومزينة لها: كالهدف، والحاجب»^(٢)

ويؤكد القاسمي علي الثقافة المهنية من خلال النصوص السابقة وهي «الأعداد المهني للمربي وينبغي أن يكون إعداداً طويلاً الأمد يتم من خلاله شيئاً بعد شيء، وتحويل الثقافة العامة المستمرة شطر ممارسة المهنة»^(٣) وهذه «الموهبة التربوية التي يهديها وينير طريقها التعليم العملي، ونجد امتدادها في الفضائل المهنية التي ينبغي علي المربي أن

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة

* وقد بحث الفقهاء في تعليم الحساب، والتمسوا له عله دينية هي الفائدة في معرفة المواريث وقسمتها كما هو وارد في الشرع، فإذا كانت هناك ضرورة لتعلم الحساب فهي إذن ضرورة شرعية لا اجتماعية او مادية (التربية في الإسلام د. أحمد الأهواني ص ١٠٨)

(٢) ميزان العمل - الإمام الغزالي - ص ٣٢٩، ٣٢٨

(٣) التربية العلمية - روتية أوبيير - ترجمة د. عبد الله عبد الدائم - ص ٨٠٠.

يطلقها أثناء ممارسته لوظيفته»^(١) والثقافة المهنية عند القاسمي تقوي المعاني والمفاهيم المكتسبة وتنمية مبادئ الأخلاق وقواعدها.

دراسة علم التاريخ *

ووفقا لما تقدم، ومن قراءة النصوص في المواد الاختيارية عند القاسمي يفصل لنا القول في الإجازة علي تعليم الشعر فهناك الرأي والرأي الآخر في ذلك حيث يقول: «وأما ابن حبيب فقال لا بأس بإجازة المعلم علي تعليم الشعر والنحو والرسائل وأيام العرب، وما أشبه ذلك من علم الرجال وذوي المروءات لا بأس بالإجازة علي ذلك كله»^(٢)، وهذه المادة تعرف في المناهج الحديثة بعلم التاريخ السياسي، وعلماء التربية يقدمون علم التاريخ في الأهمية بالنسبة للطفل علي العلوم الطبيعية.

ويذكر القاسمي بعد ذلك أن هناك أنواع من الشعر لا يجوز تعلمها فيقول «إلا أنني أكره من تعليم الشعر وتعلمه وروايته الكبير والصغير، ما فيه ذكر الحمية والخناء، أو قبح الهجاء. قال: وقد ثبت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنما الشعر كلام فحسنة حسن و قبيحة قبيح»^(٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من الشعر حكمة»^(ب)^(٤) وقالوا: البلاغة ما حسن من الشعر المنظوم نثره، ومن الكلام المنثور نظمة، وقالوا: البلاغة ما كان من الكلام حسناً عند استماعه، موجزاً عند بديهته»^(٤) وقد اعتمد القاسمي في تعليم الشعر علي أحاديث الرسول، ولم يقف القاسمي في سبيل تعليم الشعر بل نصح منه بمقدار.

(١) المرجع السابق - ص ٨٠٥.

* وعلم التاريخ يهتم بالمنهج التاريخي الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ولا يقف عند مجرد الوصف وإنما يدرس هذه الوقائع ويحللها ويفسرها علي أسس منهجية دقيقة.

(٢) أحوال المتعلمين - القاسمي ص ١٥٥.

(أ) ورد في البخاري

(ب) ورد في البخاري وأبو داود وابن ماجه

(٣) أحوال المتعلمين القاسمي ص ١٥٥.

(٤) العقد الفريد - ابن عبد ربه - ح ٢ - ص ٢٦٣.

وتصديقاً علي حديث القاسمي من أنة يجب علي المعلم أن يمنع الصبيان من شعر الخلاعة والمجون فيقول الشيرزي «وينبغي للمؤدب أن يمنع الصبيان من حفظ شئ من شعر ابن الحجاج والنظر فيه، ويضربهم علي ذلك وكذلك ديوان صريح الدّلا فأنة لا خير فيه، وكذلك الأشعار التي حملتها الروافض في أهل البيت، فلا يُعرفهم شيئاً من ذلك، بل يعلمهم الأشعار التي مُدحت بها الصحابة رضوان الله عليهم ليرسخ ذلك في قلوبهم»^(١)

تعليم المرأة الشعر عند القاسمي:

«وإن من يدرس هذا الموضوع وهو: تعليم المرأة في الإسلام يجد رأيين متناقضين فيه. الرأي الأول: رأي من يقول بتعليم المرأة القرآن الكريم والدين الإسلامي ليس غير، وينهي عن تعليمهما الكتابة والشعر. وقد بلغ أنصار هذا الرأي، وادعوا أن المرأة ناقصة العقل والدين، وأن نصفها لا يشجع علي تعليمها العلوم، وفي هذا المعني يقول شاعرهم:

النساء ناقصات عقل ودين ما رأينا لهن رأياً سنياً
ولأجل الكمال لم يجعل الله تعالي من النساء نبيا

ومنهم القاسمي الفقيه القيرواني، فهو لا يري بأساً من تعليم المرأة القرآن والدين لا «الترسل والشعر.... وإنما تتعلم ما يرجي له سلامة، ويؤمن عليها من فتنته، وسلامتها من تعلم الخط أجي بها» وهو رأي يسئ الظن بالمرأة، ولا تقول به أكثرية المسلمين»^(٢)

وأدت الدراسات القرآنية والعربية إلي تطور كبير في الدراسات اللغوية والأدبية والنحوية ولذلك يتحدث القاسمي عن **المواد التطوعية** ومنها جميع النحو، وكان الحافظ الديني هو دافع علماء المسلمين للحفاظ علي لغة الضاد، التي هي وعاء المقدرات

(١) نهاية الرتبة في طلب الحسبة عبد الرحمن نصير الشيرزي تحقيق د/السيد الباز العربي - دار الثقافة - بيروت لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ص ١٠٤، ١٠٥.

(٢) التربية الإسلامية وفلسفتها - محمد عطية الإبراشي - مرجع سابق ص ١٣٠، ١٣١.

للإسلام، فكان النهوض المبكر من أبي الأسود الدؤلي لوضع الضوابط النحوية، وهناك كتاب " غريب القرآن " وعبقريّة الخليل ابن أحمد (١٠٠-١٧٥هـ) في كتبه: معجم العين- والإيقاع والنغم، والنقط والشكل، والعروض والشواهد، والجمل، ومعاني الحروف، وهناك سيبويه ١٨٠هـ، ويروي عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: «الشعر، ديوان العرب فإذا اخفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلي الشعر، ويقول: إذا تعاجم شيء من القرآن فانظر في الشعر فإن الشعر عربي».

المواد التطوعية في المنهج الدراسي عند القاسبي:

يقول القاسبي هناك بعض المواد التطوعية التي يقوم بها المعلم وهي: «وكذلك الشعر، والغريب، والعربي، وجميع النحو، هو من ذلك متطوع»^(١) ونجد أن الفضائل النفسية، لا سيما العلم والعقل لا يحتاج إلي أعوان وحفظة بخلاف المال فإن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال. والعلم يزيد بالإنفاق والمال ينقص به. والعلم النافع في كل حال ومطلق أبداً. والمال تارة يجذب إلي الرذيلة، وتارة إلي الفضيلة، ولذلك ذم في القرآن في مواضع، وإن سمي خيراً في مواضع. ويتناول هذه المواد التطوعية ويهتم بها فنجد أن الإمام الغزالي يقول «أن تعرف أنواع العلوم بقول جملي، وهي ثلاثة: علم يتعلق باللفظ من حيث المعني وعلم يتعلق بالمعني المجرد. أما المتعلق باللفظ فهو ما عرف به المعاني بالحسن. وأريد أن تعرف الألفاظ الموضوعية بالإصلاح للدلالة عليها و هي قسمان:

(١) أحوال المتعلمين - القاسبي - ص ١٥٥.

أحدهما: علم اللغات

والآخر: لواحقها، كالعلم الاشتقاق، والإعراب، والنحو والتصريف، وعلم العروض، والقوافي، وقد ينتهي إلي العلم بمخارج الحروف وما يتعلق به»^(١) وبذلك تناول ابن القاسمي مناهج التعليم بأنواعه الثلاثة السابقة (التعليم النقلي، والتعليم العقلي، والتعليم الحرفي، لكي يكمل لنا صورة التربية ومناهجها في عصره.

وهناك علوم اختيارية أهميتها في حياتنا اليومية أشار إليها القاسمي في كثير من الفقرات التي مرزكرها، لذلك نجد أن الإمام الغزالي يشير إلي هذا فيقول «وأما المتعلق بالمعني من حيث يدل باللفظ عليه، فعلم:

الجدل، والمناظرة**، والبرهان، والخطابة فإن الناظر في هذه العلوم عالم باللغة وموجب الألفاظ وعالم بالمعاني وعالم بترتيب إيراداتها، وكيفية نظمها علي وجه يؤدي إلي تحصيل العلم اليقيني فيكون برهاناً، أو إلي إفحام الخصم فيكون جدلاً أو إلي إقناع النفس الإقناع الذي ينبغي للاستدراج والمحالة فيسمي خطابة ووعظاً، ويسمي أيضاً دليلاً، فإنها تدل المخاطبين علي المقاصد، وتسوقهم إلي اعتقادهم التي فيها نجاتهم»^(٢)

ونستنبط من فقرات القاسمي والإمام الغزالي كثير من العلوم مثل علم الجدل والمناظر والبرهان والخطابة فإن هذه العلوم لا يمكن استخدامها إلا إذا كان المعلم عالماً باللغة ومحتوياتها مثل الألفاظ والعبارات وعلم المعاني، ويصبح المعلم بالفعل مثقفاً عالماً بالنسق التربوي الذي يؤدي إلي الازدهار العلمي أما عن الثقافة فيقول مالك بن نبي «الثقافة إذن تتعرف بصورة عملية علي أنها مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم

(١) ميزان العمل الإمام الغزالي - ص ٣٥٢.

** المناظرة وهي فن الحوار وتجلي نبوغ الإمام محمد بن سحنون وبراعته في مجال المناظرة التي هي ضرب من الحوار العلمي يناقش فيه الرأي المخالف، ويدعم الرأي المنصور بالحجة والدليل لإقناع المعارض به، وشملت مناظراته إثبات صحة العقيدة الإسلامية.

(٢) ميزان العمل - الإمام الغزالي - ص ٣٥٣، ٣٥٢.

الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته. كرسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة علي هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعة وشخصيته»^(١)

فإذا كانت المراد التطوعية في المنهج الدراسي عند القاسبي تمثل روافد الثقافة الإسلامية والحضارة الأخلاقية، والقيم الاجتماعية، فكيف تصل إلي المتعلم لذلك وضع القاسبي للمعلم آداب وشروط في كيفية توصيلها، وهي

وتجدر بنا الإشارة هنا إلي أن القاسبي يتأمل النفس الإنسانية، ويفحص عن سلوك الناس في المجتمع ومن أمثلة الحكم القائم علي معرفة النفس ما جاء في آداب المعلم مع المتعلم فيقول عن:

آداب المعلم وشروطه عند القاسبي:

يبحث القاسبي عن أخلاقيات مهنة المعلم، وتحمل المسؤولية وما يترتب عليها من نتائج دينية وأخلاقية والتزامات شرعية حول النواحي المهنية، ومن أهم أخلاقيات مهنة المعلم هي ما يلي:

١- ينبغي للمعلم «أن يتفقدهم بالتعليم والعرض»^(٢) و«ويتعاهدهم ويتحفظ منهم وينهاهم عن الربا»^(٣) لذلك طلب القاسبي من المعلم أن يكون رجلاً فاضلاً يدرك قيم المجتمع والفضائل الخلقية التي يجب أن يثبت عليها الطلاب حتى يقتدوا به، وعاقلاً ذا دين بصيراً بالاستقامة.

٢- من واجبات المعلم الاستقامة: قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤) فالاستقامة هي القيام بما

(١) شروط النهضة- مالك بن نبي ترجمة عمر كامل مقادي د. عبد الصبور شاهين دار الفكر- دمشق- سوريا- د.ت ص ٨٩.

(٢) أحوال المتعلمين- القاسبي- ص ١٦٥.

(٣) المصدر السابق- ص ١٦٦.

(٤) سورة هود آية ١١٢.

أمر الله به، وفي الذي قدمنا قول الله جل وعز ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١) وفي وصف أولي الألباب ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾، فتلك الأوصاف كلها، من وفي بها فهو المستقيم.^(٢)

«فمن صفته أن يكون لله شاكراً، وله ذاكراً، دائم الذكر بحلاوة حب المذكور، منعم قلبه بمناجاه الرحمن، يعد نفسه مع شدة اجتهاده خاطئاً مذنباً ومع الدؤوب علي حسن العمل مقصراً»^(٣)

وفي سياق آداب المعلم وشروطه عند القابسي يؤكد علي هذا الأجرى فيقول في ذكر أخلاق هذا العالم وأوصافه فيما بينه وبين ربه عز وجل «قال محمد بن الحسين جميع ما تقدم ذكرنا له، مما ينبغي للعالم أن يستعمل من الأخلاق الشريفة كلها ما تجري له بتوفيق من مولاه الكريم، ومن جري له التوفيق بما ذكرنا، كان استعماله للأخلاق الشريفة فيما بينه وبين ربه-عز وجل- أعظم شأنًا مما قد أوصله مولاه الكريم إلي قلبه يمنعه بها شرفاً له بما خصه من علمه إذ جعله وارث علم الأنبياء وقرّة عين الأولياء، وطبيباً لقلوب أهل الجفاء»^(٤)

ومن واجبات المعلم عند ابن سحنون والقابسي - لا بد أن ملتزماً بالرفق والأناة، وهذا ما يمكن تحقيقه في الصحة النفسية عند الطالب «قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أوتي حظه من الرفق فقد أوتي خيره من الدنيا والآخرة، وقالت الحكماء: يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف، ألا تري أن الماء علي لينة يقطع الحجر علي شدته، وقال النابغة: الرفق يُمنُّ والأناة سعادة... فاستأن في رفق تلاق نجاحاً. وقالوا: العجل يريد الزلل»^(٥)

(١) سورة الرعد: آية ١٩.

(٢) أحوال المتعلمين-القابسي-ص١٢٧.

(٣) أخلاق العلماء-الأجرى-ص٦٢.

(٤) أخلاق العلماء-الأجرى-ص٦٢.

(٥) العقد الفريد- ابن عبد ربه-٢-ص٣٦٠.

ويكون المعلم ملتزماً بالحياء لإتمام شروط النسق التربوي في العملية التعليمية» قال النبي صلى الله عليه وسلم الحياء خيرٌ كله. الحياء شعبة من الإيمان، وقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى يُحِبُّ الحَيِّ الحليمَ لمتعفف، ويكره البذئ السَّالِّ المُلحف. وقال عون بن عبد ربه: الحياء والحلم والصمت من الإيمان. وقال مكتوب في التوراة: إذا لم تستح فاصنع ما تشاء. وقال: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه»^(١)، أما من واجبات المتعلم تجاه المعلم فهي «وعظم العلماء واحترافهم وألزم قلبك احترامهم، والأدب معهم، ولا تعترض إلا أن رأيت فعلاً حراماً محققاً، لا يحتمل الحرمة والحل، فإن الله عز وجل حرم أن يُظنُّ بالمسلم السوء»^(٢)

ونلاحظ أن نظرية القاسمي حول التربية تحتل مكانة مميزة، وبالتربية يتحقق كمال الإنسان، فالكائن البشري يملك بالفطرة استعدادات خاصة، ولكنة بالتربية يتعلم مهنة أن يكون إنساناً لذلك:

١- يجب علي المعلم أن يحسن في عمله: «فبين عز وجل لمن عمل بطاعته أن يعمل ذلك عملاً حسناً وكذلك قول عز وجل: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٣) و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وما كان يمثل هذا كله، فمعني ذلك إحسانهم ما عملوه لله عز وجل»^(٤)

٢- من أخلاقيات مهنة المعلم أن يتمسك بالوفاء الحسن وصفة الصالحين قال الله عز وجل ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥) (٦) لذلك نجد أن القاسمي تنبه إلي أن المعلم لا ينقل

(١) المصدر السابق-ص٤١٣.

(٢) كشف اللبس في مناصحة النفس محمد أبو الحسن البكري الصديقي-ص٢٠١.

(٣) سورة الكهف- بعض آية ٣٠.

(٤) أحوال المتعلمين- القاسمي ص١٢٧.

(٥) سورة النحل-آية ٩٧.

(٦) أحوال المتعلمين- القاسمي ص١٢٩.

إلي طلابه المادة العلمية فقط، بل ينقل إليهم ما يؤمن به من قيم وأفكار، وما يتحلي من آداب وفضائل.

من آداب المعلم في درسه: «واتخذوا لأولادهم معلماً يختص بهم، ويداومهم ويرعاهم حسب ما يرعي المعلم صبيانه، وبعد أن يمكن أن يوجد من الناس من يتطوع للمسلمين فيعلم لهم أولادهم ويحسب نفسه عليهم، ويترك التماس معايشة، وتصرفه في مكاسبه وفي سائر حاجياته، صلح للمسلمين أن يستأجروا من يكفيهم تعليم أولادهم، ولازمهم لهم»^(١).

لذلك يقول الإمام الغزالي «اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأكدتها والصبيان أمانة عند والدية، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلي كل نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة»^(٢).

وبالمقارنة بين أقوال القاسمي والأجري في آداب المعلم في درسه وجدنا أن المعلم يجب عليه أن يعمل بعلمه لكي يتفق جوهرة مع مظهرة، وأن يكون قدوة حسنة فيقول الأجري «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود، أخبرنا بندار محمد بن بشار، أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن حبيب بن عبيد، قال: قال أبو الدرداء: لا تكون عالماً حتى تكون بالعلم عاملاً»^(٣).

ويقول الأجري في باب ذكر سؤال الله لأهل العلم عن علمهم ماذا عملوا فيه «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو سعيد المفضل بن محمد اليماني في المسجد الحرام، أخبرنا صامت بن معاذ، أخبرنا عبد الحميد، عن سفيان الثوري، عن صفوان بن سليم، عن عدي بن عدي، عن الضابحي عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال قدما عبد يوم

(١) المصدر السابق - ص ١٤٧

(٢) إحياء علوم الدين الغزالي - ح ٣ - ص ٥٤

(٣) أخلاق العلماء - الأجري - ص ٧٠.

القيامه حتى يُسئل عن أربع خصال، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه و فيما أنفقته، وعن علمه ماذا عمل فيه»^(١).

ومن واجبات المُعلم تجاه المتعلمين في النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي في إنشاء ونشر ومشاركة العملية التعليمية، لا بد أن يكون أسوة للطالب عن طريق التحلي بالصفات الأخلاقية، والقدرة علي التحكم في تصرفات الأطفال والسماح للطلبة للتعبير عن أنفسهم، لتحفيز الطلبة علي مواصلة التعلم، إذا كان المُعلم متمسكاً بالشفقة والمحبة وطلاقة الوجه حيث يقول الإمام الغزالي «فالعلم أسوة الطالب ولهذا لا بد من أن يتصف بكريم الصفات ونبيل الأخلاق، وسيأتي أنه ينبغي أن يعامل طلابه بالشفقة والمحبة كأولاده والتبسم وطلاقة الوجه، ويخلص لهم في التعليم ويشعرهم بالتواضع والأبوة، ويتعاون معهم في إنجاز العملية التربوية ويغرس في نفوسهم مشاعر التوقير والتعظيم لشخصه وعلمه ويبتعد عن إزعاجهم وزجرهم وعقوبتهم إلا بقصد التأديب والتقويم»^(٢)، وكل هذا الخصائص السابقة تم شرحها في الفصل الثاني.

ثم بعد ذلك يتناول القابسي في التربية، ليتمكن المدرس من دراسة نفسية الطفل، والنزول إلي مستواه، والاتصال العاطفي به، ليكون جسراً يوصل خلاله إلي عقل التلميذ

٤- من مهام المعلم للمتعلمين من الأطفال: «هذا المعلم قد حمل عن آباء الصبيان مؤونة تأديبهم، ويبصرهم استقامة أحوالهم، وما يُئمي لهم من الخبر أفهامهم، ويُبعد عن الشر ما لهم وهذه عناية لا يكثر المتطوعين بها»^(٣)

٥- النية الخالصة في عمله: «وإنما هو عوض من العناية بالتعليم، والقيام لرياضة حسب ما نقدم من أول. وما كان إنما يعمل لله، لا يجوز أن يعمل بغير ذلك من الأعواض

(١) المصدر السابق - ص ٦٩.

(٢) إحياء علوم الدين الإمام الغزالي - دار المعرفة - ١٤٠٣هـ - ١ - ص ٣٨

(٣) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٤٧.

التي تتال في الدنيا، إلا علي معني غير المعاوضة من العمل نفسه الذي لا يكون إلا لله»^(١). وقال أبو حاتم: الواجب علي العاقل: مجانبه ما يندس علمه من أسباب هذه الدنيا مع القصد في لزوم العمل بما قدر عليه، ولو استعمال خمسه أحاديث في كل مائتي حديث. فيكون كأنه قد أوي زكاة العلم^(٢).

٦- لابد أن يتمسك بالوفاء وشروط التعليم حيث يقول: «ولا يضره أخذ الأجر شيئاً إذا وفي بشروط التعليم»^(٣). لأن من وفي بالعهد فاز بالحمد، ولا وفاء لمن ليس له حياء، والعاقل يرغب في الأدب، والجاهل يهرب منه.

٧- ينبغي علي المعلم أن يعلمهم الجانب الروحاني «وحفظهم ورعايتهم، وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين، ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر»^(٤) ومجمل القول عند القاسمي أن التعرف علي الأهداف التربوية في الإسلام من حيث مفهومها و مصادرها والتعرف علي المدلولات التربوية للعقيدة، والتعرف علي ما تسهم به العبادات في إعداد الإنسان، وتقويم مادة حفظ القرآن الكريم، في تطهير النفس بالعلم والعمل وحفظ سلوكيات الأطفال.

ومن شروط الجانب الروحاني أن يعلم العالم والمتعلم أن عبادة الله لا تكون إلا بعلم، ويجب عبادة الله بموضوعية علمية بعيداً عن الأهواء الشخصية فيقول الأجري « فمن صفته لإرادته في طلب : أن يعلم أن الله - عز وجل - فرض عليه عبادته، والعبادة لا تكون إلا بعلم، وعلم أن العلم فريضة عليه، وعلم أن المؤمن لا يحسن به الجهل، فطلب العلم لينفي عن نفسه الجهل، وليعبد الله - عز وجل - كما أمره، ليس كما تهوي نفسه في

(١) المصدر السابق - ص ١٤٨.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - البستي ص ٢٩.

(٣) أحوال المتعلمين - القاسمي ص ١٤٧.

(٤) أحوال المتعلمين - القاسمي ص ١٤٧.

سعيه، بل يري لله - عز وجل - الفضل عليه إذ وفقه لطلب علم ما يعيده به من أداء فرائضه، واجتناب محارمه»^(١)

وإذا كان المعلم يعلم المتعلم الجانب الروحاني فهما شريكان الأجر «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا زهير بن محمد، أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن عاصم بن بهدله عن زر بن حبيش، قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي فقال: ما جاء بك؟ فقلت: جئت ابتغاء العلم. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل خرج من بيته ليطلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا لما يصنع»^(٢) وأخبرنا أبو بكر، أخبرنا الفرياني، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي، أخبرنا صدقة بن خالد أخبرنا عثمان بن أبي أمانة الباهلي، أن رسول الله ﷺ قال «عليكم بالعلم قبل أن يُقبضُ وقبل أن يُرفع ثم جمع بين أصبعية الوسطي والتي تلي الإبهام وقال: العلم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس بعد»^(٣)

والنسق التربوي في العملية التعليمية عند ابن سحنون والقاسمي يحتوي علي المحتوى الأساسي للتربية، والتطبيقات التربوية بين المعلم والمتعلم لها دور فعّال لأنها «تثبت بينهم أفكاراً تكون سبباً لتتوير البصيرة، وتطهير السريرة، وتحرك فيهم حمية الغيرة، فينتبهون بذلك من غفلاتهم، ويستيقظون من سباتهم، ويلتفتون إلي مصالحهم، ويقولون عن قبائحهم، فيطلبون الخير، ويجتنبون الضر، وتطلع فيهم شمس المعارف»^(٤)

(١) أخلاق العلماء - الأجرى - ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق - ص ٤٤.

(٣) المصدر السابق - ص ٤٦ رواة ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله باب قول ﷺ «العالم والتعلم

شريكان» ج ٢ ص ١٨.

(٤) الأفغاني وعده في إشكالات التربية والقيم والوعي الأساسي. إشراف د. علي زيعو، مؤسسة عز الدين للنشر - الطبعة الأولى - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ - ص ١٦٣.

إن الأوصاف التي أوردها القاسمي قريبة جداً من الشروط التي تتطلبها معاهد وكليات التربية في الاختبارات المهنية التي يجرونها لراغبي الالتحاق بها ليُعدّوا أنفسهم لوظيفة التدريس فيقول عن الاجتهاد:

١- الاجتهاد في طلب العلم ونشرة : «فالواجب علي المعلم الاجتهاد حتى يوفي ما يجب عليه الصبيان، فإن وَفَى ذلك يطيب له ما يأخذه علي التعليم بشرط، وليعلم أنه إن فرط في وفاء ما عليه، أنه لا يجب له ولا يطيب له ما يأخذ من ذلك»^(١)

٢- الرفق من واجبات وأخلاقيات مهنة المعلم: «ومن حسن رعايتهم لهم أن يكون بهم رفيقاً، فإنه قد جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فيه فارفق به»^(٢) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله يحب الرفق في الأمر كله، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»^(٣)»^(٤) ونستخلص أن القاسمي أشار إلي أن التعليم صناعة تحتاج إلي معرفة ودربة ولطف، وعلي المعلم علي تحصيل الملكة التي هي صناعة التعليم.

٣- من أخلاقيات مهنة المعلم ألا يكون شديداً عبوساً في تعليمة: «قال أبو الحسن: فقولك هل يستحب للمعلم التشديد علي الصبيان، أو تري أن يرفق بهم ولا يكون عبوساً، لأن الأطفال كما علت تدخل في هذه الوصية المتقدمة، ولكن إذا أحسن المعلم القيام، وعني بالرعاية، وضع الأمور مواضعها لأنه هو المأخوذ بأدبهم، والناظر في زجرهم عما لا يصلح لهم والقائم بإكراهم علي مثل منافعهم»^(٥)

(١) أحوال المتعلمين - القاسمي ص ١٦٢.

(٢) في صحيح البخاري

(٣) في صحيح البخاري

(٤) أحوال المتعلمين - القاسمي ص ١٦٢.

(٥) المصدر السابق ص ١٦٣.

من الفقرة السابقة للقاسمي يتضح لنا أنه من واجبات المعلم أن يكون متمسكاً بالأخلاق الشريفة، ومتفائلاً وغير عبوساً في طلب العلم لذلك يقول الأجري «قال محمد بن الحسن: من تدبر هذا أشفق من علمه أن يكون عنه، لا له، فإذا أشفق مقت نفسه، وبان بأخلاقه الشريفة، التي تقدم ذكرناها، والله الموفق لنا ولكم، إلي الرشاد من القول والعمل»^(١).

ويتناول الإمام الغزالي وظائف المعلم المرشد، في كثير من كتبه، وقد عالج كثير من المسائل التربوية الهامة مثل أجر المعلم حيث يقول «أن يقتدي بصاحب الشرع، فلا يطلب علي إفاده العلم أجراً وجزاء، قال تعالي ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ فإن من طلب المال وأغراض الدنيا بالعلم، كمن نظف أسفل مداسه بوجهة ومحاسنة، فجعل المخدم خادماً، إذ:

خلق الله الملابس والمطاعم خادمة للبدن

وخلق البدن مركباً وخادماً للنفس

وجعل النفس خادمة للمعلم

فالعالم خادم ليس بمجذوم

والمال خادم ليس بمجذوم

ولا معني للضلال إلا عكس هذا الأمر»^(٢)

مما سبق يتبين لنا أن القاسمي يؤكد لنا علي أن العلاقة المشتركة بين المعلم والمتعلم عملية تعليمية تشاركية وهذا ما يسمي في العصر الحديث بالجانب العملي للنسق التربوي، لأن التربية ملكة تحصل بالتعليم والتمرين والقذوة والافتباس، فأهم أصولاً وجود المربين،

(١) أخلاق العلماء - الأجري - ص ٧١.

(٢) ميزان العمل - الإمام الغزالي ص ٣٦٤.

وأهم فروعها وجود الدين، وجعلت الدين فرعاً لا أصلاً، لأن علم لا يفيد العمل إذا لم يكن مقروناً بالتمرين^(١).

تحدث القاسمي عن علاقة البيت بالمدرسة، وأهمية الدور الذي يلعبه البيت ليتربط علي ذلك نجاح الطالب، فقد ربط بين المتعلم والأستاذ الرفق: والأب عندما قال مقولته فإنما هو عوض من آبائهم فيقول:

١٣- من أهم واجبات المعلم «ولا يخرجهم ذلك من حسن ذلك من حسن رفقة، لهم، ولا من رحمته إياهم فإنما هو عوض من آبائهم فكونه عبوساً أبداً من الفظاظة الممقوتة ويستأنس الصبيان فيجرؤون عليه، ولكنه إذا استعملها عند استئصالهم الأدب، صارت دلالة علي وقوع الأدب بهم، فلم يأنسوا إليها، فيكون فيها إذا استعملت أدباً لهم في بعض الأحاديث دون الضرب، وفي بعض الأحاديث، يوقع الضرب معها»^(٢)

العدل وتكافؤ فرص التعليم:

ينبغي للمعلم أن يتمسك بالعدل في معاملة الأطفال «من حقهم عليه أن يعدل بينهم في التعليم ولا يفضل بعضهم علي بعض وإن تفاضلوا في الجعل وإن كان بعضهم يكرمه بالهدايا والإرفاق، إلا أن يفضل من أحب تفضيله في ساعة راحته، بعد تفرغه من العدل بينهم»^(٣)

الرفق بالصبيان:

ومن رفقه بالصبيان أن الصبي إذا أرسل وراءه لتغدي فيأذن له ولا يمنعه من طعامه وشرابه، ويأخذ عليه في سرعة الرجوع إذا فرغ من طعامه^(٤).

(١) الخطاب الفلسفي التربوي الغربي، د. محمد جلوب الفرحان - الشركة العالمية للكتاب - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٩٩ م. ص ٣٥.

(٢) أحوال المتعلمين - القاسمي ص ١٦٣.

(٣) المصدر السابق - ص ١٦٥.

(٤) المصدر السابق - ص ١٦٤.

ويرشدنا القابسي إلي واجبات المعلم المرشد تجاه الصبيان والأطفال بحيث يجعل المعلم لا يبخل بشئ من علمه ونصائحه نحو الأطفال وهذا ما يؤكد عليه الإمام الغزالي فيقول: «أن لا يدخر شيئاً من نصح المتعلم وزجره عن الأخلاق الرديه بالتعريض والتصريح، ومنعه أن ينتشوق إلي رتبه فوق استحقاقه، وأن يتصدي لاشتغال فوق طاقته، وأن ينبهه علي غاية العلوم وإنما هي السعادة الأخروية، دون أغراض الدنيا»

فإن رأي من لا يتعلم إلا لأجل طلب الرياسة ومباهاة العلماء، لم يزجره عن التعلم، فاشتغاله بالتعلم مع هذا القصد خير من الإعراض، فأنه مهما اكتسب العلم تنبه بالآخرة لحقائق الأمور، وأن الطلب بالعلم لأغراض الدنيا مغبون⁽¹⁾

والصفات الجوهرية التي تناولها القابسي في صفات المعلم فمن الجانب العقلي لابد أن يتميز بفضله العقل، وثقافة الذهن، وحده الفهم، ويشترط من الصفات الخلقية العدل، والعفة، وسعة البال.

ومجمل القول أن الفقرات السابقة تعبر عن النظرية الأخلاقية وتبادل العلاقة بين المعلم والمتعلم. ومعني ذلك أن الخلق ليس مجرد إتقان السلوك الفاضل، ولكن تعود هذا السلوك الفاضل، والإتيان له في كل المناسبات، ويتعود الإنسان الخلق الفاضل عندما يحكم عقله جيداً في كل سلوكه، وأن يعاقب نفسه إذا انحرفت عن الفضيلة.

١٦- في الأدب الشرعية: يطلب القابسي من المعلم أن لا يعلم أولاد النصارى في القرآن ولا يخالط أطفال المسلمين أطفال الكافرين ويستشهد القابسي بأدلة السلف في ذلك حيث يقول: «وأما المقيم علي كفره فهو بعيد من أن يؤمن علي كتاب الله، أو علي أولاد المسلمين، ليعلمهم شيئاً ما، أو يخالط صبيان الكافرين صبيان المسلمين في تعليم كل ما قدمنا، عن ابن وهب عن مالك يمنع من ذلك وفي الموازية وكره مالك أن يطرح المسلم

(1) ميزان العمل - الإمام الغزالي - ص ٣٦٥

ولده في كتال النصارى وسحنون قال: ولا يجوز للمعلم أن يعلم أولاد النصارى الكتاب ولا القرآن؟ فقال: لا وعظم فيه الكراهية»^(١).

وتأسيساً على ما تقدم يؤكد القابسي على عفة النفس عند المعلم وهناك بعض الأحكام الشرعية التي يلتزم بها وهي: «وأما سؤالك عما يكفله المعلم الصبيان أن يأتوه به من بيوت آبائهم، يريد يغير إذن آبائهم، أو حمله الصبيان بغير تكليف من المعلم، وكان ذلك من الطعام أو غير الطعام وإن قل قدره من حطب أو غير ذلك. فهذا لا يحل للمعلمين أن يأمرؤا به، ولا أن يقبلوه إن أتى به إليهم، وأن لم يأمرؤا به، إلا بإذن الآباء»^(٢)

وفي إطار الأحكام الشرعية وأدابها عند المعلم في أخذ الهدايا من الأطفال فلا يجوز ذلك حيث يقول: «ولا يحل للمعلم أن يكالف الصبيان فوق أجرته شيئاً من هدية أو غير ذلك ويسألهم في ذلك، فإن أهدوا إليه علي ذلك، فهو حرام إلا أن يهدوا إليه من غير مسألة، إلا أن تكون المسألة منه علي وجه المعروف فافعلوا لم يضرهم في ذلك، أما إن يكون يهدهم أو يخليهم إذا أهدوا إليه، فلا يحل له ذلك، لأن التخليه داعية إلي الهدية مكروه»^(٣).

وهناك أوقات مذمومة لا يأخذ المعلم فيها شيء «وكذلك المذموم أن يأخذ في أعياد أهل الكفر، يدخل فيها أيضاً الميلاد، والفصح، والانبداس عندنا، والغبطة بالأندلس، والغطاس بمصر، كل هذا من أعياد الكفرة، لا يجب أن يطلب معلم المسلمين فيه شيئاً، وإن أتى إليه بشيء في ذلك لا يقبله وإن أطاعوا له به»^(٤).

فيما سلف يتبين لنا أن المنهج التربوي عند القابسي يتسم بالطابع العملي الذي أبرز في دور المعلم في العملية التعليمية، ومن واجبات وآداب المعلم عند القابسي مراعاة

(١) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٥٩.

(٢) المصدر السابق - ص ١٧٢.

(٣) المصدر السابق - ص ١٩٦، ١٧٠.

(٤) المصدر السابق - ص ١٧٩.

الفروق الفردية بمعنى مخاطبة كل طفل علي قدر ذكائه وعقله حيث يقول «ومن الاجتهاد وللصبي ألا ينقله من سورة حتى يحفظها بإعراب وكتابتها»^(١).

وهكذا يؤكد القاسبي علي مراعاة المعلم للفروق الفردية فيقول «وسألت هل للصبيان الصغار، أو الكبار البالغين، أن يقرؤوا في سورة واحدة وهم جماعة علي وجه التعليم، فإن كنت تريد يفعلون ذلك عند المعلم، فينبغي علي المعلم أن ينظر فيما هو أصلح لتعليمهم، فليأمرهم له ويأخذ عليهم فيه، لأن اجتماعهم في القراءة بحضرتة يخفي عنه قوي الحفظ من الضعيف، ولكن إن كان علي الصبيان من ذلك حفه، فيجزئهم أنة سيعرض كل واحد منهم في حربه»^(٢).

قضية الإنابة عن المعلم وتنصيب العريف:

هذا المبدأ كان شائعاً في الكتاتيب، ويجب علي المعلم مراعاة القواعد التربوية في إختيار العريف حيث يقول «فإن سحنون قال: سئل مالك عن المعلم يجعل للصبيان عريفاً فقال: إن كان مثله في نفاذه، فقد سهل في ذلك، إذا كان للصبي في ذلك منفعة»^(٣).

ومن شر الإنابة عن المعلم عند القاسبي لا بد من معرفة أولياء الأمور فيقول «أن يستأجر المعلم. جماعة وأن يفرض علي كل واحد ما ينوبه فقال: يجوز إذا تراضي بذلك الآباء لأن هذا ضرورة ولا بد للناس منه»^(٤).

وكلمة العريف في وقتنا المعاصر يسمي " المعيد" وهو الذي يهتم بمذاكرة الدروس قبل شرحها ليعرف السهل من الصعب فيتمكن من الفهم والحفظ عندما ينتبه داخل قاعات الدرس، إذا أن الانتباه أساس سرعة الفهم، ويساعد الصبي علي الانتباه والاصغاء أثناء الشرح للدرس ، حسيّاً وعقليّاً، وعدم التشتت في أفكار خارج الدرس أو اللغو أو اللهو مع الآخرين أثناء انهماك المعلم في الدرس.

(١) أحوال المتعلمين - القاسبي - ص ١٦٦.

(٢) المصدر السابق - ص ١٧٤.

(٣) المصدر السابق - ص ١٧٠.

(٤) المصدر السابق - ص ١٨٥.

” تعقيب “

بعد استعراض النصوص التربوية في منهاج القابسي الدراسي استنبطنا مجموعة إفادات تربوية وهي ما يلي:-

من أهم تعريفات المنهج عنده فإنه عبارة عن مجموعة من المقررات والمواد الدراسية التي يقوم الطفل بدراستها من أجل تزويد الطفل مجموعة من الحقائق والمعلومات والأفكار في شتي جوانب الحياة المعرفية، وتنظيم الخبرات التعليمية من أجل تنمية قدرة الطفل علي التفكير، بحيث يصبح قادراً علي استخلاص الأحكام.

عندما قسم القابسي المنهاج الدراسي إلي مواد اختيارية، وإجبارية، وتطوعية قام باستخدام القياس الأصولي، متمثلاً في المنهج الاستقرائي، «لأن القياس الأصولي تطور إلي نوع من الاستقراء العلمي الدقيق القائم علي مبدأ العلية والاطراد في وقوع الحوادث و هو غير القياس الأرسطي المنطقي الذي ينتقل فيه العقل من حكم كلي إلي أحكام جزئية والذي أدي إلي توقف الإغريق عند مستوي معين»⁽¹⁾.

من أهم القواعد التي تبني عليها طرق التدريس في المنهاج الدراسي عند القابسي هي ما يلي:

- أ- التدرج من المعلوم إلي المجهول.
- ب- التدرج من السهل إلي الصعب مع مراعاة الفروق الفردية.
- ج- من المبهم إلي الواضح المحدد.
- د- من المحسوس إلي المعقول.
- هـ- وأن تساعد المعلومات علي دوام التفاعل بين الطفل من ناحية والمنهج من ناحية أخرى.

(1) فن التنوير العلمي د.أحمد فؤاد باشا- مرجع سابق ص-٣٧.

لقد تناول القاسبي عناصر المنهج والغرض من تطبيقه تنمية المجال المعرفي والمجال الوجداني عند الطفل ويظهر ذلك بتطبيق الحوار والمناظرات العلمية بين الأطفال و من شروطها ما يلي:

- « أن يخاطب كل إنسان علي قدر فكره ومقامه فلا يخاطب السوقة مخاطبة الخاصة وبالعكس.
- أن يحسن الإصغاء إذا حدّث.
- وأن لا يقطع المحدث حتى يكمل حديثه.
- وأن لا يحدث إنساناً مشغولاً بمحدثه غيره.
- وأن لا يكذب في المحادثة ولا ينم ولا يغتاب»^(١).

ومن الجدير بالإشارة نجد أن القاسبي يستشهد بالآيات القرآنية حيث يقول: قال تعالي: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ سورة الحشر بعض آية ٨، وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة الأعراف آية ٣^(٢)

ويؤكد القاسبي علي أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما أصل الدين والمنهج الدراسي، ومصدر العلوم الإسلامية ولذلك جعلها أصلاً من أصول التعليم، وأساساً من أسس التربية الإسلامية، والغاية من المنهاج الدراسي عند القاسبي رسوخ العقائد الإيمانية في نفوس الأطفال، وغرس أصول الأخلاق الكريمة عن طريق الدين، الذي جاء مهذباً للنفوس، ومقوماً للأخلاق، وبعائناً علي الخير، ويهتم القاسبي: بأساليب تدريس الفقه الإسلامي (عبادات - معاملات) وأيضاً أساليب تدريس العقيدة الإسلامية، وأساليب تدريس القرآن الكريم تلاوة وتفسيراً وحفظاً، ومن أهم عناصر المنهاج التربوي

(١) حكمة التشريع وفلسفته - الشيخ أحمد الجرجاوي ص ١١٠.

(٢) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين.

عند القابسي: ضرورة مراعاة الإنسجام والتكامل بين الأهداف المقررة لكل المستويات، وضرورة أن تكون الأهداف منسجمة مع عقيدة الأمة وقيمها وأهداف المجتمع وحاجاته، وملائمة محتوى الدراسة لواقع الحياة، ومشكلاتها واستجابته لأهداف المجتمع، ويعتمد القابسي في مناهجه علي التقويم لأنة الوسيلة المهمة للحصول علي معلومات دقيقة وافية عن واقع النظام التعليمي. (1)

(1) وأحكام المعلمين والمتعلمين - القابسي - ص 272.

” مصادر ومراجع الفصل السادس “

” المنهاج الدراسي عند القابسي “

- * إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي - ح ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- * أخلاق العلماء - الأجرى (٣٦٠هـ) - تحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح - دار المصرية اللبنانية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩١م - ١٤١١هـ.
- * أسس بناء المناهج وتنظيماتها د. حلمي أحمد الوكيل د. محمد أمين المفتي - دار المسيرة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- * الأفغاني وعده في إشكالات التربية والقيم والوعي الأساسي د. علي زيعور مؤسسة عز الدين للنشر - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- * التربية الإسلامية د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة السابعة - ١٩٨٢م.
- * التربية الإسلامية في الأندلس - خوليان ريبيرا ترجمة د/ الطاهر أحمد مكي - دار المعارف - الطبعة الثانية - ١٩٩٤م.
- * التربية الإسلامية وفلاسفتها - محمد عطية الإبراشي - الطبعة الثانية - عيسى الحلبي - القاهرة.
- * التربية العامة - روتية أو بيير - ترجمة د. عبد الله عبد الدائم - دار العلم للملايين الطبعة السادسة - ١٩٨٣م.
- * التربية المعاصرة طبيعتها وأبعادها الأساسية د. محمود عبد الرازق شقشق
- * الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد الفرحان - الشركة العالمية للكتاب - الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

- * الخطاب الفلسفي التربوي الغربي د. محمد جلوب الفرحان - الشركة العالمية للكتاب - بيروت لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٩٩ م.
- * العرب تاريخ موجز د. فيليب حتى - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٤٦ م.
- * العقد الفريد - ابن عبد ربه - ح ٢ - أحمد أمين - الطبعة الثانية - لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- * المبادئ الأخلاقية في التربية - جون ديوي - ترجمة عبد الفتاح السيد هلال - الدار المصرية للتأليف - د.ت.
- * تاريخ آداب العرب - مصطفى صادق الرافعي - ح ١ - دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- * ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات - لأبي عبد الرحمن السلمي - تحقيق د. محمود محمد الطناحي - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- * شروط النهضة - مالك بن نبي - ترجمة عمار كامل مغازي و د. عبد الصبور شاهين دار الفكر - دمشق - سوريا - د.ت.
- * ضحي الإسلام د. أحمد أمين - ح ٢ - مكتبة النهضة المصرية.
- * عبد الرحمن الكواكبي - عباس محمود العقاد - دار النهضة مصر - القاهرة - ١٩٨٦ م.
- * علم النفس التربوي د. عبد المجيد سيد احمد منصور - وآخرون - العبيكان - الطبعة الخامسة ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- * فضل علماء المسلمين علي الحضارة الأوروبية د. عز الدين فراج - دار الفكر العربي.
- * فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها د. محمد منير مرسى - عالم الكتب - ٢٠٠٧ م.
- * فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي د. محمد السيد الجاليند دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة د.ت طبعة سنة نشر.

- * فلسفة العلم د. صلاح قنصوة- دار التنوير للطباعة والنشر- القاهرة - ٢٠٠٨م د.ط.
- * كشف اللبس في مناصحة النفس- محمد أبو الحسن البكري الصديقي- تحقيق د.عبد الرحيم السايح.
- * ميزان العمل- الإمام الغزالي- تحقيق د.سليمان دنيا- دار المعارف- القاهرة- الطبعة ١٩٨٤م.
- * نحو تأصيل إسلامي للبحث التربوي د. عبد الرحمن النقيب وآخرون- الناشر دار النشر للجامعات - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- * نهاية الرتبة في طلب الحسبة عبد الرحمن نصير الشيزري- تحقيق د/ السيد الباز العريني- الطبعة السادسة- ١٩٨٣م.

الفصل السابع

نظريات الثواب والعقاب
فى النسق التربوى عند
القابسي

الفصل السابع

تمهيد

نتحدث في هذا الفصل وهو " نظريات الثواب والعقاب في النسق التربوي عند القابسي " عن أولاً: التكليف لابد أن يكون في استطاعة الأطفال من قبل المعلم، وقد وضع القابسي شروطاً للتكليف وهي عندما يقوم المعلم بتكليف الأطفال بالطعام أو الحطب لابد أن يستأذن أولياء الأمور، لكي يكون للأسرة دور في تربية الأولاد.

وقبل أن يبدأ القابسي في نظرياته الثواب والعقاب تحدث أولاً عن واجبات المعلم تجاه المتعلمين وهي تفرغة الكامل أثناء تعليم الأطفال، ولا يذهب إلى مريض أو جنازة أثناء تعليمه للأطفال، ونظام الدراسة من عطل يوم الجمعة ويوم الخميس، وعطلة الأعياد مثل عطلة عيد الأضحى وعيد الفطر، وسوف نتعقب بعد ذلك آداب الحوار والمناظرة، وشروط المناظرة العلمية بين الأطفال من أجل توليد الأفكار الجديدة.

ونتناول في هذا الفصل القواعد التربوية التي أكد عليها القابسي قبل تحديد شروط مواصفات الضرب، وهذه القواعد ذكرناه في بداية تمهيد الفصل، وإذا لم يقوم الطفل بسماع معلمه في عملية التعلم، وجب على المعلم ضربه ولكن بشروط وهي ما يلي:

- أن يقوم المعلم بالضرب بنفسه.
- الضرب لا يكون إلا على ذنب.
- يكون مكان الضرب في الرجلين.
- ينقسم التأديب عند القابسي إلى قسمين: تأديب معنوي وتأديب جسدي.
- لا يضرب المعلم الصبي وهو غضبان.
- الالتزام بعدد الضربات.

- وسوف نشير إلى عبقرية القاسبي في عملية الثواب والعقاب، وهي أنه وضع قواعد تأديبية للمعلم نظراً لإهماله، واستخدام اللوم والتعنيف والغلظة، وعندما يذكر النصوص الأصلية للقاسبي نستخدم منهج المقارنة بينه وبين النظريات التربوية الحديثة والمعاصرة في الثواب والعقاب، عند جون لوك، وسبنسر، وجون ديوى وبعض النظريات التربوية الحديثة.

وقبل أن يتحدث القاسبي في نظريات الثواب والعقاب، يتحدث أولاً عن دور الأسرة وواجبات المعلم في تهيئة الطفل للتعليم قبل تطبيق العقاب عليه.

أولاً: دور الأسرة في تربية الأطفال عن طريق المعلم:

من واجبات المعلم عند القاسبي الا يكلف الأطفال بطعام أو حطب من غير إذن آبائهم، ولا يقبل شيئاً من ذلك حيث يقول: " وأما سؤالك عما يكلفه المعلم الصبيان أن يأتوه من بيوت آبائهم، يريد بغير إذن آبائهم، أو حمله الصبيان بغير تكليف من المعلم، وكان ذلك من الطعام أو غير الطعام. وإن قل قدرة من حطب أو غير ذلك، فهذا لا يحل للمعلمين أن يأمرؤا به ولا أن يقبلوه أن أتى به إليه، وإن لم يأمرؤا به، إلا بإذن الآباء"⁽¹⁾.

ثانياً: واجبات المعلم: تفرغ المعلم والحفاظ على الوقت لتعليم الأطفال وتهذيبهم لتفادي طرق العقاب:

وكذلك لا يجوز للمعلم شهود النكاحات وشهادات البياعات أن يحضرهما خوفاً على مصلحة الأطفال، وأنه أجبر لا يحق له البعد عن الأطفال فيقول: "وأما شهود النكاحات وشهادات البياعات، فليس له ذلك هو في هذا مثل شهود الجنازة، وعيادة المريض أو أشد، وأما أن كانت عنده شهادة، وسلطان عنه بعيد، في سيرة إليه شغل عن صبيانه، فهو له

(1) أحوال المتعلمين - القاسبي - ص ١٧٢.

عذر في تخلفه عن أداء الشهادة، ولكن إن لم يوجد منه يد، أودع شهادته عند من ينقلها عنه، وله في ذلك عذر ويقبلها الحاكم فمن نقلها إليه^(١).

ونستنبط مما سبق من نصوص القابسي ما يلي:

١- دور الأسرة في تربية الطفل وأهميتها.

٢- واجبات المعلم التربوية تجاه المتعلم.

٣- تفرغ المعلم، وإعطاء الوقت اللازم للتعليم الأطفال.

وفيما سلف ذكره من هذه النقاط الثلاثة نستطيع أن نعقد المقارنة بين هذه النقاط،

والنظريات التربوية الحديثة والمعاصرة فنقول:

كان القابسي موفقاً في نسق التربية، ونحکم على ذلك عن طريق استنباط الأحكام التربوية، فنجد أنه يضع مقدمات متساوية وعن طريقها نستنبط نظرياته الحقيقية لهذه المقدمات، فنجد أنها متزنة ومتساوية، وتربية الطفل قبل أن يدخل الكتاب والمسجد، وتعليمه في اللوح يجب إعداده وتهيئته خلقياً واجتماعياً ونفسياً وعقلياً وجسيمياً، ومفهوم التربية السليم هو نمو الطفل تحت رعاية البيت والمدرسة قبل أن نطبق عليه العقاب. ويشابه أقوال القابسي بفرويل مؤسس رياض الأطفال في أهمية الأسرة في تربية الأطفال حيث يقول " ولعلنا نستطيع أن نخرج من الحقائق السابقة أن الطفل يبين أسرته كائن ينمو ولكي يكون نمو صحيحاً متزناً يجب أن نعمل على مراعاة ميوله واستعداداته وألا نقف في سبيله أو نكون عقبات تعترض هذا النحو وأقرب المحتكين بالطفل في هذه السنوات الأولى هي الأم، وتقوم بدورها المقدس هنا بشكل غريزي دون تعلم"^(٢).

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٢) تربية الطفل قبل المدرسة د. سعد مرسى أحمد وآخرون - مرجع سابق - ص ٢٦٠.

وضماماً لسير العملية التربوية في طريق متسق موجد يحقق صالح للأطفال يجب التعاون بين الآباء والمدرسة: "يقصد هنا بعلاقات العمل الطبيعية المشاعر المتبادلة بين الآباء ومعلمي الفصول التي تؤدي بهم إلى الاشتراك في التفكير والدراسة والتخطيط بما يحقق مساعدة الطفل في نمو وتعلمه، ومعاونة الآباء تجعل التعليم أكثر جدوى" (١)

ومن كل ما تقدم نخلص إلى أن القاسمي وضع شروطاً وقواعد للمعلمين في أخلاقيات مهنتهم فيقول: "قد قدمت لك من وصف ما يطيب للمعلمين يأخذونه من المتعلمين، ومن وصف ما ليس لهم أخذه، وما يكون نزهة لأهل الورع منهم ما فيه الكفاية والبيان لما سألت عنه، وفيه ما يوجب لهم في شرطهم، فإن أراد منهم أحد ترك ما دخل فيه، أو اختلفوا فيه في أمر وسعتهم الأحكام" (٢).

ومن واجبات المعلم عند القاسمي حسن المعاشرة، والتمسك بالأخلاق الكريمة، كما قال: "محمد بن الحسين من كانت صفاته في علمه ما تقدم ذكر ناله من أخلاقه والله أعلم أن يأمن شره من خالطه، ويأمل خيره من صاحبه، لا يؤاخذ بالعترات ولا يشيع بالذنوب عن غيره، ولا يقطع بالبلاغات ولا يفشى سر من عاداه، ولا ينتصر منه بغير حق، ويعفو ويصفح عنه، ذلك للحق، عزيز عن الباطل، كاظم للغیظ عن آذاه، شديد البغض لمن عصى مولاه، يجيب السفیه بالصمت عنه، والعالم بالقبول منه، لا مداهن، ولا مشاحن، ولا محتال، ولا حسود، ولا حقود، ولا سفیه، ولا جاف، ولا فظ، ولا غليظ، ولا طعان، ولا لعان، ولا مغتاب" (٣).

(١) العلاقات بين الآباء والمعلمين تأليف إيرفنج ستاوت وآخرون ترجمة عدلى سليمان - مرجع سابق - ص ٢١، ٢٦.

(٢) العلاقات بين الآباء والمعلمين تأليف إيرفنج ستاوت وآخرون ترجمة عدلى سليمان - مرجع سابق - ص

٢١، ٢٦.

(٣) أخلاق العلماء - الأجرى - ص ٦١.

وعن شروط المخالطة يقول: " يخالط من الأخوان من عاونة على طاعة ربه، ونهاه عما يكره مولاه، ويخالق بالجميل من لا يأمن شره إبقاء على دينه، سليم القلب للعباد من الغل والحسد، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين، في كل ما أمكن فيه العذر، لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد، يدارى جهل من عاملة برفقة إذا تعجب من جهل غيره ذكر أن جهله أكثر فيا بينه وبين ربه - عز وجل" (١).

يعد استعراضنا لدور الأسرة والمعلم في تأهيل الطفل لتلقى الطرق التربوية، نلاحظ أن القاسبي كان أسلوبه يتسم بالنظام والترتيب، ويتناول بعد ذلك أمور الهدية وكيفية إجارة العلم فيقول في:

أمور الهدية والإجارة للمعلم:

هناك آداب وواجبات عند الطلبة من أهمها معرفة أمور الهدية وأحكامها الشرعية حتى لا تصبح رشوة لذلك يقول القاسبي: " ربما أهدى الصبي إلى المعلم أو اعطاه شيئاً، فيأذن لهم على ذلك؟ فقال: إنما الإذن في الختم اليوم ونحوه وفي الأعياد، وأما في غير ذلك فلا يجوز إلا بإذن الآباء قال ومن ها هنا أسقطت شهادة أكثر المعلمين لأنهم غير مؤدين لما يجب عليهم على من عصم الله" (٢).

العلاقة بين الحياة الاجتماعية والهدايا: "علم الاجتماع التربوي في العصر الحديث":

ومن الجدير بالذكر أن القاسبي يربط بين الحياة الاجتماعية والهدية عن طريق العادات والتقاليد المتبعة في عصره فيقول " وأما وصفكم لما جرى عندكم من صنع معلمكم إذا تزوج رجل، أو ولد له، فيبعثون صبيانهم فيصيحون عند بابه ويقولون أستاذنا بصوت عال، فيعطون ما أحبوا من طعام، أو غير ذلك فيأتون به معلمهم، فيأذن لهم

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٢) أحوال المتعلمين - القاسبي - ص ١٦٨.

يتبطلون بذلك نصف يوم أو ربع يوم بغير أمر الآباء فيكفيك ما سألت عنه قول سحنون: ولا يحل للمعلم أن يكالف الصبيان فوق أجرته شيئاً من هدية" (١).

المقارنة بين القابسي وجون ديوى والنظريات التربوية المعاصرة في الآراء التربوية:

ومجمل القول فيما سبق من نصوص القابسي نجد أنه يهتم بما يلي:

- ١- آداب واجبات المتعلم تجاه المعلم.
- ٢- استخدام الضمير الخلقى عند المعلم في آدابه واجباته.
- ٣- دراسة الحالة الاجتماعية للطلبة، والتعرف على العادات والتقاليد المتبعة في المجتمع.
- ٤- العلاقة والحوار الديمقراطي بين المعلم والمتعلم في الأذان بالإجازات يوم العيد.

وبالرجوع إلى نصوص جون ديوى، وبمقارنتها بنصوص القابسي، وجدنا نصوص جون ديوى في كتابه "الديمقراطية والتربية" تتضمن مضمون القابسي تماماً لأن جون ديوى يقول: "إن الديمقراطية ليست إطاراً أساسياً فقط وإنما هي أسلوب كامل للحياة الاجتماعية وإن القوة الأكبر بطريقة الديمقراطية في الحياة توجد في ديمقراطية التربية فالمجتمع الديمقراطي هي مثال تربوي لمواطنة والتربية الديمقراطية تنشأ عضواً وطبيعياً من المجتمع الديمقراطي. والتقدم في المجتمع الديمقراطي هو تغير، والمجتمع الديمقراطي والتربية الديمقراطية هي مشاركة وتفتح وليست أموراً مطلقة" (٢). وإذا انتقلنا إلى البيئة الاجتماعية وعلاقتها بالطالب عند القابسي، وجدنا نصوصه هي التي تعبر عن التربية المعاصرة "لأن التربية الاجتماعية تهتم بالنمو الاجتماعي للفرد في إطار الوجود الإنساني للمجموعة التي ينتمي إليها، وفي إطار تراثها وثقافتها ومثلها وقيمها وتقاليدها وإن طبيعة الحياة الفردية ومساقها يحددها التواجد والتفاعل المشترك بين الفرد والمجتمع

(١) المصدر السابق - ص ١٦٩.

(٢) فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها د. محمد منير مرسى - مرجع سابق - ص ٣١٧.

كقوتين رئيسيتين لهما نفس الأهمية والقيمة، ولا يمكن للتربية أن تعمل على تحقيق النمو الشامل المتكامل للشخصية الفردية إلا في بيئة اجتماعية مناسبة" (١) ومن خلال التفسيرات السابقة للتربية الخلقية عند القابسي لاحظنا أهدافها متطورة ومعاصرة "وتهدف التربية الخلقية والجمالية إلى تهذيب وإرهاف الحس الإنساني لدى الفرد للوصول إلى صلاح النفس وهدوئها وسلامة تكوينها ويمكن التربية الخلقية الوصول بالفرد إلى سمو الروح وحسن الخلق وذلك بتعزيز الإيمان وفهم الدين فهماً صحيحاً والتحلى بالاخلاق الحميدة" (٢).

أحكام الأجر عند القابسي: [التعاقد بالأجر مع المعلم من أجل التعليم]:

من كل ما تقدم نخلص إلى القول بأن هناك أحكام للإجارة تجعل الهدية مكروهه إلى المعلم. ومن أحكام الإجارة عند القابسي هي ما يلي: "وقال سحنون: إذا استأجر الرجل معلماً على صبيان معلومين جان للمعلم أن يعلم معهم غيرهم، إذا كان لا يشغله ذلك عن تعليم هؤلاء الذين استأجر لهم. ومعنى هذا: إذا كان لم يشترط على المعلم أنه لا يزيد على العدة المذكورة له شيئاً" (٣).

ختمه القرآن وعلاقتها بالإجارة: [أحكام فسخ العقد]

ومن الأحكام التي تناولها القابسي، هل يجوز فسخ الأجارة إذا مات المعلم؟ للإجابة على هذا السؤال يقول القابسي: "وأما إن مات المعلم فالإجارة منقوضة، ألا يستأجر من ماله من يعلم مكانه، وله في الإجارة. بحساب ما علم من الأجل، ومن جعل الختمة بمقدار ما علم من القرآن حسب، تعدم تفسيره وكذلك إذا مات الصبي سواء إنما للمعلم من الإجارة بحساب ما علم وكذلك من جعل الختمة" (٤).

(١) التربية المعاصرة طبيعتها وأبعادها الأساسية د. محمود عب الرزاق وآخرون ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق - ص ٣١.

(٣) أحوال المعلمين - القاس - ص ١٧٣.

(٤) المصدر السابق - ص ١٨٩.

وبالنظر للنتائج السابقة في ضوء الدراسات والنصوص الماضية للقابسي نستطيع أن نلمح نتائج مهمة تربوية تتلائم مع عصرنا الحاضر ومن أهمها:

أ- المشاركة في التعليم عن طريق تكافؤ فرص التعليم للجميع.

ب- أحكام التعاقد بين المعلم والمتعلم وكيف يتم فسخ العقد فيما بينهم؟

ج- شروط ختمة القرآن.

ويؤكد القابسي على تكافؤ الفرص في التعليم، وهذه النظرية أكد عليها طه حسين عميد الأدب العربي عندما قال: " العلم كالماء والهواء " لكي يصبح العلم متاحاً للجميع للغنى والفقير، ولليتميم والمسكين، ويقول عباس محمود العقاد " العلم الذي أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق من شئ ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي حياة أو غير حياة. لقوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ سورة الغاشية (١)

وفريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها " فهو يخاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضاً مقتضياً بل يذكره مفصلاً على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان " (٢)

والنتائج السالفة الذكر عند القابسي تقوم بتطبيقها طريقة "وينتكا" ويتخلص شعاره هذه

المدارس فيما يأتي:

١- على كل طفل أن يسيطر على الامور الواقعية ويمهر فيما قد يحتمل أن يحتاج إليه في حياته.

(١) التفكير فريضة اسلامية - عباس محمود العقاد - ص ٦٠.

(٢) المرجع السابق - ص ٧.

٢- على كل طفل أن يعيش عيشة طبيعية سعيدة وأن يتمتع بطفولته الأولى على قدر الإمكان.

٣- إن سعادة المجتمع الإنساني تحتاج إلى شعور اجتماعي قوي لدى كل فرد" (١)
يقول بستالوتزي عام ١٧٤٦ "فهو يصر على أن تمنح لكل الأطفال الفرص المتكافئة للتعليم حتى لا يحرّموا من التربية المجدية الصحيحة التي تقودهم إلى خيرهم" (٢)

وجوب تعلم الصبيان [تنظيم الوقت] حتى لا يتعرضوا للعقاب"

بعد أن تحدث القابسي عن آداب الطلبة وواجباتهم مع المعلم يتناول بعد ذلك الطريقة التي يجب إتباعها في تعليم الصبيان وهي ما يلي:

تنظيم الوقت [نظام الدراسة]

ينبغي أن يجعل له وقتاً يعلمهم فيه الكتب وهذا الوقت يكون من عشية يوم الأربعاء ويوم الخميس فيقول: "وعليه كما قال سحنون: أن يتفقدهم بالتعليم والعرض، ويجعل لعرض القرآن وقتاً معلوماً، مثل عشية الأربعاء ويوم الخميس قال: فينبغي له أن يجعل لهم وقتاً من النهار يعلمهم في الكتاب" (٣)

يؤكد القابسي على أن بطالة الصبيان يوم الجمعة فيقول: "وأما بطالة الصبيان يوم الجمعة فقال سحنون يأتي يوم الجمعة وذلك سنة المعلمين منذ كانوا لم يعب ذلك عليهم وذكر أن محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم قال: في العلم يستأجر شهراً، له أن يتبطل يوم الجمعة" (٤) هذه هي الصورة التي ندرکہا من الإطلاع على كتب القابسي على وجه الإيجاز، وأركان هذه الصورة التي تتركب منها أربعة: هي الكتاب والمعلم والصبي،

(١) "وينتكا" اسم ضاحية من ضواحي "شيكاغو" على بحيرة "متشجن" لا يعدو عدد سكانها عشرة آلاف نسمة ولكن هذه الناحية تتميز بميزة واضحة من الروح العالي في التضامن الاجتماعي.

(٢) تربية الطفل قبل المدرسة د. سعد مرسى أحمد ص ١٩٠.

(٣) أحوال المعلمين - القابسي - ص ١٦٥.

(٤) المصدر السابق - ص ١٦٨.

والمتعلم، والهدف من وجوب تعليم الصبيان تنظيم أوقاتهم من أجل التركيز على القدرات العقلية مثل القدرة على الفهم، القدرة على التذكر القدرة على جمع المعلومات، القدرة على تنظيم المعلومات، القدرة على الاستنتاج والتركيز.

تطبيق أسس المناهج الدراسية:

ومن خلال التفسيرات السابقة لنصوص القابسي نستطيع أن نقول إن ما توصلنا إليه هو ما يلي:

- أ- تحديد الوقت لتعليم الصبيان، وتحديد الوقت مرتبط بنظريه الثواب والعقاب.
 - ب- المتابعة والاستمرارية، وتفقد الصبيان في التعليم، يحقق التوازن والأنفعالي.
 - ج- البطالة يوم الجمعة وأهميتها في نفوس الطلاب، تجعل الطفل مرح وسعيد.
 - د- من واجبات المعلم التركيز على تنمية القدرات العقلية، والفهم، والقدرة على تنظيم المعلومات، وهذا ما يسمي في الوقت الحاضر (بسيكولوجية التنظيم العقلي).
- ويقتضيها المزج بين آراء القابسي في تحديد الوقت للتعليم، وبين الآراء المعاصرة فنجد أن: الإمام محمد عبده تأثر بها، وبدأ يقوم بتطبيقها في إصلاح الأزهر الشريف و " كان أول أبواب الإصلاح الذي وجهه الشيخ محمد عبده عنايته إليها هو تحديده هذه الدراسة في الأزهر: فقد جرى العرف منذ زمان طويل أن ينفق المجاورون من أعمارهم الأعوام الطوال في الأزهر. دون يجدوا من أولى الأمر أى رقابة على أعمارهم وحدد القانون بدء السنة الدراسية وكذلك حدد نهايتها كما حدد أيام العطلة والمساحات. وقد كانت الحال قبل ذلك بلا ضابط، فكان الشيخ والطلاب يمكنهم التغيب متى شاء وافضلا عن تغيبهم أيام المسامحات الرسمية" (1) والبطالة بعد الامتحانات لها أثر فعال في التربية المعاصرة وبالأخص تطبيق الامتحانات ونظام التدريس عند محمد عبده و " اقترح محمد**

(1) رواد التنوير الفكرى د. شبل بدران - مرجع سابق - ص ٨٣.

عبده أن تعقد لطلبة الأزهر امتحانات سنوية ولم يكن ذلك النظام معروفاً قبل ذلك في الأزهر بل لم يكن عدد من يمتحنون كل عام يزيد على سنة. وهؤلاء كانوا يتقدمون إلى الامتحان لا بحسب دورهم أو ذكاؤهم أو علمهم، بل يشفاعة الشفعاء والحاح الملحّين واقترح المشروع كذلك مكافأة الطلبة المتفوقين من بين الممتحنين والغرض من ذلك هو بث روح التسابق فيهم وترغيبهم في التحصيل" (١)

والبطالة يوم الجمعة عند القابسي تدل على أن "المنهج الرسمي قد حدد المواد الدراسية، لكل صفات وعدد الساعات المخصصة لكل مادة، والتنوع في توزيع الدروس ضروري جداً" (٢)

تصوير حالة التعليم في عصر القابسي حتى تتسني تطبيق قواعد الثواب والعقاب:

نظام الدراسة طول أيام الأسبوع:

استطاع القابسي أن يربط بين العرف والعادات والتقاليد في تحديد وقتاً للتعلم ووقتاً للإجازة حيث يقول: "وأما تخلية الصبيان يوم الخميس من العصر فهو أيضاً يجرى عرف الناس، إن كان قد عرف من شأن المعلمين" (٣).

وهناك وقت للمراجعة أشار إليه القابسي حيث يقول: "فهو كما عرف من شأنهم يوم الجمعة فأما بطالتهم يوم الخميس كله فهذا بعيد، إنما دراسة الصبيان أحزابهم وعرضهم إياهم على معلمهم في عشي يوم الأربعاء وغدو يوم الخميس، إلى وقت الكتابة، والتخاير إلى قبل انقلابهم نصف النهار" (٤) وتأسيساً على ما تقدم من تحديد الأوقات الضرورية للعملية التعليمية عند القابسي فيقول: "ثم يعودون بعد صلاة الظهر للكتاب، والخيار إلى

(١) المرجع السابق - نفس الصفحة.

(٢) رائد التربية العامة وأصول التدريس د. عبد الحميد فايد - ص ٦٥ .

(٣) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٦٨ .

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة.

صلاة العصر، ثم ينصرفون إلى يوم السبت يبكرون فيه إلى معلمهم، وهذا حسن نافع رفيق بالصبيان وبالمعلمين فيه"^(١).

ومجل القول أن الحضور والانصراف، وتنظيم الأوقات عند القابسي يعبران عن التحلى بالنظام والحفاظ على الوقت في طلب العلم، وهذه الضوابط تمنعه من الأذى.

ويمكن أن نستخلص من النصوص السابقة للقابسي إلى ما يلي:

١ - ربط التربية بالعرف والعادات والتقاليد وكذلك الاجازة يوم الخميس.

٢ - تحديد وقت للمراجعة، والكتابة، وبدون تأنيب وتوبيخ.

٣ - التحلى بالنظام، والحفاظ على الوقت في طلب العلم، بدون تهديد ووعيد.

وبمقارنة النظرية التربوية للقابسي وهى العلاقة الوثيقة بين التربية والعرف والعادات فيقول أولاً معنى العرف ومداره (مدار العرف فى لغة العرب على أمرين كما يقول اللغوى ابن فارس فى معجمة: " تتابع الشئ متصلاً بعضه ببعض، السكون والطمأنينة".

ويقول ابن فارس فى تعريف العرف: " العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشئ متصلاً بعضه ببعض، والآخر يدل على السكون والطمأنينة. فالأول: " العرف: عرف الفرس، وسمى بذلك لتتابع الشعر، ويقال: جاء لفظاً عرفاً عرف أى بعضها خلف بعض.

والأصل الآخر: "المعرفة، العرفان" تقول عرف فلان فلاناً عرفاناً ومعرفة، وهذا أمر معروف وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه إلان من أنكر شيئاً توفى منه، وبنا عنه، والعرف: المعروف سمي بذلك لأن النفوس تسكت إليه"^(٢).

(١) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٦٨.

(٢) الأعراف البشرية فى ميزان الشريعة الإسلامية د/ عمر سليمان عبد الله الأشقر - ص ١١.

وهذه النظرية مرتبطة بالتربية الحديثة تحت عنوان (التعلم تغير في التنظيم المعرفي اكتساب المعلومات والمعارف، والنظرية التربوية الحديثة مشابهة تماماً لأقوال القابسي فهي " أما العادة الفكرية فهي طريقة التفكير التي يكتسبها الإنسان في ظروفه الاجتماعية والتعليمية المحيطة به" (١).

أما عن تحديد الوقت للمراجعة والكتابة فهي في عصرنا الحديثة الاختبارات المقاييس "وهكذا يكون النمو العقلي هو التغيرات الطارئة على الأداء السلوكية للأطفال أو الناشئة المختلفين في أعمارهم الزمنية في المقاييس أو الاختبارات التي تقيس الأداء العقلي بدرجة من الصدق والثبات" (٢).

التحلى بالنظام من شروط تطبيق الثواب والمكافآت:

عطلة الأعياد: [العبيدين عيد الفطر وعيد الأضحى]

بعد أن تحدث القابسي عن التوقيت التربوي في تحصيل العلوم والمعارف بالنسبة للأيام الأسبوعية، يتحدث بعد ذلك عن توقيت الإجازات في الأيام الرسمية مثل الأعياد والختم حيث يقول: " وكذلك بطالة الأعياد أيضا على العرف المشتهر المتواطأ عليه. وقال ابن سحنون لابييه: كم ترى أن يأذن لهم في الأعياد؟ فقال الفطر يوما واحداً ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيام، والأضحى ثلاثة أيام ولا بأس أن يأذنهم خمسة أيام قال أبو الحسن: يريد ثلاثة أيام في الفطر يوماً قبل العيد ويوم العيد فيوم ثانية وخمسة أيام في الأضحى يوم قبل النحر، وثلاثة أيام النحر واليوم الرابع هو آخر أيام التشريق ثم يعودون إلى معلمهم في اليوم الخامس من أيام النحر، وهذا وسط في الرفق" (٣). والغرض من تنظيم الاجازات هو التحلى بالنظام.

(١) علم النفس التربوي د/ أحمد زكي صالح - مرجع سابق - ص ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق - ص ٢٢١.

(٣) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٦٨.

أجازة ختم القرآن: "إذن الآباء" وهو اشتراك الأسرة في تدبير شأن المتعلم:

أما في اجازة الختم للقرآن الكريم فإنها تتعلق بالأداب الشرعية عند القاسبي فيقول: "وأما بطالة الصبيان من أجل الختم، فقليل لسحنون أيضا: أترى للمعلم في إذنه للصبيان اليوم ونحوه قال: ما زال ذلك من عمل الناس مثل اليوم وبعضه، ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر إلا بإذن آبائهم كلهم، لأنه أجبر لهم قيل له: ربما أهدى الصبي إلى المعلم أو اعطاه شيئا، فيأذن لهم على ذلك؟ فقال إنما الأذن في الختم اليوم ونحوه وفي الأعياد وأما في غير ذلك فلا يجوز إلا بإذن الآباء قال: ومن هنا اسقطت شهادة أكثر المعلمين لأنهم غير مؤدين لما يجب عليهم، غلا في عصم الله" (1)

أهمية الحوار وأداب المناظرة عند القاسبي:

ولعل خير منهج يوضح اتجاهات النسق التربوي عند القاسبي هو استخدام لفن الحوار، ولقد كان هذا الطابع العلمي ظهر عنده من خلال استخدامه لبعض المصطلحات التربوي "مثل يتخابرون" "يخرجهم ويبيح لهم أدب بعضهم بعضاً" وعلى هذا النحو يمكن أن نتيج هذه المصطلحات في الوقت الحاضر، وهذا يعبر عن "المنهج المحوري من المناهج الحديثة التي ظهرت كرد فعل للمنهج التقليدي الذي استمر عشرات السنين مركزاً على اهتمامه على المواد الدراسية حتى أصبحت هدفا في حد ذاتها" (2).

وعلى هذا النمط يتضح أن القاسبي يعبر عن المنهج والخبرة: "يتيح هذا المنهج الفرصة لمرور التلاميذ بأكبر قدر من الخبرات المربية نظراً للأنشطة المتنوعة والمستمرة التي يقومون بها عند تخطيط وتنفيذ الوحدات الدراسية المختارة ومما لا شك فيه هو أن تنوع الأنشطة و استمراريتها له تأثير إيجابي على تنوع الخبرات واستمراريتها" (3).

(1) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(2) أسس المناهج وتنظيماتها د. حلمي أحمد الوكيل وآخرون - ص ٣٢٤.

(3) المرجع السابق - ص ٣٣٦.

وفن الحوار والمحادثة عند القابسي يهتم بالأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصية وقد ظهرت هذه السمات بوضوح تام من خلال تمسك الأطفال بالأخلاق الإسلامية وهي تلك الضوابط المنظمة للسلوك الإنساني، ومعرفة مدى اختلاف درجات النسق القيمي لديهم باختلاف كل من النوع والعمر الزمني والمستوى الاجتماعي والمناظرة عند القابسي تعبر عن الإقرار بالأخلاق، والتجرد في الحوار والعلم، والرجوع إلى النص لدرء النزاع، وحسن الفهم عند الأطفال، وتحديد الهدف والتعرف على فن الأسئلة، وتقويم اللسان والبيان وحسن الاستماع وهناك أمور ستة تحرم الإنسان من العلم وهي: " أحدهما: ترك السؤال، الثاني: سوء الإنصات وعدم إلقاء السمع، الثالث: سوء الفهم، الرابع عدم الحفظ، الخامس: عدم نشره وتعليمه، والسادس: عدم العمل به فإن العمل يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه" (١).

فن الحوار عند القابسي يقلل من العقوبات:

ومن أهم الطرق التي يجب اتباعها في تعليم الصبيان هو تخصيص وقت للمناقشة كي يتعلموا أحوال المناقشة وآداب الاستماع فيقول: " فينبغي له أن يجعل لهم وقتاً من النهار يعلمهم في الكتاب ويجعلهم يتخابرون لأن ذلك مما يصلحهم ويخرجهم ويبيح لهم أدب بعهم بعضاً، ولا يجاوز ثلاثاً، ويجعل الكتاب يعنى في كل يوم من الضحى إلى وقت الانقلاب" (٢).

فيما سبق ذكر القابسي الأوقات المحددة لأجازة الأطفال في الحفظ وفي المراجعة وفي أيام الأعياد، وهذه الشروط لها علاقة وثيقة بعملية الثواب والعقاب.

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة - ابن قيم الجوزية ص ٢٦٨.

(٢) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٦٥.

التفرغ لأداء مهمة التعليم:

وبعد أن فرغ القابسي من ذلك بدأ يضع لنا شروط محددة لوقت المعلم المباح له في كتابة مؤلفاته حيث يقول: " قيل: فهل ترى للمعلم أن يكتب كتب العلم له أو للناس، فقال أما في وقت فراغة من الصبيان، فلا بأس أن يكتب لنفسه وللناس مثل أن يأذن لهم في الإنقلاب. وأما ما داموا حوله، فلا أراه يجوز له ذلك" (١).

وكذلك يتضح مما سبق أن اكتشاف منهج الدراسة عند القابسي يعبر عن إستراتيجية التعليم في وقتنا الحاضر، وظهر ذلك من خلال اختياره للالفاظ التربوية، مثل "يتخابرون" "لبعضهم البعض، وهذا ما يسمى في العلم المعاصر الحوارات والمناظرات العلمية.

استراتيجية التعليم في مجموعات صغيرة:

وتتلخص هذه الاستراتيجية فيما يلي تكوين المجموعة من حيث يتم تقسيم الطلاب إلى مجموعات وفق أسس معينة أما القدرة أو مستوى التحصيل أو تكليف المجموعة بعمل اشراف المعلم على سير العمل - وتقويم نتاج العمل" (٢)، وهذا الذي نعبر عنه بكلمة (سكشن).

وفن الحوار عند ديوى يمثل "الديمقراطية والتفاعل الحر على أن يؤدي ذلك إلى النمو الحقيقي وذلك عن طريق مناقشة الأفكار بحرية والتخطيط المشترك بين التلاميذ وهيئة التدريس" (٣).

بعد استعراضنا فن الحوار عند القابسي ودوره في تقليل العقوبات على الأطفال يتحدث عن أغراض وكيف يتم:

(١) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٧١.

(٢) أسس المناهج وتنظيماتها د. حلمي أحمد الوكيل وآخرون - ص ١٥٠.

(٣) أصول التربية د. أحمد على الفنيش - مرجع سابق - ص ٢٤٦.

العقاب والغرض منه:

لا يفصل القابسي في العقاب بين الطفل البالغ، أو بين الصبي، والمعلم، أو بين الرجل و المرأة، كلهم أفراد من البشر و إن اختلفت صفاتهم، وتباينت أعمارهم فالصبي في الكتاب يوقع عليه العقاب إذا استحق العقاب، ويعاقب المعلم إذا أهمل في أداء عمله، والولد العاق يستأهل التأديب من والده، وللزوج على زوجته حق التأديب الذي يصل إلى حد الضرب" (١).

والقابسي يفرض العقوبة على الصبيان، ويبين حدودها، ويفصل مراتبها كما هو مقرر في الإسلام مما هو ثابت في كلام الله، وأحاديث الرسول، كل قواعد العقاب مطبقة في وقتنا المعاصر والغرض من العقوبة عند القابسي هو الإرشاد والإصلاح، لا الضرب والتعنيف والانتقام، ولهذا حرص القابسي على معرفة طبيعة الطفل ومزاجه قبل الإقدام على معاقبته، ويشجع القابسي الأطفال على مشاركتهم بأنفسهم وإصلاح خطأهم بأنفسهم، ويجب على المعلم استخدام روح الرفق والعطف والشفقة في معاقبة الطفل ومجمل القول أن الهدف من العقاب هو ما يلي: هذه الأهداف هي أهداف معاصرة".

١- الغرض من العقاب هو التأديب والتهديب وتعليم الأطفال محاسن الأخلاق.

٢- حفظ الطفل من قرناء السوء، وزجره عن القبائح، والمنح من لغو الكلام وفحشه.

٣- ألا يضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة من السن.

٤- ألا يزيد الضرب على ثلاثة أسواط.

٥- أن يعطى الطفل الفرصة في أن يتوب عما فعل ويصلح الخطأ.

٦- تربية الطفل، وتعويد الخصال الحميدة قبل أن ترسخ فيه العادات القبيحة.

(١) التربية في الإسلام د. أحمد فؤاد الأهواني - مرجع سابق - ص ١٣٨.

٧- ألا يعامل المعاقب بالشدّة والعنف في البدء، بل باللين واللفظ ويستعمل معه الترغيب تارة والتخويب تارة أخرى، ويستخدم العبوس والتوبيخ والتأنيب إذا اقتضى الأمر.

٨- وقد عنى فلاسفة التربية الإسلامية بموضوع العقوبة عناية كبيرة سواء أكانت عقوبة معنوية أم كانت بدنية وأجمعوا على أن الوقاية خير من العلاج^(١).

وانطلاقاً من الحقائق التي برهن عليها القابسي ليجعل منها مهمات لنسقة التربوي فيقول:

ويواصل القابسي نسقة التربوي في وضع قواعد لتأديب المعلم، إذ قصر في عمله، ويستحق المعلم إجارة حوزة وتأديبه إذا قدم اعتذاره في إهمال الطفل لذلك يقول القابسي: " فإن اعتذر المعلم ببله الصبي، واختبر الصبي فوجد لذلك لا يحفظ ما علم، ولا يضبط ما فهم، فلم يحصل لهذا المعلم إلا إجارة حوزة وتأديبه، لا إجارة التعليم إذا لم يعرف أباه بمكانه من فقد الفهم لأنه لو عرف أباه، فرض له بشئ لزمه فإذا لم يعرفه فقد غره، والمغرور لا يستأهل على تغريره جعلاً ولا إحساناً"^(٢).

ومن النص السابق يتبين لنا أن القابسي وضح قواعد تربوية لمعاقبة الطفل عند تقصيره في علمه. ويشير القابسي بعد ذلك إلى مواصفات المعلم الذي لا يلتزم بحدود الأسباب الموجبه لضرب الأطفال، وهذه المواصفات تعتبر جزء من التأديب المعنوي لذلك يقول: " وأما سؤال عما يتعدى به المعلم في ضرب الصبي فنترقى إلى ما هو أكثر من الضربه، فهذا إنما يقع من المعلم الجافى الجاهل"^(٣) ولعل مما شجع على جعل العقوبة اليدوية سلاحاً في يد المعلم أن أهل الأطفال وذويهم كانوا كثيراً ما يلجئون للمعلمين

(١) التربية الإسلامية وفلاسفتها أ. محمد عطية الإبراشي ص ١٥٥.

(٢) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٧٦.

(٣) المصدر السابق - ص ١٩٠.

يطلبون منهم تأديب أولادهم وتعليم الأطفال تشمل تقويم سلوكهم ومعاقبتهم إذا وقع منهم ما يشين هذا السلوك.

وفيما سبق نجد أن القاسبي يضع عملية الثواب والعقاب، والجزاء المادي والمعنوي شروطاً ألا وهي أن يكون المعلم بصيراً، وعالماً بكيفية الضرب والجزر بالمتعلم، وهذا ما وجدناه عند الامام الغزالي حيث يقول: " أنه ينبغي أن ينهى عما يجب النهي عنه بالتعريض لا بالتصريح لأن التعريض يؤثر في الجزر والتصريح بالجزر مما يغيري بالنهي عنه.

قال عليه السلام: (لو نهى الناس عن فت البعر، لفتوه، وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء" وينبه على هذا قصة آدم وحواء وما نهيا عنه وقد قيل: [رب تعريض أبلغ من تصريح]

وذلك أن النفوس الفاضلة لميلها إلى الاستبطان والتنبه للخفيات يمثل إلى التعريض شغفاً باستخراج معناه بالفكر والتعريض لا يهتك حجاب الهيبة" (١).

ويجب على المعلم أن لا يستعمل أسلوب التقييح في عملية الثواب والعقاب، لأن أسلوب التوبيخ يؤدي إلى إحباط عزيمة المتعلم في طلب العلم فيقول الإمام الغزالي " أن التكفل ببعض العلوم لا ينبغي له أن يقبح في نفس المتعلم العلم الذي ليس بين يديه، كما جرت عادة معلمى اللغة من تقبيح الفقه عند المتعلمين وجزهم عنه وعادة الفقهاء من تقبيح العلوم العقلية والجزر عنها، بل ينبه على قدر العلم الذى فوّه ليشغل به عند استكمال ما هو بصدده وإن كان متكفلاً بعلمين مترتبين، فإذا فرغ من أحدهما، وفى المتعلم، إلى الثانى، وراعى فيه التدرج" (٢)

(١) ميزان العمل - الإمام الغزالي - ص ٣٦٦.

(٢) المصدر السابق - ص ٣٦٧.

وقد وضع ابن مسكوية نظاماً لتأديب الصبيان وإنزال العقوبة بهم إذا اخطئوا فهو يقول: فالذنب الأول الذي يرتكبه الصبي يعفى عنه، والثاني يعاتب عليه عتاباً مباشراً، فإن عاد إلى ذلك ضرب ضرباً خفيفاً، فإذا استعمل المدرس هذه الطرق ولم ينته الصبي فعلية أن يتركه مدة، ثم يعود إليه بنفس الطرق ويروى أن سكويه قول الماوردي إذا استعصى على المدرس قيادة الطفل ودام منه نفور قلبه مع سياسته ومعاناة رياضته تركه ترك راحة ثم عاوده بعد الاستراحة^(١).

والمعلم يصبح قاسياً جافياً جاهلاً في نظر القاسبي لأنه لم يلتزم بشروط الضرب وصفاته وهي كما يلي:

- ١- ألا يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب، لأن منهم من تكفيه الإشارة البعيدة.
- ٢- أن يوقع المعلم الضرب (بقدر الاستئصال الواجب في ذلك الجرم)
- ٣- أن يقوم المعلم بضرب الصبيان بنفسه ولا يترك هذا الأمر لاحد من الصبيان.
- ٤- ألا يتعدى إلى التأثير المشنع أو الواهن المضر.
- ٥- إن مكان الضرب في الرجلين لأنه آمن من سوء الطفل.

ونخلص في هذه الفقرة من الفقهاء محمد بن سحنون الذي استقى منه القاسبي وذكر عنه ونقل منه "آداب المعلمين" ويتناول القاسبي تأديب المعلم من خلال الآداب الشرعية، ويستشهد على ذلك بأقوال السلف الصالح حيث يقول: "فما لهذا بضرب بالعصا واللوح قال في كتاب ابن سحنون: سئل مالك عن معلم لو ضرب صبياً فقفاً عينه، أو كسر يده فقال: إن ضرب بالدرة على الأدب، وأصابه بعودها فكسر يده، أو فقفاً عينه فالدية على العاقلة، إذا فعل ما يجوز فإن مات الصبي فالدية على العاقلة بالقامة وعليه الكفارة"^(٢).

(١) التربية الإسلامية . د. أحمد شلبي - ص ٢٧٢.

(٢) أحوال المتعلمين - القاسبي - ص ١٩٥.

وفي الإسلام ألوان كثيرة من العقوبات البدنية تتناسب شتى الجرائم فجزاء القتل القتل، والحالة في عقاب الصبيان لا تصل بطبيعة الحال إلى حد القتل وقطع اليد، لأن الصبيان غير مكلفين.

والقصاص وهو المساواة بين الجريمة والعقوبة عليها فيعاقب الجاني بأن يفعل به نفس ما فعله بالمجنى عليه.

ويتحدث القاسبي عن القصاص من المعلم الذي يتعدى الضرب للطفل فيقول: فعن ضربه باللوح أو بعصا فقتله، فعليه القصاص" (1) وجرائم القصاص هي جرائم الاعتداء على جسم الإنسان سواء بالقتل أو الجرح أو الضرب ويعبر عنها في الاصطلاح الشرعي بجرائم الاعتداء على النفس، والناس جميعاً أمام الله سواء فلا فرق بين غني وفقير ولا بين قوى وضعيف.

وفي إطار هذا النسق التربوي السابق لقواعد تأديب المعلم، يبين لنا الحدود الذي تخطاها المعلم في ضرب الطفل، والآلات أو الوسائل التأديبية التي يستخدمها في ذلك، مبيناً الأحكام الشرعية وفي ذلك يقول: " لأنه لم يؤذن له أن يضربه بعصا، ولا بلوح، قال أبو الحسن: إنما كانت الدية على العاقلة في الذي أصاب الصبي بعود الدرة، من قبل أن يضربه بالدرة للصبي جائز فمصادفة عودة الدرة الصبي، لم يقصد إليه المعلم، وكان خطأ وكانت فيه القسامة إن مات من قبل نه إنما يعلم بإقرار المعلم على أحد الأقاليل" (2)

ويبرهن القاسبي بعد ذلك على تأديب المعلم المتعدى بالضرب من خلال شهادة الشهود فيقول: " ولو حضرة شاهدان وما في مقامه، ما كانت فيه قسامه، وكانت الدية على العاقلة. وأما العصا واللوح فقصده إلى ضرب الصبي بهما تعد منه فليس له عذر أكثر من أنه غضب فتعدى الواجب فأستأهل الفقد، وهو مأخوذ بإقراره في ذلك فلا قسامه

(1) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(2) المصدر السابق - نفس الصفحة.

فيه. وقد قال سحنون: إذا ضرب المعلم الصبي ما يجوز له أن يضربه، إذا كان مثله يقوى على مثل ذلك فمات أو أصابه منه بلاء، لم يكن على المعلم شيء غير الكفارة إن مات" (١)

العقوبات المسموم بها في منهج القاسبي ومقارنتها بالعقوبات المعاصرة:

فيما سبق من قانون العقوبات عند القاسبي تتضح ثلاث حقائق هامة:

١. الولد القليل الفهم، أو الكسول، أو سئ الخلق، ليس في الواقع مجرمًا، بل أنه مريض أو شاذ وهو في كلا الحالتين يستحق المداواة (العلاج).
٢. وما العقوبات المدرسية سوي أدوية، ووسائل طبية نفسية تحاول انقاذ الولد من بعض عاداته الشاذة حتى يعدل مما هو مقدم عليه من انحراف.
٣. العقوبات كالدواء يعطي ليشفي، ولا يفرض للانتقام من نفوس صغيرة (٢).
- ٢- يستطيع المعلم أن يلجأ للعقوبة البدنية عند الضرورة القصوى، ويجب ألا يكثر استعمالها وإذا استعمالها فيجب ألا يكون متشفيًا قاسيًا، بل مؤدبًا رحيماً متمسكاً بالإخلاق الحميدة.
- ٣- يكون الضرب بالدرة، علي أن يكون رطبه مأمونة، ولا يضرب علي الرأس ولا علي الوجه، بل يضرب علي الأفضاخ و أسافل الرجلين لأن هذه المواضع لا يخشي منها مرض ولا غائلة وهذا ما توصل إليه الطب الحديث بعدم ضرب الأطفال علي الوجه.

وهناك تأديب من تأديب العلماء، فيقول الجاحظ: «وقدموا رجلاً من الخوارج إلي عبد الملك بن مروان لتضرب عنقه، ودخل علي عبد الملك ابن له صغير قد ضربه

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٢) رائد التربية العامة وأصول التدريس - عبد الحميد فايد - مرجع سابق ص ٤٢٥، ٤٢٦

المعلم، وهو يبكي، فهمَّ عبد الملك بالمعلم، فقال له الخارجي: دعوة يبكي فأنه أقبح لجرمه، وأصح لبصره، وأذهب لصوته. قاله له عبد الملك: أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا؟ قال الخارجي: ما ينبغي لمسلم أن يشغله عن قوله الحق شيء! فأمر بتخليه سبيله»^(١)، وسوف نذكر بعض المؤدبين:

« وهناك مؤدبين مشهورين في تاريخ العلم: فمن المؤدبين أبو معبد الجهيني، وعامر الشعبي كانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان وهما أقدم المؤدبين فيما وقفنا عليه، ويزيد بن مساحق، أدب الوليد بن عبد الملك أيضاً، وعبد الصمد بن الأعلى، أدب الوليد بن عبد العزيز، والجعهد بن درهم كان يعلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني الهادي»^(٢) وقال أبو عبد الله نبطوية عن نفسه: [الغرض من ذكر هذه الأبيات للموعظة والعبرة خوفاً من عقاب المستقبل].

أراني أنسي ما تعلمت في الكبر	ولست بناس ما تعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا	وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
وما فلق القلب المعلم في الصبا	لألفي فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف	إذا كل قلب المرء والسمع والبصر
وما المرء إلا اثنان: عقل ومنطق	فمن فاتته هذا وهذا فقد دمر

سيكولوجية العقاب عند القاسبي (العلاقة بين الهدية والخوف من أذي المعلم)

فيما سبق تحدث القاسبي عن تأديب المعلم إذا تعدي بالضرب علي الطفل، وبعد ذلك يفسر لنا واجبات المعلم المطلوبة والواجبة عليه في أخذ الهدايا من الأطفال، ماذا يجب عليه؟ وكيفية طلب الهدايا من الأطفال؟ هل يجوز تأديبه أم لا؟

(١) البيان والتبيين - الجاحظ - ج ١ ص ١٨٨، ١٧٨.

(٢) تاريخ آداب العرب - مصطفى صادق الرافعي - ج ١ - ص ٢٦.

وللإجابة علي هذه الأسئلة: ذكر القابسي بعض العادات والتقاليد التي كانت متبعة في عصره، وهي إذا تزوج رجل، أولاد، فيبعثون صبيانهم فيصيحون عند باب المعلم ويقولون: أستاذنا بصوت عال، فيعطون ما أحبوا من طعام خوفاً من آذاه، فوجب تأديب المعلم علي ذلك فيقول: (وأما إن كان يُهدِّدُهُم أو يخليهم إذا أهدوا إليه، فلا يحل له ذلك لأن التخلية داعية إلي الهدنة مكرره، فإذا كان هذا كما وصف سحنون فيما يأتي به الصبيان فالذي سألت أنت عنه أشد وأكره: لعل صاحب التزويخ، أو أبا المولود، لا يعطي ما يعطي إلا تقيه من أذي المعلم أو أذي صبيانه، أو من تفريع بعض الجهال⁽¹⁾). وهذه خلاصة ما ذكره القابسي في العقاب، متمشياً مع روح الإسلام في مبادئه، وأصوله، حيث يبدأ بالرفق وينتهي بالشدّة، ويضع الأمور موضعها فيقرر العقوبة الملائمة للذنب، وينصح بالحزم من غير قسوة مع مراعاة الروح الإنساني وهذا ما نجده في التربية المعاصرة بالتفصيل.

صفات وسمات وأهداف نظريات العقاب عند القابسي ومشابتها بالنظريات المعاصرة:

ويمكن أن نستخلص من قانون العقوبات عند القابسي إلي ما يلي:

نلاحظ أن أهداف تناوله لقواعد تأديب المتعلم يشمل تعلق المعلمين والمتعلمين علي المستوي المحافظة لإحتوائه علي أنواع الثواب وضوابط الثواب، وأنواع العقاب وضوابط العقاب المعنوي، وكانت هذه الفروق في: أنواع الثواب وضوابطه، وضوابط العقاب المعنوي، وتحدث أيضاً فيما يخص: ضوابط العقاب المعنوي، وضوابط العقاب البدني، وبالنظر للنتائج السابقة في ضوء الدراسات والبحوث التربوية عند القابسي نجد أن القابسي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، بمعنى أنه تمسك بالتراث الإسلامي ونصوصه،

(1) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٧٠.

في معاقبة الأطفال، ثم بعد ذلك وضع لنامصطلحات علمية تربوية تتناسب مع عصرنا وبالأخص في نظريات العقاب. وقبل أن نبين أثر العقاب في التربية يحسن بنا أن نستعرض في شئ من الإيجاز نظريات العقاب عند القابسي حتى نكون علي بيّنة من أمرنا عند مقارنتها بالنظريات المعاصرة. ويمكن أن نلخص نظريات العقاب عند القابسي فيما يلي:

- ١ - العقوبة المشروعة في الإسلام
- ٢ - الرفاق بالصبيان
- ٣ - النهي عن عقوبة الانتقام
- ٤ - الخوف وأثره في التهذيب
- ٥ - عقوبة الضرب
- ٦ - العقوبة الواعظة

وقد شرحنا ذلك بالتفصيل فيما قبل، ووجدنا أن هذه النظريات يتم تطبيقها في الوقت الحالي وهي عبارة عن:

- ١ - النظرية الوقائية
- ٢ - النظرية الواعظة
- ٣ - النظرية الجزائية
- ٤ - نظرية الجزاء الطبيعي

أولاً: (١) النظرية الوقائية: «فالعقاب هنا وسيلة لهدف أسمى منه، فإذا وقف الطفل من الأطفال عقبة في سبيل غيره، أو سبب ضيقاً لباقي الفصل فإنه يحجز جانباً أي يوضع حيث لا يستطيع أن يضايق غيره أو تمديده إليهم بسوء. وإذا تطلب إخراجه استخدام القوة الجثمانية فلنستعمل تلك القوة وهذا ليس عقاباً ابتدعته مدرسة منتسوري، ولكنه تصرف أدت إليه النتائج الطبيعية»^(١).

(٢) النظرية الواعظة: «وتنظر هذه النظرية كراوع لا لمسبب تصرف الضرر نفسه بل أنه يردع الآخرين من ارتكاب ذلك الجرم، وما العقوبات الواعظة إلا وسائل سلبية ليس لهما من الأثر، والقوة ما للوسائل الإيجابية التي يعول عليها في خلق التقاليد

(١) التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز عبد الحميد- دار المعارف بمصر- ٢- ص ٢٩٧.

المدرسية»^(١). وبمقارنة أقوال القاسبي وجدنا أن هاتين النظريتين متساويتان تماماً في أفعاله وأقواله.

(٣) النظرية الجزائية: و هذه النظرية متفقه تماماً مع نظريات العقاب عند القاسبي والدليل علي ذلك أن القاسبي قال: ألا يوقع المعلم الضرب إلا علي ذنب.

أن يقوم المعلم بضرب الصبيان بنفسه

وعندما نقارن أقوال القاسبي بالنظرية الجزائية الحديثة فنجد: «أن العقوبة يختلف نوعها، ووسائلها بالنسبة إلي ذنب بعينه، وكذلك تختلف بالنسبة للأفراد المراد عقابهم، فالمخلوقات الأدمية تختلف كثيراً في الخلق، والمزاج والتركيب النفسي، والجسمي، وما يكون علاجاً ناجحاً مع الطفل بعينه قد لا يجدي نفعاً مع الآخر. فبينما نجد أن بعض الأطفال أكثر إحساساً للألم الجثماني نجد أن أكثر حساسية بالنسبة للألم المعنوي أو الخلق، فنظره تأديب تحدث في طفل من الأطفال أثرها الإصلاحي بينما لا يجدي مع آخر سوي الضرب. والواقع أن كل طفل علي حده مشكلة في حد ذاته»^(٢).

والحكمة من نظرية القاسبي هي ما يلي:

١. عدم معاملة الأطفال معاملة واحدة، تطبيقاً لنظرية الفروق الفردية.

٢. مراعاة الفروق الفردية عند الضرب.

٣. استخدام اللين والشفقة أثناء تطبيق العقوبة.

كل هذه النتائج السابقة نجدها في النظريات الحديثة وهي «ولذلك يخطئ أشد الخطأ إذا عاملنا الأطفال فيما يختص معاملة واحدة، فتلك طريقة عديمة الجدوي إلي جانب ضررها البليغ وخاصة إذا كان الغرض من العقاب هو إصلاح المذنب»^(٣).

(١) المرجع السابق - ص ٢٩٧، ٢٩٨.

(٢) التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز وآخرون - ص ٢٨٨.

(٣) المرجع السابق - نفس الصفحة.

«ومهما كانت الظروف فيجب ألا يلجأ المربي إلى العقاب البدني إلا في الحالات التي يتعذر فيها عمل الطفل على اتباع الفضيلة والإقلاع عن الرذيلة بطرق النصح والإرشاد»^(١).

بعد أن تعقبنا مشابهة أقوال القابسي بالنظرية التربوية الحديثة، نتحدث الآن عن الجانب النفسي في:

التأديب في منهج القابسي:

منهج التأديب التربوي عند القابسي يشمل الثواب والعقاب وهما وسيلة لتحقيق النظام التربوي السليم، لأن الثواب يعبر عن الإرتياح النفسي، والعقاب هو شعور الفرد بالتقصير والأذى والألم، ولقد تحدث القابسي عن مفاهيم تربوية تعبر عن الحقائق العلمية مثل التأديب، والتربية، والرياضة، ويعرف التراث التربوي بالمتوبات والعقوبات أنها نوع من الجزاء المادي والمعنوي الذي يناله أو يستحقه الطالب في مقابل القيام بنشاط تعليمي أو انحراف في العملية التربوية السليمة: «والجزاء بهذا الشمول لا بد أن يقوم به فكر تربوي ومُربٍّ يسعى بحكمته إلى تقدير أنواعه ووضوفه فلا يتخذ نوعاً من الجزاء، ولا يسوّي بين الطلاب فيه ولا يستعمل الأشد قبل الشديد والخفيف كما لا يبذل أعظم أنواع التقدير والتكريم إلا حيث يستحق الطالب هذا التكريم والتقدير»^(٢).

وفي باب تأديب الصغير: «قالت الحكماء: من أدب ولده صغيراً سُربّه كبيراً، وقالوا: أظبع الطين ما كان رطباً، واغمر العود ما كان لنا، وقالوا: من أدب ولده غم حاسده، وقال ابن عباس: من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يُحب»^(٣).

(١) المرجع السابق ٠ ص ٢٩٩.

(٢) في التراث التربوي - أ. نذير حمدان - ص ٩١.

(٣) العقد الفريد - ابن عبد ربه - ج ٢ - ص ٤٣٥.

التكوين النفسي للطفل عن كريق حافظ الإثابة:

فيما سلف ذكره قمنا بتعريف معني الثواب ومعني العقاب، وعرفنا أن الثواب هو الإرتياح النفسي للمعلم تجاه الطفل نظراً لتفوقه وتميزه في القراءة والهجاء وغير ذلك، فيجب علي المعلم أن يشعر الطفل بتفوقه لكي يصبح لديه حافز علي التفوق دائماً، ومجتهداً في تحصيل العلم لذلك يقول القاسبي: «وإذا هو أحسن، يغبطه بإحسانه في غير انبساط إلية ولا منافره له، ليعرف وجه الحسن من القبح، فيتدرج علي اختيار الحسن وهذا ما يدل الاجتهاد، والله يزكي من يشاء وهو السميع العليم»⁽¹⁾.

قاعدة الثواب تشمل (التهجى الحسن، والخط الحسن، والقراءة الحسنة، والإملاء الحسن):

قاعدة الثواب : هي التي تميز بين الطفل المخطأ من الذي لا يخطأ وكذلك تبين المجتهد من الخمول فيقول: (وليس الذي يخطئ كالذي لا يخطئ في قدر ما يعطي فانظر كيف جعلُ المعلمُ في الحذقه إنما هو مكافأة علي وجه التكارم وكذلك قال في حذفه النظر إنما يجب للمعلم فيها أن يكارم ويكافأ، إذا كان الغلام يتهجى تهجياً حسناً، ويخط خطأ جميلاً ويكتب ما يلي عليه، ويقرأ نظراً ما أمر بقراءته، فإما إذا يجب عليه ما وصفنا فوق هذا من التأنيب والتعنيف⁽²⁾ كل هذه النصوص السابقة للقاسبي يتم تطبيقها في التربية المعاصرة.

«وقال عمرو بن عتبه لمعلم ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كقاب الله ولا نكرهم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، روهم من الحديث أشرفه، ومن العشر أعة ولا ينقلهم من علم إلي علم حتى يحكوه فإن ازدحام الكلام في القلب مشغله للفهم» [العقد الفريد- ابن عبد ربه- ح ٢ ص 436]

(1) أحوال المتعلمين- القاسبي- ص ١٦٦.

(2) المصدر السابق ص ١٨٤.

سيكولوجية الضرب والركائز الأساسية التي وضعها القابسي:

ويتناول القابسي الأسباب الموجبة للضرب فيقول: « ويأخذ عليهم ألا يؤذي بعضهم بعضاً، فإن شكوا بعضهم أذي بعض، فقد سئل سحنون عن المعلم يأخذ الصبيان بقول بعضهم علي بعض في الأذي قال: ما أري هذا من ناحية الحكم وإنما علي المعلم أن يؤدبهم إذا أذي بعضهم بعضاً»⁽¹⁾

وعلي هذا الأساس السالف الذكر في قواعد التأديب التربوي نجد أن القابسي يحدد كيفية استخدام الضرب، ويعبر أيضاً عن سوء استخدام الضرب من المعلم فيقول: «وأما سؤلك عما يتعدي به المعلم في ضرب الصبي، فترقي إلي ما هو أكثر من الضربة، فهذا إنما يقع من المعلم الجافي الجاهل»⁽²⁾.

وبعد ذلك حدد القابسي سيكولوجية المعلم وقت الضرب بمعنى أن المعلم مثل القاضي عندما يحكم فلا يحكم وهو غضبان كذلك المعلم حيث يقول: «وقد قد من لك نهى المعلم عن ضرب الصبي وهو غضبان»⁽³⁾.

فالقابسي يقصد من النص السابق الرفق والعدالة في العقاب، وعدم التشديد فيه، والابتعاد عن المغالاة في الضرب أو أية وسيلة أخرى من وسائل الرياضة والتأديب وعلّة ذلك نفسانية، وفي سورة الغضب يحطم الإنسان كل شيء، ويعتدي علي كل شيء، لأن المحرك له قوة الكفاح والمقاتلة لا ميزان الحكمة وتقدير العقل والمصلحة. وكثيراً ما يفقد الإنسان الحكمة والبصيرة، ويعود إلي الطور الحيواني من الارتفاع الأعمى، ويكون ذلك في أحوال الغضب الشديد، والعقوبة في الإسلام لا ينبغي أن تكون انتقامية.

(1) أحوال المتعلمين - ص ١٦٥.

(2) المصدر السابق - ص ١٩٥.

(3) المصدر السابق - نفس الصفحة

المقارنة بين القابسي وجون لوك:

ونستنبط فيما سبق من أقوال القابسي مما يلي:^{*}

١. استخدام الرفق واللين والعدالة في العقاب لتشويق التلاميذ إلي العلم وحبهم إليه.
٢. الابتعاد عن الغضب ومراعاة الحالة النفسانية للطلبة لمخاطبة الأطفال علي قدر عقولهم.
٣. استخدام الحكمة والبصيرة في تنمية القدرات العقلية.

الشبه بين القابسي وجون لوك:

وقد ظهرت هذه السمات بوضوح تام في الثواب والعقاب. ويرى «لوك أن الثواب لا يقل خطراً عن العقاب في تربية الطفل لأنه يعني الدافع غير الحقيقي للسلوك. فلو أننا كافأنا الطفل علي الطاعة مثلاً فإننا قد نعوده علي أن يبدي طاعته للحصول علي هذه المكافأة لا رغبة في سلوك الطاعة نفسه إن الطريقة المرغوبة للتأكد من تعلم الطفل بطريقة صحيحة في أي مجال من منذ البداية ولو أدي ذلك إلي استخدام العقاب للضرورة. وبعدها يستطيع المعلم أن يبني علي ما يترتب علي ذلك من احترام التلميذ له في تعليمه وتوجيهه. كما أن توجيه المدح والإطراء للتلميذ أمام زملائه علي عمل حقيقي ناجح من الأساليب المفيدة للمعلم، أما توجيه اللوم أو تصحيح أخطاء فيجب أن يتم في لقاء خاص بين المعلم والمتعلم»^(١).

^{*} أقوال القابسي السالفة الذكر في أول الصفحة أعلاه هي التي تطبق في العصر الحديث عن طريق

١- إعدل بين التلاميذ في العقاب والمكافأة، علي السواء.

٢- لا تعاقب للانتقام، ولا تأمر للتحكم، بل اجعل جميع أوامرك وطلباتك للمصالحة.

٣- عند تطبيق النظام، لا بد من الحكمة والروية وضبط النفس، ويرودة الطبع علي المربي إرائد التربية

العامة وأصول التدريس د. عبد الحميد فايد- ص ٤٢٢]

(١) فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها د. محمد منير مرسى- مرجع سابق ٢ ص ٣٥٤.

ويتفق سبنسر مع القابسي في نظريته وهي: «ويري سبنسر أن خير سنة تتبع في تأديب الطفل أن يكون جزاؤه من جنس عمله، أما ضربه، وتوبيخه، وزجره فعقوبات لا قيمة لها لمخالفتها لسنن الطبيعة ولبعدها عن المساس بنوع الذنب الذي اقترفه الطفل فلها من الضرر أكثر مما لها من النفع. لذلك يري في الجزاء الطبيعي المثل الأعلى للعقاب الحازم الذي لا يصغي إلي استعطاف ولا تقبل عنده شفاعاة»⁽¹⁾. ثم بعد ذلك تحدث عن دور الأسرة في التعليم والمشاركة بينها وبين المدرسة.

مشاركة الأسرة في تربية الأولاد والمدرسة: (التعاون التربوي بين الأسرة والمدرسة)

ونخلص من كل ما تقدم عند القابسي أن هدفه من عملية الثواب والعقاب هو منفعة الطالب فيقول: «والضرب علي التعليم إنما هو لخطأ الصبيان»⁽²⁾.

ومن الجدير أن القابسي يدقق في تربية الصبيان عن طريق السلطة الأبوية في البيت فالوالد هو المسئول عن أدب الطفل في البيت ثم بعد ذلك يؤهله إلي التعليم وهذا ما نفتقده اليوم حيث يقول: «وأدبه لابنه الصغير هو مأمور فيه حتى يظهر منه الجفاء وسوء الخلق، فيزجر عنه، إنما السبيل في أدب من يريد صلاحه، أن يؤدبه في غير عطب ولا حمية، إذ هو ليس علي باب العداوة»⁽³⁾ فالأطفال يظلون أمانة في عنق آبائهم ومربيهم.

وبالمقارنة بين قاعدة الثواب والعقاب عند القابسي بالعصر الحديث نجد أن قاعدة القابسي يتم تطبيقها بالكامل في منهج التحليل العلمي والفلسفة التحليلية. و«ترفق الفلسفة التحليلية استخدام العقوبة الصارمة، وإنما استبدالها بعقوبات خفيفة، وأنة يجب استبدال

(1) التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز وآخرون حـ ٢٠٠٠ ص ٣٠٠.

(2) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٩٥.

(3) المصدر السابق - نفس الصفحة.

الثواب والعقاب بعلميتي الثناء واللوم. والعقوبات البدنية غير مجدية وضارة وتؤدي إلي القسوة والوحشية»^(١).

ومن أعلام الفلسفة التحليلية الفيلسوف الانجليزي جورج إدوار مور (١٨٧٣-١٩٥٨) وقام بتأليف كتاب مبادئ الأخلاق، وعلم الأخلاق العام، وبرتراندرسل (١٨٧٢-١٩٧٠) فيلسوف انجليزي ويعتبر إمام التحليل المنطقي، وإن أوروبا في عصرنا هذا تزداد أخذاً من فقهاء وعلماء المشرق والمغرب العربي.

مفهوم التربية وأثرها علي العقاب:

وبالنظر لنتائج النصوص السابقة للقابسي ومقارنتها بالتربية المعاصرة أدركنا ما يلي:

١. الأسرة ودورها في تربية الأطفال، والضرب يكون علي الخطأ.

٢. من شروط التأديب عدم استخدام العطب والحمية.

٣. يجب استبدال الثواب والعقاب بعلميتي الثناء واللوم.

بعد أن استعرضنا النصوص الأصلية للقابسي في دور الأسرة وأثرها في التربية قبل ضرب الطفل كانت الأهداف الأساسية عنده هي ما يلي:

«لذلك تتجه أهداف هذه المرحلة نحو تزويد الأطفال بمهارات يمكن تركيزها حول مهارات الحصول علي المعلومات والمعرفة حتى يستطيع الطفل أن يعتمد علي نفسه في الاستزادة منها

- هيكل تام من المعرفة العلمية التي يمكن استعمالها في الحياة اليومية.

- بناء مترابط من المعرفة المتعلقة بالحياة الاجتماعية* والاقتصادية والسياسية

(١) المعجم الفلسفي د. مصطفى حسبيبة - دار أسامة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - ٢٠٠٩م - ص٤٤٧.
* والبناء المترابط عن طريق التربية يمثل أنواع الضبط الاجتماعي ويحتوي علي الضبط الداخلي الذي ينبع من داخل الإنسان ويمثل في القيم والعادات والتقاليد والمعايير الأخلاقية المكتسبة من الثقافة السائدة في المجتمع ويتم عن طريق الأسرة والمدرسة.

- مهارات التفكير عن الأفكار والاتصال بالآخرين والتعامل معهم»^(١)
 وبمتشابهة نظرية القاسبي في الأسرة ودورها في التربية قبل العقاب، نجد أنها تعبّر
 عن الفكر الحديث: «ويري علماء الاجتماع أن الأسرة هي أصلح بيئة لتربية الطفل
 وتكوينه ولا سيما كانت نشأته مع والديه خير وسيلة لتهديب انفعالاته، ووجداناته،
 وتكوين خلقه».

مفهوم التأديب المعنوي والجسدي عند القاسبي:

وفي إطار هذا النسق التربوي عند القاسبي نجد أنه يتناول طرق التأديب والتأديب عنده
 ينقسم قسمين وهما:

١. تأديب معنوي ويشمل القدوة والموعظة الحسنة والتربية اللطيفة.
٢. تأديب مادي أو جسدي، ويحدد القاسبي له شروط حتى لا يهرب الأطفال من
 التعليم.

ومما يستدعي إنتباه المُعلم، لابد أن يفرق بين التأديب المعنوي والتأديب الجسدي حتى
 يستطيع القيام بعملية الثواب والعقاب، لأن الغرض منهما الإرشاد والإصلاح لا الزجر
 والانتقام.

شروط التأديب المعنوي عند القاسبي:

لقد حدد قواعده تربوية هامة وهي ما يلي:

- ١- التأنيب فيقول القاسبي: «فأما إذا لم يحسن الهجاء ولم يحكم الخط، ولم يقرأ شيئاً نظراً
 فلا يجب للمعلم في ذلك شيء. بل يجب عليه ما وصفنا فوق هذا من التأنيب
 والتعنيف»^(٢)

التقبيح والوعد والوعيد بعيداً عن الضرب: (التدرج في التعليم):

(١) مفاهيم واتجاهات حديثة في تعليم أطفال المدرسة الابتدائية محمد سليمان شعلان وآخرون ص ٢٤.

(٢) أحوال المتعلمين- القاسبي- ص ١٨٤.

٢- «ويقبحه عنده، ويتواعده بشدة العقوبة عليه إن هو عاودة ليتدرج علي مجانية الخطأ. وإذا هو أحسن، يغبطه بإحسانه»^(١)، ومن هذا يتضح بعد النظر في التربية. ويتم ذلك عن طريق: «الذي فيه التواعد من غير شتم ولا سب لعرض»^(٢) والغرض من النصوص السابقة هو الإصلاح والوعظ والزجر، فهي وسائل تؤدي إلي غاية مطلوبة هي الإصلاح المذنب أو صلاح المذنبين وخير المجتمع، وهذا الإصلاح يتم عن طريق التهذيب، والرجاء، والخوف والنصيحة والتهذيب.

آثار العقوبات السلبية عند القاسبي ومقارنتها بالعقوبات المعاصرة:

أما فيما يتعلق بأنواع العقوبات عند القاسبي فإنها تنقسم إلي ما يلي:

١. استخدام القواعد التربوية في التأديب المعنوي والتأديب الجسدي.
٢. كيفية استخدام التأديب والتعنيف، وعدم الشتم وعدم سب العرض.
٣. الغرض من التأديب المعنوي والجسدي هو الإصلاح والوعظ وتهذيب الأخلاق.
٤. لا بد من تبليغ الأب عند لعب ابنه، وهروبه من التعليم.
٥. علي المعلم أن يؤدب الأطفال بنفسه وعدم ترك الأطفال بعضهم لبعض.
٦. وبمشابهة أنواع العقوبات عند القاسبي السالفة الذكر نجد أنها موجودة بالكامل في العصر الحديث والمعاصر، ويتم تطبيقها في المجال التربوي، وهي ما يلي:

«عليك بالعدل والإنصاف، عند فرض تعاليمك وأوامرك علي الجميع، فلا تفرق بين تلميذ وآخر، بل عاملهم معاملة واحدة، لا يشعر تلميذ معها بالغبين، بل حاسبة علي خطأه نحو نفسه أو نحو الآخرين، عند اللزوم، وارفح عنه ظلم الرفاق وتعدياتهم

- إذا أنبتت فلا تجرح شعور تلاميذك، ولا تذلمهم، ولا تسمهم أسماء تحقرهم ولا نتعتهم نعتاً تلصق بهم، وتضحك منهم الرفاق فيلاحقونهم بها.

(١) المصدر السابق ص ١٦٦.

(٢) المصدر السابق - ص ١٦٣.

- الحزم والعزم، أن تشتد عندما تجد الشدة نافعة، وأن تلين في الوقت المناسب.
- علي المربي أن لا يطبق الجزاء عند سورة غضبه، مهما كان الذنب كبيراً فتجئ العقوبة كبيرة أو خارجة عن المألوف، فتقلب النتيجة إلي ضدها، وربما أورثت العقوبة غير الحكمة مشاكل بين المدرسة والأهلين»^(١).

ومن الجدير بالذكر أن القابسي له تأثير واضح في نظرية رالف جاري لأنه يقول «ويستعمل العقاب كوسيلة لحذف السلوك بدون أن يخنزل قوة الباعث الذي سببه، وللعقاب ضرر إضافي هو خلق الخصومة بين المعلمة والتلميذ التي تسبب التوتر العاطفي وتسبب بالتالي عرقلة كفاية التعلم، كما أن العقاب يؤدي إلي المجازفة بتثبيت السلوك غير المرغوب فيه، ويؤدي الإطراد والتبكي والسخرية والتهكم»^(٢).

الواجبات التي يجب توافرها في التأديب المعنوي:

التأديب المعنوي يفيد المنفعة للأطفال فيقول: «كذا ينبغي لمعلم الأطفال أن يراعي منهم حتى يخلص أديهم لمنافعهم»^(٣) وحتى يعتادوا علي أحسن العادات في الكبر عن طريق تهذيبهم في الصغر ويقول الحكيم علم ابنك في الصغر يسرك في الكبر.

تطبيق مبدأ العدالة في الثواب والعقاب: (وتكافؤ فرص التعليم بالنسبة للأيتام):

١- من أهم قواعد التأديب عند القابسي استشارة الأب ويحدث ذلك عند غياب الطفل من أجل اللعب والهروب لذلك يقول: «فإن اكتسب الصبي جرماً من أذي، ولعب، وهروب من الكتاب، وإدمان البطالة فينبغي للمعلم أن يستشير أباة، ووصية إن يكون يتيماً»^(٤)

(١) رائد التربية العامة وأصول التدريس - د. عبد الحميد فايد - ص ٤٢٢.

(٢) سيكلوجية التعلم - رالف جاري ترجمة د. نظمي لوقار - دار المعارف - ص ١٣٨.

(٣) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٦٤.

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة

ويؤكد القابسي علي دور المعلم في التأديب بنفسه وليس أحد الصبيان ولا بد من التزام المعلم بالحق والواجب حيث يقول: «فلا يتهاون بنيلها بغير الحق الواجب. وليل أدبهم بنفسه، فقد أحب سحنون ألا يولي أحداً من الصبيان الضرب، قال أبو الحسن: ونعم ما أحب سحنون من ذلك، من قبل أن الصبيان تجري بينهم الحمية والمنازعة فقد يتجاوز الصبي المطبق فيما يؤلم المضروب»⁽¹⁾.

أهداف التأديب المعنوي عند القابسي:

استطاع القابسي أن يضع قاعدة تربوية في الجزاء المعنوي عن طريق أن المعلم لا بد أن يكون معتدل في استخدام الأساليب المعنوية لتربية الأطفال حيث يقول: «ولكن ينبغي له ألا يستتبط إليهم تبسط الاستئناس في غير تقيض موحش في كل الأحيان، ولا يضحك أحداً منهم علي حال ولا يبتسم في وجهة وإن أراضاه وأرجاة علي ما يجب، ولكنة لا يغضب عليه فيوحشه إذ كان محسناً»⁽²⁾ وهذا ما نصح به القابسي إذ لفت نظر المعلم إلي أن يغبط الصبي بإحسانه إذا أحسن في غير انبساط إليه ولا منافره له.

ويجب علي المعلم عندما يعاقب الطفل معنوياً من أجل التأديب والاحترام فعلية أن يحافظ علي ألفاظه خوفاً من تحطيم الطفل نفسياً ومعنوياً وبالتالي لا يستطيع أن يستوعب المعلومات لذلك يقول: «والتقريع بالكلام، الذي فيه التواعد من غير شتم ولا سب لعرض كقول من لا يعرف الأطفال المؤمنين حقاً فيقول: يا مسخ، يا قرد. فلا يفعل هذا ولا ما كان مثله في القبح، فإن قلت له واحدة فلتستغفر الله منها ولتنته عن معادتها»⁽³⁾.

ونخلص من النصوص السابقة للقابسي إلي أن المعلم يجب عليه المحافظة علي كرامة الأطفال وعلي المعلم أن يلجأ إلي العدل والتقريع بالكلام من غير شتم، والعدل

(1) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(2) أحوال المتعلمين - القابسي - ص 163.

(3) المصدر السابق - نفس الصفحة

والتقريع والكلام من العقوبات التي ترمي إلي استغلال الخوف الأدنى ليحفظ المرء كرامته بين أفراد المجتمع.

والدافع إلي حفظ الكرامة دافع فطري، فطن إليه الأقدمون، وإذا لم تفلح العقوبة السابقة وهي الإخافة الأدبية والتهديد والعدل والنصح والتقريع، لجأ المعلم إلي نوع أعنف وأقوي وهي رادعة زاجرة وهي الضرب البدني. وهذا ما نجده في التربية المعاصرة في وقتنا الحالي.

عقوبة الضرب:

فيما سلف تناولنا التأديب المعنوي عند القابسي ووجدناه حكيماً تربوياً في شرحه وتفسيره، ثم بعد ذلك يؤكد القابسي علي التأديب الجسدي ويقصد به: «إحداث ألم جسدي عن طريق الضرب، أو تكليف التلميذ أن يكون في أوضاع غير مريحة فترة من الزمن، أو تكليفه القيام بعمل مرهق مُيملٌ طويل، أو حرمانه من الطعام والشراب، أو حبسه فترة من الزمن. أو غير ذلك مما يترك ألماً مؤقتاً أو دائماً كبيراً وصغيراً»⁽¹⁾.

ولهذا قرر القابسي عقوبة الضرب وجعل مواصفات وشروطاً يمكن أن تحقق غرضها التأديبي وتساهم في إنجاح العملية التربوية فيقول: «وصفة الضرب هو ما يؤلم ولا يتعدي الألم إلي التأثير المشنع، أو الوهن المضر وربما كان من صبيان المعلم من يناهز الأصلام»⁽²⁾.

من خلال الفقرات السابقة نجد أن الهدف الأسمى من التأديب هو استكمال النفس الإنسانية بمعرفة، وإدراك العلوم، ومعرفة الحقائق العلمية الثابتة، ويصبح التلميذ قادراً علي حقائق الأشياء المؤدية إلي الخير، والسعادة، والتمسك بالقيم المتعلقة بالحق والخير.

(1) في التراث التربوي أ. نزيدي حمدان - ص ١٠٤.

(2) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٦٤.

سيكولوجية العقاب عند القابسي وواجباتها نحو مرحلة المراهقة:

وبمناسبة ذكر العقاب الجسدي عند القابسي، تجدر الإشارة إلى الشروط التي وضعها القابسي وهي ما يلي:

١. عدم إرهاب التلميذ وعدم منعه من الطعام والشراب.
 ٢. استخدام المقارنة بين الطفل الصغير والطفل الذي بلغ الاحتلام (الفروق الفردية)
 ٣. الغرض من التأديب الجسدي عند القابسي هو إدراك العلوم وتذكية النفوس الإنسانية عند الأطفال، ويُصَبَّح الأطفال قادرين علي التمسك بالقيم الخلقية، وتهذيبهم عليمًا وخلقياً عن طريق التمسك بالقيم التربوية الصالحة.
- وعلي هذا النحو يمكن أن نتتبع الجانب العلمي في عدم إرهاب الأطفال وعدم منعه من الطعام والشراب عند عقوبته. وهذا ما يسمي في التربية المعاصرة بمشكلة التعلّم و«لا تتحقق الوظائف الخاصة بالمدرسة إلا عن طريق تعلم، فنحن نود أن نكسب الطفل العادات الصحية الصحيحة. وبالتالي نود أن تجعله يتعود علي النظافة في ملبسه والنظام في غذائه، وعادات المشي الصحيح، وبعض العادات التي تساعد جسمه علي النحو السليم، ونحن نود أن نعوّده علي عادات الأسلوب العلمي في المناقشة وعادة القراءة والاطلاع»^(١).

ومن ثم فإنة في ظل النسق التربوي عند القابسي، كان غرضه أن ننظر إلي كل صفة من الصفات النفسية في التنظيم المعرفي أو الأنفعالي، والتكوين النفسي عند الأطفال. وهذا ما وجدنا في التربية المعاصرة، وفلسفات التربية الحديثة، وعقد المقارنات العلمية بين الطفل الصغير والطفل الذي بلغ الاحتلام، هذا مضمون يدل علي المراهقة و«هي فترة الانتقال من مرحلة الطفولة إلي مرحلة الرشد، وهناك عوامل تؤثر في مرحلة

(١) علم النفس التربوي د/ أحمد زكي صالح- مرجع سابق ص-٢٣.

المراهقة من حيث بدايتها ونهايتها مثل الجنس (أي نوع المراهق من حيث الذكورة والأنوثة) والبيئة الجغرافية، ولمرحلة المراهقة خصائص جسمية وعقلية انفعالية اجتماعية تميزها. ولا بد للمربي من أن يقف علي هذه الخصائص^(١)، «أن أبناء هذا السن يكتسبون بالتدرج شعوراً خلقياً خاصاً بهم، والأولاد الذين تتاح لهم الفرض في البيت والمدرسة لحل الإشكالات بالاشتراك مع غيرهم، يعرفون تماماً هو العدل والمَلْطَف ومن هم الميالون إلي حب السيطرة»^(٢).

الوسائل التعليمية المستخدمة في العقاب:

فيما سبق تناولنا المنهج التربوي عند القابسي في معني العقاب الجسدي وأهميته، ولكن القابسي يذكر الأدوات التي يتم استخدامها في العقاب الجسدي فيقول: «وشراء الدرة والفلقة علي المُعَلِّم، ليس علي الصبيان وكذلك كراء الحانوت لمجلس التعليم»^(٣).

فيما سلف ذكره يتبين لنا أن القابسي يستخدم بعض المصطلحات الهامة التي عن طريقها يمكن تأديب الأطفال مثل الدَّرَّه وهي العصا الصغيرة أو السوط، والفلقة وهي التي تتحكم في رجلي الطفل عند تأديبه لذلك وجب القابسي الضرب علي الأرجل حتى يأمن ضرر الطفل حيث يقول: «فالضرب في الرجلين آمن، وأجمل للألم في سلامة»^(٤)، لأن الوقاية خير من العلاج.

ونظراً لأن الأطفال قاصرين غير مكلفين، لذلك تصبح عقوبة الضرب غير مبرحة لمصلحتهم وسياستهم ورياضتهم. والهدف من ذلك «فيما يختص بالعقاب، فيجب علي المدرس أن يدرك جيداً أن عقاب التلميذ لا يستتبع بالضرورة إصلاحية ودفعة إلي العمل

(١) المدرس في المدرسة والمجتمع د. أبو الفتوح رضوان وآخرون - مرجع سابق - ص ٥٤.

(٢) كيف نساعد أبناءك في المدرسة - ماري فرانك، ولورنس ك فرانك ترجمة صبيحة عكاش فارس - مكتبة

المعارف بيروت - ١٩٦٠ - ص ٣٠٩.

(٣) أحوال المتعلمين - القابسي - ص ١٧٢.

(٤) المصدر السابق - ص ١٦٤.

والتقدم، بل قد يؤدي العقاب إلي عكس ما يطلب: فيدفع التلميذ إلي عدم الثقة بنفسه، أو الهروب من موقف تعليمي، أو كراهية المدرسة بأسرها، ولذلك يجب علي المدرس ألا يلجأ إلي العقاب إلا عند الضرورة وفي حدود القوانين التعليمية^(١).

الوسائل التعليمية المستخدمة في العقاب عند القابسي ومقارنتها بالنظريات المعاصرة:

عند استخدام الوسائل التعليمية في تطبيق العقاب لابد أن يعرف المعلم أولاً معني العقاب، وأن يبتعد عن سورة الغضب، والمحتوي التربوي في نظرية العقاب عند القابسي يجمع بين الأصالة والمعاصرة. والبرهان علي ذلك أن تعريف العقوبات في الوقت المعاصر تعبر عن المضمون الحقيقي في القديم، ونستنبط ذلك من النظريات الحديثة لأن «العقوبة، أو الجزاء، في حقيقة أمرها، وضعت أولاً للمجرمين، لإقتلاع الروح الإجرامية من نفوسهم، ولجعلهم عبرة لغيرهم، وما الولد المقصر أو الشاذ بمجرد، يستحق العقوبة بمعناها الزاجر القاسي. لأن الولد القليل الفهم، أو الكسول، أو سئ الخلق، ليس في الواقع مجرمًا، بل أنه مريض أو شاذ، وهو في كلا الحالين يستحق المداواة. وما العقوبات المدرسية سوي أدوية ووسائل طبية نفسية، تحاول انقاذ الولد من بعض عاداته الشاذة، أو أمراضه النفسية أو كسله وتهاونه، لذلك يجب أن تكون تلك العقوبات كالدواء، يعطي ليشفي، ولا يفرض للانتقام من نفوس صغيرة، ألقى إلينا المجتمع بها، لتربيتها وإصلاحها وتعلمها»^(٢).

وبمقارنة القواعد التربوية للعقوبات عند القابسي نجد أنها مطبقة في العصر الحديث وهي ما يلي «فعلي المربي أن يكون حكيماً، والحكمة تعني لغوياً: وضع الشيء في محله، في فرض العقوبة علي أولاده، وكثيراً ما اقتضت حكمة المربي، أن لا يداوي كل تقصير

(١) المدرس في المدرسة والمجتمع د. أبو الفتوح رضوان وآخرون - مرجع سابق ص ٨٧.

(٢) رائد التربية العامة وأصول التدريس د. عبد الحميد فايد - ص ٤٢٥.

أو خطأ بعقوبة، بل يلجأ أحياناً كثيرة إلي مداواة التقصير بالمكافأة، إذا اقتضت الحال وعلينا كمربين أن نستخدم المكافأة عند الحاجة القصوى لأن المربي كما قلنا كالطبيب، يفرض دواءه للشفاء، وعند الحاجة الماسة وإلا أصبح الدواء كالسُم الزعاف، يقتل من حيث تريد منه الفائدة والبرء»^(١).

ومما تجدر الإشارة إليه قول ماري فرانك: « وقد يعني التأديب في كثير من الأحيان لأناس عديدين التوبيخ والعقاب، وهذا يقع الالتباس، فالتأديب مع المحبة والصبر هو في حقيقته تأديب، كالذي يفرض علي الولد مع العقاب الجسدي والتوبيخ القاسي»^(٢)

أهم القواعد التربوية في التأديب الجسدي عند القاسبي:

ويحدد القاسبي قواعد تربوية في استخدام التأديب الجسدي:

من أهم هذه القواعد وهي ما يلي:

١- لا يضرب المعلم الصبي وهو غضبان لذلك يقول: «وإنما تجري الألفاظ القبيحة من لسان التقى تمكن الغضب من نفسه، وليس هذا مكان الغضب، وقد نهى الرسول عليه السلام أن يقضي القاضي وهو غضبان وأمر عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه بضرب إنسان فلما أقيم للضرب قال: أتركوه. فقيل له في ذلك فقال: وجدت في نفسي عليه غضباً، فكرهت أن أضربه وأن غضبان. قال أبو الحسن: كذا ينبغي لمعلم الأطفال أن يراعي منهم حتى يخلص أديهم لمنافعهم، وليس لمعلمهم في ذلك شفاء من غضبه»^(٣) من النص السابق يتبين لنا كره الضرب أثناء الغضب، وأن العقوبة في الإسلام لا ينبغي أن تكون انتقامية.

(١) المرجع السابق - ص ٤٢٦.

(٢) كيف تساعد أبنائك في المدرسة تأليف ماري فرانك وآخرون ترجمة صبيحة عكاش مرجع سابق ص ٣٤.

(٣) أحوال المتعلمين - القاسبي ص ١٦٤.

وإذا ضرب المعلم الطفل وهو غضبان فليس هذا من العدل ولكن غرض نفساني فقط لذلك يقول: «ولا شئ يربح قلبه من غيظه، فإن ذلك إن أصابه فإنما ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه، وهذا ليس من العدل»^(١)

٢- قرر القابسي وضع شروط للضرب من قبل المعلم وهي لا بد أن يلتزم بعدد الضربات، ولا يضرب الطفل إلا عن أسباب تربوية تختص بحفظه أو سوء تهجيه وغيرها لذلك يقول القابسي: «وإذا استأهل الضرب، فاعلم أن الضرب من واحدة إلي ثلاث. فليستعمل اجتهاده لئلا يزيد رتبه فوق استئهاها وهذا هو أدبه إذا افرط، فتناقل عن الإقبال عن المعلم، فتباطأ في حفظه، أو أكثر الخطأ في حربه، أو في كتابه لوحه، من نقص حروفه، وسوء تهجيه، وقبح شكله، وغلطه في نقطه، فنبه مرة بعد مرة، فأكثر التغافل ولم يغن فيه العدل»^(٢).

وهناك بعض الحالات يجوز للمعلم أن يزود عدد الضربات من ثلاثة إلي عشر ضربات وهي: «وربما كان من صبيان المعلم من يناهز الاحتلام ويكون سئ الرعية غليظ الخلق، لا يريعة وقوع عشر ضربات عليه ويرى للزيادة عليه مكتمل مأمون، فلا بأس - إن شاء الله - من الزيادة علي العشر ضربات والله يعلم المفسد من المصلح»^(٣).

وتحديد شروط الضرب عند القابسي تعبر عن القيم الإنسانية و«هي مجموعة القوانين والمقاييس التي تنشأ من جماعة ما، ويتخذون منها معايير الحكم علي الأعمال والأفعال المادية والمعنوية، وتكون لها من القوة والتأثير علي الجماعة بحيث يصبح لها صفة الإلزام»^(٤).

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٢) آداب المتعلمين - القابسي ص١٦٣.

(٣) المصدر السابق - ص١٦٤.

(٤) فلسفات التربية د. إبراهيم ناصر - ص١٢٨.

٣- قرر القابسي وضع شروط للعصا المستعملة في الضرب فيقول: «وقد قدمت لك نهى المعلم عن ضرب الصبي وهو غضبان، والضر علي التعليم إنما هو الخطأ الصبيان، فما يصلح أن يضربهم به إنما هي الدرة وتكون أيضاً رطبه مأمونة لئلا تؤثر أثر سوء»^(١) وهذه الشروط كلها تحيط الضرب بسياج من الأمن حتى لا يحدث للصبي ضرر، ولا يخرج الضرب عن معني التأديب.

٥- علي المعلم عند مباشره ضرب الطفل لابد أن يأخذ الإذن من أولياء الأمور حيث يقول: «وإن أفاتوه، أعلم آباءهم بما صنعوا من ذلك فيكون غرم ما صار إلي كل واحد من الصبيان من صاحبه»^(٢) وإذا بلغ الأمر حد إخبار آباء الصبيان واستشارتهم، فإن المسألة لن يحوطها الكتمان، وإنما يخرج إلي العلانية فيعلم بها جميع الصبيان وفي هذا عظه لهم لأنهم يخشون عقاب الآباء أكثر من خشيتهم عقاب المعلم، واستئذان آباء الصبيان في العقاب يحمل فائدة تهييبية كبيرة فهو دليل علي التعاون بين البيت والمدرسة، وبين الوالد والمعلم لأن كليهما يقوم بتأديب الصبي ويرمي إلي رياضته وتهذيبه، والمعلم كما يقول القابسي في منزله الوالد.

أثر نظريات الثواب والعقاب عند القابسي في الفكر التربوي المعاصر:

بعد أن استعرضنا النصوص الأصلية في نظريات الثواب والعقاب عند القابسي نجد أن هذه النظريات له صدي كبير في النظريات المعاصرة وهي ما يلي:

تطبيق مبدأ الثواب والمكافأة يقول ماري فرانك «أن الأولاد القلائل الذين يتعلمون القراءة والكتابة بسرعة يكافئون عادة بالابتسامات والمديح، وإذا ما تردد الوالدان في تقديم المديح فهناك الأقارب الذين هم أبداً علي استعداد لإظهار إعجابهم»^(٣).

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق - ص ١٦٦.

(٣) كيف تساعد أبناءك في المدرسة - تأليف ماري فرانك - مرجع سابق - ص ٢١٣.

وللمكافآت دور مهم في نظريات التعلم لذلك يقول رالف جاري: «إن المكافآت أحد أحجار الأساس في التعلم، والتفسير التعلم طبقاً لمذهب اللذة تاريخ طويل بلغ ذروته في قانون تورنديك للتأثير، وفي نظرية هال للتعزيز الأساس الثانوي. والمذهب في جوهره يقول إن نتائج الإشباع تعزز السلوك الذي يؤدي إلي المكافأة بسبب الاختزال في الباعث الذي تحدثه المكافأة»⁽¹⁾

وللمكافآت غايات وأهداف كما أسلفنا الذكر عنها عند القابسي وهذا ما وجدنا في التربية المعاصرة، ويتم تطبيقها «أما المكافآت فليست مشكلتها كالعقوبات، إذا لم نجعل فيها غاية للتلميذ بل حافظاً أو مشجعاً فالعلامات الجيدة، والدرجات العالية، والامتيازات، وكتابة أسماء أصحاب الأخلاق الحميدة والسيرة الحسنة والمجتهدين علي لوحة الشرف ترغيباً للأولاد تشويقاً للأتراب. وأحسن المكافآت تلك التي تمنح علي الأخلاق الحسنة والسلوك الحميد، وكما هو الحال في العقوبات، فيجب أن تكون الجوائز، والمكافآت نادرة، وفي ظروف مناسبة»⁽²⁾

وعن شروط توزيع المكافآت نجد «والعدالة مطلوبة في توزيع الجوائز فلا ينالها غير المستحق، ويحرم منها المستحق: إكراماً لصحبة مع الأهل أو نفوراً من آخرين»⁽³⁾. من كل ما تقدم نخلص إلي أن القابسي وضع منهجه التربوي عن طريق قاعدتي الثواب والعقاب للطفل، فكما وضع شروطاً لتأديب الطفل، وضع أيضاً قواعد تأديبه للمعلم وهي ما يلي:

(1) سيكولوجية التعلم - تأليف رالف جاري - ترجمة د. نظمي لوقا - مرجع سابق - ص ١٣٧.

(2) رائد التربية العامة وأصول التدريس د. عبد الحميد فايد - مرجع سابق - ص ٤٢٩.

(3) المرجع السابق - ص ٤٣٠.

١- يعاقب المعلم علي إهماله وعدم إخلاصه في عمله لتعليم الطفل حيث يقول: «يملي علي الصبي فلا يتهجى، ويرى الحروف فلا يضبطها، ولا يستمر في قراءتها، معلم هذا قد فرط فيه، إن كان يحسن التعليم، وإن كان لا يحسن التعليم فقد غرر»^(١). وعن أدب المعلم لتقصير فيما سلف ذكره يقول: «ورأي العلماء أن مثل هذا المعلم يستأهل الأدب لتفريطه فيما وليه، وتهاونه بما التزمه، وأن يمنع من التعليم وهو الصواب، وإذا كان شأنه التفريط أو الغرور بتعليمه وهو لا يحسن»^(٢) وهناك رأي آخر لأدب المعلم وهو يفيد التأديب المعنوي فيقول: «ورأي بعضهم أن مثل هذا المعلم لا يستأهل الإلزام، بل يستأهل اللوم، والتعنيف والغلط والتأديب من الإمام العدل»^(٣)

والقواعد التأديبية عند القابسي هي أساس التربية الحديثة المعاصرة وهذا ما عبر عنه ليثري فيقول: «إن التربية هي العمل الذي نقوم به لتنشئة طفل أو شاب، وأنها مجموعة من العادات الفكرية أو اليدوية التي تكتسب، ومجموعة من الصفات الخلقية التي تنمو»^(٤)

وموضوع التربية عند القابسي غايته تكوين الفرد من أجل ذاته، وتكشف للطفل كشافاً تدريجياً عن الكائن الذي لا يكونه، وأنها تعبر عن التربية الروحانية وهي المنبع الوحيد الذي تنبثق منه الطبيعة و المجتمع والكيان الفردي. وإن تذوق التعليم عند القابسي لا يكفي لجعل من المرء مربياً صريحاً. ومن اللازم توافر القابليات المطلوبة من صفات جسدية وفكرية و خلقية وعاطفية.

(١) أحوال المتعلمين • القابسي ص ١٧٦.

(٢) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٤) التربية العامة - روتية أوبير - ترجمة د. / عبد الله عبد الدائم - دار العلم للملايين - الطبعة السادسة ١٩٨٣. ص ٢١.

وكذلك يتضح مما سبق أن القابسي وضع أحكاماً وشروطاً وقواعد تأديبية وهي ما يلي:

١. يجب أن يتجنب المدرس الظروف التي تعطي الفرصة للكذب كالقسوة والتشدد في طلب الواجبات، فإن هذا يضطر التلميذ إلى الكذب تفادياً للإيذاء^(١).
٢. وعلي وضوء الأسس التربوية، والمقصود بأنواع العقوبات المسموح بها التوبيخ ولفت النظر أو الحرمان من لعبة أو ما أشبه ذلك، وليس العقاب البدني إطلاقاً^(٢).
٣. ويجب علي المدرسين أن يدركوا أن نجاح التلميذ في عملية التعلم ثواب في حد ذاته إذ يشعر التلميذ بالارتياح والرضا عن نفسه، فيؤدي هذا إلى إطراد تقدمه، وعلي هذا يجب علي المدرس أن يهيئ التلميذ فرص النجاح: فهذا أحسن ثواب يقدمه المدرس لتلميذه^(٣).

ومما تجدر الإشارة إليه تطبيق مبدأ العدالة عند القابسي في قانون وحسن قبولها، يجب أن تكون من نوع العمل، ويجب الاقلال من المجازاة بل جعلها نادرة حتى يكون لها وقعها وأثرها في نفس المجازي^(٤).

ولابد من تحقيق مبدأ العدالة في المكافآت والعقاب «إعدل بين التلاميذ في العقاب والمكافأة علي السواء»^(٥).

٤. تناول القابسي نظرية الثواب والعقاب بالشرح والتفسير لدورها في العلم وهذه القوانين لهما ما يشابهها أيضاً في نظرية "بافلوف" وهي ما أشار إليه (بافلوف) بالتعزيز الإيجابي (الثواب) والتعزيز السلبي (العقاب) في عملية الإشرط والتي تشمل التعلم الحركي واكتساب المهارات الحركية في علم النفس.

(١) المدرس في المدرسة والمجتمع د. أبو الفتوح رضوان وآخرون - ص ٦٧.

(٢) المرجع السابق - ص ٨٧.

(٣) المرجع السابق - نفس الصفحة.

(٤) رائد التربية العامة وأصول التدريس د. عبد الحميد فايد - مرجع سابق ص ٤٢٨.

(٥) المرجع السابق ص ٤٢٢.

ومجمل القول في نظرية الثواب والعقاب عند القابسي نستنتج ما يلي:

١- يهتم القابسي بالنظريات الخاصة بالتعلم عن طريق وصف طالب العلم الذي كان يلزمه من حيث لتصرفه ومقدار حفظه وأمانته وسلوكه وأخلاقه ، وجودة كتابته وسرعة بديهته، ويحافظ القابسي علي سيكولوجية الفروق الفردية، والتفاعل بين المعلم والمتعلم في حلقه الدرس.

٢- نلاحظ أن نسق القابسي يحتوي علي أدب النفس، وصحة البدن والتعلم ، وفهم السلوك الإنساني عن طريق فهم التعلم ويظهر ذلك من خلال إنسانية التعامل مع الأطفال، ويتم ذلك بزرع مشاعر المحبة لدي الأطفال وخاصة أمام بعضهم البعض، لأن بالأكثر عن الزجر والملامه يهون علي الابن سماع الملامة وركوب القبائح حيث يقول القابسي: " ولا بد للناس من معلم أولادهم"^(١).

ويقول أيضاً: " فأما تعليم الفقه والفرائض، يستأجر الرجل من يعلم ولده ذلك"^(٢).

٣- ويتناول القابسي شروط المعلم عند تعليم المتعلم وبالأخص في عملية الثوب والعقاب فمن أهمها إحترام ذاتية المتعلم، والعمل علي الارتقاء به، والمساواة بين الجميع في التعلم، والعدل بين المتعلمين حيث يقول: " ويعلمهم الأدب، فإنه من الواجب لله عليه، وهو من النصيحة لهم، وحفظهم ورعايتهم، وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين، ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر"^(٣).

٤- يشجع القابسي علي استخدام أسلوب الحوار مع المتعلمين، واستخدام الرحمة والشفقة بالمتعلمين، وعدم تعنيف المتعلمين والاستهزاء بهم، والتدرج في العقوبة، وعدم المبالغة في العقوبة. لأن القسوة مع الطفل تعوده الجبن وتبعده عن الحماسة والشجاعة وتشعر بالظلم دائماً.

(١) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القابسي - ص ٢٩٣.

(٢) المصدر السابق - ص ٢٩٩.

(٣) المصدر السابق - ص ٣٠٠.

« تعقيب »

- وفي نهاية هذا الفصل وهو «نظريات الثواب والعقاب في النسق التربوي عند القابسي» توصلنا إلي مجموعة نتائج هامة وهي ما يلي:
- من الواجب أن يولي المعلم جزءاً كبيراً من عنايته نحو الأطفال عن طريق مشاركة الأسرة، لأن العناية بالأطفال منذ الصغر تكون باختيار المربين الصالحين، وتعميق الشعور الإيماني لدي الأبناء بالتأكيد علي أن علم الله وقدرته يحيطان بجميع العلوم.
 - لا توجد الصلة بين العلم والعمل إلا عن طريق العلاقة بين المعلم والمتعلم، وهذه العلاقة وضع لها القابسي الشروط التربوية الصالحة والمثمرة لتعليم الأطفال.
 - يؤكد القابسي علي فن الحوار والمناقشة عن طريق المناظرات العلمية، لذلك وضع لها شروطاً ومن أهمها ترتيب وتنظيم الأفكار المنطقية السليمة، واحترام الرأي والرأي الآخر، وهذا ما يسمي بالتربية عن طريق انتهاج أسلوب الحوار والاستجواب،
 - لقد تناول القابسي المساواة بين الجميع في التعليم، وتحدث عن العدل بين المتعلمين بمعنى أنه لا بد للمربي أن يكون عادلاً بين طلابه فلا يميل إلي أي فئة منهم، ولا يفضل أحداً علي أحد إلا بالحق وبما يستحق كل طالب حسب عمله ومواهبه.
 - لقد اهتم القابسي في هذا الفصل بنظريات الثواب والعقاب، وكان موفقاً في تنسيق الأفكار التربوية، لأنه أستطاع أن ينظم الأفكار وترتيب المعلومات والدليل علي ذلك أنه ذكر دور الأسرة، ودور المعلم في تربية الأطفال أولاً ثم بعد ذلك بدأ يتحدث عن العقوبات التربوية ثانياً، لأن الطفل إذا لم يستجب للأسرة ولا المعلم وجبت العقوبة، وقبل أن نبين أثر العقاب في التربية يحسن بنا أن نذكر أهم القواعد التربوية، وهذه القواعد وجدناها في التربية المعاصرة.
 - ينبهنا القابسي إلي أن الغرض من العقوبة هو إصلاح عيوب الأطفال وتنمية الأفكار الصحيحة بعيداً عن الأخطاء، وتهذيبهم في الصغر، حتى يعتادوا أحسن العادات في الكبر.
 - عدم المبالغة في الضرب من معلم جافي، أو غضبان، حتى لا يكسر للأطفال عظم،

ولا يفتأ عيونهم، وعلي المعلم أن يضرب الأطفال في الأرجل بعيداً علي الوجهة والرأس.

- استخدام اللين، والرحمة بالمتعلمين عند الضرب، وعدم الاستهزاء بهم وتعنيفهم.
- مراعاة الفروق الفردية عند الضرب نظراً لإختلاف الطبائع بين الناس، واختلاف قدراتهم الجسمية والنفسية والعقلية للأطفال.
- الغرض الأساسي من وضع قواعد التأديب المعنوي والجسدي، هو تربية الطفل علي الفضيلة ليكون مصدر خير للجماعة ومسئولاً فيها، ولكي يصبح الطفل مهتماً بالجوانب العلمية والتطبيقية، والاهتمام المتوازن بالروح والعقل والجسم، لذلك نقول أن التربية عنده هي النمو التطوري للإنسان لأعلي مستويات التنافس والتوازن.
- تهتم نظرية الثواب والعقاب عند القاسمي بتنظيم الأوقاف الخاصة براحة البدن والعقل، وتقوم بدراسة الرفقة والصحة الطيبة الصالحة التي توفر الجو المناسب للمذاكرة وتحث علي طاعة الله من أجل الثواب، بينما رفقه السوء ومعاشرة الفاشلين تؤدي إلي الفشل والضياع والعقاب.
- ونظراً لتناسق نظرية الثواب والعقاب عند القاسمي نجد أنها تهتم بالعوامل النفسية ويدخل في ذلك تعريفات مختلفة (تيرمان) أي القابلية علي التفكير المجرد، وهذه النظرية تتناول إلي الجهاز العصبي، بفعل مثيرو استجابته يؤديان إلي ما يسمى بالتفكير.
- إن من يتدبر أي القاسمي في العقوبة يجد أنه منطقي في معاملته، حكيم في عقوبته لا يعامل من يستحقون العقاب من الأطفال معاملة واحدة، فهو يعاقب كل مخطئ العقوبة التي تناسبه- ويرري مراعاة الحيطة والحذر عند الحكم علي الطفل، فإذا أخطأ للمرة الأولى استعمل معه الرفق واللطف، لا القسوة والعنف.

” مصادر ومراجع الفصل السابع “

” نظريات الثواب والعقاب في النسق التربوي عند القابسي ”

- أسس المناهج وتنظيماتها د. حلمي أحمد الوكيل- دار المسيرة للنشر والتوزيع- عمان - الأردن- الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- أصول التدريس د.أحمد حلمي الفنيش- الدار العربية للكتاب- تونس ١٩٨٥م.
- الأعراف البشرية في ميزان الشريعة الإسلامية د/عمر سليمان- الطبعة الأولى- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- البيان والتبيين - الجاحظ وضع حواشيه موفق شهاب الدين- ح١- دار الكتب العلمية بيروت-لبنان- ط٣- ٢٠٠٩م.
- التربية الإسلامية وفلاسفتها. محمد عطية الابراشي-الطبعة الثانية-عيسى الحلبي- الطلعة الثانية ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
- التربية المعاصرة طبيعتها وأبعادها الأساسية د. محمود عبد الرزاق وآخرون.
- التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز - دار المعارف بمصر.
- التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز وآخرون-دار المعارف بمصر - ح٢.
- التربية ومشكلات المجتمع د.سيد إبراهيم الجيار- مكتبة غريب د.ت نشر.
- العلاقات بين الآباء والمعلمين- اير فنج ستاون- وآخرون- ترجمة عدلي سليمان- دار القلم- بدون طبعة- ١٩٩٦م.
- المدرس في المدرسة والمجتمع د. أبو الفتوح رضوان وآخرون- مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى- ١٩٦٠م.
- المعجم الفلسفي د.مصطفى حسيبه دار أسامة للنشر والتوزيع- الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- تاريخ آداب العرب- مصطفى صادق الرافعي-ح١-دار الكتاب العربي-بيروت الطبعة الأولى- ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.
- تربية الطفل قبل المدرسة د. سعد مرسي وآخرون- عالم الكتب- بدون طبعة ١٩٨٣م.

- رائد التربية العامة في أصول التدريس د. عبد الحميد فايد - دار الكتاب اللبناني بيروت - ١٩٨١م.
- رواد التنوير الفكري د. شبل بدران - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٩٣م.
- سيكولوجية التعلم - رالف جاري - ترجمة د. نظمي لوقا - دار المعارف - علم النفس التربوي د. عبد المجيد سيد أحمد منصور وآخرون - العبيكان - الطبعة الخامسة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- علم النفس التربوي د/ أحمد زكي صالح - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الحادية عشر ح ١ - ١٩٧٩م.
- فلسفات التربية د. إبراهيم ناصر - وائل للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - الطبعة الأولى - ٢٠٠١م.
- فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها د. محمد منير مرسي - عالم الكتب - القاهرة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- في التراث التربوي أ. نذير حمدان - دار المأمون للتراث - دمشق - سوريا - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- كيف تساعد أبناءك في المدرسة - تأليف فرانك وآخرون - ترجمة صبيحة عكاش - مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٦٠م.
- مجلة الأزهر - العدد العاشر - السنة الحادية والخمسون - ١٣٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مدخل إلي أصول التربية د. حسين الهدبة الرشيد - مكتبة الفلاح - الكويت - الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- مفاهيم واتجاهات حديثة في تعليم أطفال المدرسة الابتدائية - محمد سليمان شعلان وآخرون - مكتبة غريب بدون طبعة ونشر.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة - ابن قيم الجوزية (ت ١٦٩١هـ - ٧٥١هـ) تحقيق هاني الحاج - دار التوفيقية للتراث.
- ميزان العمل - الإمام الغزالي - تحقيق د. سليمان دنيا - دار المعارف - القاهرة - الطبعة ١٩٦٤م.

« الخاتمة »

وهكذا فقد تبين لنا بعد استعراض آراء ابن سحنون والقابسي في نسقهما التربوي، وأنهما يتفقان مع كثير من الآراء التربوية الحديثة والمعاصرة. كان العصر الذهبي لمكانة العلم والعلماء في الحضارة الإسلامية، هو الاهتمام بفضيلة العلم، في القرآن والسنة، واحترام حضور مجالس العلم، وأن العلم والعمل هما وسيلتا السعادة.

لابد من احترام العلم والعلماء، ودرجات العلم، ومناقب العلماء، وتوثيق العلاقة بين المعرفة ومناقب العلماء، لكي نبرز أهمية العلوم في حياتنا اليومية، في العلوم الإنسانية، والعلوم التطبيقية، ويجب الاهتمام بتحصيل العلوم والمعارف، لأن البحث عن التعاليم والأحكام الإسلامية وعن فضائلها عظيم الشأن، والتفكير فريضة إسلامية. من مميزات المعلم هو الاستمرارية في طلب العلم، والإخلاص لله تعالى، واحترام الضمير الخلقى وتطبيقه في مجال العلم والعمل، لذلك ينشد الأبدش فيقول:

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا إنتفت عليه المحافل

من أهم أخلاقيات المعلم أن يقصد بعلمه وجه الله تعالى، ولا يقصد بعلمه أي غرض دنيوي كتحصيل مال أو جاه أو شهره أو سمعه، أو يتميز عن الأقران. يجب أن يكون المعلم ماهراً في الفن الذي يعلمه، وأن يكون ظاهراً للقلب واللسان، وأن يكون نظيفاً عن الغيبة، وعدلاً في الدين، وناصحاً في جميع الأمور العلمية والعملية. من واجبات المعلم تشجيع المتعلمين على الاشتغال في كل وقت لطلب العلم، ويطالبهم بإعادة محفوظاتهم، وأن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعه بل يراعي الترتيب، وأم يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى، ونشر العلم وإحياء الشرع ودوام ظهور الحق، وخمول الباطل ودوام الخير.

من أهم المؤسسات التربوية "الكتاب" وهو من المعاهد التعليمية الأولى، وكانت في الغالب ملحقة بالمساجد، وقد اشتمل منهجها علي القرآن الكريم، والحديث الشريف، والدين، والأدب، والحساب، وقواعد اللغة العربية. وكان المعلمون يسمون بالمؤمنين تأكيداً لمهمتهم في التربية الشاملة.

أن المؤدبين كانوا عندهم علي ضربين: أصحاب العلوم، وأصحاب البيان، وكانوا يخصون هؤلاء بالأثرة، قال ابن عتاب: «يكون الرجل نحوياً عروضياً وقساماً فرضياً، وحسن الكتابة جيد الحساب، حافظاً للقرآن، رواية للشعر، وهو يرضي أن يعلم أولادنا بستين درهماً، ولو أن رجلاً كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني ليس عنده ذلك لم يرضي بألف درهم، ومن ثم اختص مشاهير العلماء والرواة بتأديب أولاد الخلفاء والأمراء».

من أخلاقيات المعلم، البعد عن الكبر والعجب والخيلاء، وإصلاح سريرته، وأن يتمسك بحسن الهيئة، والحذر من أصحاب السلطان، وفي بيان حاجة السلطان إلي العلم نقول شخص بلا علم كبلد بلا أهل، وأفضل ما في السلطات خصوصاً وفي الناس عموماً، محبة العلم والتخلي به، والشوق إلي استماعه، والتعظيم لحملنه.

من أهم الأسس المنهجية عند ابن سحنون هو أن الطفل هو أساس العملية التعليمية في المنهج والاهتمام بترتيب المعلومات وتنظيم الأفكار، ومن الجدير بالذكر أن ابن سحنون ربط بين الحياة الاجتماعية والمنهاج الدراسي، ومن مميزات المنهج عند ابن سحنون اشتماله علي الخبرة، والتكامل، وجعل المادة ملائمة للطفل، وأن التعليم مثمر.

يقسم ابن سحنون المنهج إلي دراسية واجبة، ومواد دراسية اختيارية، ومواد دراسية تطوعية، والمنهج الدراسي عند ابن سحنون يتميز بالتعليم الإلزامي، وعلي المعلم تهذيب الفطرة وتعديل الغرائز، وقد اهتم ابن سحنون بالتربية الروحية لأنها تمزج العلم بالعقيدة، وإعداد الأطفال القادرين علي التفاعل مع المجتمع تفاعلاً ابتكارياً.

من خلال نظريات الثواب والعقاب عند ابن سحنون نستنبط قواعد تربوية هامة وهي:

- أ- احترام عقل الإنسان، ومراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين أثناء العقاب.
 - ب- إن الغرض من نظريات الثواب والعقاب هو أن يربي الطفل علي ملكة الاجتهاد.
 - ج- يتهدأ الصبي عن طريق تعليمة الدين وقيامه بالعبادات اللازمة ومعرفته علوم الشرع.
 - د- أن يزرع المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ.
- يؤكد القابسي علي تطبيق التربية الروحية في مجالات التدريس لأنها تشجع علي استمرارية التعليم، وتهذيب النفوس، والتمسك بالفضائل والبعد عن الرذائل، التربية الروحية تهتم بمراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، والاهتمام بإعطاء كل طفل من العلوم ما يتلاءم مع قدراته وميوله، التربية الروحية تغرس في نفوس المعلمين الصدق وأن يعمل بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، ولا ينهاي عن خلق ويأتي مثله.
- لا يتم النسق التربوي عند القابسي إلا عن طريق التمسك بالإيمان، والإسلام، والإحسان، والاستقامة، والصالح والعمل الصالح.
- التربية الروحية تعمل علي الرفق بمن يعلمه والشفقة عليه، وأن يكون المعلم قدوة حسنة.
 - تؤكد التربية الروحية علي متابعة الدروس و عدم الفصل بينها، ومراعاة المقدرة العقلية، واحترام إنسانية الأطفال، والاهتمام بالمحاوره والمناظرة في المسائل العلمية لأهميتها الضرورية، وهذا يؤدي إلي أهمية الفروق الفردية والاتزان الأنفعالي.
 - يركز القابسي علي تنوع أساليب التعليم في التربية الروحية من خلال التجربة، والتلقين واستخدام الوسائل المعينة علي التعلم، والاعتماد علي الأمثلة السليمة.

- يتحدث القابسي في منهجة الدراسي عن ارتباط التعليم بحركة الحياة الاجتماعية، والاهتمام بصورة تكاملية شاملة بالمجالات التي تتم فيها العمل التربوي للطفل وهي الكتاب، والأسرة، والمجتمع، والمسجد، والاهتمام بالقيم الأصلية التي يستند إليها تراثنا.
- يؤكد القابسي علي استخدام المناظرات العلمية بين الأطفال، ومن المصطلحات القريبة من معني الحوار، المجادلة، والإقرار بالخلاف، التجرد في الحوار، العلم، الرجوع إلي النص، وحسن الفهم، وتحديد الهدف، والأمانة في التوثيق.
- يقسم القابسي المنهج عند إلي المواد الإجبارية، والاختيارية، والتطوعية، لكي يبرز تكافؤ فرص التعليم بين الأطفال وبالأخص الأطفال الأيتام، وكذلك الاهتمام بتعليم المرأة ومراعاة الفروق الفردية بين الذكر والأنثي، لأن هناك فروق كثيرة بين مختلف الأطفال في العمر الواحد، فهناك الطفل المتأخر، وطفل سريع البديهية، وهذا المنهج يشمل النظر في الكتب، وطرق التدريس، وإعداد المعلمين، وأساليب التقويم.
- وخالصة القول عند القابسي في منهجه هو العناية بتطوير مفهوم التفكير عند الأطفال، والمناهج تهتم بدراسة سلوك الأطفال، وإرادتهم، وعظمتهم، ونظام دراستهم، وتساعد الأهداف التربوية الصحيحة علي تقويم المنهج، حيث إن عملية التقويم السلمية تساعد علي تنظيم الوقت.
- بعد استعراض النصوص الأصلية للقابسي في نظريات الثواب والعقاب نجد أنه ينبهنا إلي عدم التماذي في عقاب الصبي والإقلال من التأنيب والتشهير بمسأوء الأطفال، ومكافأة الطفل علي نجاحه وحميد فعله، واستخدام الشفقة علي المتعلمين وأن يعاملهم معاملة أبنائه، وأن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، أي أن يتجنب المعلم استخدام القسوة في تهذيب سلوك المتعلم،

وينبها القابسي إلي أن الضرب يكون متفرقاً لا مجموعاً في محل واحد، ويكون بعيداً عن الوجهة والرأس، ولا يوقع المربي الضرب إلا علي ذنب، حتى لا يشعر المتعلم بالظلم. واستخدام الرفق بمن يعلمه والشفقة في العقاب المعنوي والعقاب الجسدي، وأن الشدة يفسد التعليم وتؤدي إلي الانصراف عن العلم، والانحراف في السلوك.

- يهتم ابن سحنون والقابسي بأساليب تدريس القرآن الكريم تلاوة وتفسيراً وحفظاً وهذا يدل علي عناية المسلمين بالقرآن الكريم تعليمياً وتعلماً، وأهمية القرآن الكريم في المنهاج الدراسي ومضمونه التعليمية ، واستراتيجيات التعليم والمتعلم.
- من أهم أهداف النسق التربوي عند كلاً من ابن سحنون والقابسي : بناء شخصية الطالب، وعرس العقيدة الإسلامية وتنميتها، وتنمية الولاء لله تعالى، وتمكين الطالب من تحقيق ذاته في إطار اجتماعي، واكتساب الطالب الأخلاق الإسلامية.
- يهتم النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي باحترام ذاتية المتعلم، والمساواة بين الجميع في التعليم، والعدل بين المتعلمين، واستخدام أسلوب الجوار مع المتعلمين، واستخدام الرحمة والرفق والشفقة بين المتعلمين، وعدم تعنيف المتعلمين والاستهزاء بهم.

“المصادر والمراجع”

القرآن الكريم

الصحيحان : البخاري محمد بن إسماعيل (ت - ٢٥٦هـ) ومسلم ابن الحجاج (ت ٢٦١هـ).

أولاً المصادر:

- (١) أبجد العلوم - القنوجي - دار ابن حزم - بيروت - الطبعة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- (٢) إحصاء العلوم - الفارابي - شرحه د. علي أبو ملح - دار مكتبة الهلال - بيروت لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٩٦م.
- (٣) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - القابسي - مخطوط الشركة العالمية للكتاب.
- (٤) إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الجزء الثالث - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- (٥) أخلاق العلماء - الآجري - تحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩١م - ١٤١١هـ.
- (٦) آداب العلماء والمتعلمين - الحسين بن أمير المؤمنين - الدار اليمنية للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- (٧) آداب المعلمين - ابن سحنون - تحقيق د. أحمد فؤاد الأهواني طبعة دار المعارف.
- (٨) أدب الإملاء والإستملاء - عبد الكريم محمد السمعاني - تحقيق د. عبد الأمير شمس الدين - الشركة العالمية للكتاب - الطبعة الأولى د.ت.
- (٩) إرشاد القاصد إلي أسني المقاصد - ابن الأكفاني / ت - ٧٤٩هـ - ١٣٤٨هـ تحقيق عبد المنعم محمد عمر وآخرون - دار الفكر العربي - القاهرة - د.ت.
- (١٠) أسرار الحكماء - تأليف ياقوت بن عبد الله المستعصي الرومي جمال الدين المتوفي ٦٩٨هـ - عني بتخريجه سيد صديق عبد الفتاح - الدار المصرية اللبنانية - الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (١١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس - ابن حزم الأندلسي - مطبعة السعادة. د.ت.
- (١٢) الإعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - الطبعة العاشرة - ٤ - ١٩٩٢م.

- (١٣) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب - البطلبوسي -
- (١٤) البيان والتبيين - الجاحظ وضع حواشيه موفق شهاب الدين - ح١ - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط٣ - ٢٠٠٩م.
- (١٥) التوضيح والبيان بشجرة الإيمان - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر العدي - تحقيق أبي محمد أشرف عبد المقصود - دار أضواء السلف للنشر - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- (١٦) الزهد - أبي عبد الله بن حجر بن حنبل الشيباني.
- (١٧) الزواجر عن اقتراف الكبائر - الإمام ابن حجر المكي الهيثمي - تحقيق محمد محمود عبد العزيز وآخرون - دار الحديث - القاهرة - ح١ الطبعة الأولى - دار الكتاب العالمي ١٩٩٠م.
- (١٨) الشوك علي بطليموس - الحسن بن الهيثم - تحقيق د. عبد الحميد صبري وآخرون مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة. د.ت.
- (١٩) العقد الفريد - ابن عبد ربه - ح٢ - أحمد أمين - الطبعة الثانية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.
- (٢٠) العقد النفيس ونزهة الجليس - الثعالبي - إعداد فتحي نصار - الدار الثقافية للنشر - الطبعة الأولى - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- (٢١) القانون في الطب - ابن سينا - شرح وترتيب أ. جبران جبور - مؤسسة المعارف - د.ت. - ١٩٨٦م.
- (٢٢) القسطاس المستقيم - الغزالي - تحقيق فيكتور - شلحت - المكتبة الشرقية - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٩٩١م.
- (٢٣) المبين في شرح ألفاظ الحكام والمتكلمين - الأمدي - حققه د. عبد الأمير الأعسم دار المناهل للطباعة والنشر - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٢٤) المدينة الفاضلة - الفارابي - د. علي عبد الواحد وافي - نهضة مصر - القاهرة.
- (٢٥) المروءة - المرزبان (ت ٣٠٩هـ) - تحقيق محمد خير رمضان يوسف - دار ابن حزم - الطبعة الأولى - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- (٢٦) المقتصد في شرح الايضاح- عبد القاهر الجرحاني- تحقيق د. كاظم بحر المرجان.
- (٢٧) بدائع المسالك- ابن الأزرق -تحقيق د. عبد الامير شمسي الدين- الشركة العالمية للكتاب- الطبعة الأولى- ١٩٩١م.
- (٢٨) تاريخ آداب العرب- مصطفى صادق الرافعي- ح١- دار الكتاب العربي- بيروت الطبعة الأولى- ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.
- (٢٩) تاريخ حكماء الإسلام- البيهقي- تحقيق ممدوح حسن محمد- مكتبة الثقافة الدينية القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- (٣٠) تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدب الأطفال- ابن حجر الهيتمي.
- (٣١) تذكره السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم- ابن جماعة مخطوط منشور في كتاب الفكر التربوي عند ابن جماعة د. عبد الأمير الأعسم- دار الكتاب العالمي الطبعة الأولى- ١٩٩٠م.
- (٣٢) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة- السيوطي- دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان- الطبعة الأولى- ح١- ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- (٣٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار- الزمخشري- تحقيق د.سليم النعيمي إحياء التراث الإسلامي- العراق- د.ت.ط- ح١.
- (٣٤) رسالة الأدب في الدين - الإمام الغزالي- تحقيق د.عبد الأمير شمسي الدين دار الكتاب العالمي- بيروت- لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- (٣٥) رسالة المسترشدين- المحاسبي- تحقيق عبد الفتاح غده- دار السلام- القاهرة- الطبعة العاشرة- ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- (٣٦) رسالة كيفية السلوك إلي رب العالمين - الحكيم الترمذي تحقيق د/أحمد عبد الرحيم السايح الدار المصري اللبناني- الطبعة الأولى- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- (٣٧) سراج الملوك- الطرطوشي- حققه د. نعمان صالح صالح- دار العادرية للطباعة والنشر الرياض- الطبع الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

- (٣٨) صبح الأعشا في صناعة الإنشا- القلقشندي (٨٢١هـ- ٤١٨م) شرحه وعلق عليه- محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان.
- (٣٩) طبقات الفقهاء الشافعية -ابن قاضي شهبة-تحقيق د.علي محمد عمر -مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- د.ت طبعة ونشر.
- (٤٠) فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال- ابن رشد- تحقيق د.محمد عمارة- القاهرة- دار المعارف- ١٩٧٢م.
- (٤١) كشف اللبس في مناصحة النفس- محمد أبو الحسن البكري الصديقي- تحقيق د.عبد الرحيم السايح.
- (٤٢) مجالس العلماء-لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي- تحقيق عبد السلام محمد هارون -مكتبة الخانجي- القاهرة- الطبعة الثالثة- ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- (٤٣) مختار رسائل جابر بن حيان- عني بتصحيحها ب- كراوس- مكتبة الخانجي- القاهرة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.
- (٤٤) مختصر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء- ابن حبان البستي -تحقيق/ الشيخ خليل مأمون- دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان -الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- (٤٥) مرآة المروءات- الثعالبي -إعداد فتحي نصار -الدار الثقافية للنشر الطبعة الأولى - ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
- (٤٦) مفاتيح العلوم- الخوازمي -دار الكتاب العربي- تحقيق إبراهيم الإبياري- الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- (٤٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة- ابن قيم الجوزية (ت ١٦٩١هـ- ٧٥١هـ) تحقيق هاني الحاج- دار التوفيقية للتراث.
- (٤٨) منية المرید في آداب المفید والمستفید- العاملي - مخطوط منشور في كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي د.عبد الأمير - دار الكتاب اللبناني -د.ت.ط.
- (٤٩) ميزان العمل- الإمام الغزالي -تحقيق د.سليمان دنيا- دار المعارف- القاهرة- الطبعة ١٩٨٤م.

(٥٠) نهاية الرتبة في طلب الحسبة. عبد الرحمن نصير الشيزري - تحقيق د/السيد الباز العريني دار الثقافة - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ثانيا المراجع:

(١) أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية - تأليف نخبة من الأساتذة د.إبراهيم مدكور وآخرون - الناشر منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٠م.

(٢) أخلاق المسلم وعلاقته بالمجتمع د.وهبة الزحيلي د.ت نشر - الطبعة الخامسة - ٢٠١٠م - ١٤٣١هـ.

(٣) أخلاقيات د. محمد ربيع محمد جوهري - مطبعة الأمانة - مصر - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤) أسس بناء المناهج وتنظيماتها د.حلمي أحمد الوكيل د. محمد أمين المفتي - دار المسيرة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٥) أساليب تدريس التربية الإسلامية - د. محمد هاشم رباني وآخرون - الشركة العربية المتحدة - الطبعة الثانية ٢٠١٠م.

(٦) أصول التدريس وسيكولوجية التعلم - رياض معوض - مطبعة دار النشر الثقافية - ١٩٤٨م.

(٧) أصول التربية د. أحمد علي الفنيش - الدار العربية للكتاب - تونس - ١٩٨٥م.

(٨) أصول التربية وسيكولوجية التعليم - رياض معوض - مطبعة دار النشر الثقافية ١٩٤٨م.

(٩) الأخلاق د.أحمد أمين - المركز الإسلامي - للطباعة والنشر - الطبعة العاشرة - ١٩٨٥م.

(١٠) الأعراف البشرية في ميزان الشريعة الإسلامية د/عمر سليمان - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(١١) الأفغاني وعنده في إشكالات التربية والقيم والوعي الأساسي د. علي زيعور مؤسسة عز الدين للنشر - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(١٢) الإمام محمد عبده - د.محمد محمد البهي - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة العدد ٤٨ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- (١٣) الإنسان في القرآن عباس محمود العقاد- الهيئة المصرية العامة للكتاب -١٩٩٧م.
- (١٤) التخطيط التربوي د.عبد الله عبد الدائم- دار العلم للملايين - بيروت - لبنان- الطبعة العاشرة- ٢٠٠١م.
- (١٥) التربية الإسلامية- نظمها وفلسفتها- تاريخها د.أحمد شلبي -مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- الطبعة السابعة- ١٩٨٢م.
- (١٦) التربية الإسلامية وفلسفتها. محمد عطية الابراشي -الطبعة الثانية -عيسى الحلبي- القاهرة.
- (١٧) التربية المعاصرة د. محمود عبد الرازق شقشوق وآخرون- دار القلم- الكويت -الطبعة الأولى- ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
- (١٨) التربية عند العرب د.خليل طوطح -مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- (١٩) التربية في الإسلام- د.أحمد فؤاد الأهواني- دار المعارف -الطبعة السادسة د.ت.
- (٢٠) التربية وطرق التدريس د. صالح عبد العزيز وآخرون -دار المعارف -الطبعة الثانية د.ت.
- (٢١) التربية ومشكلات المجتمع د.سيد إبراهيم الجيار- مكتبة غريب د.ت نشر.
- (٢٢) التفكير فريضة إسلامية -أ.عباس محمود العقاد- نهضة المصرية-القاهرة -الطبعة السادسة ١٩٧٨م.
- (٢٣) التوجيه النفسي والتربوي والمهني د.سعد جلال- مكتبة النهضة المصرية -١٩٥٧م.
- (٢٤) الخطاب التربوي الإسلامي د.محمد الفرحان- الشركة العالمية للكتاب- الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- (٢٥) الخطاب الفلسفي التربوي الغربي د. محمد جلوب الفرحان- الشركة العالمية للكتاب - بيروت لبنان- الطبعة الأولى- ١٩٩٩م.
- (٢٦) السيكلوجية في حياتنا اليومية- سلامة موسى د.ت طبعة ونشر مفاهيم.
- (٢٧) العرب تاريخ موجز د. فيليب حتى -دار العلم للملايين -بيروت- ١٩٤٦م.

- (٢٨) العلماء المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع. د. محمد منير سعد الدين - دار المناهل - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (٢٩) الفكر الديني عند زكي نجيب محمود د. مني أحمد أبو زيد - دار الهداية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- (٣٠) المدرس في المدرسة والمجتمع د. أبو الفتوح رضوان وآخرون - مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى - ١٩٦٠م.
- (٣١) المشوق إلي القراءة وطلب العلم - د. علي بن محمد العمران - الطبعة السابعة - دار العصرية للنشر - ١٤٣٥هـ - ٢٠١٥م.
- (٣٢) المنهج وعناصره د. إبراهيم بسيوني عميره - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة ١٩٩٠م.
- (٣٣) المهنة في الحضارة الإسلامية د. موفق سالم نوري - دار ابن كثير - الطبعة الأولى - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- (٣٤) الوسائل التعليمية د. إبراهيم مطوع وآخرون - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٧٩م.
- (٣٥) إنسانية التربية الإسلامية دلالتها التربوية د. أحمد فتحي محمد قاسم.
- (٣٦) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه د. عبد الحليم منتصر - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الثامنة ١٩٩٠م.
- (٣٧) تراث العرب في الرياضيات والفلك - قدري حافظ طوفان - دار القلم - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- (٣٨) تربية الطفل قبل المدرسة د. سعد مرسي أحمد وآخرون - عالم الكتب - بدون طبعة ١٩٨٣م.
- (٣٩) تربية الطفل قبل المدرسة د. سعد مرسي وآخرون - عالم الكتب - بدون طبعة ١٩٨٣م.
- (٤٠) تعليم المحرومين وحرمان المتعلمين د. مهني غنايم وآخرون - عالم الكتب - بدون طبعة ١٩٩٤م.
- (٤١) جوهر الإيمان في الإسلام - جابر حمزة فرج - مكتبة الشباب - الهيئة العامة للكتاب.
- (٤٢) دراسات فلسفية د. حسن حنفي.

- (٤٣) رائد التربية العامة في أصول التدريس د. عبد الحميد فايد - دار الكتاب اللبناني بيروت - ١٩٨١م.
- (٤٤) رواد التنوير الفكري د. شبل بدران - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٩٣.
- (٤٥) ضحي الإسلام د. أحمد أمين - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الثانية - ٢ - ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- (٤٦) عبد الرحمن الكواكبي - عباس محمود العقاد - دار النهضة مصر - القاهرة - ١٩٨٦م.
- (٤٧) علم النفس التربوي د/ أحمد زكي صالح - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الحادية عشر - ١ - ١٩٧٩م.
- (٤٨) علم النفس التربوي د. عبد المجيد سيد أحمد منصور وآخرون - العبيكان - الأردن - الطبعة الخامسة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- (٤٩) فضل علماء المسلمين علي الحضارة الأوروبية د. عز الدين فراج - دار الفكر العربي.
- (٥٠) فلسفات التربية د. إبراهيم ناصر - وائل للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - الطبعة الأولى - ٢٠٠١م.
- (٥١) فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلتها بالفلسفة الإغريقية د. محمد يوسف موسي - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٩٩٤م.
- (٥١) فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها د. محمد منير مرسي - عالم الكتب - ٢٠٠٧م.
- (٥٢) فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي د. محمد السيد الجليند دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة د.ت طبعة سنة نشر.
- (٥٣) فلسفة العلم د. صلاح قنصوة - دار التنوير للطباعة والنشر - القاهرة - ٢٠٠٨م.
- (٥٤) فن الحوار - أصول آدابه - تأليف فيصل بن عبده - دار الإيمان - الإسكندرية.
- (٥٥) في أصول التربية - الأصول الفلسفية للتربية د. محمد الهادي عفيفي - مكتبة الأنجلو المصرية د.ت.
- (٥٦) في التراث التربوي أ. نذير حمدان - دار المأمون للتراث - دمشق - سوريا - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- (٥٧) في هوية التربية الإسلامية - د. مصطفى رجب - دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
٢٠٠٨ م.
- (٥٨) مدارس التربية في الحضارة الإسلامية - د. حسان محمد حسان وآخرون - دار الكتاب
الليبناني بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (٥٩) مفاهيم واتجاهات حديثة في تعليم أطفال المدرسة د. محمد سليمان شعلان وآخرون مكتبة
غريب - د. ت. طبعة وسنة نشر.
- (٦٠) مناهج البحث العلمي في العلوم التربوية والنفسية - د. محمد عزيز إبراهيم - مكتبة الانجلو
المصرية ١٩٨٩ م.
- (٦١) منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية - د. جلال محمد عبد
الحميد موسي - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ١٩٨٢ م.
- (٦٢) موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي - إعداد خديجة النبرواي دار
السلام - الطبعة الأولى - ح ٤ - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- (٦٣) مدخل إلى أصول التربية د. حسين الهدية الرشيدى - مكتبة الفلاح - الكويت - الطبعة
الأولى - ١٤٣٢ هـ
- (٦٤) مداخل تربوية معاصرة - د. عادل السكري - الدار المصرية اللبنانية - الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
- (٦٥) مع تراثنا التربوي د. مصطفى رجب - مكتبة كوميث - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- (٦٦) نحو تأصيل اسلامي للبحث التربوي د. عبد الرحمن النقيب وآخرون - الناشر دار النشر
للجامعات - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- (٦٧) نظرات في الأسلوب القرآني د/ السيد تقي الدين السيد - ح ٢ - ١٤٢٨ هـ.
- (٦٨) واتجاهات حديثة في التربية د. صالحه عبد الله عيسان وآخرون - الطبعة الأولى دار
المسيرة - عمان - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٧ م.

ثالثا المراجع الترجمة:

- (١) التربية الإسلامية في الأندلس - خوليان ريبيرا ترجمة د/ الطاهر أحمد مكي - دار المعارف - الطبعة الثانية - ١٩٩٤ م.
- (٢) التربية العامة - روثية أو بيير - ترجمة د. عبد الله عبد الدائم - دار العلم للملايين الطبعة السادسة - ١٩٨٣ م.
- (٣) التقويم في التربية الحديثة ج. واين رايتستون - ترجمة محمد محمد عاشور - مكتبة الأنجلو المصرية . د. ت.
- (٤) الحضارة - سوزان ايزكس - ترجمة سمية أحمد فهمي - مطبعة لجنه التأليف والترجمة والنشر - ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- (٥) العلاقات بين الآباء والمعلمين - اير فنج ستاون - وآخرون - ترجمة عدلي سليمان - دار القلم - بدون طبعة - ١٩٩٦ م.
- (٦) المبادئ الأخلاقية في التربية - جون ديوي - ترجمة عبد الفتاح السيد هلال - الدار المصرية للتأليف والترجمة - بدون طبعة.
- (٧) تراث الإسلام - شاخت وبوزورث - ترجمة د. محمد زهير السهموري - المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت - ١ - ١٩٧٨ م.
- (٨) حوليات كلية الآداب - بجامعة عين شمس - المجلد الرابع عشر - القاهرة - مطبعة عين شمس (بحث النمو العقلي عند الطفل في نظرية جان بياجيه) د. سيد محمد محمد غنيم.
- (٩) دستور الأخلاق في القرآن الكريم د. عبد الله وراز - تحقيق وترجمة د/ عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة - ط ١١ - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- (١٠) سيكولوجية التعلم - رالف جاري - ترجمة د. نظمي لوقا - دار المعارف.
- (١١) شروط النهضة - مالك بن نبي - ترجمة عمار كامل مغازي و د. عبد الصبور شاهين دار الفكر - دمشق - سوريا - د. ت.
- (١٢) كيف تساعد أبنائك في المدرسة - تأليف فرانك وآخرون - ترجمة صبيحة عكاش - مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٦٠ م.
- (١٣) مجلة الأزهر - العدد العاشر - السنة الحادية والخمسون - ١٣٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

أهم المعاجم:

- (١) التعريفات - الجرحاني - وضع حواشيه محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الثانية - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.
- (٢) المعجم الفلسفي د. جميل صليبا - دار الكتاب العالمي - بيروت - لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- (٣) المعجم الفلسفي د. مراد وهبة وآخرون - القاهرة - ١٩٦٦م.
- (٤) المعجم الفلسفي د. مصطفى حسيبه دار أسامة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- (٥) المعجم الفلسفي د/ عبد المنعم الحفني - الدار الشرقية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- (٦) الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي - د. جميل الحاج - مكتبة لبنان - ناشرون - الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- (٧) معجم المصطلحات الاقتصادية والإسلامية - علي بن محمد الجمعة - مكتبة العبيكان - الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	- الإهداء
أ: ج	- المقدمة
٢٢ : ١	- مدخل تمهيدى للنسق التربوى عند ابن سحنون والقابسى بين الأصالة والمعاصرة
الفصل الأول: "مكانة العلم والعلماء"	
٢٦ : ٢٣	- تمهيد
٢٨ : ٢٧	- مفهوم العقل عند العلماء
٤٢ : ٢٨	- فضيلة العلم فى القرآن والسنة
٤٩ : ٤٣	- درجات العلم - مناقب العلماء
٥٦ : ٤٩	- أهمية العلوم فى حياتنا اليومية، وكيفية تحصيلها
٥٩ : ٥٧	- مكانة العلماء
٦٥ : ٥٩	- مراتب العلوم وتفاوتها
٦٧ : ٦٦	- تعقيب
٧١ : ٦٨	- مصادر ومراجع الفصل الأول
الفصل الثانى: "أخلاقىات مهنة المعلم"	
٧٤ : ٧٢	- تمهيد
٨٠ : ٧٥	- فضل العلوم وأهل العلم فى القرآن والسنة
٩٣ : ٨١	- الركائز الأساسية فى بناء المعلم
١٠٨ : ٩٣	- الرذائل التى يبتعد عنها المعلم
١١٠ : ١٠٨	- المسئولية والجزاء فى أفعال المعلم
١٢٩ : ١١٠	- أهم الفضائل التربوية التى يتمسك بها المعلم
١٣١ : ١٣٠	- تعقيب
١٣٥ : ١٣٢	- مصادر ومراجع الفصل الثانى

تابع فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
الفصل الثالث: " المنهاج الدراسي عند ابن سحنون "	
١٣٦ : ١٣٧	- تمهيد
١٣٧ : ١٤٠	- الترجمة الكاملة لحياه لابن سحنون
١٤١ : ١٤٩	- محتويات المنهاج الدراسي عند ابن سحنون
١٤٩ : ١٥٢	- المواد الاختيارية والإجبارية في المنهج الدراسي عند ابن سحنون
١٥٣ : ١٥٦	- طرق التدريس عند ابن سحنون
١٥٦ : ١٦٠	- تكافؤ الفرص في التعليم
١٦١ : ١٦٢	- المرتكزات الأساسية في المنهج الدراسي عند ابن سحنون
١٦٢ : ١٦٧	- التربية الروحية عند ابن سحنون
١٦٧ : ١٧٠	- ابن سحنون بين الأصالة والمعاصرة وأثره في الفكر التربوي الغربي
١٨١	- تعقيب
١٨٢ : ١٨٤	- مصادر ومراجع الفصل الثالث
الفصل الرابع: " نظريات الثواب والعقاب عند ابن سحنون "	
١٨٥ : ١٨٦	- تمهيد
١٨٦ : ١٨٨	- ضوابط تعليم المرأة عند ابن سحنون
١٨٨ : ١٩٥	- تطبيق المنهج التربوي في عملية الثواب والعقاب في منهج ابن سحنون
١٩٥ : ٢٠٠	- نظريه الثواب والعقاب عند ابن سحنون بين الأصالة والمعاصرة
٢٠٠ : ٢١١	- وسائل التربية الخلقية عند ابن سحنون
٢١١ : ٢٢١	- تحديد الامتحانات عند ابن سحنون بين الأصالة والمعاصرة
٢٢٢	- تعقيب
٢٢٣ : ٢٢٥	- مصادر ومراجع الفصل الرابع
الفصل الخامس: " التربية الروحية في النسق التربوي عند القابسي "	
٢٢٦ : ٢٢٧	- تمهيد
٢٢٨	- الترجمة الكاملة للقابسي
٢٢٨ : ٢٣١	- اسمه ولقبه - مولده - رحلته - شيوخه وتلاميذه - وفاته

تابع فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٣٢ : ٢٣١	- المنهج التربوي عند القابسي
٢٤٠ : ٢٣٣	- الركائز الأساسية في التربية الروحية عند القابسي
٢٥٣ : ٢٤٠	- التعليم الإلزامي عند القابسي
٢٥٩ : ٢٥٤	- مفهوم الاستقامة في المنهج التربوي عند القابسي
٢٦٢ : ٢٦٠	- دعائم المنهج التربوي (الصلاح والعمل الصالح) عند القابسي
٢٨٦ : ٢٦٢	- مكونات المنهج الدراسي عند القابسي
٢٧٦ : ٢٦٩	- المنهج التربوي عند القابسي بين الأصالة والمعاصرة
٢٨٠ : ٢٧٧	- دور الأسرة في العملية التعليمية عند القابسي
٢٨٣ : ٢٨١	- تعقيب
٢٨٦ : ٢٨٤	- مصادر ومراجع الفصل الخامس
الفصل السادس: "المنهاج الدراسي عند القابسي"	
٢٨٨ : ٢٨٧	- تمهيد
٢٩٥ : ٢٨٨	- آداب طلب العلم في المنهج التربوي عند القابسي
٣٠١ : ٢٩٥	- التقويم عن طريق الامتحانات عند القابسي
٣٠٥ : ٣٠١	- أجر المعلم والتكافل الاجتماعي التعليمي للأيتام
٣١٢ : ٣٠٦	- مكانة المرأة التعليمية
٣٢٤ : ٣١٢	- مكونات المنهج الدراسي عند القابسي (المواد الإلزامية - المواد الاختيارية)
٣٢٨ : ٣٢٤	- المواد التطوعية في المنهج الدراسي عند القابسي
٣٣٨ : ٣٢٩	- واجبات المعلم في تطبيق المنهج الدراسي عند القابسي
٣٤١ : ٣٣٩	- تعقيب
٣٤٤ : ٣٤٢	- مصادر ومراجع الفصل السادس
الفصل السابع: "نظريات الثواب والعقاب في النسق التربوي عند القابسي"	
٣٤٦ : ٣٤٥	- تمهيد
٣٥١ : ٣٤٦	- دور الأسرة في تربية الأطفال
٣٥٨ : ٣٥١	- أحكام الأجر عند المعلم ووجوب تعليم الصبيان (تنظيم الوقت)

تابع فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣٥٩ : ٣٦٠	- فن الحوار عند القابسي يقلل من العقاب
٣٦٦ : ٣٦٦	- الركائز الأساسية للعقاب (الضرب) عند القابسي
٣٧٦ : ٣٧٦	- العقوبات المسموح بها بين الأصالة والمعاصرة عند القابسي
٣٧٦ : ٣٧١	- التأديب والتكوين النفسي وسيكولوجية العقاب عند القابسي
٣٧١ : ٣٧٨	- آثار العقوبات السلبية بين الأصالة والمعاصرة عند القابسي
٣٧٨ : ٣٩١	- أثر نظرية الثواب عند القابسي بين الأصالة والمعاصرة
٣٩٢ : ٣٩٣	- تعقيب
٣٩٣ : ٣٩٥	- مصادر ومراجع الفصل السابع
٣٩٦ : ٤٠٠	- الخاتمة
٤٠١ : ٤١١	- المصادر و المراجع و المعاجم
٤١٢ : ٤١٥	- فهرس الموضوعات